

إِسَاءَةُ الدِّانِ

بِذِكْرِ الْأَخْبَارِ بِلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ
مَعَ تَعْلِيْقِهِ الْمُسَمَّى بِإِتْمَامِ الْعِلَامِ

تأليف

العلامة المحدث عبد الله الغازي المكي الحنفي

دراسة وتحقيق

رمعي الزهر عبد الملك بن عبد الله بن وهب

المجلد الثالث

ح) مكتبة الأسدى ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحنفى ، عبدالله بن محمد الغازى المكى
افادة الانام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام
الكلام / عبدالله بن محمد الغازى المكى الحنفى ؛ عبد الملك عبدالله
ابن دهيش - مكة المكرمة ، ١٤٣٠هـ
٧ مج .

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٧٩-٠-٦ (مجموعة)

٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٧٩-٣-٧ (ج٣)

١ - مكة المكرمة - تاريخ أ - ابن دهيش ، عبد الملك عبدالله (محقق)

ب . العنوان

١٤٣٠ / ٢٣٠٦

ديوى ٩٥٣ ، ١٢١

رقم الإيداع : ١٤٣٠ / ٢٣٠٦

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٧٩-٠-٦ (مجموعة)

٩٧٨-٦٠٣-٩٠٠٧٩-٣-٧ (ج٣)

جميع الحقوق محفوظة للمحقق

معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

توزيع



مكتبة الأسدى للنشر و التوزيع



مكة المكرمة - العزيزية - مدخل جامعة أم القرى ت - ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس - ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشاروع العام ت - ٥٢٧٣٠٣٧ ص. ب ٢٠٨٣



الباب العاشر: في ذكر أمراء مكة المشرفة وذكر ولائها من طرف الدولة العثمانية

الفصل الأول: في ذكر أمراء مكة المشرفة

قال العلامة السيد أحمد دحلان رحمه الله في خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام^(١): أول أمير تولى إمارة مكة بعد فتح النبي ﷺ إياها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة عتّاب - بتشديد التاء - بن أسيد - بفتح الهمزة - بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف^(٢).

أسلم عتّاب يوم الفتح، فولّاه النبي ﷺ عند مخرجه إلى حنين^(٣) في العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة، وكان عمره إحدى وعشرين

(١) خلاصة الكلام (ص: ٣).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧-٣/٦)، وغاية المرام (٣٥/١)، وتذهيب الكمال (٢٨٢/١٩)، وطبقات ابن سعد (٥٦/٤، ١٤/٧)، والخير لابن حبيب (١٠٤)، والتاريخ الكبير (ترجمة: ٢٤٠٢، ٢٤٧٧)، والجرح والتعديل (١١/٧)، ومشاهير علماء الأمصار (ترجمة: ٢٠٠)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٦٨/٣)، وجمهرة ابن حزم (ص: ٧٠)، والاستيعاب (١٠٢٣/٣)، وتلقيح فهوم أهل الأثر (١٧٨، ٣٧٩)، والكامل لابن الأثير (١٩٩/٣)، وأسد الغابة (ترجمة: ٩٧٦)، والكاشف (١٩٨/١)، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢)، وتجريد أسماء الصحابة (ترجمة: ١٠٣٩)، وسير أعلام النبلاء (١٩٩/١)، والوفاء بالوفيات (٢٤٢/١١-٢٤٣)، وتذهيب التهذيب (٨٢/٧)، والإصابة (٤٢٩/٤)، وخلاصة الخرجي (ترجمة: ١١٦٨).

(٣) حنين: غزوة من أشهر غزوات الرسول ﷺ بعد بدر، كانت في السنة الثامنة من الهجرة.

سنة^(١)، ولم يزل والياً على أهل مكة إلى وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت وفاته ووفاة أبي بكر رضي الله عنه في يوم واحد، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. وقيل: إن عتّاباً توفي في يوم ورود خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأهل مكة.

وولي إمارة مكة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه: الحارث بن حارثة بن ربيعة^(٢) بن عبد العزى^(٣)، ثم قُنُذ بن عُمير بن جدعان التيمي^(٤)، ثم نافع ابن [عبد]^(٥) الحارث الخزاعي^(٦).

(١) انظر: إتحاف الوری (٥٢٨/١)، وغاية المرام (١٦/١)، وأخبار مكة للفاكهي (١٧٥/٣)، والعقد الثمين (٣/٦)، والاستيعاب (١٠٢٣/٣)، وأسد الغابة (ترجمة ٣٥٣٨)، والنفقات (٣٠٤/٣)، والجرح والتعديل (١١/٧، ٤٦)، وتجريد أسماء الصحابة (٣٧٠/١)، وتقريب التهذيب (٣/٢)، وتاريخ الإسلام (٦١/٣)، والتاريخ الصغير (٣٣/١)، وأزمنة التاريخ الإسلامي (٧٥٧/١)، والأعلام (١٩٩/٤)، والتاريخ الكبير (٥٤/٧)، والكاشف (٢٤٣/٢)، وشذرات الذهب (٢٦/١)، والعبر (١٦/١)، وتهذيب الكمال (٢٨٢/١٩)، ومشاهير علماء الأمصار (١٥٥)، والبداية والنهاية (٣٠٤/٧).

(٢) في الأصل: سعد. والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وغاية المرام (٣٩/١)، والعقد الثمين (١٣٥/٧)، والاستيعاب (١٤٦١/٤)، والإصابة (٧٨٢/٥)، وأسد الغابة (ترجمة ٤٦٨٧).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وجمهرة أنساب العرب (ص: ٧٨)، وغاية المرام (٤١/١)، والعقد الثمين (٧٧-٧٦/٧)، والاستيعاب (١٣٠٧/٣)، والإصابة (٤٥٥/٥)، وأسد الغابة (ترجمة ٤٣٢٣)، وتجريد أسماء الصحابة (١٧/٢).

(٥) قوله: "عبد" زيادة من مصادر ترجمته.

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وأخبار مكة للفاكهي (١٦٤/٣)، وغاية المرام (٤٣/١)، والعقد الثمين (٣٢٢-٣٢٠/٧)، والاستيعاب (١٤٩٠/٤)، والإصابة (٤٠٨/٦)، وأسد الغابة (ترجمة ٥١٧٦)، والنفقات (٤١٢/٣)، والطبقات (ص: ١٠٩)، وتجريد أسماء الصحابة (١٠٢/٢)، وتقريب التهذيب (ص: ٥٥٨)، وتهذيب التهذيب

ومن ولي مكة لعمر رضي الله عنه: خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة^(١)، وأحمد بن خالد، وطارق بن المرتفع بن الحارث بن [عبد مناة]^(٢)، والحارث بن نوفل القرشي^(٣).

وولي مكة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه: علي بن عدي بن ربيعة^(٤)، وخالد بن العاص، والحارث بن نوفل -المتقدم ذكرهما-، ثم عبدالله ابن خالد بن أسيد^(٥) -وهو [ابن]^(٦) أخي عتاب بن أسيد-، ثم عبدالله ابن عامر الحضرمي^(٧)، ونافع بن [عبد]^(٨) الحارث الخزاعي -المتقدم ذكره-.

-
- (١٠/٣٦٣)، والأعلام (٥/٨)، والجرح والتعديل (٤٥١/٨)، والتاريخ الكبير (٨٢/٨)، والطبقات الكبرى (٢٤٢/٣)، ومسند بقي بن مخلد (ص: ٥٠١).
- (١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٧٩/٢)، وغاية المرام (٤٧/١)، والعقد الثمين (٢٦٨/٤-٢٧٠)، والاستيعاب (٤٣١/٢)، والإصابة (٢٤٠/٢)، وأسد الغابة (ترجمة ١٣٧٢).
- (٢) في الأصل: عبد مناف وهو تصحيف، أصلحناه من مصادر ترجمته. انظر ترجمته في: غاية المرام (٥١/١-٥٢)، والعقد الثمين (٥٥/٥)، والإصابة (٥١٤/٣). وانظر جمهرة ابن حزم (ص: ١٨٠).
- (٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٢-٢٩/٤)، وغاية المرام (٣٩-٣٥/١)، والاستيعاب (٢٩١/١)، والإصابة (٦٠٣/١-٦٠٥).
- (٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨١/٢)، وغاية المرام (٥٦/١)، والعقد الثمين (٢١٧/٦)، والإصابة (٦٦/٥)، والتجريد (٤٢٤/١)، والاستيعاب (١١٣٤/٣)، وأسد الغابة (ترجمة ٣٧٩٣).
- (٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨١/٢)، وأخبار مكة للفاكهي (١٦٤/٣)، وغاية المرام (٥٧/١)، والعقد الثمين (١٣٥-١٣٣/٥).
- (٦) قوله: "ابن" زيادة من مصادر ترجمته.
- (٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨١/٢)، وغاية المرام (٦٢-٦١/١).
- (٨) قوله: "عبد" زيادة من مصادر ترجمته.

وولي مكة في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه: أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه فارس رسول الله ﷺ، واسمه: الحارث بن رباعي، وقيل: النعمان بن رباعي، وقيل غير ذلك^(١).

ثم قُثم -بضم القاف وفتح المثلثة- بن العباس رضي الله عنه^(٢) بعد عزل أبي قتادة، ولم يزل والياً عليها إلى أن قتل علي رضي الله عنه. كذا في الجامع اللطيف^(٣).

[وفي]^(٤) شفاء الغرام^(٥): أنه ولي عليها سنة ثمان^(٦) وثلاثين، وحج بالناس.

وفي تسع وثلاثين بعث معاوية رضي الله عنه يزيد بن [شجرة]^(٧) الرهاوي في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة ليقيم الحج ويأخذ له البيعة، فتنازعا ولم يسلم أحد لصاحبه، ثم وقع الصلح على أن يعتزل قُثم وي زيد، ويختار الناس

(١) انظر ترجمته في: غاية المرام (٦٣/١-٦٦)، وشفاء الغرام (٢٨٢/٢)، والأعلام (١٥٤/٢)،

والعبر (٦٠/١)، والكامل (٣٤٦/٣)، وتهذيب التهذيب (٢٢٤/١٢).

(٢) انظر ترجمته في: غاية المرام (٦٧/١-٧٤)، وشفاء الغرام (٢٨٢/٢)، والأعلام (١٩٠/٥)،

وتهذيب التهذيب (٣٢٣/٨)، والاستيعاب (١٣٠٤-١٣٠٥)، والكامل (٢٤٢/٣).

(٣) الجامع اللطيف (ص: ٢٨٦).

(٤) قوله: "وفي" زيادة على الأصل.

(٥) شفاء الغرام (٢٨٣/٢).

(٦) في شفاء الغرام: ست.

(٧) في الأصل: شجرة. وكذا وردت في الموضعين التاليين، والتصويب من تاريخ خليفة (٢٢٦/١)،

والكامل (٢٤٦/٣)، وإتحاف الوري (٢٩/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٤).

من يصلي بهم، فاختاروا شيبة بن عثمان، فصلى وحجّ بهم^(١). انتهى.

وفي تاريخ ابن فهد^(٢): وفي سنة تسع وثلاثين بعث معاوية رضي الله عنه يزيد بن شجرة الرهاوي في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة ليقم بالناس الحج، ويأخذ له البيعة بها، وينفي عنها قثم بن العباس عامل علي رضي الله عنه، فلما سمع قثم خطب الناس بمكة وعرفهم مسير الشاميين، ودعاهم إلى غزوهم فلم يجيبوه بشيء، وأجابه شيبة بن عثمان العبدي بالسمع والطاعة، فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبه أمير المؤمنين علي بالخبر، فإن أمده بالجيوش قاتل الشاميين، فنهاه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن مفارقة مكة، وقال: أقم، فإن رأيت نيتهم القتال وبك قوة فاعمل برأيك، وإلا فالمسير عنها أملك، فأقام، [وقدم الشاميون فلم يعرضوا لقتال أحد]^(٣)، وأرسل إلى أمير المؤمنين يخبره، فسير جيشاً فيهم الريان بن ضمرة بن [هوذ]^(٤) بن علي الحنفي وأبو الطفيل أول ذي الحجة، وكان قدوم يزيد بن شجرة قبل التروية بيومين، فنادى في الناس: أنتم آمنون إلا من تعرّض لقتالنا ونازعنا. واستدعى أبا سعيد الخدري وقال له: إني لا أريد الإلحاد في الحرم، ولو شئت لفعلت؛ لما في أميركم من الضعف، فقل له يعتزل الصلاة بالناس وأعتزلها أنا، ويختار الناس من يصلي بهم. فقال أبو سعيد لقثم ذلك، فاعتزل

(١) غاية المرام (٦٨/١).

(٢) إتحاف الوری (٢-٢٩-٣٠)، والکامل (١٦٤/٣).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوری (٢٩/٢).

(٤) في الأصل: هود. والمثبت من إتحاف الوری، الموضع السابق.

الصلاة، واختار الناس حاجب ذلك البيت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة
فصلى بهم وحج. فلما قضى الناس حجهم سار يزيد إلى الشام، وأقبل خيل
علي فأخبروهم بعود أهل الشام فتبعوهم. انتهى.

وولي مكة في خلافة معاوية رضي الله عنه جماعة، منهم: أخوه عتبة بن
أبي سفيان^(١)، ومروان بن الحكم^(٢)، وسعيد بن العاص^(٣)، وابنه عمرو بن

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٤)، وغاية المرام (١/٧٦)، وأخبار مكة للفاكهي
(٣/١٧٦)، والعقد الثمين (٦/٨-١٠)، والاستيعاب (٣/١٠٢٥)، والإصابة (٥/٦٠)،
وأسد الغابة (ترجمة ٣٥٤٦)، ونسب قريش (١٢٥، ١٥٣)، والأخبار الموفقيات (٣٢٧)،
٥٠١)، وتاريخ خليفة (٢٠٥، ٢٠٨)، وأنساب الأشراف (١/٤٢١، ٤٤٠)، والمحرر (٢٠)،
٢٦١)، وتاريخ يعقوب (٢/٢٢٢، ٢٣٩)، وتاريخ الطبري (١/٢٦٣، ٢٢٠/٤)، والخراج
وصناعة الكتابة (ص: ٤٦٣)، وجمهرة أنساب العرب (ص: ١١١، ١١٢)، والولاء والقضاء
(ص: ٣٤، ٣٩)، وتاريخ الإسلام (١/٧٩).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٤)، والعقد الثمين (٧/١٦٥-١٦٩)، وغاية المرام
(١/٨٢)، والاستيعاب (٣/١٣٨٧)، والإصابة (٦/٨٢)، وأسد الغابة (ترجمة ٤٨٤٨)،
وطبقات ابن سعد (٥/٣٥)، ونسب قريش (ص: ١٥٩-١٦٠)، وطبقات خليفة
(ص: ١٩٨٤)، والتاريخ الكبير (٧/٣٦٨)، والمعارف (ص: ٣٥٣)، والجرح والتعديل
(٨/٢٧١)، وتاريخ الطبري (٥/٥٣٠، ٦١٠)، ومروج الذهب (٣/٢٨٥)، وأنساب العرب
(ص: ٨٧)، وتاريخ الإسلام (٣/٧٠)، والبداية والنهاية (٨/٢٣٩، ٢٥٧).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٨٤)، وغاية المرام (١/٩١)، والعقد الثمين (٤/٥٧١-
٥٨٠)، والاستيعاب (٢/٦٢١)، والإصابة (٣/١٠٧)، وأسد الغابة (ترجمة ٢٠٨٣)،
وطبقات ابن سعد (٥/٣٠)، وتاريخ يحيى برواية الدوري (٢/٢٠١)، ونسب قريش (١٧٧)،
والمحرر (٥٥، ١٥٠، ١٧٤)، وتاريخ خليفة (١٦٣)، وتاريخ البخاري الكبير (ترجمة ١٦٧٢)،
والعرفه ليعقوب (١/٢٩٢)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٤/٤٣٣)، ومشاهير علماء الأمصار

سعيد^(١) المعروف بالأشدق^(٢)، وخالد بن العاص المخزومي^(٣)، وعبدالله بن خالد ابن أسيد^(٤).

وولي مكة في زمن يزيد بن معاوية جماعة، منهم: عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق - السابق ذكره -، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب القرشي^(٥)، وعثمان بن محمد بن أبي سفيان بن الحارث القرشي^(٦)، والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي^(٧) - المتقدم ذكر والده

(ترجمة ٤٤٦)، وجهرة ابن حزم (٨٠)، والجمع لابن القيسراني (١٨٤/١)، والتبيين في أنساب القرشيين (١٠٦، ١٦٤، ١٧٦، ١٩٩، ٣٤٥)، والكامل في التاريخ (٧٧/٢، ٣٠٦/٣، ١٠٧، ١٩٣/٤)، وتاريخ الإسلام (٢٨٦/٢)، والعبر (٦٤/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٤/٣)، والتجريد (ترجمة ٢٣٢٤)، والبداية والنهاية (٨٣/٨)، وتذويب الكمال (٥٠١/١٠).
(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨٥/٢)، وغاية المرام (١٠٦/١)، والعقد الثمين (٣٨٩/٦) - ٣٩٤، والإصابة (٢٩٤/٥)، والجرح والتعديل (٢٣٦/٦).

(٢) لقب بالأشدق؛ لفصاحته وبلاغته وقوة عارضته في الخطابة.

(٣) سبق قريباً.

(٤) سبق قريباً.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨٦/٢)، وغاية المرام (١١٤/١)، والعقد الثمين (٣٩١/٧) - ٣٩٧، ونسب قريش (١٣٣/٤).

(٦) انظر ترجمته في: غاية المرام (١٢١/١)، والعقد الثمين (٣٧/٦) - ٤١.

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨٧/٢)، وغاية المرام (١٢٦/١)، والعقد الثمين (٨/٤) - ١٥،

والأغاني (٣١١/٣)، (٢٢٧/٩)، وخزانة الأدب للبغدادى (٢١٧/١)، وتذويب تاريخ ابن

عساكر (٤٣٧/٣)، وطبقات ابن سعد (٥/٦)، والمنظم (٣٧٥/٢).

خالد-، وعبدالرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ابن أخيه عمر بن الخطاب^(١)، ويحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي^(٢).

وفي ترتيب ولايتهم خلاف؛ إلا عمرو بن سعيد فإنه أولهم، ثم الوليد بعده.

ثم ولي مكة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه بعد أن لقي في ذلك بلاءً شديداً من الحصين بن نمير المقدم على عسكر يزيد، وكان وصول الحصين إلى مكة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه أهل الحجاز لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين، وتقاتل هو وابن الزبير مدة يسيرة. ثم فرج الله على ابن الزبير بوصول نعي يزيد في ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، فوَلَّى الحصين راجعاً إلى الشام، وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالخرمين، وبويع بها في العراق واليمن وغيرها من البلاد، وساد أمره، ودامت ولايته على مكة إلى أن حاربه الحجاج وقتله، وكان من أمره ما ليس هذا محل ذكره. كذا في الجامع اللطيف^(٣).

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨٧/٢)، وغاية المرام (١٣٦/١)، والعقد الثمين (٣٥٢/٥) - (٣٥٤)، وتهذيب التهذيب (١٦٢/٦)، ونسب قريش (٣٦٣)، والإصابة (٣٦/٥)، والأعلام (٣٠٧/٣).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٨٨/٢)، وغاية المرام (١٣٨/١)، والعقد الثمين (٤٣٤/٧)، وتهذيب الكمال (٢٧٢/٣١)، وتقريب التهذيب (ص: ٥٨٩).

(٣) الجامع اللطيف (ص: ٢٨٧).

وولي مكة في خلافة عبد الملك بن مروان: الحجاج بن يوسف^(١)، ثم بعد الحجاج وليها جماعة منهم: مسلمة بن عبد الملك بن مروان^(٢)، ثم الحارث بن خالد المخزومي، وفد على عبد الملك فلم يَصِلْهُ، فرجع من عنده وأنشد أبياتاً، فبلغت عبد الملك فأرسل في طلبه. فلما وقف بين يديه سأله عما عليه من الدِّين، فقال: ثلاثون ألفاً، فقال له عبد الملك: قضاء دينك أحب إليك أم ولاية مكة؟ فقال: بل ولاية مكة، فولاه إياها^(٣).

قال العلامة السنجاري في منائح الكرم^(٤): حكى أنه حجت عائشة بنت طلحة في زمن الحارث هذا، وكان يهواها، فأرسلت إليه: أن أخر الصلاة حتى أفرغ من الطواف، فأخَّرَها حتى ضجَّ الناس، فما قام إلى الصلاة حتى فرغت، فقام فصلى بالناس، فأنكر أهل الموسم ذلك من فعله. وبلغ ذلك عبد الملك بن

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٥٤-٦١)، ووفيات الأعيان (٢/٢٩)، والمسعودي (١٠٣-١١٩)، وقتهيب التهذيب (٢/١٨٤)، وقتهيب ابن عساكر (٤/٤٨)، والكمال (٤/٢٢٢)، والبدء والتاريخ (٦/٢٨)، والتاريخ الكبير (٢/٣٧٣).

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ خليفة (٣٠١)، والتاريخ الكبير (٧/٣٨٧)، والتاريخ الصغير (١/٢٤٥)، (٢٥٤)، والمعرفة والتاريخ ليعقوب (١/٥٧٩، ٥٨٥، ٦٠٠، ٥١/٢، ١٠١، ٢٢٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٤١)، وتاريخ الإسلام (٥/١٦٣)، وقتهيب الكمال (٢٧/٥٦٢).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٥).

(٤) منائح الكرم (٢/٣٨)، وإتحاف الوري (٢/١٠٦)، ودرر الفرائد (ص: ٢٠١).

مروان [فغضب عليه]^(١) فقال: ما أهون غضب ابن مروان عليّ إذا رضيت عائشة، والله لو لم تفرغ إلى الليل لأخّرت الصلاة إلى الليل. فلما قضت حجّها بعث إليها: يا ابنة عمي ألمّي بنا أو عدينا مجلساً نتحدث فيه، فبعثت إليه: غداً إن شاء الله، ثم رحلت من ليلتها. انتهى.

ثم عزل الحارث وولي مسلمة، ثم عزل مسلمة وولي خالد بن عبدالله القسري^(٢).

قال ابن فهد^(٣): قال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة^(٤): كان مسلمة بن مروان والياً على أهل مكة، فبينما هو يخطب على المنبر إذ أقبل خالد بن عبدالله القسري من الشام والياً عليها، فدخل المسجد، فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر، فلما ارتقى في الدرجة

(١) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٣٨/٢).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٧٠/٤-٢٨٢)، وتاريخ خليفة (٣٠٢، ٣١٠، ٣١٧، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٠، ٣٦٢، ٣٧٣)، والتاريخ الكبير (ترجمة ٥٤٢)، وتاريخه الصغير (٢٧٩/١)، والمعارف (٣٩٨-٣٩٩)، والمعرفة ليعقوب (٦٨٨/٢، ٧٨٦، ٢١٥/٣، ٢٤٢)، وتاريخ واسط (١٣٧)، وأخبار القضاة لوكيع (٢٧/٢، ٣٦، ٤١، ٩/٣، ١٠-٢٣، ٢٥)، وتاريخ الطبري (٢٥٤/٧)، وجمهرة ابن حزم (١٢، ١٢٧، ٣٢٧)، وقذيب تاريخ دمشق (٧٠/٥-٨٣) ووفيات الأعيان (٢٢٦/٢)، وتاريخ الإسلام (٦٤/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٢٥/٥-٤٣٢)، والبداية والنهاية (١٧/١٠، ٢٢)، وقذيب الكمال (١٠٧/٨).

(٣) إتحاف الوری (١١٨/٢)، وشفاء الغرام (٢٩٣/٢-٢٩٤).

(٤) الإمامة والسياسة (٥١/٢).

الثالثة تحت مسلمة أخرج طوماراً^(١) ففضّه، ثم قرأه على الناس فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان^(٢) أمير المؤمنين إلى أهل

مكة، أما بعد:

فإني وليتُ عليكم خالد بن عبد الله القسري، فاسمعوا له وأطيعوا، ولا يجعلن أحد على نفسه سيلاً، فإنما هو القتل لا غيره، وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير، والسلام.

ثم التفت إليهم خالد فقال: والذي يُحلف به ويُحج إليه، لا أجده في دار أحد إلا قتلته، وهدمت داره، ودار كل من جاوره، واستبحت حرّمه، وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام، ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ولحق بالشام. فأتى رجل إلى خالد فقال له: إن سعيد بن جبير بوادي كذا من أودية مكة مخفياً بمكان كذا، فأرسل خالد في طلبه، فأتاه الرسول، فلما نظر إليه قال له: إني أمرت بأخذك، وأتيت لأذهب بك إليه، وأعوذ بالله من ذلك، فالحق بأي بلد شئت وأنا معك، فقال سعيد بن جبير: ألك هاهنا أهلٌ وولد؟ قال: نعم. قال: إنهم يؤخذون بعدك وينالهم من المكروه مثل الذي كان ينالني. قال: فإني أكُلهم على الله عز وجل. قال سعيد: لا يكون هذا، فأتى به إلى خالد، فشده وثاقاً، ثم بعث به إلى الحجاج فقال له رجل من أهل الشام: إن الحجاج قد أنذر به وأشعر به من قبلك، فما عرض له، فلو جعلته بينك وبين الله لكان

(١) الطومار: الصحيفة (المعجم الوسيط ٥٦٥/٢).

(٢) في إنحاف الوري (١١٨/٢): الوليد بن عبد الملك بن مروان.

أزكى من كل عمل يُتقرب به إلى الله. قال خالد -وظهره إلى الكعبة قد استند إليها-: والله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى عني إلا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته في مرضاته. انتهى.

وقال ابن فهد أيضاً^(١): وأحدث خالد بن عبد الله القسري في ولايته لمكة عن سليمان بن عبد الملك حدثاً منكراً، فقام إليه رجل من بني عبدالدار بن قصي يقال له: [طليحة]^(٢) بن عبد الله بن شيبة، ويقال: بل هو عبد الله بن شيبة الأعجم، فأمره بالمعروف ونهاه عما فعل، فغضب خالد غضباً شديداً وأخاف الرجل، فخرج إلى سليمان بن عبد الملك ليشتكوا إليه ويتظلم منه، فشكى إليه أمره، فكتب سليمان إلى خالد أن لا يتعرض له بأمر يكرهه. فلما جاء الكتاب إلى خالد أخذه فوضعه، ثم أرسل بعد ذلك إلى عبد الله بن شيبة يسأله أن يفتح له الكعبة في وقت لم ير ذلك عبد الله بن شيبة، فامتنع عليه، فدعى به فضربه مائة سوط على ظهره، فخرج عبد الله بن شيبة هو ومولى له على راحلتين فأتى سليمان فكشف عن ظهره بين يديه، وقال له: هذا الذي أوصيته [لي] ، فقال: إلى من تختار أكتب له؟ قال: إلى خالك محمد بن هشام. قال: فكتب إليه: إن كان خالد ضربه بعد أن وصل إليه كتابي وقرأه فاقطع يده، وإن كان ضربه ولم يقرأ كتابي فأقده منه. فقدم بالكتاب على

(١) إتحاف الوري (٢/١٢٤-١٢٦)، والعقد الثمين (٤/٢٧٧-٢٧٩).

(٢) في الأصل: طلحة. والتصويب من إتحاف الوري (٢/١٢٤)، والعقد الثمين

(٤/٢٧٧).

محمد بن هشام، فدعا بالقسري فقرأه عليه فقال: الله أكبر يا غلام! إيت بالكتاب، فأتى به محتوماً لم يقرأه، فأخرجه محمد بن هشام إلى باب المسجد وحضره القرشيون والناس فجرّده، ثم أمر به أن يضرب، فضرب مائة سوط. فلما أصابه الضرب كأنه تمايل بعد ذلك في ضربه، ثم لبس ثيابه فرجع إلى امرأته، فقال الفرزدق^(١):

لعمرى لقد صُبَّتْ على ظهر خالد شآبيب ما استهللن من سَبَلِ القَطْرِ
أُتْجِلِدُ في العصيان من كان عاصيا وتُعْصِي أمير المؤمنين أخا قَسْرٍ
وقال أيضاً^(٢):

سَلُّوا خالداً لا قَدَسَ اللهُ خالداً متى وَلَيْتَ قَسْرَ قُرَيْشاً تُدِينُهَا^(٣)
أَبْعَدَ رسول الله أَمَ قَبْلَ عَهْدِهِ وَجَدْتُمْ قُرَيْشاً قَدْ أَغَتْ سَمِينُهَا
رَجَوْنَا هُدَاهُ لا هَدَى اللهُ قَلْبَهُ وما أُمُّهُ بِالْأَمِّ يُهْدَى جَنِينُهَا
فَقالت أم الضحاك وهي يمانية:

فما جُلِدَ القَسْرِيُّ في أَمْرِ رِيَّةٍ وما جُلِدَ القَسْرِيُّ في شَرْبِ خَمَرٍ
له جَلَمٌ يُسَمَّى الحُسَامَ وشَفْرة هَذَا مَا [تفري] الشَّقَارُ كما تفري

تُعَرِّضُ للأعجم أنه يسرق الحاج. انتهى.

قال ابن فهد أيضاً^(٤): إن الناس كانوا يقومون قيام شهر رمضان في أعلى المسجد ؛ تُركِزُ حربة خلف المقام بربوة فيصلي الإمام خلف الحربة والناس

(١) ديوان الفرزدق (٣٧٢/١).

(٢) ديوان الفرزدق (٨٧٩/٢).

(٣) في العقد الثمين: ههنا.

(٤) إنحاف الوری (١٢٠-١٢٢)، والعقد الثمين (٢٧٢-٢٧٣).

وراءه، فمن أراد صلى مع الإمام، ومن أراد طاف وركع خلف المقام. ثم لما ولي خالد بن عبد الله القسري مكة لعبد الملك بن مروان وحضر شهر رمضان أمر خالد الأئمة أن يتقدموا فيصلّوا خلف المقام، وأدار الصفوف حول الكعبة، وذلك أن الناس ضاق عليهم أعلى المسجد فأدارهم حول الكعبة، فقليل له: تمنع بذلك الناس من الطواف قال: فإنما أمرهم يطوفون بين كل ترويحتين بطواف سبع، فأمرهم ففعلوا بين كل ترويحتين^(١). فقليل له: فإنه يكون في مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائفين من مُصلٍّ وغيره فيتهياً للصلاة، فأمر عبید الكعبة أن يكبروا حول الكعبة ويرفعوا أصواتهم في الطواف بالتكبير، فإذا بلغوا الركن الأسود في الطواف السادس سكتوا سكتة، فيكون ذلك إعلاماً للناس أن الطواف على انقضاء، فيتهياً من بالحجر ومن في جوانب المسجد من مُصلٍّ وغيره فيخفف صلاته، ثم يعود الطائفون للتكبير حتى يفرغوا من السبع، ثم يقوم مناد فينادي: الصلاة رحمكم الله، ولا تنقضى صلاتهم حتى يطلع الفجر، وكان على جبل أبي قبيس^(٢) [رؤية]^(٣) يرقب طلوع الفجر للمتسحرين، فإذا بان نادى: أمسكوا رحمكم الله.

(١) في إتحاف الوری والعقد الثمين: فأمرهم ففصلوا بين كل ترويحتين بطواف سبع.

(٢) أبو قبيس: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى

المسجد الحرام، فتحت منه الكثير وشق بينه وبين المسجد الحرام طريقاً للسليل وطريقاً

للسيارات، وهو مكسو بالبنیان (معجم معالم الحجاز ٨٩/٧).

(٣) في الأصل: رنة. والتصويب من إتحاف الوری (١٢١/٢).

وكان عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء يحضرون ذلك فلا ينكرونه.

قال: وكان خالد أول من استصبح في المسجد الحرام حول الكعبة، وكان الرجال والنساء يطوفون معاً مختلطين حتى ولي مكة خالد لعبد الملك ففرق بين الرجال والنساء في الطواف، فأجلس عند كل ركن حرساً معهم سياط، فيفرون بين الرجال والنساء، وهو أول من فرق بينهما.

قال^(١): وكتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى خالد بن عبد الله القسري أن أجر عيناً تخرج من ثقبه من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود، وتضاهي بها ماء زمزم. قال: فعمل خالد بن عبد الله القسري البركة التي بفم الثقب، ويقال لها: بركة القسري^(٢)، وهي قائمة إلى اليوم بأصل ثبير^(٣)، فعملها بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها، وأبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شق لها عيناً تسكب فيها من الثقب، وبني سداً للثقبه وأحكمه، والثقبه بشعب [يفرع فيه]^(٤) وجه ثبير، ثم شق من هذه البركة عيناً

(١) إتحاف الوري (١٢٣/٢-١٢٤)، والعقد الثمين (٢٧٣/٤-٢٧٥).

(٢) بركة القسري: تقع في جبل ثقبه الذي يسمى اليوم (الغسالة).

(٣) ثبير: جبل بمكة، وهي أربعة أثرة بالحجاز، وهو الذي صعد فيه النبي ﷺ، فرجف به، فقال: اسكن ثبير، فإنا عليك نبي وصديق وشهيد (معجم ما استعجم ١/٣٣٥-٣٣٦).

(٤) في الأصل: يفرغ. وقوله: "فيه" زيادة من إتحاف الوري (١٢٣/٢)، والعقد الثمين (٢٧٤/٤).

تجري إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب^(١) من رصاص، حتى أظهرها في [فؤارة]^(٢) تسكب في فسقية^(٣) من رخام، بين زمزم والركن والمقام، فلما أن جَرَتْ وظهر ماؤها أمر القسري بجزر فُحِرت بمكة، وقسمت بين الناس، وعمل طعاماً فدعى عليه الناس، وأمر منادياً فنادى: هلموا إلى الماء العذب واتركوا أم الخناس -يعني زمزم-، ثم أمر صائحاً فصاح: الصلاة جامعة، ثم أمر بالمنبر فوضع في وجه الكعبة، ثم صعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس احمدا الله تبارك وتعالى، وادعوا لأمر المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب الزلال التَّقَاخ^(٤) بعد الماء المالح الأجاج، الذي لا يُشْرَبُ إلا صَبْرًا -يعني زمزماً-.

(١) القصب: واحده قصبة. وأصله: العظم المستدير الأجوف، والنبات ذو الأنابيب، ثم أطلق على كل شيء مستدير أجوف، من أي معدن كان. والمراد هنا أنابيب من رصاص (لسان العرب، مادة: قصب).

وهذا -إن صح- فإنه عمل عجيب، بأن تمد أنابيب من رصاص بطول يساوي ٥ كلم أو أكثر، لا يقل قطر الأنبوب عن ١٠ بوصات على أقل تقدير، بشكل موزون وانسيابي يسمح بمرور الماء دون قوة دافعة، وفي منطقة وادي مكة، ذي السيول العظيمة العارمة، وفي ذلك الزمن المبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية. إنه عمل يدعو إلى التأمل إن صحت الرواية.

(٢) في الأصل: فورة. والتصويب من إتخاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

والفؤارة: أي: موضع يفور منه الماء، ويطلق عليه اليوم "النافورة" (لسان العرب، مادة: فور).

(٣) الفسقية: جمعها: فساقى، وهي: الحوض. وهي لفظة مؤلدة (تاج العروس ٤٩/٧، المنجد ص: ٥٨٣).

(٤) التقاخ: الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ الفؤاد ببرده، وقيل: هو الماء الكثير ينبطه الرجل في الموضع الذي لا ماء فيه (لسان العرب، مادة: نقخ).

قال: ثم تُفَرِّغ تلك الفسقية في سَرَب^(١) من رصاص يخرج إلى وضوءٍ كان عند باب المسجد -باب الصفا^(٢)- في بركة كانت في السوق، فكان الناس لا يقفون على تلك الفسقية، ولا يكاد أحد يأتيها، وكانوا على شُرْبِ ماء زمزم أرغب ما كانوا فيها، فلما رأى [ذلك]^(٣) خالد صعد المنبر، فتكلم بكلام يؤثّر فيه أهل مكة^(٤). انتهى.

وفي منائح الكرم^(٥): قال السهيلي: وكان يعلن خالد بسبّ علي بن أبي طالب، ويذمّ زمزم ويسميها أم جعلان، ولا يشرب منها، وحفر بئراً خارج مكة باسم الوليد، وأمر الناس بالتبرك بشرب مائها. انتهى.

وفي المنتقى^(٦): كان خالد بن عبدالله القسري في إمرته على مكة في زمن الوليد بن عبدالملك يذكر الحجاج خطبة كل جمعة إذا خطب ويقرظه، فلما توفي الوليد وبويع سليمان بن عبدالملك أقرّ خالداً على مكة، وكتب إلى عماله يأمرهم بلعن الحجاج بن يوسف، فلما أتاه الكتاب قال: كيف أصنع؟

(١) السَرَب: طريق الماء، أو القناة التي يجري فيها الماء (لسان العرب، مادة: سرب).

(٢) باب الصفا: سمي بذلك؛ لأن الخارج منه يستقبل الصفا. أنشأه الخليفة المهدي عام ١٦٤هـ، وجددت عمارته عام ٩٨٤ (تاريخ عمارة المسجد الحرام ص: ١٢١).

(٣) قوله: "ذلك" زيادة من إتخاف الوري (١٢٤/٢)، والعقد الثمين (٢٧٥/٤)، والفاكهى (١٥١/٣).

(٤) الفاكهي (١٥١-١٤٩/٣).

(٥) منائح الكرم (٥٢/٢).

(٦) المنتقى بأخبار أم القرى (ص: ٣٦-٣٧)، وإتخاف الوري (١٢٢/٢)، والعقد الثمين (٢٧٦/٤).

[كيف]^(١) أكذب نفسي في هذه الجمعة بدمه وقد مدحته في الجمعة التي قبلها؟! ما أدري كيف أصنع؟ فلما كان [يوم]^(٢) الجمعة خطب، [ثم]^(٣) قال في خطبته: أما بعد! أيها الناس إن إبليس كان من ملائكة الله تبارك وتعالى في السماء، وكانت الملائكة ترى له [فضلاً]^(٤) بما يظهر من طاعة الله عز وجل وعبادته، وكان الله عز وجل قد أطلع على سريره، فلما أراد أن يهتكه أمره بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع فلعه، وإن الحجاج بن يوسف كان يظهر من طاعة الخلفاء ما كنا نرى له بذلك علينا [فضلاً]^(٥) وكنا نُزكّيه، وكان الله تعالى قد أطلع سليمان أمير المؤمنين من سريره وخبث مذهبه على ما لم يُطلعنا عليه، فلما أراد الله تعالى هتك ستر الحجاج أمرنا أمير المؤمنين سليمان بلعنه، فالعنوه لعنه الله تعالى. انتهى.

وولي مكة: نافع بن علقمة [الكناني]^(٦)، ثم يحيى بن الحكم بن أبي العاص^(٧).

(١) قوله: "كيف" زيادة من المنتقى (ص: ٣٧)، وإتحاف الوري (١٢٢/٢)، والعقد الثمين (٢٧٦/٤).

(٢) قوله: "يوم" زيادة من المنتقى، وإتحاف الوري، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٣) قوله: "ثم" زيادة من المنتقى، وإتحاف الوري، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٤) في الأصل: فعلاً. والتصويب من المنتقى، وإتحاف الوري، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٥) قوله: "فضلاً" زيادة من المنتقى، وإتحاف الوري، والعقد الثمين، المواضع السابقة.

(٦) في الأصل: الكناني. وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٣/٢)، وغاية المرام (٢١٧/١)، والعقد الثمين (٣٢٣-٣٢٥).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٣/٢)، وغاية المرام (٢٢٢/١)، والعقد الثمين (٤٣١-٤٣٣).

وولي مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك: عمر بن عبدالعزيز بن مروان^(١).

قال في نزهة الفكر^(٢): "وفي سنة ثمان وثمانين من إمارته على مكة خرج عمر إلى التنعيم^(٣) ومعه نفر من قريش، فلما كان بالتنعيم لقيه بعض أهل مكة وأخبره أنها قليلة الماء ويخشى على الحجاج العطش، فقال عمر بن عبدالعزيز: تعالوا ندع الله تعالى، فدعى ودعى الناس معه، وألحوا في الدعاء، فما وصلوا ذلك اليوم إلى البيت [الحرام]^(٤) إلا مع المطر، وجاء السيل وأمطرت عرفة والمزدلفة ومنى، فما كانت إلا أعيناً، وكثر الخصب، وكانت مكة مخصبة في هذه السنة، وهو حينئذ أمير مكة والمدينة والطائف، ولم يزل كذلك إلى سنة

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٩٥)، وغاية المرام (١/٢٣١)، والعقد الثمين (٦/٣٣١-٣٣٤)، وطبقات ابن سعد (٥/٣٣٠)، وتاريخ خليفة (٣٢١، ٣٢٢)، والتاريخ الكبير (٦/١٧٤)، والطبري (٦/٥٦٥، ٥٧٣)، والجرح والتعديل (٦/١٢٢)، والأغاني (٩/٢٥٤)، وحلية الأولياء (٥/٢٥٣)، وابن الأثير (٥/٥٨، ٦٦)، وقتهيب الكمال (٢١/٤٣٢)، وتاريخ الإسلام (٤١٦٤)، وتذكرة الحفاظ (١/١١٨)، والعبير (١/١٢٠)، وفوات الوفيات (٣/١٣٣)، والبداية والنهاية (٩/١٩٢، ٢١٩)، وقتهيب التهذيب (٧/٤١٨)، والنجوم الزاهرة (١/٢٤٦)، وتاريخ الخلفاء (٢٢٨)، وخلاصة تهذيب التهذيب (٢٨٤)، وشذرات الذهب (١/١١٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/١١٤).

(٢) نزهة الفكر (٢/٤٢٥-٤٢٦).

(٣) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة، وسمي بذلك؛ لأن جبلاً عن يمينه يقال له: نعيم، وآخر عن شماله يقال له: ناعم، والوادي نعمان، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة وسقايا على طريق المدينة، منه يحرم (معجم البلدان ٢/٤٩)، ومعجم معالم الحجاز ٢/٤٤).

(٤) زيادة من نزهة الفكر (٢/٤٢٥).

أربع وتسعين. انتهى. وكذلك ذكره ابن فهد في تاريخه^(١).

وفي تاريخ ابن فهد أيضاً^(٢): وفي سنة ثلاث وتسعين كتب الوليد بن عبدالملك إلى أمير مكة عمر بن عبدالعزيز يأمره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير، وَيَصُبُّ على رأسه ماءً بارداً، فضربه خمسين سوطاً وصبَّ عليه ماء بارداً في يومٍ شاتٍ، ووقفه على باب المسجد فمات من يومه.

وفي سنة ثلاث وتسعين أيضاً^(٣) في شعبان عزل الوليد بن عبدالملك عمر بن عبدالعزيز عن الحجاز، وكان سبب ذلك: أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الوليد يخبره تعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم وظلمه، وطلبه لهم بغير حق ولا جناية، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى الوليد: إن من عندي من أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجؤوا إلى مكة والمدينة، وإن ذلك وهن. فكتب الوليد إلى الحجاج يستشيرهم فيمن يوليه مكة والمدينة، فأشار عليه بخالد بن عبد الله القسري، وعثمان بن [حيان]^(٤)، فولى خالداً مكة وعثمان المدينة، وعزل عمر بن عبدالعزيز عنهما. فلما خرج عمر من المدينة قال: إني أخاف أن أكون ممن نفته المدينة، يعني بذلك قول

(١) إتحاف الوری (١١٣/٢-١١٤)، والعقد الثمين (٣٣٣/٦)، وتاريخ الطبري (٦٧٨/٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٠٢-٢٠٣).

(٢) إتحاف الوری (١١٦/٢)، وتاريخ الطبري (٢٠/٤)، والکامل (٢٧٨/٤).

(٣) إتحاف الوری (١١٧/٢)، والعقد الثمين (٣٣٢/٦)، والکامل (٢٧٨/٤)، وتاريخ الطبري (١٩/٤).

(٤) في الأصل: حبان. والتصويب من المراجع السابقة.

رسول الله ﷺ: ((إن المدينة تنفي خبيثها))^(١).

ولما قدم خالد مكة خطبهم وعظم أمر الخلافة، وحثهم على الطاعة، فقال: لو أني أعلم أن هذه الوحوش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها منه، فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإني والله لا أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا [صلبته]^(٢) في الحرم، إنه لا أرى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا [إمضاؤه]^(٣)، واشتد عليهم، وأخرج من [بمكة]^(٤) من أهل العراق كرهاً، وتهدد من أنزل عراقياً أو آجره داراً.

واشتد عثمان على أهل المدينة وعسفهم وجار فيهم، ومنعهم من إنزال عراقي، وكانوا أيام عمر بن عبدالعزيز كل من خاف الحجاج لجأ إلى مكة والمدينة. انتهى.

ثم ولي مكة خالد بن عبدالله القسري المتقدم ذكره، واستمر إلى أن توفي الوليد.

وولي مكة في خلافة سليمان بن عبدالملك بن مروان: خالد بن عبدالله القسري، ثم طلحة بن داود^(٥)، ثم عبدالعزيز بن عبدالله بن

(١) أخرجه البخاري (٦٦٥/٢ ح ١٧٨٤)، ومسلم (١٠٠٦/٢ ح ١٣٨٤).

(٢) في الأصل: طلبته. والمثبت من تاريخ الطبري (٨/٤)، والكامل (٢٦٢/٤).

(٣) في الأصل: أمضاه. والتصويب من تاريخ الطبري والكامل، الموضعان السابقان.

(٤) في الأصل: مكة. والتصويب من إتخاف الوردى (١١٧/٢).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٦/٢)، وغاية المرام (٢٤٣/١)، والعقد الثمين (٦٨/٥)،

والإصابة (٥٢٧/٣).

خالد بن أسيد^(١).

وولي مكة في خلافة عمر بن عبدالعزيز: عبدالعزيز المذكور.

قال ابن فهد^(٢): في سنة مائة قدم كتاب من عمر بن عبدالعزيز لعامله على مكة عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد ينهى [عن]^(٣) كراء بيوت مكة، ويأمره بتسوية منى.

قال: فجعل الناس يدسّون إليهم الكراء سراً ويسكنون^(٤). انتهى.

ثم محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق^(٥)، ثم عروة بن عياض^(٦)، ثم عبدالله بن قيس بن مخزومة^(٧)، ثم عثمان بن

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٣/٢)، وغاية المرام (٢١٢/١)، والعقد الثمين (٥٠/٥-٤٥٢)، والإصابة (٢٤٨/٥)، والجرح والتعديل (٣٨٦/٥).

(٢) إتحاف الوري (١٣٤/٢).

(٣) قوله: "عن" زيادة من إتحاف الوري، الموضع السابق.

(٤) الأزرقى (١٦٤/٢)، وشفاء الغرام (٢٩٧/٢)، والعقد الثمين (٥١/٥)، ودرر القرائد (ص: ٢٠٤).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٧/٢)، وغاية المرام (٢٤٤/١)، والعقد الثمين (٣٥-٣٦)، وتذهيب الكمال (٤١٣/٢٥)، وتاريخ البخاري الكبير (٤١٣/١)، والجرح والتعديل (٢٩١/٧)، وثقات ابن حبان (٢٦٧/٧)، والكاشف (ترجمة ٣٩٩٦)، وتذهيب التهذيب (٣١٥/٣)، ونهاية السؤل (٣٣٣)، والتقريب (١٧٢/٢)، وخلاصة الخرزجي (٢٣٢٨/٢).

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٧/٢)، وغاية المرام (٢٤٦/١)، والعقد الثمين (٨٠-٨١)، وتذهيب التهذيب (١٦٨/٧)، والتاريخ الكبير (٣٢/٧)، والجرح والتعديل (٣٩٦/٦).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٨/٢)، وغاية المرام (٢٤٩/١)، والعقد الثمين (٢٣١/٥-٢٣٣)، وطبقات ابن سعد (٢٣٩/٥)، وتاريخ خليفة (٢٩٣، ٢٩٦)، وتاريخ البخاري الكبير (١٧٢/٥ / ٥٤٧)، والمعرفة والتاريخ (٢٩٦/١، ٤٦٦، ٤٦٧)، والقضاة لوكيع (١٢٤/١)، وثقات ابن حبان (١٠/٥، ٤٤)، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه (٩٥)،

[عبدالله] ^(١) ابن عبدالله بن سراقه العدوي ^(٢).

وولي مكة في خلافة يزيد بن عبد الملك: عبد العزيز - السابق ذكره -، ثم
عبدالرحمن بن الضحاك القرشي ^(٣).

قال الفاسي في العقد الثمين ^(٤): عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بن
خالد ابن وهب بن ثعلبة بن وائل بن عمرو بن شيان بن محارب بن فهر بن
مالك الفهري. أمير الحرمين.

ذكر ابن جرير الطبري ^(٥): أن في سنة ثلاث ومائة ضُمَّت إليه مكة مع
المدينة، وأنه عُزل عن مكة والمدينة في النصف من ربيع الأول سنة أربع ومائة،
عزله عن ذلك يزيد بن عبد الملك بعبد الواحد بن زياد النصري.

وذكر ابن كثير ^(٦): -ولعله نقل ذلك من تاريخ ابن الأثير ^(٧) عن تاريخ

ونهاية السؤل (١٨٣)، وتهذيب التهذيب (٣١٨/٥)، والإصابة (٢٣/٥)، والتقريب
(٤٤٩/١)، وخلاصة الخرزجي (ترجمة ٣٧٤٠)، وتهذيب الكمال (٤٥٣/١٥)، والجرح
والتعديل (١٣٩/٥)، والعقد الفريد (٢٣٢/٥)، وأخبار مكة للفاكهي (١٧٨/٣).

(١) في الأصل: عيد الله. والتصويب من مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٨/٢)، وغاية المرام (٢٥١/١)، والعقد الثمين (٢٦/٦-٢٧)،
والجرح والتعديل (١٥٥/٦)، وأخبار مكة للفاكهي (١٧٩/٣).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٨/٢)، وغاية المرام (٢٥٦/١)، والعقد الثمين (٣٥٩/٥)-
٣٦٢، وتاريخ الطبري (١٢٧)، وتاريخ خليفة (٣٣٢)، والكمال لابن الأثير (١٠٥/٥)،
والعقد الفريد (٣٥٩/٥).

(٤) العقد الثمين (٣٥٩/٥).

(٥) تاريخ الطبري (٩٨/٤، ١٠٤).

(٦) البداية والنهاية (٢٢٩/٩).

(٧) الكامل (٣٦٢/٤).

ابن جرير - أن سبب عزله: [أنه]^(١) كان خطب فاطمة بنت الحسين فامتعت من قبوله، فألح عليها وتوعدها، فشكته إلى يزيد بن عبد الملك، فبعث إلى عبد الواحد فولاه المدينة، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته، وهو متكئ على فراشه بدمشق، وأن يأخذ منه أربعين ألفاً. فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ركب إلى دمشق واستجار بمسلمة بن عبد الملك، فدخل على أخيه فقال: إن لي إليك حاجة، قال: كل حاجة تقولها فهي لك، إلا أن يكون ابن الضحاك فقال: هو والله حاجتي. فقال: والله لا أقبله ولا أعفو عنه. فردوه إلى المدينة، فتسلمه عبد الواحد فضربه وأخذ ماله، حتى تركه في جبة صوف يسأل الناس بالمدينة، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهرًا، وكان الزهري قد أشار عليه برأي سديد، وهو أنه يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر، فلم يقبل ولم يفعل، فأبغضه الناس، وذمه الشعراء، وهذا كان آخر أمره. انتهى.

ثم عبد الواحد بن عبد الله النصري^(٢).

وولي مكة في خلافة هشام بن عبد الملك: عبد الواحد النصري

(١) في الأصل: أن. والتصويب من البداية والنهاية (٢٢٩/٩).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢٩٩/٢)، وغاية المرام (٢٥٩/١)، والعقد الثمين (٥٢٦/٥) -

٥٢٧)، وهذيب التهذيب (٣٨٧/٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٥)، والخبر (٢٦٣)، والأعلام

(١٧٦/٤). وانظر: تاريخ خليفة (ص: ٣٣٢)، والكامل لابن الأثير (١١٣/٥)، والعقد الفريد

(٣٥٩/٥)، وإتحاف الوری (١٣٧/٢)، والبداية والنهاية (٢٢٩/٩).

وفي العقد الثمين وغاية المرام: النصري بالنون نسبة إلى جده نصر بن معاوية.

-المتقدم ذكره-، ثم إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك^(١).

قال ابن فهد^(٢): وفي سنة تسع ومائة حج بالناس أمير الحرمين والطائف إبراهيم بن هشام المخزومي، وخطب بمنى الغد من يوم النحر بعد الظهر، وقال: سلوني وأنا ابن الوحيد، فإنكم لا تسألون أحداً أعلم مني، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية، أواجبة أم مستحبة؟ فما درى أي شيء يقول، فترل. انتهى.

ثم أخوه محمد بن هشام^(٣).

وقيل: ممن ولي مكة زمن هشام بن عبد الملك: نافع بن علقمة الكناني - السابق ذكره في خلافة عبد الملك-.

وولي مكة في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك: يوسف بن محمد الثقفي^(٤) ودامت ولايته إلى انقضاء دولة الوليد.

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٩٩)، وغاية المرام (١/٢٦٤)، والعقد الثمين (٣/٢٦٧-٢٧٠)، والكمال لابن الأثير (٢/١٤٨)، ومآثر الإنافة (١/١٥٤).

(٢) إتحاف الوري (٢/١٤٦)، ودرر الفرائد (ص: ٢٠٦)، وتاريخ الطبري (٤/١٢٨)، والكمال (٤/٣٨٣).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٢٩٩)، وغاية المرام (١/٢٦٨)، والعقد الثمين (٢/٣٨٢-٣٨٥)، والكمال لابن الأثير (٥/١٧٩، ٢٧٥)، وتاريخ خليفة (ص: ٣٥٧)، وإتحاف الوري (٢/١٥٥)، ودرر الفرائد (ص: ٢٠٨)، وأخبار مكة للفاكهي (٣/١٨٢)، وتاريخ الطبري (٤/٢١٦)، ورغبة الآمل (٢/٢٢٨)، والأعلام (٧/١٣١).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٠٠)، وغاية المرام (١/٢٧٦)، والعقد الثمين (٧/٤٩٦-٤٩٧)، وتاريخ الطبري (٧/٢٢٦)، والكمال لابن الأثير (٥/٢٧٣).

قال ابن فهد في حوادث سنة خمس وعشرين ومائة^(١): "فيها ولي مكة والطائف خال أمير المؤمنين الوليد بن يزيد بن عبد الملك: يوسف بن محمد الثقفي ابن أخي الحجاج بن يوسف، وقبض على محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي وأخيه إبراهيم وأوثقا في عباةتين لأشياء كانت تبلغ الوليد عن محمد ابن هشام في حياة هشام بن عبد الملك، وقدم [بهما]^(٢) إلى المدينة في شعبان، فأقامهما للناس، ثم حملا إلى الشام فأحضرا عند الوليد، فدعا لهما بالسياط وأمر بجلدهما، فقال له محمد: أسألك بالقرابة؟ فقال: وأي قرابة بيني وبينك، هل أنت إلا من أشجع؟ قال: فأسألك بصهر عبد الملك قال: لم تحفظه. قال له: يا أمير المؤمنين قد فهمي رسول الله ﷺ عن أن تضرب في شيء بالسياط إلا في حد، قال: وفي حد أضربك وقود، وأنت أول من سن ذلك على العرجي، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان، فما رعيت حق جدّه ولا نسبته لهشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، أنا وليُّ ثاره، اضرب يا غلام، فضرهما ضرباً شديداً - وكان محمد قد أخذ العرجي وقيدّه، وأقامه للناس وجلده وسجنه إلى أن مات بعد تسع سنين؛ لهجاء العرجي إياه - ثم أوثقهما الوليد بالحديد، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمر باستفافتهما^(٣) وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية - يعني خالد القسري -، ونفسك نفسك إن عاش أحد منهم، فعذبهما عذاباً شديداً

(١) إتحاف الوری (١٥٥/٢-١٥٦).

(٢) في الأصل: هم. والتصويب من إتحاف الوری (١٥٥/٢).

(٣) في إتحاف الوری (١٥٦/٢): باستضافتهما.

وأخذ منهما مالاً عظيماً، حتى لم يبق فيهما موضع للضرب. وكان محمد بن هشام مطروحاً، فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها. ولما اشتد الحال بهما تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه، فماتا جميعاً، ومات خالد القسري معهما في يوم واحد في المحرم من سنة ست وعشرين. انتهى.

وولي مكة في خلافة يزيد بن الوليد: عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز^(١).

وولي مكة في خلافة مروان بن محمد بن مروان^(٢): عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز - المذكور آنفاً-، ودامت ولايته إلى أن حج بالناس سنة ثمان وعشرين ومائة، ثم عزله.

وولي على مكة: عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك^(٣)، وولي مع ذلك المدينة، واستمر متولياً إلى أن حج بالناس في سنة تسع وعشرين ومائة.

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٠/٢)، وغاية المرام (٢٧٦/١)، والعقد الثمين (٤٥٥/٥) - (٤٥٦)، وقذيب التهذيب (٣١٢/٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٥-٦)، ومروج الذهب (٦٢/٩)، والأعلام (٢٣/٤)، والجرح والتعديل (٣٨٩/٥).

(٢) في الأصل زيادة: بن.

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٠/٢)، وغاية المرام (٢٨٢/١)، والعقد الثمين (٥٢٣/٥) - (٥٢٦)، والمسعودي (٦٢/٩)، ونسب قريش (ص: ١٦٦)، والخبر (٣٣)، والكامل لابن الأثير (١٦١/٥)، والأعلام (١٧٥/٤-١٧٦)، وتاريخ خليفة (٣٨٥)، وإتحاف الوري (١٥٩/٢)، ومآثر الإنافة (١٦٦/١).

ثم ولي مكة بعده بالتغلب: أبو حمزة الخارجي، واسمه: المختار بن عوف^(١)، وسببه: أن عبد الله بن يحيى الأعور الكندي المسمى "طالب الحق"^(٢) بعد أن ملك حضرموت وصنعاء وتغلب عليهما طرد عامل مروان؛ القاسم ابن عمر الشقي عنها، وبعث أبا حمزة المذكور إلى مكة في عشرة آلاف من العسكر، ولم يشعر الناس إلا وقد طلوعوا عليهم من جبال عرفة من طريق الطائف ومعهم أعلام وعمائم سود على رؤوس الرماح، ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم، فأخبروهم أنهم تبرؤوا من بني مروان، وكان إذ ذاك والياً على مكة عبدالواحد بن سليمان، فطلب منهم الهدنة حتى تنقضي أيام الحج، فوقفوا بعرفة على حدة، ودفع بالناس عبدالواحد فترل بمنى، ثم مضى على وجهه وترك فسطاطه^(٣) وسار إلى المدينة، فدخل مكة أبو حمزة

(١) أبو حمزة الخارجي: المختار بن عوف. ثائر فتاك، إباضي المذهب. ولد بالبصرة. كان يفد إلى مكة ويدعو الناس للخروج على مروان. التقى بطالب الحق وبايعه بالخلافة في حضرموت، ثم استولى على مكة والمدينة، وتابع زحفه إلى الشام حتى لقيه عبد الملك السعدي، وقتله عام ١٣٠هـ. (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٢/٣٠٠، وغاية المرام ١/٢٨٦، والعقد الثمين ٧-١٥٣-١٥٩، وتاريخ خليفة ٣٨٤-٣٨٧، والأعلام للزركلي ١٤٦/٥).

(٢) عبد الله بن يحيى: من أهل اليمن. إباضي. خلع طاعة مروان بن محمد، وبويع له بالخلافة في اليمن، وتبعه أبو حمزة، فقتلها عبدالملك بن محمد السعدي عام ١٣٠هـ (الكامل لابن الأثير ٢٣/٥، والأعلام ٤/١٤٤).

(٣) الفسطاط: الحيمة أو القبة التي يتزل فيها رئيس القوم. بها سميت مدينة الفسطاط بمصر، التي قامت القاهرة على بقاياها (معجم الكلمات الأعجمية والغريبة للبلادي ص: ٧٩-٨٠).

بغير قتال، فقال بعضهم هذين البيتين^(١):

زار الحجيج عصابةً قد خالفوا دينَ الإلهِ فَقَرَّ عبدُ الواحد
ترك [الحلائل]^(٢) والإمارة هارباً ومضى [يُخْبَطُ]^(٣) كالبعير الشَّارد

ولما هرب عبدالواحد وقصد المدينة جهز جيشاً من المدينة إلى أبي حمزة، فخرج أبو حمزة قاصداً المدينة، فلقه جيش عبدالواحد بَقْدِيد^(٤)، وكان الظفر لأبي حمزة، ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة، وبلغ خبره مروان فجهز إليه عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي في أربعة آلاف فارس، فالتقى هو وأبو حمزة بالأبطح^(٥)، فقتل أبو حمزة، وكان عسكره خمسة عشر ألفاً، وظفر عبدالملك [به]^(٦).

وذكر ابن الأثير^(٧) ما يقتضي: أن عبدالملك سار إلى اليمن لقتال طالب

(١) انظر البيتين في: تاريخ الطبري (٣١٨/٤).

(٢) في الأصل: الحلائق. والمثبت من الكامل (٤٠/٥)، وتاريخ الطبري (٣١٨/٤).

(٣) في الأصل: يتخبط. والمثبت من الكامل، وتاريخ الطبري، الموضعان السابقان.

(٤) قديد: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٣١٣/٤)، وهو واد فحل من أودية الحجاز، وينقسم إلى قسمين: علوي وسفلي. فالعلوي يسمى ستارة، والسفلي يسمى قديداً، ويسكن النصف السفلي زيد بن حرب، ويبعد عن مكة (١٣٠) كيلاً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٩٦/٧-٩٧). وما زال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن.

(٥) الأبطح: أثر المسيل من الرمل المنبسط على وجه الأرض بين مكة ومنى، وهو انخصب، وهو خيف بني كنانة (معجم البلدان ٧٤/١)، ومعجم معالم الحجاز ٣١/١.

(٦) قوله: "به" زيادة من تحصيل المرام (ورقة: ١٧٦).

وانظر الخبر في: الكامل (٣٩/٥-٤٠)، وشفاء الغرام (٣٠٠/٢-٣٠١).

(٧) الكامل (٥١/٥).

الحق - المتقدم ذكره-، وأنه ظفر بطالب الحق وقتله، وأرسل برأسه إلى مروان. انتهى. كذا في الجامع اللطيف وتحصيل المرام^(١).

وقال ابن فهد في حوادث سنة ثلاثين ومائة^(٢): وفيها بعث عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان من المدينة النبوية جيشاً لقتال أبي حمزة، وأمر عليهم عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر^(٣) بن عثمان، فخرجوا، فلما كانوا بالحرّة^(٤) لقيتهم جُزُرٌ منحورة فتقدموا، فلما كانوا بالعقيق^(٥) تعلّق لواؤهم بسُمرة^(٦) فانكسر الرمح، فتشائم الناس بالخروج.

وسار أبو حمزة من مكة لقتال جيش عبدالواحد، واستخلف على مكة أبرهة بن الصّباح الحميري، وأرسل رسله إلى جيش عبدالعزيز وهو يقول: إنا والله ما لنا بقتالكم حاجة، ودعونا غضي إلى عدونا. فأبى أهل المدينة ولم يجيؤه إلى ذلك، وساروا حتى نزلوا قديداً

(١) الجامع اللطيف (ص: ٢٩٠-٢٩١)، وتحصيل المرام (ورقة ١٧٦).

(٢) إتخاف الوري (١٦١/٢)، وتاريخ الطبري (٣٢٨/٤-٣٢٩)، والعقد الثمين (١٥٥/٧)، والكمال (٤٩/٥)، والبداية والنهاية (٣٦/١٠-٣٧).

(٣) قال في تقريب التهذيب (ص: ٤١٥): عمر بن عثمان بن عفان، صوابه: عمرو.

(٤) هي حرة المدينة المنورة الشرقية، وهو ما تعرف به اليوم. وللحرّة اليوم أقسام لكل قسم اسم خاص، ففي شمال المسجد النبوي تعرف بالعريض، وشمال شرقي المسجد زرب هتيم، وعند العوالي حرة العوالي، وقد أخذ البناء يسرع إليها حتى صار معظمها معموراً (معجم معالم الحجاز ٢٨٣/٢-٢٨٤).

(٥) أودية العقيق في الحجاز سبعة، وأشهرها عقيق المدينة، وهو الأكثر ذكراً في كتب التواريخ. وانظرها في: معجم معالم الحجاز (١٢٨/٦).

(٦) السُمُر: ضرب من شجر الطلح، واحدته سُمرة (المعجم الوسيط ٤٤٨/١).

لسبع [مضين]^(١) من صفر، وتفرقوا بعد نزولهم هناك، فلم يشعروا إلا وقد خرج عليهم أصحاب أبي حمزة من الغياض^(٢)، فقتلوه، وكانت [المقتلة]^(٣) بقريش، - وفيهم كانت الشوكة -، فأصيب منهم عدد كثير نحو سبعمائة، وكانوا [مُترفين]^(٤) ليسوا بأصحاب حرب، وقدم المنهزمون المدينة، فكانت المرأة تقيم النوائح على حميمها^(٥) ومعها النساء، فما تبرح النساء حتى تأتيهم الأخبار عن رجالهن، فيخرجن امرأة امرأة كل واحدة منهن تذهب لقتل زوجها، فلا يبقى عندها امرأة لكثرة من قُتل.

وسار أبو حمزة إلى المدينة فدخلها، ومضى عبدالواحد منها إلى الشام فأتى مروان بن محمد فأخبره، فانتخب مروان من عسكره أربعة آلاف فارس، واستعمل عليهم عبدالملك بن محمد بن عطية^(٦) السعدي، وولاه الحرمين واليمن، وأمره أن يجده السير، وأن يقاتل الخوارج، فإن هو ظفر بهم يسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبدالله بن يحيى طالب الحق، فسار ابن عطية فلقي [بلجاً]^(٧) على مقدمة أبي حمزة بوادي

(١) في الأصل: بقين. والمثبت يتفق مع ما في تاريخ الطبري (٣٢٩/٤) وفيه: "لسبع ليال خلون.

(٢) الغياض: الموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف. (المعجم الوسيط ٢/٦٦٨).

(٣) في الأصل: القتلة. والمثبت من إتحاف الوري (١٦٢/٢)، وتاريخ الطبري (٣٢٨/٤).

(٤) في الأصل: مفرقين. والمثبت من إتحاف الوري، الموضع السابق، والكامل (٤٩/٥)، والعقد الثمين (١٥٦/٧).

(٥) أي: زوجها. انظر: إتحاف الوري (١٦٢/٢). والحميم: القريب الذي تودّه ويودّك. (المعجم الوسيط ١/٢٠٠).

(٦) في الأصل زيادة: بن عروة. وانظر: إتحاف الوري (١٦٢/٢)، والعقد الثمين (١٥٦/٧).

(٧) في الأصل: بلخاً. والنصوب من إتحاف الوري (١٦٣/٢).

القرى^(١) فاقسَلُوا، فُقُتِلَ [بَلَج]^(٢) وعامة أصحابه، ثم سار ابن عطية طالباً أبا حمزة فلاحقه، فالتقى مع جيش أبي حمزة بالأبطح^(٣)، ومع أبي حمزة خمسة عشر ألفاً، ففرق عليه ابن عطية الخيل من أعلا مكة ومن أسفلها ومن قِبَل مَنى، وأتاه هو من أعلا الثنية، وقتلوه حتى أمسوا، فصاحوا: ويحك يا ابن عطية إن الله قد جعل الليل سكناً فاسكن، فأبى وقتلهم حتى قتلهم، وقتل أبرهة عند بئر ميمون^(٤)، وقُتِلَ أبو حمزة وخلق من جيشه وانهمز بقيتهم.

وسار ابن عطية إلى اليمن، واستخلف على مكة ابن ماعز - رجلاً من أهل الشام -، فلما سمع [عبدالله]^(٥) بن يحيى الكندي الأعور الملقب "طالب الحق" الذي أنفذ أبا حمزة إلى مكة خبر أبي حمزة وأصحابه سار في نحو ثلاثين ألفاً حتى نزل صَعْدَةَ^(٦)، فالتقى هو وجيش ابن عطية، فُقُتِلَ الأعورُ ومن معه،

وهو: بَلَج بن عينة بن الهيصم الأسدي، من أهل البصرة، وأحد قادة أبي حمزة المختار (هامش: إتخاف الوري ١٥٩/٢).

(١) وادي القرى: واد كبير من أعمال المدينة في الطريق إلى الشام، كثير القرى، كثير النخل والزرع (معجم البلدان ٣٤٥/٥).

(٢) في الأصل: بلخ. والتصويب من إتخاف الوري (١٦٣/٢).

(٣) الأبطح: سبق التعريف به في (ص: ٣١).

(٤) بئر ميمون كانت قرب موقع شعب أذاخر اليماني الذي يصب عند صفى السباب، وقد امتد حي الجعفرية اليوم إليه (معجم معالم الحجاز ٧٩/١٠).

(٥) في الأصل: عبيدالله. والتصويب من إتخاف الوري (١٦٣/٢).

(٦) صعدة: مدينة تاريخية على الهضبة اليمنية، تبعد حوالي (٢٤٣ كلم) شمال صنعاء. وتقع على ارتفاع (١٨٠٠م) في الطرف الجنوبي لقاع صعدة الفسيح الذي يمتد حوالي (٣٠ كلم) من شماله الشرقي إلى جنوبه الغربي، ويبلغ عدد سكان صعدة حوالي (٢٤,٢٤٥ نسمة) تعداد عام ١٩٨٦م. وهي اليوم أكثر من ذلك (الموسوعة اليمنية ٥٧٠/٢ - ٥٧١).

وبعث ابن عطية برأسه إلى مروان، فكتب إليه مروان يأمره أن يسرع السير للحج بالناس، فتوجه ابن عطية بعد حروب أخر جرت له باليمن في خمسة عشر رجلاً -وقيل: اثنا عشر رجلاً- من وجوه أصحابه ليقيم الموسم ومعه أربعون ألف دينار، وخلف عسكره وخيله بصنعاء، وخلف على اليمن ابن أخيه، ونزل [الجرف]^(١)، فأتاه ابنا [جمانة]^(٢) المراديان في جمع كثير فقالوا له ولأصحابه: أنتم لصوص، فأخرج ابن عطية عهده على الحج، فقال: هذا عهد أمير المؤمنين بالحج، وأنا ابن عطية، فقالوا: هذا باطل وأنتم لصوص، فقاتلهم ابن عطية حتى قُتل. انتهى.

وممن ولي مكة لمروان: الوليد بن عروة السعدي^(٣) ابن أخي عبدالمملك المذكور، وأنه كان على مكة والمدينة في سنة إحدى وثلاثين ومائة.

قال ابن فهد في حوادث سنة اثنين وثلاثين ومائة^(٤): وفيها حبس عامل مكة لمروان بن محمد الوليد بن عروة السعدي، سديف بن ميمون المكي

(١) في الأصل: الجوف. والتصويب من إتحاف الوري (١٦٤/٢)، والكمال (٥٢/٥)، وتاريخ الطبري (٣٣١/٤).

(٢) في الأصل: حماد. والتصويب من إتحاف الوري، والكمال، والموضعان السابقان، وتاريخ الطبري (٣٣٢/٤)، والبداية والنهاية (٣٧/١٠).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٢/٢)، وغاية المرام (٢٩٨/١)، والعقد الثمين (٣٩٧/٧) - (٣٩٨).

(٤) إتحاف الوري (١٦٥/٢)، والعقد الثمين (٥١٦/٤-٥١٧).

الشاعر في الحبس، وسبب ذلك: أنه كان يتكلم في بني أمية ويطلق لسانه فيهم ويهجوهم، وكان له في الحساب نظر، وفي الأدب حظ وافر، وكان يجلس مع جماعة من أهل مكة والطائف يسمرون في المسجد الحرام إلى نصف الليل ونحوه فيتحدثون، ويخبرهم بدولة بني هاشم أنها قريبة، فبلغ ذلك الوليد ابن عروة فاتخذ عليه الأرصاد مع أصحابه، حتى أخذوه فحبسوه، ثم جعل يجلده كل سبت مائة سوط، كلما مضى سبت أخرجه فضربه مائة سوط، حتى ضربه أسبباً. انتهى.

ذكر ولاية مكة في أيام بني العباس

أما ولائها في خلافة أبي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الملقب بالسفاح: فداود بن علي ابن عبدالله بن العباس^(١) عم السفاح، وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة. قال ابن فهد^(٢): وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة ولّى أبو العباس السفاح

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٣/٢)، وغاية المرام (٣٠٠/١)، والعقد الثمين (٣٤٩/٤) - (٣٥٤)، والخبز (٣٣)، وتاريخ الدارمي (٣١٧)، وتاريخ خليفة (٤٠٤، ٤٠٩، ٤١٤)، والتاريخ الكبير (ترجمة ٧٩٥)، والمعرفة والتاريخ (٥٤١/١، ٢٨/٢، ٤٧٩، ٧٠٠)، وتاريخ الطبري (٣٩٧/٥)، والعقد الفريد (١٠٠/٤ - ١٠١)، والجرح والتعديل (٤١٨/٣)، وجهرة ابن حزم (٢٠، ٣٤، ٥٢، ٧٦، ٨٢، ١٥٢)، وتهذيب تاريخ دمشق (٢٠٦/٥)، والكامل في التاريخ (٢٢٩/٥، ٢٣٥، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩/٦، ٢٨/٦، ٨٩)، وتاريخ الإسلام (٢٤٢/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٤/٥)، والعبر (٤٥/٢، ١٦٨)، والكاشف (٢٩٠/١)، والميزان (ترجمة ٢٦٣٣)، وديوان الضعفاء (ترجمة ١٣٣٠)، وتهذيب التهذيب (١٦٨/٣)، وخلاصة الخزرجي (ترجمة ١٩٣٤)، وشنرات الذهب (١٩١/١).

(٢) إتحاف الوري (١٦٦/٢)، والعقد الثمين (٥١٧/٤).

إمرة الحرمين واليمن واليمامة والحج بالناس عمّه أبا سليمان داود بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، فسار إلى مكة، فلما سمع الوليد بن عروة السعدي -وهو عامل مكة لمروان بن محمد- بأن داود بن علي يريد مكة أيقن بالهلاك، فخرج هارباً إلى اليمن.

وقدم داود بن علي مكة، وأطلق سُدَيْف بن ميمون المكي الشاعر من الحبس، فلما أطلق مدح بني العباس بقصيدة مطلعها^(١):

أَصْبَحَ الدِّينَ ثَابِتَ الْأَسَاسِ	بِالْبَهَائِلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
طَلَبُوا وَتَرَوْهُ هَاشِمَ فَشَفَوْهَا	بَعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَبَاسِ
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عَثَارَا	وَاقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَغَرَّاسِ
ذُلِّهَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدِ مِنْهَا	وَبِمَا مِنْكُمْ كَحَزِّ الْمَوَاسِي
فَلَقَدْ غَاطَنِي وَغَاطَ سِوَانِي	قَرِيبُهُمْ مِنْ غَمَارِقِ وَكَرَاسِي
أَنْزَلُوهَا بَحِثْ أَنْزَلَهَا اللَّهُ	بِدَارِ الْهُوَانِ وَالْإِثْعَاسِ
وَإِذْ كَرُوا مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا ^(٢)	وَقَتِيلًا ^(٣) بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ ^(٤)
وَالْقَتِيلَ ^(٥) الَّذِي بَحْرَانِ أَضْحَى	ثَاوِيًا بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَنَاسِي

(١) انظر الأبيات في: الأغاني (٣٤٥/٤)، والكمال (١٧٤/٥)، مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة ونقص في الأبيات.

(٢) هو زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قتل في أيام هشام بن عبد الملك (هامش إنحاف الوري ١٦٧/٢).

(٣) المراد به سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب.

(٤) المهراس: ماء بأحد (هامش الأغاني ٣٤٥/٤).

(٥) المراد به الإمام إبراهيم بن محمد رأس الدعوة العباسية (انظر: هامش الأغاني الموضع السابق) وانظر في مقتله: البداية والنهاية (١٠-٣٩-٤٠).

وفيها^(١) -أي في سنة اثنتين وثلاثين-: رفع داود بن علي العباسي -إثر قدومه إلى مكة- الفسقية^(٢) التي جعلها خالد القسري في ولايته لمكة بأمر سليمان بن عبد الملك، وقيل: بأمر أخيه الوليد بن عبد الملك بين زمزم والركن والمقام، وهدم البركة التي جعلها خالد أيضاً عند باب الصفا، وصرف العين إلى بركة كانت بباب المسجد، فسُرَّ الناسُ بذلك سروراً عظيماً.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة^(٣) قَتَلَ داود بن علي بن عبد الله بن عباس من ظفر به من بني أمية بالحرمين. ولما أراد قتلهم قال له عبد الله بن الحسن بن الحسن: يا أخي، إذا قتلت هؤلاء فمن تباهي بملكك؟! أما يكفيك أن يَرَوْكَ غادياً ورائحاً فيما يَسُرُّك ويسوءهم؟! فلم يقبل منه، وقتلهم. انتهى.

ثم ولي بعده زياد بن [عبيد الله]^(٤) الحارثي^(٥) -خال السفّاح- مع المدينة واليمامة أيضاً، ثم العباس بن عبد الله بن [معبد]^(٦) بن العباس بن

(١) إتحاف الوری (١٦٩/٢).

(٢) الفسقية: جمعها: فساق، وهي: الخوض. وهي لفظة مؤلدة (تاج العروس ٤٩/٧، المنجد ص: ٥٨٣).

(٣) إتحاف الوری (١٧٠/٢)، والعقد الثمين (٣٥٠/٤)، والكمال (٨٩/٥).

(٤) في الأصل: عبد الله. وانظر مصادر ترجمته.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٣/٢)، وغاية المرام (٣٠٩/١)، والعقد الثمين (٤٥٤/٤) -

(٤٥٨)، والمنظّم لابن الجوزي (٣١١/٧، ٣٢٢، ٣٢٦، ٢١/٨، ٢٣)، والكمال

(٩٩/٥).

(٦) في الأصل: سعيد. وكذا ورد اسمه في الموضع التالي. والتصويب من مصادر الترجمة.

عبدالمطلب^(١)، واستمر عليها إلى موت السقّاح. قاله ابن الأثير.

وأما ولائها في خلافة المنصور [أي]^(٢) جعفر؛ فجماعة، أولهم: العباس بن عبدالله بن معبد -المذكور آنفاً-، ثم زياد بن عبدالله الحارثي -المتقدم-، ثم الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني^(٣)، ثم السري بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبدالمطلب^(٤)، واستمر إلى سنة خمس وأربعين.

ولي بعده بالتغلب: محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي الجعفري^(٥) من قبل محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الملقب "بالنفس الزكية" فإنه تغلب على المدينة النبوية، وخرج على المنصور في سنة خمس وأربعين وبايعته الأئمة

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٣/٢)، وغاية المرام (٣١٤/١)، والعقد الثمين (٩٢/٥-٩٣)، وطبقات ابن سعد (١٩٥/٩)، وتاريخ خليفة (٤٣٢)، وعلل أحمد (١٣١/١)، وتاريخ البخاري الكبير (٣٠/٧)، وتاريخه الصغير (٣٢٢/١)، والجرح والتعديل (٢١٢/٦)، وثقات ابن حبان (٢٧٤/٧)، وجمهرة ابن حزم (ص: ١٨)، والكامل في التاريخ (٤٦٢/٥، ٤٦٣، ٤٨٣)، والكاشف (ترجمة ٢٦٢١)، وتهذيب التهذيب (١٠٦/٥)، وتاريخ الإسلام (٩٢/٥، ٢٦٤)، وإكمال مغلاطي (٢٣٦/٢)، ونهاية السؤل (الورقة ١٦٠)، وتهذيب الكمال (٢١٩/١٤).

(٢) في الأصل: بن.

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٤/٢)، وغاية المرام (٣١٨/١)، والعقد الثمين (٣٨٢/٧).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٤/٢)، وغاية المرام (٣١٩/١)، والعقد الثمين (٥٢٧/٤-٥٢٩)، وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص: ١٨)، والكامل لابن الأثير (٧/٥).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٥/٢)، والكامل لابن الأثير (٧/٥).

من أهل عصره؛ كمالك وأبي حنيفة ومن في طبقتهما، ووجه إلى مكة من قبله محمد بن الحسن بن معاوية ومعه القاسم بن إسحاق والياً على اليمن، فخرج عليهم السري أمير مكة من قبل المنصور فالتقيا بشعب أذاخر^(١)، فاهزم السري، ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيراً، فأتاه كتاب من محمد ابن عبدالله يأمره بالرجوع إلى المدينة بمن معه ويخبره بمسير جيش المنصور إليه لمحاربته، وعليهم أمير عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن عباس، فسار من مكة هو والقاسم بن إسحاق، فبلغه وهو بنواحي قديد قتل محمد بن عبدالله النفس الزكية، والقصة المذكورة في التواريخ.

قال السنجاري في منائح الكرم^(٢): وسبب قيام محمد بن عبدالله: أن المنصور لما حج سنة (٤٠) وتخلف عنه هو وأخوه إبراهيم بالمدينة، فأهمه شأنهما، فقبض على أبيهما عبدالله الخض بن الحسن المشي في بضع عشرة من أهل البيت [وسجنهم في بيت]^(٣) وطينه عليهم حتى ماتوا جميعاً. فلما بلغ محمد بن عبدالله ثار بالمدينة، وخطب الناس وبايعوه. انتهى.

(١) أذاخر: جبل يشرف على الأبطح من الشمال، ويتصل بالحجون من الشرق، ولا زالت هناك ثنية تعرف بشية أذاخر، منها دخل النبي ﷺ يوم فتح مكة، وربع أذاخر لا زال معروفاً بمكة حتى الآن (معالم مكة التاريخية ص: ٢٢-٢٣، والأزرقى ٢/٢٨٩).

(٢) منائح الكرم (٩٥/٢).

(٣) في الأصل: وسجنه في بيته. والمثبت من منائح الكرم، الموضع السابق.

ثم عاد السري إلى ولاية مكة من قبل المنصور، واستمر إلى سنة مائة وست وأربعين فعزله المنصور، وولّى مكة عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس^(١) عم المنصور، واستمر إلى سنة مائة وتسع وأربعين.

قال ابن فهد في حوادث سنة سبع وأربعين -أو في التي بعدها^(٢)-: أمر المنصور نائبه علي مكة والطائف عمه عبدالصمد بن علي بأن يدفن سديف بن ميمون الشاعر المكي حياً -وكان سديف في سجن عبدالصمد- ففعل به ذلك، وسبب ذلك: أنه بلغ المنصور بيتان لسديف نال فيهما من المنصور وهما:

أَسْرَفْتَ فِي قَتْلِ الرِّعْيَةِ ظَالِماً فَكُفُّ يَدَيْكَ إِخَالَهَا^(٣) مَهْدِيَّهَا
فَلْتَأْتِيَنَّكَ رَايَةُ حَسْنِيَّة جَرَّارَةٌ يَقْتَادُهَا حَسْنِيَّهَا^(٤)

انتهى.

ثم ولي بعد عبدالصمد: محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس^(٥).

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٥/٢)، وغاية المرام (٣٢٤/١)، والعقد الثمين (٤٣٩/٥) - (٤٤٢)، والتحفة اللطيفة (١٧٨/٢)، وتاريخ خليفة (٤٥٧)، والمعارف (٣٧٤)، والضعفاء للعقيلي (٢٥٩)، والجرح والتعديل (٥٠/٦)، وتاريخ بغداد (٣٧/١١)، ووفيات الأعيان (١٩٥/٣)، والعبر (٢٩٠/١)، وميزان الاعتدال (٦٢٠/٢)، ودول الإسلام (١١٨/١)، ونكت الهميان (١٩٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢٩/٩).

(٢) إتحاف الوري (١٨٨/٢). وانظر: منائح الكرم (٩٩/٢-١٠٠)، والعقد الثمين (٥١٩/٤).

(٣) في إتحاف الوري: أضلها. وفي منائح الكرم: أخا لها.

(٤) المقصود: محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم الذي قام بحركته في الكوفة، وقتل سنة ١٤٥ هـ - انظر عنه: تاريخ الطبري (٥٤٢/٨-٥٧١).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٢٩/١)، والعقد الثمين (٤٠١/١) - (٤٠٤)، والمعارف (٣٧٦)، وتاريخ بغداد (٣٨٤/١)، والكمال لابن الأثير (١٧١/٦)، والعبر (٢٩٢/١)، وشذرات الذهب (٣٠٩/١)، وسير أعلام النبلاء (٨٨/٩).

وأما ولائها في خلافة المهدي فجماعة، أولهم: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس^(١) بوصية من المنصور^(٢)، ثم جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس^(٣)، ثم عبيدالله بن قُثم بن العباس ابن [عبيد الله]^(٤) بن العباس بن عبدالمطلب^(٥).

ومن ولي للمهدي أيضاً: محمد بن إبراهيم العباسي المتقدم^(٦). ذكره الفاكهي^(٧).

وأما ولائها في عهد الهادي موسى بن المهدي العباسي: فعبيد الله بن قُثم بن العباس -المتقدم-، وذلك في سنة تسع وستين.

ثم وليها بالتغلب في أيام الهادي: الحسين بن علي [بن الحسن]^(٨) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب^(٩)؛ لأنه خرج عن

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٣٣/١)، والعقد الثمين (٢٧٢/٣) - (٢٧٣).

(٢) الكامل لابن الأثير (٣٦/٦)، وإتحاف الوری (١٩٣/٢).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٣٤/١)، والعقد الثمين (٤١٩/٣) - (٤٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٤٩/٨).

(٤) في الأصل: عبدالله. وانظر مصادر ترجمته.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٤١/١)، والعقد الثمين (٣١٤/٥) - (٣١٧).

(٦) شفاء الغرام (٣٠٦/٢).

(٧) الفاكهي (٢٩٨/١).

(٨) قوله: "بن الحسن" زيادة على الأصل. وانظر مصادر ترجمته.

(٩) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٧/٢)، وغاية المرام (٣٤٩/١)، والعقد الثمين (١٩٦/٤) - (٢٠٠)، والتحفة اللطيفة (٦٠٥/١)، والكامل لابن الأثير (٧٤/٥).

طاعة الهادي، وفتك بمن في المدينة من جماعة الهادي، ونهب بيت المال الذي بالمدينة، وبويع على كتاب الله وسنة نبيه، وخرج بجماعته إلى مكة لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين، وقابل خالد اليزيدي أمير مكة وبلغ الهادي خبره فكتب إلى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس، وأمره أن يكون معاوناً بمحاربة الحسين المذكور. وكان محمد ابن سليمان قد توجه في هذه السنة للحج في جماعة من أهل بيته وخيل وسلاح، فلما حلّ من عمرته عسكر بذي طوى^(١) وانضم إليه من حج من جماعتهم وقوادهم والتقوا مع الحسين وأصحابه، وكان القتال في يوم التروية، فقتل الحسين في أزيد من مائة من أصحابه بفخّ -ظاهر مكة عند الزاهر^(٢)-، ودفن هنالك، وقبره -قال الفاسي^(٣)-: معروف إلى وقتنا هذا في قبة على يمين الداخل إلى مكة ويسار الخارج منها إلى وادي مرّ^(٤). وحُمل رأسه إلى الهادي فلم يحمد ذلك.

- (١) ذي طوى: واد بأسفل مكة (معجم البلدان ٤/٤٥)، وهو بمحلة جرول معروف إلى الآن، ويستحب الاغتسال فيه للمحرم.
- (٢) الزاهر: على نحو ميلين من مكة على طريق التعيم، وهو موضع على جانبي الطريق فيه أثر دور وبساتين وأسواق (رحلة ابن بطوطة ص: ١٦٥) وبه الآن مستشفى الملك عبد العزيز، والتي اشتهرت بمستشفى الزاهر. أما الأستاذ البلادي فيقول: إن الزاهر هذا والمعروف حالياً ليس هو المقصود في ذلك العصر، وإنما المقصود بالزاهر ما يسمى الآن بجرول، والذي به في الوقت الحاضر مستشفى الولادة وسوق الخضار بمكة (انظر: معجم معالم الحجاز ١٢٧/٤).
- (٣) شفاء الغرام (٣٠٨/٢).

(٤) مر الظهران: واد فحل من أكبر أودية الحجاز، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السفوح الشرقية للسراة غرب الطائف، وله هناك رافدان هما: نخلة الشامية، ونخلة اليمانية، ثم يجتمعان (النخلتان) فيسمى الوادي وادي الزبارة، ويسمى أيضاً: وادي فاطمة؛ نسبة إلى أم الشريف بركات بن أبي

وكان الحسين هذا شجاعاً كريماً، يُحكى أنه قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرّقها على الناس ببغداد والكوفة، وخرج لا يملك ما يلبسه إلا فروة ليس تحتها قميص، رحمه الله وغفر له. كذا في الجامع اللطيف^(١).

وفي إتحاف الوري^(٢): قُتل الحسين في أزيد من مائة نفر من أصحابه، وجرح بعضهم، وانهزم بقيتهم فاختلطوا بالحاج، وبعضهم انهزم إلى مصر، وانصرف محمد بن سليمان ومن معه إلى مكة ولا يعلمون حال الحسين، فلما بلغ ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول: البشري البشري، هذا رأس الحسين، فأخرجه، بجبهته ضربة طوياً، وعلى قفاه ضربة أخرى. ولما انقضت الواقعة نادوا بالأمان، فجاء [أبو الزّفت]^(٣) الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى ابن عيسى وعبد الله بن الحسن بن محمد فقتلاه، فغضب محمد بن سليمان

=

نمي أو زوجته، ويعرف باسم وادي الشريف؛ نسبة إلى الشريف أبي نمي، الذي ملّك جُلّ هذا الوادي. وممر الظهران يمر على مرحلة من مكة قصيرة شمالاً و (٢٤) كيلاً على جادة المدينة المنورة (معجم معالم الحجاز ٨/١٠٠-١٠٢).

(١) الجامع اللطيف (ص: ٢٩٤).

(٢) إتحاف الوري (٢/٢٢٠-٢٢١). وانظر: الكامل (٥/٢٦٧)، والعقد الثمين (٤/١٩٦-٢٠٠)،

وتاريخ الطبري (٤/٥٩٩).

(٣) في الأصل: أبو الوقت. والتصويب من إتحاف الوري (٢/٢٢١)، والكامل وتاريخ الطبري،

الموضعان السابقان.

غضباً شديداً، وأخذت أخت الحسين وتُركت عند زينب بنت سليمان وأخذ رؤوس القتلى - وكانوا مائة رأس ونيفاً - وفيها رأس سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي فحُمِل إلى الهادي. انتهى.

وأما ولائها في خلافة هارون الرشيد: فولي مكة في زمنه جماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية، منهم: أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبدالله بن عباس^(١)، وحماد البربري^(٢)، وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس^(٣)، والعباس بن موسى بن عيسى [بن موسى]^(٤) ابن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس^(٥)، والعباس بن محمد بن إبراهيم - السابق ذكره -، [وعبيدالله]^(٦) بن قثم بن عباس - السابق ذكره -، وعلي بن موسى بن عيسى^(٧) أخو العباس بن موسى، والفضل ابن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس^(٨)، ومحمد بن

(١) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٤/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وفي شفاء الغرام (٣٠٩/٢).

(٢) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٥/١)، والعقد الثمين (٢٢٤-٢٢٥/٤)، والكامل لابن الأثير (١٠٩/٥)، والمنظم (٩٢/٩، ١٩٧)، وأخبار مكة للأزرقي (١٧٠/٢)، وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٣٠٩/٢).

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٧/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وفي شفاء الغرام (٣٠٩/٢)، وابن الأثير في الكامل (٧٧/٦).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من مصادر الترجمة.

(٥) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٨/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وفي شفاء الغرام (٣٠٩/٢)، وابن الأثير في الكامل (٧٧/٦).

(٦) في الأصل: عبدالله. وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٠٦/٢)، وغاية المرام (٣٤١/١)، والعقد الثمين (٣١٤-٣١٧/٥).

(٧) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٧٢/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٧/١)، وشفاء الغرام (٣٠٩/٢).

(٨) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٧٣/١)، والعقد الثمين (١١/٧-١٢)، وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٣٠٩/٢).

[عبدالله] ^(١) بن سعيد بن المغيرة بن [عمرو] ^(٢) بن عثمان بن عفان ^(٣)،
وموسى بن عيسى -المتقدم ذكره-.

وأما ولاتها في خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسي:
فداود ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ^(٤)
ضمّت إليه المدينة، فولي ابنه سليمان المدينة، وكان ذلك في سنة ثلاث
وتسعين.

قال محيي الدين ابن العربي في فتوحاته ^(٥): إن داود بن عيسى بن
موسى ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس عم رسول الله ﷺ لما ولي
مكة والمدينة أقام بمكة وولّى ابنه سليمان المدينة، فأقام بمكة عشرين
شهراً، فكتب إليه أهل المدينة.

وقال الزبير بن أبي بكر: كتب إليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن
مخراق، يسألونه التحول إليهم ويعلمونه أن مقامه بالمدينة أفضل من مقامه
بمكة، وأهدوا إليه في ذلك شعراً قاله شاعرهم، يقول فيه:
أداوُدُ قد فزّتْ بالمكرُمات وبالعدل في بَلَدِ المصطفى
وصرّتْ ثَمَلاً لأهل الحجاز وسرّتْ بسيرة أهل التّقى

(١) في الأصل: عبيد الله. وانظر مصادر ترجمته.

(٢) في الأصل: عمر. وانظر مصادر ترجمته.

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣٦٦/١)، وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٣٠٩/٢)، وفي العقد
الشمين (١٦٧/١).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٠/٢)، وغاية المرام (٣٧٤/١)، والعقد الشمين (٣٥٧/٤) -

(٣٦٠)، والمنظم (٢٦/١٠)، والكامل لابن الأثير (١٣٧/٥-١٥٤).

(٥) الفتوحات المكية (٧٥٩/١-٧٦٣).

وَأَنْتَ الْمَهْدَبُ مِنْ هَاشِمٍ فَعَدَّلَكَ فِينَا هُوَ الْمُتَنَهِي
وَبِالْفَيْءِ أَغْنَيْتَ أَهْلَ الْخِصَاصِ وَفِي كُلِّ حَالٍ أَنْتَ الرِّضَى
وَمَكَّةُ لَيْسَتْ بِدَارِ الْمَقَامِ فَهَاجِرُ كَهَجْرَةٍ مَنْ قَدْ مَضَى
مَقَامُكَ [عَشْرِينَ] ^(١) شَهْرًا بِهَا كَثِيرٌ لَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْحَجَى
فَقِمَ بِيَلَادِ الرَّسُولِ الَّتِي بِهَا اللَّهُ خَصَّ نَبِيَّ الْهُدَى
وَلَا يَنْفِيكَ عَنْ قُرْبِهِ مُشِيرٌ مَشُورَتُهُ بِالْهُدَى
فَقَرَّبَ النَّبِيَّ وَآثَارَهُ أَحَقُّ بِقُرْبِكَ مِنْ ذِي طَوَى

فلما ورد الكتاب والأبيات على داود بن عيسى أرسل إلى رجال من أهل مكة فقرأ عليهم الكتاب، فأجابه رجل منهم يقال له: عيسى بن عبدالعزيز السعلبوسي بقصيدة يرد عليه ويذكر فيها فضل مكة وما خصها الله به من الكرامة والفضيلة، ويذكر المشاعر والمناقب، فقال وفقه الله هذه القصيدة:

أَدَاوُدُ أَنْتَ الْإِمَامُ الرِّضَا وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّ نَبِيِّ الْهُدَى
وَأَنْتَ الْمَهْدَبُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ [كَبِيرٍ] وَمِنْ قَبْلِهِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَنْتَ الْمُؤَمَّلُ مِنْ هَاشِمٍ وَأَنْتَ ابْنُ قَوْمٍ كِرَامٍ تُقَى
وَأَنْتَ غِيَاثُ أَهْلِ الْخِصَاصِ تَسُدُّ خِصَاصَتَهُمْ بِالْغِنَى
أَتَاكَ كِتَابُ حُسُودِ جُحُودِ أَسَا فِي مَقَالَتِهِ وَاعْتَدَى
يُخَيِّرُ يَثْرَبَ فِي شِعْرِهِ عَلَى حَرَمِ اللَّهِ حَيْثُ ابْتَنَى
فَإِنْ كَانَ يَصْدُقُ فِيمَا يَقُولُ فَلَا يَسْجُدَنَّ إِلَى مَا هُنَا
وَأَيُّ بِلَادٍ تَفُوقُ أَمَّهَا وَمَكَّةُ مَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى

(١) في الأصل: عشرون. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٤).

وربي دحا الأرض من تحتها
وبيت المهيمن فينا مُقيم
وَمَسْجِدُنَا بَيْنَ فَضْلِهِ
صلاةَ الْمُصَلِّي تُعَادِلُ بِهِ
كَذَاكَ أَتَى فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ
وَأَعْمَالِكُمْ كُلَّ يَوْمٍ وَفُودُ
فِرْعُوعَ مِنْهَا إلهي الذي
وَنَحْنُ تَحِجُّ إِلَيْنَا الْعِبَادُ
وَيَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ
لِيَقْضُوا مَنَاسِكَهُمْ عِنْدَنَا
فَكَمْ مِنْ مُلَبٍّ بِصَوْتِ حَزِينٍ
وَأَخْرَ يَذْكُرُ رَبَّ الْعِبَادِ
فَكَلَّهْمَا أَشَعَتْ أَغْبَرُ
فَظَلُّوا بِهِ يَوْمَهُمْ كُلَّهُ
حُفَاةَ ضُحَاةٍ قِيَاماً لَهُمْ
رَجَاءٌ وَخَوْفًا لَمَّا قَدَّمُوا
يَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
فَلَمَّا دَنَا اللَّيْلُ مِنْ يَوْمِهِمْ

ويشربُ لا شكَّ فيما دحا
يُصَلِّي إِلَيْهِ بِرَغَمِ الْعَدَا
عَلَى غَيْرِهِ لَيْسَ فِي ذَا مَرَا
مَثْنِ [أَلُوف] ^(١) صلاةَ وَفَا
وَمَا قَالَ حَقٌّ بِهِ يُقْتَدَى
إِلَيْنَا شَوَارِعُ مَثَلُ الْقَطَا
يَشَاءُ وَيَتْرُكُ مَا لَا يَشَاءُ
فَيَرْمُونَ شَعَثًا بَوْتَرِ الْحَصَا
عَلَى أَيْتَقِ ضَمَّرَ كَالْقَنَا
فَمِنْهُمْ سَاعَةٌ وَمِنْهُمْ مَشَا
يَرَى صَوْتَهُ فِي الْهَوَى قَدْ عَلَا
وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِحُسْنِ الثَّنَا
يَوْمُ [الْمَعْرُوف] ^(٢) أَقْصَى الْمَدَى
وَقَوْفًا يَضْجُونَ حَتَّى الْمَسَا
عَجِيجٌ يُنَادُونَ رَبَّ السَّمَا
وَكُلَّ [يُسَائِلُ] ^(٣) دَفَعَ الْبِلَا
بَعْفُوكَ [وَأَصْفَح] ^(٤) عَمَّنْ أَسَا
وَوَلَّى النَّهَارَ أَجْدُوا الْبَكَا

(١) في الأصل: أَلُوفًا. والتصويب من الفاكهي (٢٩٥/٢).

(٢) في الأصل: المعروف. والتصويب من الفتوحات المكية، والفاكهي (٢٩٥/٢)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٧).

(٣) في الأصل: يسأل. والتصويب من الفتوحات المكية، والفاكهي (٢٩٥/٢)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٧).

(٤) في الأصل: والصفح. والتصويب من الفاكهي (٢٩٦/٢).

وسارَ الحَجِيجُ [لهم رَجَّةٌ] (١) فحلُّوا بِجَمْعٍ بُعِيدِ العِشَا
 فباتوا جميعاً فلمَّا بدا عموذُ الصَّباحِ وولَّى الدَّجَى
 دَعَوْا سَاعَةً ثُمَّ شَدُّوا الشُّسُوعَ على قَلَصٍ ثُمَّ أُمُّوا مِنى
 فَمِنْ بَيْنِ مَنْ قَدْ قَضَى نُسْكَهَ وَآخَرُ يَهُوي إلى مكة
 وَآخَرُ يَرْمُلُ حَوْلَ الطَّوَافِ ويسعى ويدعوهُ فيمَن دعا
 فأبوا بأفضل مما رجوا وَآخَرُ ماضٍ يَوْمُ الصَّفا
 وحجَّ الملائكةُ المكرمون إلى أرضنا قبلَ فيما مضى
 وآدمُ قد حجَّ من بعدهم وما طلبوا من جزيلِ العطا
 وحجَّ إلينا خليلُ الإلهِ إلى أرضنا قبلَ فيما مضى
 فهذا لعمرى لنا رفعةُ ومن بعده أحمدُ المصطفى
 ومنا النبي نبيُّ الهدى وهجرَ بالرَّمي فيمَن رمى
 ومنا أبو بكرٍ ابنُ الكرامِ حباناً بهذا شديدُ القوى
 وعثمانُ مِنّا فَمَنْ مثله وفينا تنبأً ومنا ابتدى
 ومنا عليٌّ ومنا الزبيرُ ومنا أبو حفصٍ المرتجى
 ومنا ابنُ عباسٍ ذو المكرماتِ إذا عدَّدَ الناسُ أهلَ الحيا
 ومنا قريشٌ وآبأوها ومنا الذين بهم تَفَخَّرُونِ
 وفخَّروا أولاءُ لنا رفعةُ وفينا وحلفُ الندى
 وزمزمُ والحجرُ فينا فهل فنحنُ إلى فخرنا المنتهى
 وزمزمُ طَعْمٌ وشُرْبٌ لمن فلا تَفَخَّرُونَ عَلَيْنَا بنا؟
 لكم مَكْرُماتٌ كما [قد] (٢) لنا؟ وفينا من الفخرِ ما قد كفى
 وأرادَ الطعامَ وفيه الشفا

(١) في الأصل: له وجبة. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٦).

ورجَّة القوم: اختلاط أصواتهم (اللسان، مادة: رجج).

(٢) في الأصل: هي. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٧).

وزمزمُ تنفي همومَ الصدور
 وكم جاءَ زمزم من جائع
 وليست كزمزم في أرضكم
 وفينا سقاية عم الرسول
 وفينا المقام فأكرم به
 وفينا الحجون ففاخر به
 وفينا الأباطح والمروتان
 وفينا المشاعر منشأ النبي
 وتورّ فهل عندكم مثل ثو
 وفيه اختبا نبي الإله
 فكم بين أحد إذا جاءَ فخر
 وبلدنا حرم لم تزل
 ويثرب كانت حلالاً فلا
 [فحرمها] (٣) بعد ذاك النبي
 ولو قتل الوحش في يثرب
 ولو قتل عندنا غلة
 ولولا زيارة قبر النبي
 وليس النبي بها ثاوي
 فإن قلت قولاً خلاف الذي
 فلا تُفحش علينا المقال
 وزمزمُ من كل سقم دوا
 إذا ما تزلّع منها اكتفى
 كما ليس نحن وأنتم سوا
 ومنها النبي امتلا وارتوى
 وفينا المحصب والمنحنى
 وفينا كداء وفينا كدا
 فبخ بخ (١) فمن مثلنا يا فتى
 وأجياذ والركن والمتكا
 ر؟ وفينا ثبر وفينا حرا
 ومعه أبو بكر المرتضى
 وبين القيس فيما ترى
 [محرمه] (٢) الصيد فيما خلا
 تكذب فكم بين هذا وذا
 فمن أجل ذلك جاء (٤) كذا
 لما قدي الوحش حتى اللقا
 أخذتم بها [أو] (٥) تؤذوا الفدا
 لكنتم كسائر من قد بدا
 ولكنه في جنان العلا
 أقول فقد قلت قول الخطا
 ولا تنطقن بقول الحنا

(١) في الفاكهي: فتح وعج.

(٢) في الأصل: محرم. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٧)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٨).

(٣) في الأصل: وحرّمها. والتصويب من الفاكهي، وتحصيل المرام، الموضعان السابقان.

(٤) في الأصل زيادة: ذا.

(٥) في الأصل: و. والتصويب من الفاكهي (٢/٢٩٧)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٨).

ولا تَفْخَرَنَّ بما لا يكون ولا ما يَشِينُكَ عندَ المَلَا
ولا تَهْجُ بالشَّعْرِ أرضَ الحرام وكَفَّ لَسَانُكَ عن ذي طوى
والا فجاءكَ ما لا تريد من الشَّتَمِ في أرضكم والأذى
فقد يُمكنُ القولَ في أرضكم بسبِّ العقيق ووادي قبا
فأجابهما رجل من بني عجل ناسك كان مقيماً بمجدة مرابطاً فحكم
بينهما فقال:

إني قضيتُ على الذين تماريا في فضل مكة والمدينة فاسألوا
فلسوفَ أخبركم بحقِّ فافهموا فالحكم حيناً قد يَجُورُ وَيَعْدِلُ
فأنا الفتى العجلى جُدَّةَ مَسْكِنِي وخزانة الحَرَمِ التي لا تُجْهَلُ
وبها الجهادُ مع الرِّباطِ وإنها لَبِها الوقيعةُ لا محالةُ تَنْزِلُ
من آلِ حامٍ في أواخرِ دهرنا وشهيدُها بشهيدٍ بَدْرٌ يَعْدِلُ
شهادُونا قد فَضَّلُوا بسعادةِ وبها السرورُ لمن يموتُ وَيُقْتَلُ
يا أيها المدني أرضُكَ فضلُها فوقَ البلادِ وفضلُ مكة أفضلُ
أرضُها بها البيتُ [الحَرَمُ] ^(١) قِبْلَةُ للعالَمينَ [لَهُ] ^(٢) المساجدُ تَعْدِلُ
حَرَمٌ حرامٌ أرضُها وَصِيودُها والصيدُ في كلِّ البلادِ مُحَلَّلُ
وبها المشاعرُ والمناسكُ كُلُّها وإلى فضيلتها البريةُ تَرْحَلُ
وبها المقامُ وحوضُ زمزم [مُتَرَعاً] ^(٣) والحجرُ والرُّكنُ الذي لا يَجْهَلُ
والمسجدُ العالي الممجَّدُ والصفاءُ والمشعرانِ ومن يطوفُ وَيَرْمُلُ
هل في البلادِ مَحَلَّةٌ معروفةٌ مثلُ المَعْرِفِ أو مَحَلٌّ [يُحَلَّلُ] ^(٤)
أو مثلُ جَمْعٍ في المواطنِ كُلِّها أو مثلُ خيفِ منى بأرضِ مَترَلِ
تلكم مواضعٌ لا يرى [برحابها] ^(٥) إلا الدعاءَ ومُحَرَّمٌ ومُحَلَّلُ

(١) في الأصل: الحرام. والتصويب من الفاكهي (٢٩٨/٢)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٩).

(٢) في الأصل: لها. والتصويب من المراجع السابقة.

(٣) في الأصل: مشرع. والتصويب من المراجع السابقة.

(٤) في الأصل: يجلل. والتصويب من الفاكهي (٢٩٨/٢).

(٥) في الأصل: لجرامها. والثبت من الفاكهي (٢٩٨/٢).

شرفاً لمن وافى المعرفَ ضيفه
 وبمكة الحسنات [يضعف] ^(١) أجرها
 يُجزى المسيء على الخطيئة مثلها
 ما ينبغي لك أن تفاخرَ يا فتى
 بالشعب دون الردم مسقط رأسه
 وبها أقام وجاءه وحي السما
 ونبوة الرحمن فيها أنزلت
 هل بالمدينة هاشمي ساكن
 إلا ومكة أرضه وقراره
 وكذلك هاجر نحوكم لما أتى
 فأجرثموا وقرثموا ونصرثموا
 فضل المدينة بين أهلها
 من لم يقل إن الفضيلة فيكم
 لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم
 في أرضكم قبر النبي وبيته
 وبها قبور السابقين بفضلهم
 والعثرة الميمونة [الآتي] ^(٢) بها
 آل النبي بنوا علي إثمهم
 يا من تبص ^(٣) إلى المدينة عينه
 إنا لنهواها ونهوى أهلها
 قل للمدني الذي يزدار دا

شرفاً له ولأرضه إذ يترل
 وبها المسيء عن الخطيئة يسأل
 وتضاعف الحسنات منه وتقبل
 أرضاً بها ولد النبي المرسل
 وبها نشأ صلى عليه المرسل
 وسرى به الملك الرفيع المتزل
 والذين فيها قبل دينك أول
 أو من قريش ناشئ أو مكهل؟
 لكنهم عنها نأوا وتحولوا
 إن المدينة هجرة فتحملوا
 خير البرية حقكم أن تفعلوا
 فضل قديم نوره يتهلل
 قلنا كذبت وقول ذلك أرذل
 من كان يجهل فلسنا نجهل
 والمنبر العالي الرفيع الأطول
 عمر وصاحبه الرفيق الأفضل
 سبقت فضيلة كل من يتفضل
 أمسوا ضياء للبرية يشمل
 فيك الصغار وصغر خذك أسفل
 وودادها حق على من يعقل
 ود الأمير ويستحث ويعجل

(١) في الأصل: ضوعف. والثبت من الفاكهي (٢/٢٩٩)، وتحصيل المرام (ص: ١٤٩).

(٢) في الأصل: الآتي. والتصويب من الفاكهي، وتحصيل المرام، الموضعان السابقان.

(٣) العين تبص بضم وبضبطاً: دمت (لسان العرب، مادة: بضض).

قد جاءكم داود بعد كتابكم
فاطلب أميرك واستزره ولا [تقع]^(١)
ساق الإله لبطن مكة ديمة
قد كان حبلك في أميرك يقتل
في بلدة عظمت فوعظك أفضل
تروى بها وعلى المدينة تسبل

انتهى^(٢).

واستمر داود بن عيسى إلى انقضاء خلافة الأمين في سنة ست وتسعين، وهو الذي تولى خلع الأمين بمكة فيها. وقصة خلعه كما في الأرج المسكي^(٣): أنه لما بلغه ما كان بين المأمون والأمين وكان ورد عليه كتاب من الأمين يأمره فيه بخلع المأمون وأخذ الكتابين اللذين [جعلهما]^(٤) في الكعبة المتضمنين ترتيب ولاية العهد بين أولاده، فلما ورد على داود أمر الأمين بذلك جمع أعيان مكة والناس وقال لهم: قد علمتم ما أخذ الرشيد عليكم وعلينا من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام لابنيه، [لنكونن]^(٥) مع المظلوم فيهما على الظالم، ومع المغدور به على الغادر، وقد رأينا وأنتم أن الأمين قد بدأ بالظلم والبغي والمكر على إخوانه المأمون والمؤمن، وخالفهما عاصياً لله، وباع لابنه طفل صغير [لم يعظم]^(٦)، واستخرج الشرطين من الكعبة عاصياً ظالماً، فحرقهما بالنار، وقد رأيت خلعه والبيعة للمأمون إذ كان مظلوماً مبيعاً عليه، فقال

(١) في الأصل: تقم. والتصويب من الفتوحات (٧٦٣/١)، وإتحاف الوري (٢٥٦/٢).

(٢) انظر القصائد الثلاث في: الفاكهي (٢٩٣-٢٩٩)، وإتحاف الوري (٢٥٠/٢-٢٥٦)،

وقد ذيب ابن عساكر (٢١١/٥-٢١٥)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ٨١-٩٣)،

وتحصيل المرام (ص: ١٤٧-١٤٩).

(٣) الأرج المسكي (ص: ٣٣٩).

(٤) في الأصل: كانتا. والثبت من الأرج المسكي، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لنكون. والتصويب من الأرج المسكي، الموضع السابق.

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من الأرج (ص: ٣٣٩).

له أهل مكة: رأينا تبعَ لرأيك. فوعدهم صلاة الظهر، فنادى في فجاج مكة صائح يصيح: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد فصلى بهم داود الظهر، ثم صعد على المنبر بين الركن والمقام، فجلس عليه فحمد الله تعالى وصلى على رسول الله ﷺ وقال: يا أهل مكة! أنتم الأصل، وإلى قبلتكم يأتّم المسلمون، ولقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد، وقد علمنا أن الأمين بدأ بالظلم والبغي، وقد حلّ لنا ولكم خلعه، وأشهدكم أني قد خلعت محمد بن هارون الرشيد من الخلافة كما خلعت قلنسوتي هذه من رأسي، ثم خلعتها فرمى بها إلى بعض الخدام، وأتى بقلنسوة^(١) فلبسها ثم قال: وقد بايعت لعهد الله المأمون، ألا فقوموا فبايعوا، [فقاموا]^(٢) أياماً يبايعونه.

وكتب إلى ولده سليمان -وهو عامله إلى المدينة- يأمره أن يفعل ما فعل، فخلع الأمين وبايع للمأمون، فلما رجع جواب البيعة من المدينة إلى داود، سار داود إلى المأمون فوجده بمرور^(٣)، فأخبره بذلك، فسُرَّ بذلك سروراً شديداً، وتيمّن ببركة مكة والمدينة، وكتب لداود عهداً [على]^(٤) مكة والمدينة وأعمالهما، وزاد على ذلك ولاية نجد، ثم سار داود من عنده إلى جهة مكة، ثم ورد في هذه السنة -أي سنة ست وتسعين ومائة- العباس بن موسى فدعى للمأمون بالخلافة في

(١) القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال (المعجم الوسيط ٧٥٤/٢).

(٢) في الأصل: فبقي. والمثبت من الأرج (ص: ٣٣٩).

(٣) مَرَوْ: هي مرو الشاهجان، وهي مرو العظمى، أشهر مدن خراسان وقصبتها، بينها وبين نيسابور

سبعون فرسخاً (معجم البلدان ١١٢/٥-١١٣).

(٤) في الأصل: إلى. والمثبت من الأرج (ص: ٣٣٩).

الحرمين، وكان الأمين فيها محصوراً. انتهى.

وأما ولائها في عهد المأمون عبدالله بن هارون الرشيد: فداود المذكور أيضاً، ولآه المأمون بعد خلع الأمين، واستمر إلى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة، ثم فارق مكة متخوفاً من الحسين بن الحسن بن علي الأصغر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالأفطس^(١)، وسببه: أن أبا السرايا السري بن منصور الشيباني^(٢) داعية ابن طباطبا^(٣) لما تغلب واستولى على العراق، ولّى مكة الحسين بن الحسن الأفطس، فسار إلى أن وصل وادي سرف^(٤) - المعروف في وقتنا هذا بالنوارية^(٥) -

(١) الأفطس: ثائر علوي، دعا لنفسه أيام المأمون بعد أن دعا لابن طباطبا بالإمارة (انظر ترجمته في: غاية المرام ٣٨٩/١، والعقد الثمين ١٩٠/٤-١٩٢، وشفاء الغرام ٣١٠/٢).

(٢) أبو السرايا: ثائر علوي، خرج على المأمون عام ١٩٩ هـ بالعراق. قتل ببغداد عام ١٩٩ هـ - البداية والنهاية ٢٤٤/١٠، وتاريخ الطبري ١٢٢/٥، والإعلام ٨٢/٣، ومقاتل الطالبين ص: ٣٣٨).

(٣) ابن طباطبا هو: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن الثني بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمير علوي، من أئمة الزيدية، توفي سنة ١٩٩ هـ. (انظر أخباره في: البداية والنهاية ٢٤٤/١٠، والطبري ٢٢٧/١٠، ومقاتل الطالبين ٥١٨-٥٣٢، وتاريخ اليمن للواسعي ص: ١٨، وبلوغ المرام ص: ٣١، وإتحاف المسترشدين ص: ٤٠).

(٤) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، من طريق مر، وقيل: سبعة أميال، وقيل: اثنا عشر، وهناك أعرس الرسول ﷺ بميمونة أم المؤمنين، وهناك ماتت (معجم ما استعجم ٧٤٦/٣).

(٥) النوارية: كانت محطة بوادي سرف، وأقيمت هناك مصانع للنورة، فتكونت هذه الخطة وانتعشت، فلما توقفت تلك المصانع تفهقرت الخطة أو المنهل وكاد يندثر، ولكن الذي حدث بعد ذلك أن النوارية خططت وعمرت، فأصبحت حياً جميلاً مأهولاً. والنوارية أيضاً: الجبل الذي يشرف على تلك القرية من الغرب يسمى جبل النورة، على حافة طريق مكة إلى المدينة على ٩ أكيال، كانت تستخرج منه حجارة النورة وتحتة أفران لها. وقد تسمى العامة وادي سرف إذا مر من هناك وادي النوارية نسبة إلى تلك القرية (معجم معالم الحجاز ٩٤/٩-٩٥).

بالنون-، على مرحلة لطيفة من مكة إلى جهة مر الظهران-، فتوقف عن الدخول خشية من أميرها داود. فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف وسعى، ثم مضى إلى عرفة فوقف بها ليلاً، ثم دفع إلى مزدلفة فصلى بالناس الصبح، ثم دفع إلى منى^(١).

وفي خلاصة الكلام^(٢): فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين إلى مكة جمع أصحابه وقال: " لا أستحل القتال بمكة، والله لئن دخلوا من هذا الفج لأخرجن من هذا الفج، فأنحاز في ناحية، ثم خرجوا إلى العراق، وصعد الناس عرفة بلا إمام، فصلى بهم رجل من عرض^(٣) الناس بلا خفة، ودفعوا من عرفة، فلما بلغه خروج داود ابن عيسى دخل في عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى إلى عرفة. انتهى.

قال ابن ظهيرة^(٤): فلما انقضى الحج عاد إلى مكة. فلما كان مستهل المحرم سنة مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التي كانت عليها من قبل العباسيين، ثم كساها كسوتين أنفذهما معه أبو السرايا المذكور، من قز رقيق، إحداهما صفراء والأخرى بيضاء.

(١) الجامع اللطيف (ص: ٢٩٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٨).

(٣) في هامش الأصل: أي عامة الناس. اهـ مختار الصحاح (ص: ١٧٨).

(٤) الجامع اللطيف (ص: ٢٩٥-٢٩٧).

قال الأزرقى^(١): مكتوب بينهما: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين الطيبين الأخيار، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية أبي محمد بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام. انتهى.

ثم عمد الأفتس إلى خزانة الكعبة وأخذ ما فيها من الأموال فقسمها مع كسوة الكعبة على أصحابه، وهرب الناس من مكة؛ لأنه كان يأخذ أموال الناس ويزعم أنها ودائع بني العباس عندهم، ولم يزل كذلك على ظلمه إلى أن بلغه قتل مرسله أبي السرايا في سنة مائتين. فلما علم ذلك ورأى الناس قد تغيروا عليه لما فعله معهم من القبيح واستباحة الأموال، جاء هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالديباجة؛ لجمال وجهه، وسألوه بالمبايعة له بالخلافة، فكره محمد ذلك، فاستعان الأفتس بابنه علي، ولم يزالوا به حتى بايعوه الخلافة، وذلك في ربيع الأول سنة مائتين، وجمعوا الناس على بيعه محمد بن جعفر طوعاً وكرهاً، ولقبوه بأمير المؤمنين، وبقي شهوراً وليس له من الأمر شيء، وإنما ذلك لابنه علي وللأفتس، وهما على أقبح سيرة مع الناس، فلم يكن إلا مدة يسيرة إذ جاء عسكر المأمون -فيهم الجلودي وورقاء بن جميل- وقد انضم إلى محمد بن جعفر غوغاء أهل مكة وسواد البادية، فالتقى

الفريقان، فانهزم محمد وأصحابه، وطلب الديباجة من الجلودي الأمان، فأجلّوه ثلاثاً، ثم خرج من مكة، ودخل الجلودي بعسكره إلى مكة في جمادى الآخرة سنة مائتين، وتوجه الديباجة إلى جهة بلاد جهينة فجمع منها جيشاً، وقاتل والي المدينة هارون بن المسيب، فانهزم الديباجة بعد أن فقتت [عينه] ^(١) بنشابة، وقتل من عسكره خلق كثير، ثم عاد إلى مكة وطلب الأمان من الجلودي، فأمنه، فدخل مكة في أواخر ذي الحجة سنة مائتين، وصعد على المنبر متعذراً بأنه إنما وافق على المبايعة لأنه بلغه موت المأمون، ثم قدم على المأمون واستعذر واستغفر، فقبل عذره وأكرمه وعفى عنه، فلم يمكث إلا قليلاً، ثم مات فجأة بجرجان ^(٢)، فصلى عليه المأمون ونزل في لحده وقال: هذه رحم قطعت من سنين. وكان موته في شعبان سنة ثلاث ومائتين. وسبب موته -على ما قيل-: أنه جامع واقتصد ودخل الحمام في يوم واحد. انتهى ما قاله ابن ظهيرة.

وفي تاريخ الدول الإسلامية ^(٣): ولما اشتد الأمر على محمد بن جعفر خطب الناس وقال: إني بلغني أن المأمون مات، وكانت له في عنقي

(١) في الأصل: عينه. والتصويب من الجامع اللطيف (ص: ٢٩٦).

(٢) جُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه. وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدياء والعلماء والفقهاء والحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي. قال الإصطخري: أما جرجان: فإنها أكبر مدينة بنواحيها، وهي أقل ندى ومطراً من طبرستان، وأهلها أحسن وقاراً وأكثر مروءةً ويساراً من كبرائهم (معجم البلدان ١١٩/٢).

(٣) تاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٣٧-١٣٨).

بيعة، وكانت فتنة عمّت الأرض فبايعني الناس، ثم إنه صح عندي أن المأمون حي صحيح، وأنا أستغفر الله من البيعة، وقد خلعت نفسي من البيعة التي بايعتموني عليها، كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي، فلا يبق لي في رقابكم^(١). انتهى.

وقال ابن فهد في حوادث سنة إحدى ومائتين^(٢): فيها خرج عيسى الجلودي^(٣) بمحمد الديباجة إلى العراق، واستخلف على مكة ابنه محمد ابن عيسى^(٤)، وسار إلى المأمون إلى أن بلغه أنه بمرو^(٥)، فعفى المأمون عن الديباجة، وتقدم الحجة واستعدوا على الديباجة عند المأمون لما أخذه الديباجة من مال الكعبة، فقضاهم المأمون عن الديباجة خمسة آلاف دينار، وكتب لهم بها إلى إسحاق بن عباس بن محمد -وهو والٍ على اليمن-، فقبضها الحجة وردوها إلى خزانة الكعبة. انتهى.

وفي الخلاصة^(٦): قال الذهبي: إن الجلودي خرج بالديباجة إلى العراق واستخلف على مكة ابنه محمداً، وقيل: استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي^(٧)، وجاء من اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم ودخل

(١) انظر: الكامل (٤٢٣/٥)، وتاريخ الطبري (١٢٩/٥).

(٢) تحاف الوري (٢٧١/٢). وانظر: الأزرقي (٢٤٨/١).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٣٩٨/١)، والعقد الثمين (٤٧٢/٦) - (٤٧٤)، والكامل لابن الأثير (٢١١/٦)، وجهرة ابن حزم (ص: ١٤٣).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٤٠٠/١)، والعقد الثمين (٢٤٩/٢).

(٥) مرو: هي مرو الشاهجان، وهي مرو العظمى، أشهر مدن خراسان وقصبتها، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً (معجم البلدان ١١٢/٥ - ١١٣).

(٦) خلاصة الكلام (ص: ٩).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٤٠١/١)، والعقد الثمين (٤٦٥/٧) - (٤٦٧).

مكة عنوة، وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنين.

وقال الفاسي^(١): ولي مكة بعد الجلودي: هارون بن المسيب^(٢)، ثم حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان^(٣)، ثم وليها إبراهيم بن موسى الكاظم^(٤) - السابق ذكره -.

وذكر الأزرقى^(٥): أن يزيد بن حنظلة كان والياً على مكة خليفة لحمدون.

ومن ولي مكة للمأمون: عبيد الله بن الحسن بن [عبيد الله]^(٦) بن العباس بن علي بن أبي طالب^(٧) مع المدينة.

ومن ولي مكة أيضاً للمأمون: صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس^(٨)، وسليمان بن عبد الله بن سليمان بن

(١) شفاء الغرام (٣١٣/٢ - ٣١٤).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٤٠٧/١)، والعقد الثمين (٣٥٨/٧).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٤/٢)، وغاية المرام (٤٠٤/١)، والعقد الثمين (٢٢٥/٤).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٤/٢)، وغاية المرام (٤٠٥/١)، والعقد الثمين (٢٦٤/٣) - (٢٦٥).

(٥) الأزرقى (٢٢٦/١).

(٦) في الأصل: عبد الله. وانظر مصادر ترجمته.

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٥/٢)، وغاية المرام (٤٠٨/١)، والعقد الثمين (٣٠٥/٥).

(٨) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٥/٢)، وغاية المرام (٤٠٩/١)، والعقد الثمين (٢٦٥/٥) - (٢٨).

علي بن عبدالله بن عباس^(١)، وابنه محمد بن سليمان^(٢)، والحسن بن سهل^(٣)، إلا أنه لم يباشرها بل عقد له عليها.

ومن وليها للمأمون أيضاً: عبيد الله بن عبدالله بن الحسن بن جعفر ابن [الحسن]^(٤) بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٥)، واستمر إلى أن توفي المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين.

وأما ولائها في خلافة المعتصم بن الرشيد: فصالح بن العباس - المتقدم ذكره -، وبقي إلى خلافة المتوكل.

وولي مكة للمعتصم أيضاً: [أشناس]^(٦) التركي^(٧) من كبار قواده، وذلك أنه أراد الحج ففوض إليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها. فلما دخل مكة أقام محمد بن داود بن عيسى نائباً عنه على الحج، ودعى لأشناس على المنابر في الحرمين وكل بلاد دخلها حتى رجع إلى سر من

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٥/٢)، وغاية المرام (٤١٣/١)، والعقد الثمين (٦١١/٤).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٥/٢)، وغاية المرام (٤١٤/١)، والعقد الثمين (٢١/٢-٢٢).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٦/٢)، وغاية المرام (٤١٦/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٨/١).

(٤) في الأصل: الحسين. وانظر مصادر ترجمته.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٦/٢)، وغاية المرام (٤١٥/١)، والعقد الثمين (٣١٠/٥-٣١١).

(٦) في الأصل: أشاش. والتصويب من مصادر ترجمته. وكذا وردت في الموضع التالي.

(٧) أشناس التركي: استخلفه الواثق على بغداد، وألبسه تاجاً، وهو أول سلطان على بغداد (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٣١٦/٢، وغاية المرام ٤٢١/١، وذكره الفاسي في العقد الثمين ١٦٨/١).

رأى^(١)، وتوفي المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود، وتولى الخلافة ابنه الواثق، وتوفي الواثق سنة مائتين واثنين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره.

وأما ولائها في خلافة المتوكل بن المعتصم: فعلي بن عيسى^(٢) بن أبي جعفر المنصور^(٣)، ثم بعد وفاته عبدالله بن محمد بن داود^(٤)، ثم عبدالصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام^(٥).

[ومن]^(٦) عقد له على ولاية مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل: ابنه محمد المنتصر^(٧) فأرسل إليها بعض قواده نائباً عنه.

ومن وليها أيضاً في خلافة المتوكل: [إيتاخ]^(٨) - بهمزة بعدها مشاة تحتية ثم مشاة فوقية فألف فخاء - الخوزي^(٩) - بضم الخاء المعجمة

(١) سامراء: لغة في سر من رأى، مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة (معجم البلدان ١٧٣/٣).

(٢) في الأصل زيادة: بن جعفر. وانظر مصادر ترجمته.

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٢/١)، والعقد الثمين (٢٢١/٦)، وتاريخ الطبري (٣٦٩/٧).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٣/١)، والعقد الثمين (٢٤٣/٥) - ٢٤٤.

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٦/١)، والعقد الثمين (٤٤٢/٥) - ٤٤٣.

(٦) في الأصل: ومن. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٩).

(٧) انظر ترجمته في: غاية المرام (٤٢٨/١)، والعقد الثمين (٤٤٧/١)، وشفاء الغرام (٣١٨/٢).

(٨) في الأصل إيتاخ، والتصويب من شفاء الغرام والعقد الثمين، وغاية المرام.

(٩) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٨/٢)، وغاية المرام (٤٣٢/١)، وذكره الفاسي في العقد الثمين (١٦٩/١).

وكسر الزاي المعجمة- مولى المعتصم، وكان من كبار قواد المتوكل، واستمر في ولايتها إلى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبع وأربعين، وولي الخلافة ابنه المنتصر، ومات بعد ستة أشهر.

وأما ولايتها في خلافة المستعين بن المعتصم: فعبد الصمد بن موسى - المتقدم ذكره-، وذلك في سنة تسع وأربعين. وولي بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس المعروف بشاشات^(١)، وكان ولايته سنة خمسين ومائتين، واستمر إلى سنة إحدى وخمسين.

ثم وليها بعد شاشات بالتغلب: إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢)؛ لأنه لما تغلب على مكة هرب منه عاملها جعفر شاشات وغيره، وقتل الجند الذي بمكة وجماعة من أهل مكة، ونهب منزل شاشات وغيره، وأخذ من الناس مائتي ألف دينار، وعمد إلى الكعبة الشريفة وأخذ كسوتها، وأخذ ما في خزائنها من الأموال، وما كان حمل من المال لإصلاح العين، ونهب مكة وأحرق بعضها، ثم خرج منها في شهر ربيع الأول بعد إقامته فيها خمسين يوماً، وقصد المدينة الشريفة فتوارى عنه عاملها، فرجع إلى مكة في رجب، فحصر أهلها حتى ماتوا جوعاً وعطشاً، وبلغ الخبز ثلاثة أواق

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٩/٢)، وغاية المرام (٤٣٣/١)، والعقد الثمين (٤٢٧/٣).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣١٩/٢)، وغاية المرام (٤٣٤/١)، والعقد الثمين (٣١١/٣) -

(٣١٣)، وابن خلدون (٩٨/٤)، والأعلام (٣٢٩/١).

بدرهم، ولقي أهل مكة منه بلاءً شديداً، ثم سار إلى جدة، فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب، ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها، وقتل من الحجاج ألفاً ومائة إنسان، وهب الناس، فهرب الحجاج، ولم يقف بعرفة أحد لا ليلاً ولا نهاراً سوى إسماعيل وعسكره، ثم بعد انفصاله من عرفة رجع إلى جدة ثانياً، وأفنى أموالها، وفعل أموراً قبيحة ليس هذا محل ذكرها. هذا كله في خلافة المستعين. كذا في الجامع اللطيف^(١).

وفي خلاصة الكلام^(٢): ثم مات إسماعيل بالجُدري^(٣) سنة مائتين واثنين وخمسين.

ومن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة المستعين اثنان: ابنه العباس^(٤)، ومحمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين^(٥).

وأما ولائها في خلافة المعتز بالله^(٦) واسمه: محمد - وقيل: طلحة، وقيل: الزبير - بن المتوكل العباسي: فعيى بن محمد بن إسماعيل المخزومي^(٧).

(١) الجامع اللطيف (ص: ٢٩٩-٣٠٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٠).

(٣) الجدري: مرض جلدي معد يتميز بطفح حليمي يتقح ويعقبه قشر (المعجم الوسيط ١/١١٠).

(٤) انظر ترجمته في: غاية المرام (١/٤٣٨). وذكره الفاسي في شفاء الغرام (٢/٣٢٠)، وفي العقد الثمين (١/١٦٩).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٠)، وغاية المرام (١/٤٣٧). وذكره الفاسي في العقد الثمين، الموضع السابق.

(٦) كانت خلافة المعتز بالله بن المتوكل ثلاث سنوات من (٢٥٢-٢٥٥هـ).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٢٠)، وغاية المرام (١/٤٣٩)، والعقد الثمين (٦/٤٦٢-٤٦٤).

(٤٦٤)، وجهرة الأنساب لابن حزم (ص: ١٤٩).

وذكر الفاكهي^(١) ما يقتضي: أنه ولي مكة مرتين.

ومن ولائها في خلافة المعتز أو خلافة المهدي أو خلافة المعتمد أحمد ابن المتوكل -على الشك-: محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور العباسي، الملقب كعب البقر^(٢)، وولايته لا يخرج عن أحد هؤلاء الثلاثة. وقتل المعتز سنة مائتين وخمس وخمسين.

وولي الخلافة المهدي بن الواثق؛ فولي مكة في زمنه: علي بن الحسن الهاشمي^(٣)، وهو أول من فرق بين الرجال والنساء في جلوسهن في المسجد الحرام، أمر بحبال تربط بين الأساطين التي يقعدون عندها [تفصل]^(٤) بينهن وبين الرجال.

وأما ولائها في خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي فجماعة: أخوه أبو أحمد الموفق، واسمه: طلحة، وقيل: محمد بن المتوكل^(٥)، وذلك في سنة سبع وخمسين ومائتين؛ فإبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس العباسي، الملقب [بريه]^(٦) - بموحدة

(١) الفاكهي (١٨٤/٣).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢١/٢)، وغاية المرام (٤٤١/١)، والعقد الثمين (٣٦٤/١) - (٣٦٥).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٢/٢)، وغاية المرام (٤٤٣/١)، والعقد الثمين (١٥١/٦) - (١٥٢).

(٤) في الأصل: ففصل. والمثبت من الجامع اللطيف (ص: ٣٠١).

(٥) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٢/٢)، وغاية المرام (٤٤٥/١)، والعقد الثمين (٦٧/٥)، والكامل (حوادث سنة ٢٧٨هـ)، والطبري (١٥٨/٨)، وتاريخ بغداد (١٢٧/٢)، والنجوم الزاهرة (٧٩/٣)، والأعلام (٢٢٩/٣).

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٣/٢)، وغاية المرام (٤٤٧/١)، والعقد الثمين (٢٤٧/٣) - (٢٤٩)، وجمهرة أنساب العرب (ص: ٣٤). وفيهم: الملقب بـبرية، وهو الصواب.

ثم زاي معجمة^(١) ثم مشاة تحتية ثم هاء الوقف -، وكانت ولايته في حدود تسع وخمسين ومائتين إلى إحدى وستين ومائتين.

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ستين ومائتين^(٢): وفيها اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام، فأنجلي من مكة ورحل عنها عاملها وهو [بريه]، وبلغ كر الحنطة ببغداد عشرين ومائة دينار، ودام ذلك شهوراً. انتهى.

وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي^(٣)، وأبو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومي^(٤)، ولد عيسى بن محمد، المتقدم ذكره في خلافة المعتز آنفاً.

قال الفاسي^(٥): وأما ولاية أبي المغيرة وأبي عيسى المخزوميين فذكرها ابن حزم^(٦)، لأنه قال بعد ذكر نسب أبي المغيرة وأبي عيسى: وكان المعتمد قد ولّى أبا عيسى هذا مكة، ثم عزله بأبي المغيرة المذكور، فتحارباً، فقتل أبو عيسى، ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبي عيسى بين يديه. انتهى.

(١) الصواب ألفا براء مهملة كما ورد في شفاء الغرام والكامل في التاريخ.

(٢) الكامل (٢٤٨/٦).

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٤٦٤/١)، والعقد الثمين (٣٨٦/٢-٣٨٧)، وانظر: شفاء الغرام (٣٢٢/٢).

(٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٥/٢)، وغاية المرام (٤٥٨/١)، والعقد الثمين (٢٤٦/٢-٢٤٨)، وجمهرة أنساب العرب (ص: ٤٩).

(٥) شفاء الغرام (٣٢٥/٢).

(٦) جمهرة أنساب العرب (ص: ١٤٩).

ولم أدر متى كانت ولاية أبي عيسى.
وذكر الفاكهي^(١) ما يقتضي: أن أبا عيسى محمد بن يحيى المخزومي
ولي مكة نيابة عن الفضل بن العباس؛ لأنه قال: "وكان محمد بن يحيى
المخزومي وليها، استخلفه عليها الفضل بن عباس"، فقال شاعر من أهل
مكة:

أتعجبوا يا بني المغيرة فيها فبنو حفص منكم أمراء
انتهى.

ولا مانع من أن يكون أبو عيسى ولي مكة عن الفضل بن العباس
نيابة كما ذكر الفاكهي، وعن المعتمد استقلالاً كما ذكر ابن حزم. والله
أعلم. انتهى.

وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن
محمد ابن علي بن عبدالله بن عباس^(٢). قال الفاسي^(٣): ذكره ابن
حزم^(٤) وقال: ولي المدينة ومكة، وحج بالناس من سنة ثلاث وستين
ومائتين إلى سنة ثمان وسبعين ولأء، ثم هرب من مكة عند الفتنة، فترل
مصر ومات بها.

ومحمد بن [أبي]^(٥) الساج^(٦)، وأخوه يوسف بن [أبي]^(٧)

(١) الفاكهي (١٨٤/٣).

(٢) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٧/٢)، وغاية المرام (٤٥٣/١)، والعقد الثمين (٣٥٧/٧-٣٥٨).

(٣) شفاء الغرام (٣٢٧/٢).

(٤) جهرة أنساب العرب (ص: ٣٣).

(٥) قوله: "أبي" زيادة على الأصل. وانظر مصادر ترجمته.

(٦) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٤/٢)، وغاية المرام (٤٥٦/١)، والعقد الثمين (٢٥/٢). وانظر: الأراج

المسكي (ص: ٣٥٥).

(٧) قوله: "أبي" زيادة على الأصل. وانظر مصادر ترجمته.

الساج^(١). قال الفاسي^(٢): وأما ولاية محمد بن أبي الساج فذكرها ابن جرير^(٣)؛ لأنه قال في أخبار سنة ست وستين ومائتين: وفي شهر ربيع الأول^(٤) مات أبو الساج [بجُنْدَيْسَابُور]^(٥)، وولى ابنه محمد الحرمين وطريق مكة.

وأما ولاية أخيه يوسف بن أبي الساج، فذكرها ابن الأثير^(٦)؛ لأنه قال في أخبار سنة إحدى وسبعين ومائتين: وفيها عُقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة، فوثب يوسف بن أبي الساج -وهو والي مكة- على بدر -غلام الطائي-، وكان أميراً على الحجاج، فحاربه وأسره، فثار الجند والحاج بيوسف فقاتلوه، واستنقذوا بدرًا، وأسروا يوسف وحملوه إلى بغداد، وكانت الوقعة بينهم على أبواب المسجد الحرام^(٧). انتهى.

وأما ولائها في خلافة المعتضد أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق [ابن]^(٨) المتوكل العباسي، ثم في خلافة أولاده:

(١) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٤/٢)، وغاية المرام (٤٥٧/١)، والعقد الثمين (٤٨٧/٧).

(٢) شفاء الغرام (٣٢٤/٢).

(٣) تاريخ الطبري (٥٢٣/٥).

(٤) في شفاء الغرام وتاريخ الطبري: ربيع الآخر.

(٥) في الأصل: بجندلسابور. والتصويب من شفاء الغرام (٣٢٤/٢)، وتاريخ الطبري (٥٢٣/٥).

وجنديسابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده (معجم البلدان ١٧٠/٢).

(٦) الكامل (٣٤٣/٦).

(٧) إتحاف الوری (٣٤٤/٢)، وتاريخ الطبري (٥٩١/٥)، والمنظم (٨٠/٥).

(٨) قوله: "ابن" زيادة من شفاء الغرام (٣٢٧/٢)، والجامع اللطيف (ص: ٣٠٣).

المكتفي^(١) والمقتدر^(٢) والقاهر^(٣)، ثم في خلافة الراضي^(٤)، وفي

(١) المكتفي بالله علي بن المعتضد. ولد عام ٢٦٤هـ، وأمه تركية اسمها جيجك. كان يضرب بحسن المكتفي المثل.

قال الصولي: وليس من الخلفاء من اسمه علي إلا المكتفي والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

بويع المكتفي بالخلافة عام ٢٨٩هـ، ومات في عام ٢٩٥هـ، وعمره ٣١ سنة، ومدة خلافته (٦) سنين و(٦) أشهر و(١٩) يوماً. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١١٥-١١٦).

(٢) جددت البيعة بالخلافة للمقتدر جعفر بن المعتضد ليلة ١٤ في ذي القعدة عام ٢٩٥هـ بعد خلعه منها ومبايعة عبدالله بن المعتز العباسي الشاعر البليغ، خوطب عبدالله بالخلافة ولقب بالمرتضى، ولم يمكث فيها إلا يوماً أو بعض يوم، ثم انتصر المقتدر وجددت له البيعة بالخلافة، وحبس عبدالله بن المعتز، ثم قتل في عام ٢٩٦هـ، وعمر المقتدر وقت تجديد بيعته داخل في ١٤ سنة.

وأمه رومية، وقيل: تركية اسمها غريب، وقيل: شغب.

ولد عام ٢٨٢هـ، وقتل عام ٣٢٠هـ في شوال في ثورة مؤنس عليه، قتله بربري من جند مؤنس، ومدة خلافته (٢٤) سنة و(١١) شهراً، و(١٤) يوماً، وعمره (٣٨) عاماً. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١١٦-١١٧).

(٣) القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد، وأمه أم ولد اسمها فتنة.

بويع بالخلافة عام ٣٢٠هـ، ومات عام ٣٣٣هـ، وعمره (٥٢) سنة، ومدة خلافته سنة واحدة وستة أشهر وسبعة أيام، وسبب خلعه من الخلافة سوء سيرته وسفكه الدماء، فامتنع من الخلع فسملت عيناه حتى سالتا على خديه، وبقي أعمى حتى مات عام ٣٣٣هـ. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١٢٠).

(٤) الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد العباسي. ولد عام ٢٩٧هـ، وأمه أم ولد رومية اسمها ظلوم.

بويع بالخلافة يوم خلع الجند القاهر وسمّلوا عينيه، أو سمّله الراضي سنة ٣٢٢هـ يوم الأربعاء سابع جمادى الأولى. ومات عام ٣٢٩هـ في منتصف ربيع الأول، ومدة خلافته (٦) سنين و(١٠) أشهر و(١٠) أيام، وعمره (٣١) سنة و(١٠) أشهر. (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١٢٠).

خلافة [المتقي]^(١)، ثم المستكفي^(٢)، ثم المطيع^(٣)؛ فجماعة كثيرة، لم يعرف منهم سوى: عج - بالعين المهملة والجيم - بن حاج^(٤)، ولم يعلم مبدأ ولايته متى كانت؛ غير أن إسحاق الخزاعي ذكر أنه كان والياً على مكة في سنة إحدى وثمانين ومائتين^(٥).

(١) في الأصل: المتقي. والتصويب من شفاء الغرام (٣٢٧/٢)، والجامع اللطيف (ص: ٣٠٣). والمتقي بالله هو: أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد العباسي. بويغ بالخلافة بعد موت أخيه الراضي عام ٣٢٩هـ، وهو ابن (٣٤) سنة، وأمه أمة اسمها خلوب، وقيل: زهرة. وكان كثير الصوم والتعب. مات في شعبان سنة ٣٥٧هـ، وعمره (٦٠) سنة، ومدة خلافته (٣) سنين و(٥) أشهر و(٢٠) يوماً، وقيل: (١١) شهراً. هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٢٢-١٢٣).

(٢) المستكفي بالله أبو القاسم عبدالله بن المكفي بن المعتضد العباسي. أمه أم ولد اسمها أملح الناس، وفي تاريخ بغداد: اسمها غصن. ولم تدرك خلافة ابنها. بويغ بالخلافة عند خلع المتقي سنة ٣٣٣هـ وعمره وقتئذ (٤١) سنة. وفي يوم ٢٢ جمادى الآخر عام ٣٣٤هـ حضر معز الدولة عند الخليفة المستكفي فجلس على سرير بين يديه، وجاء رجالان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه من كرسيه وسجابه، ونهض معز الدولة، واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحرم، وتفاقم الحال وسبق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقتدر فبويغ بالخلافة، وسميت عينا المستكفي وأودع السجن، ولم يزل مسجوناً به حتى وفاته في عام ٣٣٨هـ، وله من العمر (٤٦) سنة وشهران، ومدة خلافته سنة وأربعة أشهر ويومان. هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٢٣).

(٣) أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد العباسي. أمه أم ولد اسمها شغلة، وفي قول: مشغلة. ولد عام ٣٠١هـ، وبويغ بالخلافة عند خلع المستكفي في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤هـ، وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة بمائة دينار فقط، ثم خلع منها في (١٣) أو (١٩) من القعدة عام ٣٦٤هـ، وولى ابنه الطائع، ثم مات عام ٣٦٥هـ في الحرم، وعمره (٦٣) سنة، ومدة خلافته (٢٩) سنة وأشهر. هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٢٤).

(٤) أنظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٨/٢)، وغاية المرام (٤٦٥/١)، والعقد الثمين (٥٧/٦-٥٨)، وتاريخ الطبري (٣٧٤/٥، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٣٩).

(٥) الجامع اللطيف (ص: ٣٠٣)، وشفاء الغرام (٣٢٧/٢-٣٢٨).

[قال] ^(١) الفاسي ^(٢): وذكر ابن الأثير ^(٣) ما يدل على أنه كان والياً على مكة في سنة خمس وتسعين ومائتين؛ لأنه قال في أخبار هذه السنة: وفي هذه السنة كانت وقعة بين عج بن حاج وبين الأجناد بمضى ثاني عشر ذي الحجة فقتل منهم جماعة، لأنهم طلبوا جائزة بيعة المقتدر، وهرب الناس إلى بستان ابن عامر. انتهى.

ومؤنس المظفر ^(٤)، وذلك في سنة ثلاثمائة حسبما ذكره ابن الأثير ^(٥)، وكان أميراً على الحرمين والثغور بالعقد لا بالمباشرة.

وابن ملاحظ ^(٦)، ترجمه الهمداني "بسلطان مكة" من غير ذكر تاريخ.

ومن وليها في هذه المدة: ابن محارب ^(٧)، ولم يعلم أول ولايته.

ومحمد بن طُغج المعروف بالإخشيد ^(٨)، عقد له بها ولولديه أبي القاسم

(١) كلمة غير ظاهرة في الأصل، ولعلها كما أثبتناها.

(٢) شفاء الغرام (٣٢٨/٢).

(٣) الكامل (٤٣٩/٦). وانظر: إتحاف الوري (٣٦٠/٢)، وتاريخ الطبري (٦٧٠/٥).

(٤) مؤنس المظفر: من أمراء المقتدر. خرج عليه عام ٣١٧ هـ، وقتله مع جماعة من البربر عام

٣٢٥ هـ. قتله القاهرة عام ٣٢٥ هـ (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٣٢٨/٢، وغاية المرام

٤٦٧/١، وتاريخ الخلفاء ص: ٣٨٢، والنجوم الزاهرة ٢٣٩/٣)، وذكره الفاسي في العقد

التمين (٣١٤/٧).

(٥) الكامل (٤٧٧/٦).

(٦) انظر ترجمته في: غاية المرام (٤٦٧/١)، وانظر: شفاء الغرام (٣٢٨/٢).

(٧) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٢٩/٢)، وغاية المرام (٤٦٨/١)، والعقد الثمين (٤١٦/١)

وفيه: محمد بن إسماعيل بن مخلب.

(٨) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٣٠/٢)، وغاية المرام (٤٧٠/١)، والعقد الثمين (٣٥-٣٠/٢)،

وتجارب الأمم (١٠٤/٦)، وابن الأثير (١٥٠/٨)، والوافي بالوفيات (١٧١/٣)، والمغرب في

حلي المغرب (١٩٧-١٤٨/٢)، وابن الوردي (٢٦٧-٢٧٩)، والأعلام (١٧٤/٦)،

وولادة مصر ٢٩٩، وتاريخ ابن عساكر (٢٤٣-٢٤٤)، والمنظم ١٣٤٧/٦، ووفيات

وعلي، وكان مبدأ ذلك سنة ثلاثمائة وإحدى وثلاثين.

قال الفاسي^(١): ولا أعلم من باشر لهم ولاية مكة، وإنما ولوها بعقد من المكتفي، ولما مات الإخشيد تولى كفالة ولديه كافور الإخشيدي^(٢) بمصر.

وممن ولي مكة: القاضي أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبدالعزيز العباسي^(٣)، وذلك سنة ثلاثمائة وثمان وثلاثين، وقيل: إنه باشر ذلك لعلي ابن الإخشيد.

وفي سنة ثلاثمائة وواحد^(٤) وقع في الموسم: أن محمد بن سليمان من ولد محمد داود العلوي خطب لنفسه بالإمامة في مكة، وخلع طاعة العباسيين، وكان أول خطبته: الحمد لله الذي أعاد الحق لنظامه، وأبرز زهر الإسلام من أكمامه، وكمل دعوة خير الرسل بأسباطه لا [بني]^(٥) أعمامه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وكف عنهم ببركته أمر^(٦) المعتدين، وجعلها في عقبه إلى يوم الدين،

الأعيان ٥٦/٥-٦٣، والعبر (٢/٢٣٩-٢٤٠)، ومروءة الجنان (٢/٣١٤-٣١٦)، والبداية والنهاية (١١/٢١٥)، والنجوم الزاهرة (٣/٢٣٥-٢٣٧)، وشذرات الذهب (١/٣٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٣٦٥).

(١) شفاء الغرام (٢/٣٣١).

(٢) كافور الإخشيدي: اشتراه طغج وجعله أتاك ولد، قام بتدبير دولته. استقل بمصر عام ٣٥٥هـ، وجمع له الشام والحجاز (انظر ترجمته في: غاية المرام ١/٤٧٨، ووفيات الأعيان ٩٩/٤).

(٣) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٢/٣٣١)، وغاية المرام (١/٤٧٩).

(٤) إتخاف الورى (٢/٣٦٢)، والعقد الثمين (٢/٢٤)، وخلاصة الكلام (ص: ١٥).

(٥) في الأصل: بني. والتصويب من إتخاف الورى والعقد الثمين، الموضوعان السابقان.

(٦) في إتخاف الورى والعقد الثمين: أيدي.

ثم أنشد:

لأَطْلَبُ بَنَ بِسِيفِي	مَنْ كَانَ لِلْحَقِّ دِينَا
وَأَسْطُونُ بِقُومِ	بَغَوْا وَجَارُوا عَلَيْنَا
يُهِدُونَ كُلَّ بِلَاءِ	مَنْ الْعِرَاقَ إِلَيْنَا

وفي سنة ثلثمائة وسبع عشر كان دخول القرامطة مكة، وقد مرّ قصة دخولهم فيها في الفصل الثالث عشر من الباب الثالث^(١).

وفي سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين^(٢) خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت في حكم دولة العبيديين، واشتهروا أيضاً بالفاطميين، ودخلها قائدهم القائد جوهر، وهو عبد المعز العبيدي، ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة وإحدى وستين، ثم اتسع ملكهم حتى دعي لهم على منابر الحرمين، فصارت الخطبة الإسلامية على قسمين؛ فمن بغداد^(٣) وحلب^(٤)

(١) (٥٠٩/٢).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٦).

(٣) تقدم التعريف بها في الجزء الأول، وانظر فهارس الكتاب.

(٤) تقدم التعريف بها في الجزء الأول، وانظر فهارس الكتاب.

وسائر ممالك الشرق إلى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسي،
ومن حلب إلى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبديين.

ذكر دولة الأشراف بمكة

قال العلامة السيد أحمد دحلان رحمه الله في تاريخ الدول الإسلامية^(١): اعلم أن مكة شرفها الله تعالى كانت يتداولها عمال الخلفاء، ثم ملكها من الأشراف ثلاث طبقات قبل آل قتادة وبنيه؛ الطبقة الأولى: الموسويون^(٢)، ويقال لهم: بنو موسى، والثانية: السليمانيون^(٣)، والثالثة: الهواشم^(٤). فهذه الثلاث طبقات تداولت إمارة مكة قبل آل قتادة مائتين وأربعين سنة، من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة إلى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ثم انتزعها منهم الشريف قتادة، وبقيت في بنيه إلى يومنا هذا، ثبت الله ملكهم.

والطبقات الثلاث يجتمعون مع بني قتادة في موسى الجون، فكلهم حسنيون. انتهى.

(١) تاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٣٩).

(٢) نسبة إلى موسى بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام ص: ١٢٩).

(٣) نسبة إلى سليمان بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (هامش المرجع السابق).

(٤) نسبة إلى هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الناصر بن موسى بن عبدالله الرضى بن موسى الجون... إلخ (هامش المرجع السابق).

الطبقة الأولى:

قال العلامة المذكور في خلاصته^(١): وأول من ملك مكة من بني موسى: جعفر بن محمد بن الحسين، وقيل: ابن الحسن بن محمد الثائر بن موسى الثاني ابن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله الخضر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب^(٢)، تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الإخشيدية قبل أن يملك مصر العبيديون، وكان ذلك بعد موت كافور الإخشيدي، وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وست وخمسين، وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين، وقيل: ست وخمسين، وقيل: سنة ثلاثمائة وستين. وسبب ذلك: أنه وقعت فتنة بين بني حسن وبني حسين أصحاب المدينة، وكان جعفر بن محمد بالمدينة، فبادر وملك مكة، ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدي فكتب له المعز بولاية مكة. انتهى.

وفي تحصيل المرام^(٣): نقل السيد النسابة أحمد بن عنبه في كتابه عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب^(٤): أن الأمير جعفر أول من ملك مكة من بني موسى الجون، وكان مبدأ تمكنها من الأشراف بعد الأربعين والثلاثمائة، وكان حاكم مكة أنكجور^(٥) التركي من قبل

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٦). وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٢٨).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/ ٤٢٩-٤٣٠)، وشفاء الغرام (٢/ ٣٣١-٣٣٢)، وغاية المرام (١/ ٤٨٠-٤٨٢).

(٣) تحصيل المرام (ورقة ١٨٢).

(٤) عمدة الطالب (ص: ١٠٢-١٠٣).

(٥) في عمدة الطالب: أنكجوار.

المعز الفاطمي، فقتله أبو محمد جعفر واستوت له تلك النواحي، وبقيت في يده نيفاً وعشرين سنة. انتهى.

ثم لما توفي جعفر المذكور تولى ابنه عيسى بن جعفر^(١)، وفي مدة ولايته سنة خمس وستين وثلثمائة أرسل العزيز العبيدي صاحب مصر [أميراً]^(٢) علوياً لمكة ولاه نائباً عنه، فحصر مكة واشتد الغلاء، ولم يحج أحد من العرب في هذه السنة، وتوالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لأجل طلب الخطبة لهم، وما زال الأمر حتى خطبوا للعزيز، وتوفي العزيز سنة ثلثمائة وست وثمانين، فولي مصر ابنه الحاكم بأمر الله، ودامت ولاية عيسى بن جعفر إلى سنة ثلثمائة وأربع وثمانين.

ثم ملكها بعده: أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر^(٣)، ودامت ولايته إلى أن توفي سنة أربعمائة وثلثين، إلا أن الحاكم العبيدي صاحب مصر كان قد ولى مكة: أبا الطيب ابن عم أبي الفتوح لما خرج أبو الفتوح عن طاعته. وقيل: إن أخواً لأبي الفتوح تغلب على مكة في زمن عصيان أبي الفتوح على الحاكم إلى أن رده بعد أن أطاعه^(٤).

وكان عصيان أبي الفتوح للحاكم صاحب مصر سنة أربعمائة وواحد،

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦/٤٥٨)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٢)، وغاية المرام (١/٤٨٢-٤٨٣).

(٢) في الأصل: أمير. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٦).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٦٩-٧٩)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٢-٣٣٥)، وغاية المرام (١/٤٨٣-٤٩٤).

(٤) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣١-١٣٢).

وقيل: سنة أربعمائة واثنين.

وسبب ذلك على ما ذكره الفاسي^(١): أن الوزير أبا القاسم المغربي لما قتلَ الحاكمُ أباه، هرب منه إلى آل الجراح^(٢) واستجار بهم، فبعث الحاكم إليهم من حارهم، فكان الظفر لآل الجراح، فحسّن لهم الوزير المغربي عزل الحاكم ومبايعة أبي الفتوح. وقصد أبو الفتوح بمكة، وحسّن له طلب الخلافة، فاعتذر له بقلّة المال، فحسّن له أخذ مال الكعبة، ولم يزل به حتى أخذ مال الكعبة، وأمواً للتجار من جدة، وخطب لنفسه بمكة، وبايعه شيوخ بني حسن وغيرهم من سكان الحرمين، وتلقب بالراشد، وخرج من مكة إلى الرملة^(٣) مع ابن المغربي قاصداً آل الجراح في جماعة من بني عمه، ومعه ألف عبد أسود، ومعه سيف يزعم أنه ذو الفقار - سيف علي بن أبي طالب -، وقضيب^(٤) يزعم أنه قضيب النبي ﷺ.

(١) شفاء الغرام (٢/٣٣٣).

(٢) آل الجراح: من طيء. تولوا رئاسة جنوب الشام - فلسطين - أيام العُيَديين. وظهر منهم مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وأبناؤه، وبالأخص حسان بن مفرج الذي لعب دوراً كبيراً زمن الحاكم العبيدي (انظر: تاج العروس ١٢٤/٥، وتاريخ ابن خلدون ٧/٦). وانظر تفاصيل هذه الحوادث في: (وفيات الأعيان ١٧٤/٢، وإتحاف الوری ٤٣٥/٢ - ٤٤١).

(٣) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها، وكانت رباطاً للمسلمين (معجم البلدان ٦٩/٣).

(٤) كان لرسول الله ﷺ قضيب يسمى: المشوق (تاريخ القضاء ص: ٢٤٦).

قال في الوقائع^(١) بعد ذكر القصة وأخذه لمال الكعبة وأموال التجار: وخطب - يعني أبا الفتوح - للناس^(٢) فقال في أول خطبته ﴿طَسَمَ ①﴾ يَلَاكَ ② أَيْنْتُ الْكِتَابِ الْعَمِينِ ③ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ④ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ⑤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ⑥ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِثْلَ نَارٍ اتَّخَذَتْ ⑦ [القصص: ١ - ٦]

وخرج من مكة إلى الشام، فدانت له العرب هنالك، وسلموا عليه بالخلافة، وأظهر العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فانزعج منه الحاكم صاحب مصر، وخضع لآل الجراح، واستمال منهم حسان ابن [مفرج]^(٣)، فبذل له وإخوانه أموالاً جزيلة على أن يخلوا بينه وبين أبي الفتوح.

فلما فطن لذلك أبو الفتوح استجار بمفرج أبي حسان، فكتب مفرج إلى الحاكم بشأنه، ففرح الحاكم ورضي عنه، وأعادته إلى مكة والياً عليها. وفي هذه المدة التي غاب عنها أبو الفتوح، وليها أبو الطيب.

قال القاسي^(٤): ولعله أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله بن موسى الجون

(١) الوقائع الحكيمة للسيد البهنسي. وانظر الخبر في: العقد الثمين (٧٣/٤)، وإتحاف الوري (٤٣٨/٢)، وغاية المرام (٤٨٧/١).

(٢) في الأصل زيادة: فحاول خطبة. وهي زيادة لا معنى لها. (انظر: العقد الثمين، وإتحاف الوري، وغاية المرام، المواضع السابقة).

(٣) في الأصل: مفرج. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من منائح الكرم (٢١٩/٢)، وشفاء الغرام (٣٣٣/٢).

(٤) شفاء الغرام (٣٣٤/٢)، والعقد الثمين (٥٧/٨). وانظر: غاية المرام (٩٤٩/١).

ابن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب دمية القصر^(١)، وأورد له من الشعر

قوله:

وصلتني الهمومُ وَصَلْ هواك وجفائي الرقادُ مثل جفاك
وحكى لي الرسول أنك غضبي يا كفى الله شر ما هو حاك

وكان فيه من الشجاعة والنجدة والقوة ما لا مزيد عليه. يحكى أن أخته

أرسلت إليه [مرة]^(٢) بدراهم ليأخذ لها حنطة، فأنف من ذلك، فأخذ الدراهم

وفركها بيده، حتى محا رَسَمَهَا وذهب نَقْشُهَا، وردّها إليها مع حنطة أرسلها

لها. وقال لحامل الدراهم: إن هذه الدراهم زيوف^(٣) لا تصلح. فبلغ أخته

ذلك - وكانت مثله في القوة - فأخذت كفاً من الحنطة وفركتها، حتى صيرته

دقيقاً، ثم أرسلت به إليه وقالت: إن هذه الحنطة لا تصلح. كذا في منائح

الكرم^(٤).

وقال ابن فهد في حوادث سنة تسعين وثلثمائة^(٥): فيها أشار بعض

(١) صاحب دمية القصر علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب البخاري السنجي

أبو الحسن. توفي سنة ٤٦٧هـ. والكتاب ذيل على يتيمة الدهر للثعالبي (معجم الأدباء

١٦٨٢/٤).

(٢) قوله: "مرة" زيادة من منائح الكرم (٢٢٠/٢).

(٣) زيوف: يقال: زافت عليه ذراهمه: أي صارت مرذودة لغش فيها (لسان العرب، مادة:

زيف).

(٤) منائح الكرم (٢١٧/٢ - ٢٢٠)، وانظر: خلاصة الكلام (ص: ١٧).

(٥) إتخاف الوري (٤٢٦/٢)، وانظر: العقد الثمين (٧٧/٤)، ودرر الفرائد (ص: ٢٤٨).

الزنادقة^(١) على الحاكم العبيدي صاحب مصر بنش قبر النبي ﷺ وصاحبيه وحملهم إلى مصر، وزين له ذلك وقال: متى تم هذا الأمر شد^(٢) الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر، وكانت منقبة يعود جماها على مصر وساكيتها. فدخل ذلك عقل الحاكم، فأرسل إلى أبي الفتوح أمير مكة يأمره بذلك، فسار أبو الفتوح إلى المدينة، وأزال عنها إمرة بني مهنا^(٣) من بني الحسين؛ لما بلغه عنهم من القدح في نسب العبيديين، وجلس أبو الفتوح بالمسجد وحضر إليه جماعة من أهلها؛ لأنه كان بلغهم ما قدم هو بسببه، وكان حضر معهم قارئ يعرف بالركباني، فقرأ بين يدي أبي الفتوح في المجلس ﴿وَإِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ۚ﴾ (١٢) ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَحُوا أَخْيَارَكُمْ وَنَكَحُوا آبَاءَكُمْ فَأَخْرِجُوا عَنْكُمْ دِينَهُمْ وَأَخْزَايَا الرُّسُولِ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ آخِئًا أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ﴾ (١٣) ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُصِفْ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۚ﴾ (١٤) [التوبة: ١٢-١٤].

قال: فماج الناس، وكادوا أن يقتلوا أبا الفتوح ومن معه من الجند، وما منعهم من السرعة إلى ذلك إلا أن البلاد كانت للحاكم. فلما رأى أبو الفتوح ما الناس عليه قال لهم: الله أحق أن يُخشى، والله لا أتعرض إلى

(١) الزنادقة: القول بأزلية العالم، وأطلق على الزردشتية والمناوية وغيرهم من الثوية، وتوسّع فيه فأطلق على كل شاك، أو ضال، أو ملحد (المعجم الوسيط ٤٠٣/١).

(٢) في إتخاف الورى: يشد.

(٣) بنو مهنا الحسينيون: من الحسينيين أمراء المدينة.

شيء من ذلك، ودَعِ الحاكم يفعل في ما أراد، ثم استولى عليه ضيق الصدر وتقسيم الفكر؛ كيف أجاب؟! فما غابت الشمس في بقية ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرض تُزَلْزَلُ من فوقها، حتى دحرجت الإبل بأقنابها والخيول بسروجها كما تدحرج الكرة على وجه الأرض، وهلك خلق كثيرون من الناس، وانفرج همّ أبي الفتوح وذهب رَوْعُهُ من الحاكم لما أرسل الله تلك الرياح التي شاع ذكرها في الآفاق؛ ليكون له حجة عند الحاكم من الامتناع من نبش القبور الكريمة، ثم عاد أبو الفتوح إلى مكة، وعاد بنو مهنا إلى المدينة. انتهى.

وقال ابن فهد أيضاً في حوادث سنة خمس وتسعين وثلثمائة^(١): فيها أرسل صاحب مصر الحاكم [أبو علي منصور]^(٢) بن نزار إلى صاحب مكة أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني سجلاً ينتقص فيه بعض الصحابة، وجرح فيه بعض أزواج النبي ﷺ، فأرسل به الأمير إلى القاضي الموسوي - وأظنه إبراهيم ابن إسماعيل، وهو يومئذ قاضي مكة وما والاها - وأمره بقراءته على الناس، فلما فشى ذلك عند الناس من المجاورين والقاطنين بمكة والمجتمعين وغيرهم من قبائل العرب المجاورة - هذيل ورواحه - زحفوا إلى المسجد غَضَباً لله تعالى ولنبيه ﷺ ولصحابته رضوان الله عليهم، فلما بلغ ذلك القاضي آخر الخروج وأبطأ، فلما طال انتظار الناس له قال قائل: قد صعد المنبر، فرماه الناس بالحجارة، وزحفوا إليه، فلم يجدوا عليه أحداً، وتكسّر المنبر فصار رضراضاً،

(١) إتحاف الوري (٤٣١/٢).

(٢) في الأصل: الحاكم الحسن بن نزار. والمثبت من إتحاف الوري، الموضع السابق، عن مآثر الإنافة

(٣٢٢/١)، والنجوم الزاهرة (١٧٦/٤).

وكان يوماً عظيماً ومشهداً مهيباً، ولم يقدر بعد ذلك أحد [أن] ^(١) يُعلنَ بذلك المذهب. انتهى.

وقال أيضاً في حوادث سنة ست وتسعين وثلاثمائة ^(٢): وفيها أمر الناس بالقيام عند ذكر الحاكم صاحب مصر في الخطبة؛ لأن ذلك عاقم بمصر والشام، بل كانوا إذا ذكر قاموا وسجدوا في السوق ومواضع الاجتماع. انتهى.

ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه شكر، الملقب بتاج المعالي، واسمه: محمد، ويكنى أبا عبدالله ^(٣)، وكان جواداً عظيماً القدر، وفد عليه بعض العرب، وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجبية الخلقة، فأعجبت الشريف شكراً، لكن لم يسعه طلبها من ذلك العربي؛ لكونه نزل ضيفاً عنده، فلما رجع ذلك العربي إلى أهله أرسل إليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له: انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي، ولا تذكرني له، فأدرك القائد العربي في بعض المنازل فترل عليه، فلما عرفه أكرمه وفرح به، وأتاه بعد ساعة بلحم، فأكل ونام، فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس وأنه يريد شراءها، فأتاه العربي بجلدها وأكرعتها وقال له: إنك لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا نذبح لك، فما وجدنا غير الفرس فذبناها،

(١) قوله: "أن" زيادة من إتحاف الوري (٤٣١/٢).

(٢) إتحاف الوري (٤٣٢/٢).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (١٤/٥-١٦)، وشفاء الغرام (٣٣٥-٣٣٦)، وغاية المرام (٤٩٧/١-٤٩٩).

وكانت ضيافتك من لحمها، فشكر له القائد ذلك وأسلمه المائة دينار، ورجع إلى الشريف شكر وأخبره بالخبر فقال له: أحسنت، ولو رجعت بالدرهم ألحقتك بالفرس. وأما الآن فأنت حرّ لوجه الله تعالى. كذا في خلاصة الكلام^(١).

وذكر هذه القصة أيضاً العلامة الشيخ محمد بن علي بن فضل الطبري في إتحاف فضلاء الزمن^(٢)، ثم قال:

ويضاهي ذلك أن بعض أشراف مكة أيضاً يسمى: هزاع بن باز - من ذوي عيسى - أرسل عبده يقبض معلومه من عند مُقَدَّم صاحب مكة، فأقبضه إياه وربطه في طرف رداءه ربطاً محلولاً، فأنحلّ الربط وتبددت الدراهم، فصاحوا عليه الناس: دراهمك، فالتفت فرآها وتركها، ولم يعد لجمعها، فلما جاء إلى سيده سأله عنها فقال: قبضتها، وفي أثناء الطريق انشرت، فاستحييت أن أكون غلامك وأعود للقطها، فقال: نعم ما فعلت، ووالله لو لقطتها لفعلت فيك [وتركت]^(٣).

ومما استفاض خبره: أن مولانا الشريف حسن بن أبي نغمي كان له مزين هندي يخلق له رأسه، رأى عنده في بعض الأيام شراب صندل^(٤)، فسأله قليلاً

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٨). وانظر: منائح الكرم (٢/ ٢٢٢-٢٢٣)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٣-١٣٤ وهامشه).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١٩٤-٩٦).

(٣) قوله: "وتركت" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (١/ ٩٥).

(٤) الصندل: شجر خشبه طيب الرائحة يظهر طيبها بالذئك أو بالإحراق (المعجم الوسيط ٥٢٥/١).

منه فقال: اتني بزُبْدِيَّة^(١) أضع لك فيها، فجاءه الدور الثاني ومعه زبدية قهوة، فبعد أن حلق الشريف قدم له الزبدية وسأله ما كان وعده، فتهدده الشريف وقال له: ما هذه الزبدية؟ كنت أتيت بأكبر منها، ثم وهبه الماعُون^(٢) الذي كان فيه الشراب جميعه، وقال: أنا أعطيك على قدر مقداري لا على قدر مقدارك.

ومما يضاهي ذلك: أن مولانا الشريف محمد بن يحيى بن زيد -والد مولانا الشريف دخيل الله المعروف بالعواجي- أرسل بعبد يقال له: أبو سويد إلى إمام اليمن بهدية، فعاد بمقابلها من الإمام، واختفى عن سيده وأذهبها جميعها، ثم دخل على بعض السادة الأشراف في أن يستسمحوا له سيده فيما ذهب، فجاء ذلك الشريف وفاوض محمد بن يحيى بن زيد في ذلك فقال له: هذا العبد أنا لا أسمع فيه دخل، لماذا دخل عليك ولم يأتي بنفسه وكان استسمحني، فهو ما رأى في أهلية بأن أسمح له بهدية الإمام، ووالله إنها ليست عندي بعظيم، ثم ما زال به ذلك الشريف حتى أنه سمح عن العبد المذكور. انتهى.

واستمرت ولاية الشريف شكر إلى أن مات في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

(١) الزبدية: وعاء من الخزف الحروق المطلي بالمينا يختار فيها اللبن (المعجم الوسيط ٣٨٨/١).
(٢) الماعون: اسم جامع لمنافع البيت كالقلندر والفأس والقضعة ونحو ذلك (المعجم الوسيط ٨٧٨/٢).

وكان له شعر حسن، منه:
قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تُهَانَ بِهَا وَجَانِبِ الذِّلِّ إِنْ الذِّلَّ يُجْتَنَّبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةً فَاَلْمُنْدَلُ الرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ

ويقال: إنه ملك مكة ثلاثاً وعشرين سنة^(١).

وذكر ميرك عن ابن خلدون^(٢): أن شكر المذكور حارب أهل المدينة، وجمع بين الحرمين ولم يعقب، وإنما صار أمر مكة بعده إلى عبد له. كذا قال ابن حزم^(٣).

وقال صاحب المرأة عن محمد الصولي: أنه آخر بنتاً، وتزوج بها محمد بن جعفر أول أمراء الهواشم - الآتي ذكره -. ذكره في منائح الكرم^(٤).

الطبقة الثانية من ولاية مكة: يقال لهم: بنو أبي الطيب، وهم السليمانيون.

فأول من ولي مكة منهم: أبو الطيب داود بن عبدالرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله الثاني بن موسى الجون^(٥)، وكانت ولايته في بعض السنين التي كان فيها أبو الفتوح الموسوي منازعاً

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٨).

(٢) العبر (٢٤٦/٣).

(٣) جهرة أنساب العرب (ص: ٤٧). وانظر: شفاء الغرام (٣٣٥/٢)، وغاية المرام (٤٩٩/١-٥٠٠).

(٤) منائح الكرم (٢٢٤/٢-٢٢٥).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٥٧/٨-٥٩)، وغاية المرام (٤٩٤/١-٤٩٦).

للخلفاء العبيديين - كما تقدم -، ثم استرجعها منه أبو الفتوح، وبعد وفاة ولده شكر ولي الأمر بعده عبده له؛ لأن الشريف شكر لم يخلف إلا بنتاً له، فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكرهم، فانتزعوا الملك منه، فملكها من بني أبي الطيب محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك^(١).

(١) وفي كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب تأليف السيد أحمد بن علي بن الحسين بن علي الداودي الحسني ١: أعقب أبو الفاتك ثمانية رجال: إسحاق، ومحمد، وصالح، وجعفر، والقاسم النسابة، وأحمد، وداود، وعبدالرحمن.

قال الشيخ تاج الدين: أعقابهم بالمخلاف من اليمن، وأهل هذا البيت لهم أعمار طويلة، عاش أبو الفاتك مائة وخمسة وعشرين سنة، وولده عبدالرحمن مائة وعشرين سنة، وولده أحمد بن أبي الفاتك ويكنى أبا جعفر عاش مائة وسبعة وعشرين سنة.

فأما عبدالرحمن بن أبي الفاتك فله واحد وعشرون ولداً، أعقب منهم أحد عشر ولداً، منهم أبو الطيب داود، ويقال لهم آل أبي الطيب، وهم عدد كثير يسكنون المخلاف من اليمن، وقد تقسموا عدة أفخاذ وبطون، منهم بنو وهاس، وبنو علي، وبنو شماخ، وبنو مكثر، وبنو حسان، وبنو هصام، وبنو قاسم، وبنو يحيى، وهؤلاء كلهم أولاد أبي الطيب لصلبه إلا مكثر وشماخ فإنهما أولاد أولاده.

وأعقب وهاس بن أبي الطيب من ستة رجال: محمد، وحازم، ومختار، ومكثر، وصالح، وحمزة. وحمزة بن وهاس هذا صارت مكة شرفها الله تعالى بعد وفاة الأمير تاج المعالي شكر بن أبي الفتوح، وأعقب حمزة أربعة رجال: عمارة، ومحمد، ويحيى، وعيسى أمير المخلاف قتله أخوه أبو غانم يحيى، وتآمر بالمخلاف بعده، وهرب ابنه علي بن عيسى - وهو بضم العين على صيغة التصغير - وأقام بمكة، وكان عالماً فاضلاً شاعراً جواداً ممدوحاً، وكان في أيام مقامه بمكة وردها الزمخشري، وصنف له كتاب "الكشاف" ومدحه بقصائد موجودة في ديوانه. انتهى.

وقال الفاسي في شفاء الغرام ٢ نقلاً من الجمهرة لابن حزم ٣: أن لعبدالرحمن بن أبي الفاتك اثنين وعشرين ذكراً، فذكرهم، وذكر أبا الطيب فيهم ثم قال: سكنوا كلهم أذنة ٤، حاشا نعمة، وعبدالحكيم ٥، وعبدالحميد، فإنهم سكنوا أمج، بقرب مكة. انتهى. (غازي).

١- عمدة الطالب (ص: ٩٣-٩٥).

٢- شفاء الغرام (٣٣٤/٢).

٣- جمهرة أنساب العرب (ص: ٤٧). وانظر: غاية المرام (٤٩٥/١).

٤- أذنة: جبال شمالي شرقي الحجاز (هامش شفاء الغرام ٣٣٤/٢).

٥- في جمهرة أنساب العرب: عبدالحكيم.

قال السنجاري^(١): وفي سنة أربعمئة وخمس وخمسين قدم إلى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي^(٢) فدخل مكة وانتزعها من بني أبي الطيب، واستعمل العدل والإحسان لأهل مكة، فرخصت الأسعار واستراحت الناس جداً، وكثر له الدعاء، وكسى الكعبة أثواباً بيضاً، وردّ ما أخذه بنو أبي الطيب من حليتها لما ملكوا مكة.

فإنه لما انقضت دولة الموسويين في سنة أربعمئة وثلاث وخمسين ولي بعدهم عبدّ لهم، فغضب عليه بنو أبي الطيب الحسنيون، وعروا البيت، وأخذوا الميزاب^(٣)، وحملوا ذلك إلى اليمن، فابتاعه الصليحي، وردّه لما وصل في السنة المذكورة إلى البيت، واستمر بها إلى يوم عاشوراء، وقيل: إلى ربيع الأول سنة أربعمئة وست وخمسين وعاد إلى اليمن.

(١) منائح الكرم (٢/٢٢٧-٢٣١). وانظر: خلاصة الكلام (ص: ١٨)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٤-١٣٥).

(٢) علي بن محمد الصليحي: فقيه عالم بالناويل. ملك اليمن كله، وأسس الدولة الصليحية باليمن والحجاز من عام ٤٢٩ هـ حتى عام ٤٩٢ هـ. قتل عام ٤٧٣ هـ (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٢/٣٣٥، وغاية المرام ١/٥٠٠، والعقد الثمين ٦/٢٣٨، ووفيات الأعيان ٢/٥١-٥٣، ٣/٤١١-٤١٥، وتاريخ ثغر عدن ص: ١٥٩، ومعجم الأسرات الحاكمة ١/٢٠٠).

(٣) ميزاب الكعبة: هو اسم المزراب الذي يقع بين الركن العراقي والشامي الذي يلي حجر إسماعيل ويلتصق بسقف الكعبة (مرآة مكة لأيوب صبري باشا ص: ١١).

قال في الوقائع^(١): كانت له زوجة حرّة^(٢)، مُدَبَّرَةٌ مُسْتَوَلِيَّةٌ عليه وعلى أهل اليمن، واسمها الكاملة، فيخطب لها بعده على المنبر فكان يقال: اللهم أدم أيام الحرّة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين. وكانت لها صدقات كثيرة وكرم فائض.

قال: وسبب عوده إلى اليمن؛ قيام الأشراف الحسينيين عليه، فإنهم قالوا له: أخرج إلى بلدك، واجعل لك بمكة نائباً من شئت، فجعل على مكة محمد ابن جعفر بن عبد الله بن أبي هاشم بن حسين، واستجد^(٣) له عسكرياً، وأعطاه مالاّ وسلاحاً وخمسين فارساً.

وكان الداعي له على الخروج من مكة: أن بني أبي الطيب كانوا قد اتسعوا من مكة لما قصدوها الصليحي، فجمعوا جموعاً، وأرسلوا له يطلبون الخروج من مكة، وأن يولي عليهم واحداً منهم^(٤).

وكان قد وقع في جماعته الوباء، ومات منهم نحو سبعمائة، فخرج منها على الصورة المذكورة.

(١) الوقائع الحكيمة للسيد البهنسي. وانظر الخبر في: إتحاف الوری (٢/٤٦٨)، وغاية المرام (٥٠١/١)، ودرر الفرائد (ص: ٢٥٥).

(٢) الحرّة الصليحية: أسماء بنت شهاب الصليحية زوجة علي بن محمد الصليحي. من شهيرات النساء. خطب لها مع زوجها على منابر اليمن. وهي حمّة أروى بنت أحمد الملكة المعروفة بالحرّة الصليحية. توفيت سنة ٤٧٩هـ (انظر: بغية المستفيد ص: ٤٨-٤٩، والأعلام للزركلي ٣٠٥/١-٣٠٦).

(٣) في منائح الكرم: واستخدم.

(٤) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٥-١٣٧).

وقال في الوقائع^(١): وفي سنة أربعمئة وسبع وخمسين حجّ أبو الغنائم نقيب الأشراف ببغداد، فأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطبة للعباسيين، فدعا للعباسي ولم يدعُ لصاحب مصر، فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة لقطع محمد بن جعفر صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر، فأخذ محمد بن جعفر قناديل الكعبة وصفائح الذهب التي كانت على الباب، واستمر على الخطبة لبني العباس، وترك الأذان بـ "حيّ على خير العمل"، وقد كانوا أيام العبيديين ألزموهم بذلك. فلما بلغ العباسيون ذلك بعثوا له بثلاثين ألف دينار.

وقصده بنو سليمان الحسنيون، وهم أولاد سليمان بن عبد الله بن موسى، ويقال: سليمان الحرايبي لشجاعته، ويقال لبنيه: الحراييون، ومعهم حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن أبي الفاتك عبد الله بن أبي داود ابن سليمان، فلاقاهم محمد بن جعفر المذكور وحاربهم فغلبوه، ففر إلى ينبع، فولي مكة حمزة بن وهاس^(٢).

وفي تحصيل المرام^(٣): لم يكن لمحمد بن جعفر مع بني سليمان طاقة، فحاربهم ساعة، وخرج من مكة فتبعوه، فرجع وضرب واحداً منهم ضربة

(١) الوقائع الحكيمة للسيد البهنسي. وانظر: إتخاف الوري (٢/٤٧٠)، و خلاصة الكلام (ص: ١٩).

(٢) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٧) وهامشها.

(٣) تحصيل المرام (ورقة ١٨٤). وانظر: إتخاف الوري (٤٦٩)، والعقد الثمين (١/٤٤٠)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٨).

فقطع درعه وجسده وفرسه، ووصل سيفه إلى الأرض، فدهشوا من ضربته ورجعوا عنه، ومضى إلى الينبع. انتهى.

وقال الفاسي^(١): وكان تحته فرسٌ تسمى: دنائير لا تكلّ ولا تملّ، وليس لها في الدنيا شبيه، فمضى إلى وادي الينبع^(٢) وقطع الطريق عن مكة والقافلة، وهب بنو سليمان مكة، ومنع الصليحي الحج من اليمن، فغلت الأسعار وزاد البلية. انتهى.

الطبقة الثالثة من ولاية مكة المشرفة: يقال لهم: الهاشم

أولهم: أبو هاشم محمد بن جعفر [بن محمد]^(٣) بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الأول بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٤)، ولآه الصليحي صاحب اليمن سنة خمس وخمسين وأربعمائة - كما تقدم -، وانتزعها منه حمزة بن وهاس السليمانى، فجمع محمد بن جعفر جموعاً وقصده، وكانت بينهم حروب، حتى أخذ محمد بن جعفر مكة من حمزة بن وهاس.

(١) شفاء الغرام (٣٣٦/٢). وانظر: إتحاف الورى (٤٧٠)، والعقد الثمين (٤٤٠/١).

(٢) وادٍ فحل كثير القرى والعيون والسكان، يقع غرب المدينة المنورة، أعلاه وادي بواط الغوري، وينحدر غرباً حتى يدفع في البحر قرب مدينة ينبع البحر، وأخذ ينبع هذا يميز باسم ينبع النخل للتفريق عن المدينة، فإذا ذكر فالمراد به الوادي لا المدينة، لأن المدينة حدثت متأخرة (معجم معالم الحجاز ٣٦/١٠).

(٣) زيادة من مصادر الترجمة.

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤٣٩/١ - ٤٤٤)، وشفاء الغرام (٣٣٦/٢ - ٣٣٧)، وغاية المرام (٥١٦ - ٥٠٩/١).

قال الفاسي^(١): ودامت ولايته عليها فيما أحسب إلى أن مات في سنة بضع^(٢) وثمانين وأربعمائة، إلا أنه خرج هارباً من التركمان الذين استولوا عليها في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، كما ذكره ابن الأثير وغيره^(٣).

ورأيت في تاريخ ابن الأثير: أن هؤلاء التركمان طلبوا من ابن أبي هاشم أموال الكعبة التي أخذها، وأنهم هبوا مكة، وكانت فتنة عظيمة.

وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، ونال بسبب ذلك مالاً عظيماً من السلطان ألب أرسلان السلجوقي^(٤)، فإنه خطب له بمكة بعد القائم بأمر الله الخليفة العباسي حيناً، وبعد ذلك يخطب حيناً [للمقتدي]^(٥) عبدالله بن محمد الذخيرة بن القائم عبدالله العباسي، وحيناً للمستنصر العبيدي صاحب مصر، ويقدم في ذلك من صلته أعظم. انتهى ما ذكره الفاسي^(٦).

(١) شفاء الغرام (٣٣٧/٢).

(٢) في شفاء الغرام: سبع.

(٣) الكامل لابن الأثير (٢٠٠/١٠). وانظر: إتحاف الوری (٤٨٥/٢).

(٤) ألب أرسلان السلجوقي: أشهر سلاطين السلاجقة، وبطل معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣ هـ، والتي قررت مصر آسيا الصغرى فأصبحت من دار الإسلام. كما أعاد السلاجقة هبة المذهب السني بعد سيطرة الرافض في ديار الإسلام، وخاصة في العصر البويهي وسيطرة الديلمة على الخلفاء (٣٣٢-٤٤٨ هـ) وتوفي السلطان ألب أرسلان قتلاً سنة ٤٦٥ هـ (انظر: وفيات الأعيان ٦٩/٥-٧١، والوفاء بالوفيات ٣٠٨/٢-٣٠٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/٤١٤-٤١٨، والبدایة والنهاية ١٢/١٠٦-١٠٧).

(٥) في الأصل: للمقتدر. والتصويب من شفاء الغرام (٣٣٧/٢).

(٦) شفاء الغرام (٣٣٧/٢). وانظر: منائح الكرم (٢٣٦/٢-٢٣٧).

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وستين وأربعمائة^(١): فيها أرسل صاحب مصر المستنصر العبيدي رسولين إلى أمير مكة محمد بن جعفر المعروف بابن أبي هاشم، فقبحا عليه خطبته للخليفة العباسي والسلطان ألب أرسلان، وبذلا له مالا على قطع الخطبة، فلم يلتفت إليهما وأقصاهما؛ لأنه كان وصل له ولأصحابه صحبة السلار من المال ما ملأ عينه وقلبه، وأخذ السلار من الحجاج الذين اتبعوه دنانير فدفعها إليه وإلى العبيد. انتهى.

وقال أيضاً في حوادث سنة سبع وستين وأربعمائة^(٢): فيها لم يصل من جهة الخليفة العباسي ما كان يصل لأمر مكة، فقطع أمير مكة محمد بن أبي هاشم خطبة [المقتدي]^(٣) العباسي، وصادف مع ذلك: أن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر قوي أمره فراجع الناس إلى مصر، ورخصت الأسعار، واتفقت وفاة السلطان ووفاة الخليفة. وأرسل صاحب مصر إلى صاحب مكة رسالة وهدية جليلة وتحفاً، وطلب منه أن يعيد له الخطبة بمكة وقال له: إن أيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان، وقد ماتا. واجتمع إلى أمير مكة أصحابه وخوفاً وقالوا: إنما سلمنا هذا الأمر إلى بني العباس لما عدمننا المعونة من مصر، ولما رجعت إلينا المعونة فإننا لا نبتغي لابن

(١) إتحاف الوري (٤٧٥/٢). وانظر: العقد الثمين (٤٤١/١-٤٤٢).

(٢) إتحاف الوري (٤٧٧/٢). وانظر: المنتظم (٢٩٤/٨)، والكمال (٤٠٨/٨)، والعقد الثمين

(١٣٥/٢)، ودرر الفرائد (ص: ٢٥٦)، ومرآة الجنان (٩٤/٣).

(٣) في الأصل: المقتدر. والتصويب من إتحاف الوري (٤٧٧/٢).

عمنا [بدلاً]^(١). فأجابه الأمير على كُرهٍ منه، وخطب للمستنصر بمكة، وقطع خطبة [المقتدي]^(٢) بأمر الله، وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر. انتهى.

وقال في حوادث سنة ثمان وستين وأربعمائة^(٣): فيها في ذي الحجة قطع أمير مكة محمد بن أبي هاشم خطبة المستنصر وخطب [للمقتدي]^(٤) بن محمد الذخيرة بن القائم الخليفة العباسي. وكان السبب: أن سلار الحاج قرر مع ابن أبي هاشم أن يزوجه أخت السلطان جلال الدولة ملك شاه، فتعلق طمعه بذلك، فبعث رجلين إلى مصر ينظران، فإن كان أمر صاحب مصر يُرجى دام على خطبته، فرجعا إليه فقالا: ما بقي ثمَّ شيء يُرجى، وقد فسدت الأحوال، ونفد المال، ونفذ صاحب مصر ألف دينار. ورد كتاب سلار الحاج يخبره بأنه قد قرر أمر الوصلة، وأنه قد أعطى للسنين الماضية والآتية عشرين ألف دينار، عزل منها عشرة آلاف للمهر، فرأى ابن أبي هاشم أن دنائير المهر قد أخذت والوصلة قد تمت، فسرَّ بذلك وخطب، وصار يخطب تارة لبني العباس وتارة لبني عُبيد. انتهى.

(١) قوله: "بدلاً" زيادة من إتحاف الوري (٤٧٧/٢).

(٢) في الأصل: المقتدر. والتصويب من إتحاف الوري (٤٧٧/٢).

(٣) إتحاف الوري (٤٧٨/٢). وانظر: المنتظم ٢٩٨/٨، والعقد الثمين (١٣٥/٢).

(٤) في الأصل: للمقتدر. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق.

وقال أيضاً في حوادث سنة أربع وثمانين وأربعمائة^(١): هرب أمير مكة ابن أبي هاشم إلى بغداد لما استولى على مكة التركمان الذين أرسلهم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي للاستيلاء على الحجاز واليمن، وإقامة الدعوة له هناك.

وفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات أمير مكة أبو هاشم محمد بن جعفر ابن محمد بن عبدالله بن أبي هاشم الحسيني^(٢). انتهى ما ذكره ابن فهد في إتحاف الوري.

قال ابن ظهيرة^(٣): ذكر ابن خلدون: أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة، والله أعلم.

وولي مكة بعده: ابنه قاسم بن محمد بن جعفر^(٤)، ولم يزل بها حتى هجم [الإصهيد]^(٥) بن سارتيكين، فهرب القاسم وأقام الإصهيد بمكة إلى شوال سنة أربعمائة وسبع وثمانين، فجمع القاسم جموعاً وكبس الإصهيد سنة أربعمائة وثمان وثمانين.

(١) إتحاف الوري (٤٨٥/٢). وانظر: العقد الثمين (١٣٥/٢).

(٢) إتحاف الوري (٤٨٧/٢).

(٣) الجامع اللطيف (ص: ٣٠٧-٣٠٨). وانظر: خلاصة الكلام (ص: ١٩)، وشفاء الغرام (٣٣٧/٢).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٨/٧-٣١)، وشفاء الغرام (٣٣٧/٢)، وغاية المرام (٥١٦/١-٥١٩).

(٥) في الأصل: الإصهيد. وكذا وردت في المواضع التالية، وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٣٧/٢)، وغاية المرام (٥١٩/١)، والعقد الثمين (٣١٩/٣)، والكامل لابن الأثير (٢٣٩/١٠). وإصهيد: كلمة فارسية معناها "قائد العسكر"، وتأتي أيضاً اسم وعلم للملك طبرستان (هامش العقد الثمين ٢٨/٧).

قال ابن ظهيرة: فجمع قاسم عسكرياً وكبس إصبيهذ بعسفان، فأنزَم إصبيهذ إلى الشام ودخل قاسم مكة^(١). انتهى.

وقال السنجاري^(٢): وفي سنة خمسمائة وخمس عشرة ظهر بمكة إنسان علوي من فقهاء النظامية^(٣) ببغداد، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكثرت أتباعه، فنازع أمير مكة قاسم وعزم على أن يخطب لنفسه، فقوي عليه صاحب مكة وظفر به، وخرج إلى البحرين، وكفى الله شره. انتهى.

وكان القاسم بن محمد هذا أديباً شاعراً لطيفاً، ومن شعره^(٤):

قومي إذا خاضوا العجاج حسبتهم	ليلاً وخلت وجوههم أقماراً
لا ييخلون بزادهم عن جارهم	عدل الزمان عليهم أو جارا
وإذا الطراد دعاهم للممة	بدلوا النفوس وفارقوا الأعماراً
وإذا زناد الحرب أذكت نارها	قدحوا بأطراف الأسته ناراً

واستمر القاسم والياً على مكة إلى أن توفي في صفر سنة خمسمائة وثمان عشرة، وقيل: سبع عشرة^(٥).

(١) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٨).

(٢) منائح الكرم (٢/٢٤٢-٢٤٤).

(٣) النظامية: المدرسة التي أنشأها وزير ألب أرسلان، وملك شاه السلجوقيين، وهو الحسن بن علي ابن إسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك، وكانت مفخرة الإسلام في الذب عن الإسلام ومذهب أهل السنة في مواجهة الرافضة (انظر عنها: مرآة الزمان لسيط ابن الجوزي ١/١٦٦، وتاريخ دولة آل سلجوق للبنداري ص: ٣٢-٥٤).

(٤) انظر الأبيات في: منائح الكرم (٢/٢٤٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٠)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٩).

(٥) انظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٨-١٣٩).

ثم ولي مكة بعده: ابنه فليته، وقيل: أبو فليته^(١)، وكان أديباً فاضلاً شاعراً.

وفي تحصيل المرام^(٢): كان فليته أعدل من أبيه وأحسن، أسقط المكوس^(٣) وأحسن إلى الناس. ذكره ابن الأثير^(٤).

واستمر إلى أن توفي سنة خمس مائة وسبع وعشرين، فولى مكة ابنه هاشم ابن فليته^(٥).

ذكر السنجاري في تاريخه^(٦): قال الشهاب ابن عنبه في العمدة^(٧): أن هاشم ابن فليته أخذ مكة بالسيف من إخوته وعمومته، وكان أخواه يحيى وعبدالله قد نازعاه الملك [فغلبهما عليه]^(٨). انتهى.

ودامت ولايته إلى أن توفي سنة خمس مائة وإحدى وخمسين. انتهى.

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٠/٧)، وشفاء الغرام (٣٣٨/٢)، وغاية المرام (١/٥٢٠-٥٢١).

(٢) تحصيل المرام (ورقة ١٨٤).

(٣) المكس: الضريبة التي تفرض على التجار (المعجم الوسيط ٨٨١/٢)، وقد تفرض على غيرهم من الطوائف (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص: ٣٢٥).

(٤) الكامل (٢٢٥/٩). وانظر: إتحاف الوري (٤٩٨/٢).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٦١/٧-٣٦٢)، وشفاء الغرام (٣٣٨/٢-٣٣٩)، وغاية المرام (١/٥٢١-٥٢٢). وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٣٩-١٤٠).

(٦) منائح الكرم (٢٤٨/٢-٢٤٩).

(٧) عمدة الطالب (ص: ١٠٦).

(٨) في الأصل: فغلب عليهما. والتصويب من منائح الكرم (٢٤٩/٢)، وعمدة الطالب، الموضع السابق.

وقال ابن فهد في حوادث سنة تسع وأربعين وخمسمائة^(١): وفيها في الموسم -على ما ذكره ابن خلكان^(٢)، وقيل: في عصر يوم الثلاثاء حادي عشر الحرم سنة إحدى وخمسين وخمسمائة على ما وجد بخط ابن البرهان الطبري-: مات أمير الحرمين هاشم بن فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسيني، وولي بعده ولده قاسم^(٣).

وفي سنة ست وخمسين وخمسمائة^(٤) لما سمع قاسم بن هاشم بن فليته العلوي بقرب الحاج من مكة صادر المجاورين وأعيان أهل مكة، وأخذ كثيراً من أموالهم، وهرب من مكة خوفاً من أمير الحاج أرغش^(٥)، فلما وصل أمير الحاج المذكور إلى مكة رتب مكان قاسم بن هاشم بن فليته عمه عيسى ابن فليته^(٦).

وفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة^(٧) جمع قاسم بن هاشم بن فليته جمعاً

(١) إتحاف الوري (٥١٥/٢). وانظر: العقد الثمين (٣٦١/٧)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٤٠).

(٢) وفيات الأعيان (٤٣٢/٣).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٦-٣٢/٧)، وشفاء الغرام (٣٣٩-٣٣٨/٢)، وغاية المرام (٥٢٧-٥٢٣/١).

(٤) إتحاف الوري (٥٢٣/٢). وانظر: درر الفرائد (ص: ٢٦١)، والعقد الثمين (٣٥/٧)، والكمال (٤٥٢/٩)، ومنايح الكرم (٢٥٠/٢)، وغاية المرام (٥٢٦-٥٢٥/١)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٤١-١٤٢).

(٥) في إتحاف الوري ودرر الفرائد: برغش، وفي العقد الثمين وغاية المرام: أرغن.

(٦) عيسى بن فليته: كان كريم النفس، كثير الحلم. نازعه أخوه ملك الإمارة. كثر في عهده الغلاء والفقر والسيول (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٣٣٩/٢، وغاية المرام ٥٢٧/١، والعقد الثمين ٤٦٥-٤٧٠، والكمال لابن الأثير ٢٧٩/١١).

(٧) إتحاف الوري (٥٢٤/٢). وانظر: الكامل (٤٥٣/٩)، والعقد الثمين (٣٥/٧)، ومنايح الكرم (٢٥٠/٢).

كثيراً من العرب، وأطمعهم في مال بمكة، فاتبعوه، فسار بهم إليها، فلما علم عمه عيسى فارقتها في رمضان، ودخلها قاسم وأقام بها أميراً أياماً، ولم يكن له مال يوصله إلى العرب، ثم إنه قتل قائداً كان معه حسن السيرة، فتغيرت نيات أصحابه عليه، وكاتبوا عمه عيسى، فقدم عليه، فهرب قاسم وصعد جبل أبي قبيس^(١) وسقط عن فرسه، فأخذه أصحاب عيسى وقتلوه - وقيل: إنما قتلوه بقلعته التي على جبل أبي قبيس -، فسمع عيسى فَعَظَمَ عليه قتله، وأخذه وغسله ودفنه بالمعلاة^(٢) عند أبيه فليتة، واستقر الأمر لعيسى.

وفي هذه السنة^(٣) كان أمير الحاج أرغش، وكانت فتنة بمكة بين أهلها والحجاج العراقيين؛ سببها: أن جماعة من عبيد مكة عاثوا في الحاج بمنى، فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحاج أرغش فقتلوا منهم جماعة، ورجع من سلم إلى مكة، وجمعوا جمعاً وأغاروا على جمال الحاج، وأخذوا منها قريباً من ألف جمل، فنادى أمير الحاج في جنده فركبوا [بسلاحهم]^(٤)، ووقع القتال بينهم، فقتل جماعة، ونهب جماعة من الحجاج أهل العراق وأهل مكة، وجمع الأمير

(١) أبو قبيس: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة، سبق التعريف به (ص: ١٦).

(٢) المعلاة: هي القسم العلوي من مكة المكرمة، وغالباً ما يطلق على مقبرة مكة التي صارت تعرف بالمعلاة؛ لوقوعها في هذا الحي (معجم معالم الحجاز ٢٠١/٨).

(٣) إتخاف الورى (٥٢٥/٢). وانظر: درر الفرائد (ص: ٢٦٢)، والكمال (٤٥٨/٩)، والعقد الثمين (٤٦٨/٦)، وشفاء الغرام (٣٩٠/٢).

(٤) في الأصل: سلاحهم. والتصويب من المراجع السابقة.

الحاج ورجع ولم يدخل بهم إلى مكة خوفاً عليهم، فلم يقدرُوا -من الحج- إلا على الوقوف بعرفة، ودخل الخادم ومعه الكسوة، فعلق أستار الكعبة، ولم يقيم الحاج بالزاهر^(١) غير يوم واحد، وعاد كثير من الحاج رجالة؛ لقلّة الجمال، فلقوا شدة، ورجع بعضهم قبل إتمام حجّه، وهم الذين لم يدخلوا مكة يوم النحر للطواف والسعي، ثم إن أمير مكة بعث إلى أمير الحاج يستعطفه ليرجع، فلم يفعل.

وفي سنة خمس وستين وخمسمائة^(٢) حصل بين عيسى بن فليته وأخيه مالك بن فليته اختلاف في إمرة مكة، ولم يحج عيسى في هذه السنة وتخلّف بمكة، وحج مالك ووقف بعرفة، وبات الحاج بعرفة إلى الصبح متخوفين خوفاً شديداً.

وفي يوم عاشوراء سنة ست وستين وخمسمائة^(٣) دخل الأمير مالك بن فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني^(٤) وعسكره إلى مكة، واستولى عليها مالك نحو نصف يوم، وجرى بين عسكره وعسكر أخيه عيسى فتنة

(١) الزاهر: سبق التعريف به (ص: ٤٣).

(٢) إتخاف الوري (٥٣١/٢). وانظر: العقد الثمين (٤٦٦/٦)، وشفاء الغرام (٣٩١/٢).

(٣) إتخاف الوري (٥٣٢/٢). وانظر: العقد الثمين (٤٦٧/٦)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٤٢).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (١١٥/٧-١١٦)، وشفاء الغرام (٣٣٩/٢)، وغاية المرام (٥٣٤-٥٣٣/١).

إلى الزوال، ثم خرج الأمير مالك من مكة، واصطلحوا بعد ذلك، وسافر مالك إلى الشام، وجاء من الشام في آخر ذي القعدة وأقام ببطن مر^(١) أياماً، ثم جاء إلى مكة هو وعسكره، ونزل مالك في المربع^(٢) هو والشرفاء وحصلوا مكة أياماً، ثم جاء هو والشرفاء من المعلاة، وجاء هذيل والعسكر من جبل أبي الحارث - وهو أحد أخشي مكة المقابل لأبي قيس - إلى صوب قُيعقان^(٣) والشبيكة^(٤) بأسفل مكة، فخرج عليهم عسكر الأمير عيسى فقاتلوهم، فقتل من عسكر مالك جماعة، ثم ارتفع إلى خيف بني شديد^(٥) ومعه عساكره، وأقام هناك أياماً، ثم ارتحل إلى نخلة، ولبت فيها أياماً، ثم ارتحل إلى الطائف، وتوصل

(١) مر الظهران: سيق التعريف به (ص: ٤٣).

(٢) المربع: جبل قرب مكة (معجم البلدان ٩٩/٥)، وهو ربع بين ضيم وملكان، يجاور جبلاً يسمى الأشيب، وأهله دعد من هذيل (معالم مكة التاريخية ص: ٢٥٧).

(٣) سيق التعريف به في: ج ١ ص ١٦٩.

(٤) سيق التعريف بها في: ج ١ ص ١٣٩.

(٥) خيف بني شديد: الخيف: هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ويقع هذا الخيف بمر الظهران، يسكنه الأشراف ذوو راجح من بني حسن، ولهم فيه قوة ومنعة، ويجيرون من يدخل إليهم ويحتمي بهم، ولعله ينسب للشريف الحسين بن ثابت الشديدي (انظر: معجم معالم الحجاز ١٨٢/٣، وحسن القرى بأودية أم القرى ص: ٨٧).

مع^(١) بعض العرب، وغدا إلى الشام.

وفي السنة المذكورة^(٢) ملك خُدَّام الأمير مالك والأشراف بنو داود جدة، وأخذوا جَلْبَة^(٣) وصلت إليها فيها صدقة من قبل شمس الدولة، وجميع ما مع التجار الذين وصلوا في الجلبة المذكورة.

وفي منائح الكرم^(٤): ودخل مالك جدة ونهب التجار بها، وأخذ ما في الجلاب. انتهى.

وفي سنة سبع وستين وخمسمائة^(٥) مات مالك بن فليته بتيماء^(٦) من بلاد الشام، وهو متوجه إليها من المدينة.

ودامت ولاية عيسى بن فليته إلى أن توفي سنة خمسمائة وسبعين، وكان قد عهد بالولاية لابنه داود، فولي بعده ابنه داود^(٧)، فأحسن السيرة وعدل في الرعية^(٨).

(١) في إتحاف الوري: معه.

(٢) إتحاف الوري (٥٣٢/٢).

(٣) الجلبة: نوع من السفن التجارية كانت تسير في البحر الأحمر (هامش العقد الثمين ١١٦/٧).

(٤) منائح الكرم (٢٥٣/٢). وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٤٢).

(٥) إتحاف الوري (٥٣٣/٢). وانظر: العقد الثمين (١١٦/٧).

(٦) تيماء، بلد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، معجم البلدان (٧٨/٢).

(٧) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٥٤-٣٥٦)، وشفاء الغرام (٣٣٩/٢)، وغاية المرام

(١/٥٣٤-٥٣٧).

(٨) إتحاف الوري (٥٣٦/٢). والعقد الثمين (٢٧٥/٧)، وانظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام

(ص: ١٤٤-١٤٥).

وفي ليلة النصف من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة^(١) خرجت خوارج على داود بن عيسى بن فليته، ففارق منزله، وسار في بقية ليلته إلى وادي نخلة^(٢)، وولى أخوه مكثر^(٣) عوضه في الحال، ولم يتغير عليه أحد بشيء.

فلما كان ليلة النصف من شعبان قدم من اليمن إلى مكة شمس الدولة ابن أيوب، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قاصداً بلاد الشام، فاجتمع به الأمير داود والأمير مكثر بالزاهر ظاهر مكة، وأصلح بينهما.

فلما كان السابع من ذي الحجة وصل الخبر إلى مكة بأن طاشتكين وصل بعسكر كثير وسلاح، وعدد من المنجنيقات والنفّاطين وغير ذلك، فجمع الأمير مكثر الشرفاء والعرب على قدر وسعه لضيق الوقت، ولم يحج من أهل مكة إلا القليل، ولم يوف أكثر الناس؛ لأنهم باتوا بعرفة ولم يبيتوا بمزدلفة، ولم يزلوا يمتنعون، ولم يرموا الجمار، وإنما رمى بعضهم وهو سائر، ولا بات بها ليلة، ونزل الحاج في يوم النحر بالأبطح، فخرج إليهم ناس من أهل مكة فحاربوهم في بقية يوم النحر، [وفي]^(٤) اليوم الثاني والثالث، وقوي القتال على أهل مكة، وقتل من الفريقين جماعة، ثم آل الأمر إلى أن صيح في الناس:

(١) إتحاف الوري (٢/٥٣٦-٥٣٨). والعقد الثمين (٧/٢٧٥-٢٧٧).

(٢) هو نخلة الشامية ونخلة اليمانية. وانظر: مر الظهران.

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٢٧٤-٢٧٩)، وشفاء الغرام (٢/٣٣٩)، وغاية المرام

(١/٥٤٤-٥٣٨).

(٤) في الأصل: في. والتصويب من إتحاف الوري (٢/٥٣٧). والعقد الثمين (٧/٢٧٥).

الغزاة إلى مكة، فهجموا عليها، فهرب أمير مكة مكثراً فصعد إلى الحصن الذي بناه على جبل أبي قبيس -ويقال: إنما بناه والده عيسى- فحصره به، ففارقه وسار عن مكة، ودخل الناس مكة فأمر أمير الحاج بهدم الحصن المذكور، وقصد قوم لا خلاق لهم من الحاج [بالنهب]^(١)، فنهبوا كثيراً من الدور التي في أطراف البلد من ناحية المعلاة، وأخذوا من أموال التجار المقيمين بها شيئاً كثيراً، وأحرقوا دوراً كثيرة.

ومن أعجب ما جرى: أن إنساناً زرقاً^(٢) بالنفط ضرب داراً بقارورة نفط^(٣) فاحترقت هي وما فيها -وكانت تلك الدار لأيتام يستغلونها كل سنة إذا جاء الحاج-، ثم [أخذ]^(٤) قارورة أخرى فسواها ليضرب بها، فجاء حجر فكسرها فعادت عليه فاحترق بها، فبقي ثلاثة أيام بسفح الجبل يتعذب بالحريق، ورأى بنفسه العجائب، ثم مات.

وسلمت مكة إلى الأمير قاسم بن مهنا^(٥) أمير المدينة، وكان وصل صحبة أمير الحاج؛ لأنه كان سافر في هذه السنة إلى العراق، وأقامت مكة بيد الأمير

(١) في الأصل: النهب. والتصويب من إتخاف الوري، الموضع السابق.

(٢) الزرق: رامي النفط (هامش العقد الثمين ٢٧٧/٧).

(٣) قوارير النفط: هي قدور ونحوها يجعل فيها النفط ويرمى بها على الحصون والقلاع للإحراق، على أن القوارير في اللغة اسم للزجاج وإنما استعيرت في آلات النفط مجازاً (صبح الأعشى ١٥٣/٢).

(٤) في الأصل: أخرج. والتصويب من إتخاف الوري، الموضع السابق، والعقد الثمين ٢٧٧/٧).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣١/٧-٣٢)، وشفاء الغرام (٣٣٩/٢)، وغاية المرام (٥٤٤/١-٥٤٧).

قاسم ثلاثة أيام، فظهر عجز قاسم عن إمرة مكة، وقال لأmir الحاج: إني لا أتجاسر أن أقيم بمكة بعد خروج الحاج. فسلمت مكة لداود بن عيسى، وأسقط جميع المكوس بمكة، ورحل الحاج بعد أن أخذ على داود العهود والمواثيق أن لا يغير شيئاً مما شرط عليه من إسقاط المكوس وغير ذلك من الأرفاق^(١).

وقال الفاسي^(٢) بعد ذكر إعادة داود بن عيسى لإمارة مكة: ولا نعلم إلى متى استمرت، غير أنه كان يتداول هو وأخوه مكثراً إمارة مكة، ثم انفرد بها مكثراً بن عيسى نحو عشر سنين، آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم. انتهى.

وفي رمضان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة^(٣) قدم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين - بطاء مهملة ثم غين معجمة ثم مشاة فوقية. اهـ - إتحاف - بن أيوب^(٤) صاحب اليمن - أخ السلطان صلاح الدين - مكة، فاستولى عليها

(١) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٤٦).

(٢) شفاء الغرام (١/٣٣٩-٣٤٠).

(٣) إتحاف الوري (٢/٥٥٣-٥٥٤). وانظر: العقد الثمين (٥/٦٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٦٥).

(٤) طغتكين بن أيوب: أخو صلاح الدين. ولي اليمن لصلاح الدين سنة ٥٧٩ هـ، وكانت وفاته سنة ٥٩٣ هـ. قتله أمراؤه الأكراد (انظر ترجمته في: شفاء الغرام ٢/٣٤٠، وغاية المرام ١/٥٤٧، والعقد الثمين ٥/٦٢-٦٤، ووفيات الأعيان ٢/٥٢٣، والنجوم الزاهرة ١/١٤١-١٤٢، والبداية والنهاية ١٣/١٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٣، وبغية المستفيد ص: ٧٤-٧٥). وسيف الإسلام طغتكين حارب الزيدية في اليمن ونصر أهل السنة، وأنشأ بزيد مدرسة لأهل السنة. ولما توفي سنة ٥٩٣ هـ وخلفه ابنه المعز الذي ادعى أنه أموي، ورام الخلافة وتلقب بالهادي فقتله أمراؤه الأكراد وملكوا أخاه الناصر أيوب بن طغتكين سنة ٥٩٨ هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٣، وبغية المستفيد ص: ٧٦).

وخطب بها لأخيه صلاح الدين، وضرب الدراهم والدنانير باسم أخيه، وقتل جماعة من العبيد كانوا يؤذون الناس، وشرط على العبيد [ألا]^(١) يؤذوا الحاج، ومنع من الأذان في الحرم بحجّي على خير العمل، وكان أمير مكة طلع على أبي قيس، وأغلق باب البيت، وأخذ المفتاح معه، فأرسل سيف الإسلام وطلب منه المفتاح، فامتنع من إرساله، فقال سيف الإسلام لرسوله: قُلْ لصاحبك: إن الله فنانا عن أشياء فارتكبتها، وقال النبي ﷺ: لا تأخذوا المفتاح من بني شيبه، فيأخذه ويستغفر الله تعالى، فبعث إليه بالمفتاح.

وذكر السنجاري أيضاً في منائح الكرم قصة أخذ المفتاح^(٢) وهذا نصه: قال صاحب الوقائع: إن مكثراً أخذ معه مفتاح الكعبة لما صعد قلعة أبي قيس، فأرسل طغتكين إلى شيخ السدنة وقال له: خذ المفتاح وهاته وإلا أخذناه منك، فإن الله أمرنا بأمر فتركناها، وفنانا عن أمور فارتكبتها، وإن كان المفتاح لكم نأخذه منكم ونستغفر الله تعالى، فبعث إليه شيخ السدنة بالمفتاح. انتهى.

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة -وقيل في التي بعدها-^(٣): أخذ أمير مكة داود بن عيسى بن فليته ما في الكعبة من الأموال، وطوّقاً كان من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهماً، وكان يمسك الحَجَر الأسود لتشعته، إذ

(١) في الأصل: لا. والمثبت من إتحاف الوري (٥٥٣/٢)، والعقد الثمين (٦٣/٥).

(٢) منائح الكرم (٢٦٢/٢). وانظر: إتحاف الوري (٥٥٣/٢-٥٥٤)، وغاية المرام (٥٤٩/١).

(٣) إتحاف الوري (٥٥٩/٢). وانظر: درر الفرائد (ص: ٢٦٦)، والعقد الثمين (٣٥٦/٤).

ضربه ذلك الباطني بعد الأربعمئة بالدبوس، فلما قدم الركب عَزَلَ أمير الحاج داود وولى أخاه [مُكثراً]^(١)، وذهب داود إلى نخلة، وأقام بها إلى أن مات في يوم الاثنين الرابع عشر من شعبان، أو في رجب سنة تسع وثمانين وخمسمئة.

واستمر مكث في إمارة مكة إلى سنة سبع وتسعين وخمسمئة، وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم.

الطبقة الرابعة من ولاية مكة: يقال لهم: آل قتادة

وهم باقون إلى زماننا هذا، أبقاهم الله إلى آخر الزمان.

وفي سنة خمسمئة وسبع وتسعين -وقيل: ثمان وتسعين وقيل: تسع وتسعين-^(٢): انتزع مكة من مُكثَر الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد الثائر ابن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣)، والشريف قتادة هذا هو جد ساداتنا الأشراف ملوك مكة إلى الآن، خَلَدَ الله ملكهم إلى آخر

(١) في الأصل: مكثَر. والتصويب من المراجع السابقة.

(٢) إتحاف الوري (٥٦٦/٢-٥٦٧). وانظر: العقد الثمين (٤٠/٧)، ودرر الفرائد (ص: ٢٦٧-

٢٦٨)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٤٨-١٤٩ وهامشه).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٩/٧-٦١)، وشفاء الغرام (٣٤٠/٢)، وغاية المرام

(٥٧٧-٥٥٠/١).

الزمان، وبه انقرضت دولة بني فليته الهواشم. وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز، وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف، وكان ذا بأس ونجدة وشوكة، فجمع بني عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة، وحارب الأشراف بني حراب من أولاد عبدالله المحض بن الحسن المثنى، ثم استألف منهم جماعة فصاروا معه، وملك ينبع والصفراء^(١).

وسبب طمعه في ملك مكة: ما بلغه من عكوف أمرائها الهواشم بني فليته على اللهو، وتبسطهم في الظلم، وإعراضهم عن العدل اغتراراً منهم بما هم فيه من العز، والعنف للرعايا، فتوحش لذلك خواطر جماعة من قوادهم، ولما عرف ذلك استمالهم قتادة وسألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مكة، وجرائه على المسير إليها مع ما في نفسه؛ أن بعض الناس فزع إليه مستغيثاً به في ظلامه ظلّمها بمكة، فوعده بالنصر، وتجهّز في جماعة من قومه؛ فما شعر أهل مكة إلا وهو معهم بها، وولّاهما على ما هم عليه من اللهو والانهماك، فلم يكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دوهم.

وقيل: إنه لم يأت إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها [ابنه]^(٢) حنظلة فملكها، وأخرج منها مكثّر بن عيسى بن فليته وقاتل حنظلة

(١) الصفراء: -تأنيث الأصفر- قرية كثيرة النخل والزرع والخير في طريق الحاج، وسلكها رسول الله ﷺ مرة، وبينها وبين بدر مرحلة، وماؤها عيون كلها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبع (معجم البلدان ٤١٢/٣).

(٢) في الأصل: ابن. والتصويب من إتخاف الوري (٢٦٧/٢)، والعقد الثمين (٤٠/٧)، ودرر الفرائد (ص: ٢٦٨).

ابن قتادة، وذلك سنة خمسمائة وتسع وتسعين.

ثم في سنة ستمائة توفي مكث، فسار ابنه محمد بن مكث وجمع جموعاً وقصد حنظلة، فكان الظفر لحنظلة، فلما تمكن جاءه أبوه قتادة سنة ستمائة وواحد.

وعلى القول الأول قالوا: إن قتادة دخل مكة بغتة يوم السابع والعشرين من رجب، وكانت ملوك مكة تخرج في مثل هذا اليوم إلى التعميم^(١) تعتمر مع غالب أهل مكة؛ اتباعاً لعبدالله بن الزبير في اعتماؤه في مثل هذه الليلة، فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة، فرجع الشريف مكث وجماعته فحاربوهم، وكان الظفر له عليهم، فهربوا إلى وادي نخلة.

قال ابن فهد^(٢): وفي سنة إحدى وستمائة زحف أبو عزيز قتادة من مكة وحاصر صاحب المدينة سالم بن قاسم الحسيني وألح في حصاره، ثم إن سالماً قصد الحجرة الشريفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - فصلّى عندها ودعا، فسار فلقية، فانهزم قتادة، وجاء المدد لسالم من بني لام^(٣)، فأتبعه سالم

(١) التعميم: تقدم التعريف به (ص: ٢١).

(٢) إتحاف الوری (٣/٣-٤). وانظر: العقد الثمين (٧/٤١-٤٢)، والکامل (١٠/٢٩٨).

(٣) بنو لام بن عمرو: بطن من جديلة، من طيء، من زيد، من كهلان، من قحطان. كانت مساكنهم المدينة المنورة وما حولها (انظر: معجم قبائل الحجاز ص: ٤٥١).

وأنشب الحرب بينهما ببدر^(١) -وقيل: بذى الحليفة^(٢)-، وهلك كثير من الفريقين، وانهزم أبو عزيز.

واتبع سالم أبا عزيز إلى مكة فحاصره مثل أيام حصاره بالمدينة، فأرسل قتادة إلى مَنْ مع سالم من الأمراء فأفسدهم عليه، فمالوا إليه وخالفوه، فلما علم سالم ذلك رحل عنه عائداً إلى المدينة، وعاد أمر قتادة يقوى.

وقيل: إن أبا عزيز هَجَمَ من مكة على المدينة، فخرج له صاحب المدينة سالم بن قاسم الحسني، فكسره أبو عزيز وحصره أياماً، وكان سالم في أثناء ذلك يحسن سياسة الحرب ويستميل أصحاب أبي عزيز إلى أن خرج عليه وهو مغتر متهاون به، فكسره سالم وأسر جمعاً من أصحابه، وتبعه إلى مكة، فحصره فيها على عدد أيام حصاره بالمدينة، وكتب إليه: يا ابن العم كَسْرَةُ بِكَسْرَةٍ، وأيام حصار بمثلها، والبادي أظلم، فإن كان أعجبكم عامكم فعودوا ليثرب^(٣) في القابل.

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار. ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن بخلد بن النضر بن كنانة. قال الزبير بن بكار: بدر بن قريش، به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة؛ لأنه كان احتفرها، وهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة (معجم البلدان ١/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) ذى الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، وهي ميقات أهل المدينة (معجم البلدان ٢/٢٩٥).

(٣) يثرب: هي مدينة رسول الله ﷺ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية ابن مهلاتيل بن إرم ابن عييل، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها: طيبة وطابة، كراهية للثريب، وسميت مدينة الرسول؛ لرواه بها (معجم معالم الحجاز ١٠/١٣).

وفي سنة ست وستمائة^(١) قَتَلَ قتادة إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة، ونهب الحاج اليميني.

وفي سنة ثمان وستمائة^(٢) حج بالناس من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت - وهو صبي - نيابة عن أبيه، ومعه ابن أبي [فراس]^(٣) يُثَقِّفه ويدبره، وحج من الشام الصمصام إسماعيل، وكانت ربيعة خاتون أخت العادل^(٤) في الحج، فلما كان يوم النحر - بعد رمي الناس الجمرة - وقع بين الحاج العراقي وبين أهل مكة فتنة عظيمة قُتِلَ فيها الحجاج العراقيون ونُهَبُوا نهباً ذريعاً، وكان معظم الفتنة بمضى. وسببها: أن بعض الإسماعيلية من أهل العراق يسمى: "الحشيش"^(٥)، وثب على رجل شريف من بني عم قتادة يسمى: هارون، وكنيته أبو عزيز، وهو يشبه قتادة صاحب مكة، [وظنه إياه]^(٦) فقتله عند الجمرة، ويقال: إن الذي قتله كان مع

(١) إتحاف الوری (٩/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٧/٧).

(٢) إتحاف الوری (١٠/٣-١٣). وانظر: العقد الثمين (٤٧/٧-٤٩)، وشفاء الغرام (٣٩٤/٢-٣٩٦)، وغاية المرام (٥٦٠/١-٥٦٢).

(٣) في الأصل: فراش. وكذا وردت في الموضوع التالي، والتصويب من المراجع السابقة.

(٤) هو العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن نجم الدين أيوب، أخو صلاح الدين، سلطان مصر والشام والأطراف (انظر: النجوم الزاهرة ١٦٠/٦-٢٢٦).

(٥) في إتحاف الوری: الحشيشي. وفي شفاء الغرام نقلاً عن ابن سعيد المغربي: "أن القاتل للشريف بمضى شخص مجهول، فظن الأشراف أنه حشيش فقتلوه"، والحشيش هو الدخيل بلغة العامة في الحجاز. وفي العقد الثمين: "أن الأشراف قتلوا القاتل بمضى وظنوا أنه حشيشي". والحشيشي ينتسب إلى طائفة الباطنية الإسماعيلية الذين نشأوا في قلعة ألموت.

(٦) في الأصل: وخلفه أباه. وهو خطأ، والتصويب من المراجع السابقة.

أم جلال الدين^(١)، فلما سمع قتادة ذلك قال: ما كان المقصود إلا أنا، والله لا أبقيت من الحاج العراقي أحداً، واتهم أمير الركب بذلك، فجمع الأشراف والعرب والعبيد وأهل مكة وقصدوا الحاج، وصعدوا على الجبلين بمضى، وهللوا وكبروا، وضربوا الناس بالحجارة والنبل والمقاليع والنشاب، فقتل بعض الأعيان وخلق كثير من الفريقين، وقتل "الحشيش" القتاتل، ونهب من الحجاج من كان في الطواف يوم العيد واليلة واليوم الثاني، وقتل من كان من الحجاج بمكة، وفعل فيهم مثل ما فعل بمضى، [وبات]^(٢) الحاج بأسوأ حال؛ من شدة الخوف من القتل والنهب، فقال ابن أبي فراس لمحمد بن ياقوت: ارحلوا بنا إلى منزل الحج الشامي، وأمر الناس بالرحيل، فرفعوا أثقالهم على الجمال واشتغلوا بذلك، فطمع العدو فيهم وتمكّن من النهب كيف أراد، وكانت الجمال تؤخذ بأحمالها، ونهب الحاج عن آخره، ولم يسلم منه إلا القليل، والتحق مَنْ سَلِمَ بحجاج الشام. وجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقي فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها، ومعه خاتون أم جلال الدين، ثم رحلوا إلى الزاهر ومنعوا من دخول مكة.

فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار إلى قتادة تقول له: ما ذنب الناس؟! قد قتلت القتاتل، وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين، واستحللت الدماء

(١) هو جلال الدين حسن، صاحب قلعة ألموت، وكان هو وأتباعه قد تبرؤوا من الباطنية، وبنوا المساجد، وأقيمت فيها الجمعة والجماعات، وصلوا التراويح في شهر رمضان، وحجت أمه في سنة ٦٠٨ هـ (النجوم الزاهرة ٦/٢٠٣).

(٢) في الأصل: ومات. والتصويب من إتحاف الوري (١٢/٣).

والأموال في الشهر الحرام والبلد الحرام، وقد عرفت مَنْ نحن، والله لئن لم تنته لأفعلن ولأفعلن، فجاء إليه ابن السلار فخَوَّفَهُ وهدَّدهُ وقال: ارجع عن هذا وإلا قَصَدَكَ الخليفة من العراق، ونحن من الشام، فكفَّ عنهم وطلب مائة ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحج العراقي، ومن خاتون أم جلال الدين، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربعة خاتون بين قتيل وجريح ومسلوب، وجائع وعريان.

ويقال: إنه أخذ من المتاع والمال وغيره ما قيمته ألف ألف دينار، وأذن للناس في الدخول إلى مكة، فدخل الأصحاء الأقوياء، فطافوا -وأي طواف!!-، وتمموا حجهم، ومعظم الناس ما دخل، ورحلوا إلى المدينة، ودخل حاج بغداد على غاية الفقر والذل والهوان، ولم يتطح فيها عتران^(١).

وفي سنة تسع وستمئة^(٢) حج بالناس حسام الدين [بن أبي فراس]^(٣) نيابة عن محمد بن ياقوت.

وفيها^(٤): وصل من الخليفة الناصر إلى أبي عزيز قتادة مع الركب العراقي مال وخِلَع، وكسوة البيت على العادة، ولم [يظهر الخليفة إنكاراً]^(٥) على ما

(١) سمط النجوم (٢٢٦/٤).

(٢) إتحاف الوري (١٤-١٧)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧٠-٢٧٢)، والعقد الثمين (٥٠/٧-٥٢)، ومناجح الكرم (٢٧٨-٢٨٠)، وسمط النجوم (٢٢٧/٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٣-٢٤).

(٣) في الأصل: أبي فراس. والمثبت من إتحاف الوري (١٤/٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧٠).

(٤) انظر هذا الخبر في: غاية المرام (٥٦٣-٥٦٦).

(٥) في الأصل: يظهر له الخليفة إنكار. والتصويب من إتحاف الوري (١٤/٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧٠).

تقدم من نهب الحاج، وجعل أمير الركب حسام الدين يستدرجه ويخدعه بأنه لم يَصَحَّ عند الديوان العزيز، إلا أن الشرفاء وأتباعهم فهبوا أطراف الحج، ولولا تلافيك أمرهم لكان الاضطلام، وقال: يقول لك مولانا الوزير: ليس كمال الخدمة [الإمامية]^(١) إلا تقبيل العتبة، ولا عز الدنيا والآخرة إلا نيل هذه الرتبة، فقال: انظري في ذلك، ثم تسمع الجواب.

واجتمع بني عمه الأشراف وعرفهم أن ذلك [استدراج]^(٢) لهم وله؛ حتى يتمكن من الجميع، وقال: يا بني الزهراء، عزكم إلى آخر الدهر مجاورة هذه البنية، والاجتماع في بطاحها، واعتمدوا بعد اليوم أن تعاملوا هؤلاء القوم بالشر، يوهنكم ويوهن عزكم من طريق الدنيا والآخرة، ولا يُرَغَّبوكم بالأموال والعدد، فإن الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها، وأما لا تُبْلَغ إلا بشق الأنفس، ثم غدا أبو عزيز على أمير الركب وقال: اسمع الجواب، ثم أنشد ما نَظَّمه في ذلك أولها:

بلادي وإن هانت عليَّ عزيزة	ولو أنني أعرى بها وأجوع
ولي كفُّ ضرغام أصول يبطشها	وأشري بها بين الورى وأبيع
تَظَلُّ ملوك الأرض تلثم ظهرها	وفي بطنها للمُجْدِبِينَ ربيع
أجعلها تحت الرّحى ثم أبتغي	خلاصاً لها إني إذا لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة	أضوع وأما عندكم فأضيع

(١) قوله: "الإمامية" زيادة من إتحاف الورى ودرر الفرائد، الموضعان السابقان.

(٢) في الأصل: استدراجاً. والتصويب من إتحاف الورى ودرر الفرائد، الموضعان السابقان.

فقال له أمير الركب: يا شريف! أنت ابن بنت رسول الله ﷺ، والخليفة ابن عمك، وأنا مملوك تركي لا أعلم [من] ^(١) الأمور التي في الكتب ما علمت، ولكني قد رأيت أن هذا من شرف العرب الذين يسكنون البوادي، ونزغات ^(٢) قُطَاع الطريق ومُخِيفِي السبيل، وحاشا [لله] ^(٣) أن أحمل هذه الأبيات عنك إلى الديوان العزيز، فأكون قد جنيت على بيت الله وبني بنت نبيه ﷺ ما أُلْعِنُ عليه في الدنيا والآخرة، وأُحَرِّقُ بسببه في الآخرة. والله لو بلغ هذا إلى حيث أشرت -يعني الخليفة- لترك كل وجه، وجعل جميع الوجوه إليك، حتى يفرغ منك، ما لهذا ضرورة؛ إنه إن كان خطر ببالك أنهم استدرجوك فلا تسر إليهم وقل جميلاً. فأصغى إليه أبو عزيز، وعلم أنه رجل عاقل ناصح ساعٍ بخير لمرسله والمسلمين، فقال له: كَثُرَ الله في المسلمين مثلك، فما الرأي عندك؟ قال: أن ترسل من أولادك من لا تهتم به إن جرى عليه ما تستوقعه ^(٤)، -ومعاذ الله أن يجري إلا ما تحبه-، وترسل معه جماعة من ذوي الأسنان والهيئات من الشرفاء، فيدخلون مدينة السلام، وفي أيديهم أكفأهم منشورة، وسيوفهم مسلولة، وَيُقَبَّلُونَ ^(٥) على العتبة، وَيَتَوَسَّلُونَ برسول ^(٦) الله ﷺ، [ويصفح] ^(٧) أمير المؤمنين، وسترى ما يكون من الخير لك

(١) قوله: "من" زيادة من إتحاف الوری (١٥/٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧١)، ومناجح الكرم (٢٧٩/٢).

(٢) في إتحاف الوری: ونزغات.

(٣) في الأصل: الله. والتصويب من إتحاف الوری (١٥/٣)، ودرر الفرائد (ص: ٢٧١).

(٤) في إتحاف الوری والعقد الثمين: توقعه.

(٥) تقبيل العتبات لاجبوز لأنه تعظيم لغير الله عز وجل.

(٦) التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لاجبوز إلا في حياته صلى الله عليه وسلم.

(٧) في الأصل وإتحاف الوری: ويصفح. والتصويب من العقد الثمين (٥١/٧).

وللناس، والله لئن لم تفعل هذا لتركن الإثم العظيم، ويكون ما لا يخفى عنك، فشكره ووجه صحبته ولده وأشياخ الشرفاء، ودخلوا بغداد على تلك الهيئة التي رسم، وهم يصيحون ويكون ويتضرعون، والناس يكون لبكائهم، واجتمع الخلق كأنه المحشر، ومالوا إلى باب النوبى - من أبواب مدينة الخليفة - فقبلوا هناك العتب، وبلغ الخبر الناصر؛ فعفى عنهم وعن مرسلهم، وأنزلوا في الديار الواسعة، وأكرموا الكرامة التي ظهرت واشتهرت، وعادوا إلى أبي عزيز بما أحب، وكان بعد ذلك يقول: لعن الله أول رأي عند الغضب، ولا أعدمنا عاقلاً ناصحاً [يشينا عنه]^(١) ذلك. هذا كلام أبي سعيد المغربي.

ويقال: إن قتادة أرسل إلى الخليفة ولده راجح بن قتادة في طلب العفو بأثر الفتنة. هكذا ذكر ابن الأثير^(٢) وابن محفوظ.

وقيل: إن الخليفة كتب إلى قتادة يستدعيه، ويقول له: أنت ابن العم والصاحب، وقد بلغني شهامتك وحفظك للحجاج، وغير ذلك، وشرف نفسك وعفتك، ونزاهتك، وقد أحببت أن أراك وأشاهدك وأحسن إليك، فكتب إليه الأبيات الأربعة^(٣). انتهى ما ذكره ابن فهد.

(١) في الأصل: يشينا عند. والمثبت من إتحاف الورى (١٦/٣)، والعقد الثمين (٥٢/٧).

(٢) الكامل (١٢٣/١٢).

(٣) انظر: العقد الثمين (٥٧/٧)، وغاية المرام (٥٧٢/١).

وقال الطبري في إتحاف فضلاء الزمن^(١): وفي سنة تسع وستمئة طلب الخليفة الناصر العباسي مولانا الشريف قتادة إلى العراق، ووعدته ومناه بكل خير وجميل، فسار إلى أن وصل إلى العراق ثم إلى النجف^(٢)، فخرج أهل بغداد لتلقي الشريف قتادة، وكان ممن خرج في غمار الناس رجل درويش^(٣) معه أسد مسلسل، فلما نظر إليه الشريف قتادة تطير وقال: ما لي وبلبل تذلل فيها الأسود؟! ورجع من فوره إلى الحجاز، وكتب إلى الخليفة العباسي بقوله:

بلا دي ولو جارت علي عزيزة	ولو أنني أغرى بها وأجوع
ولي كف ضرغام إذا ما بسطتها	بها أشتري يوم الوغى وأبيع
معوذة لثم الملوك لظهرها	وفي بطنها للمجدين ربيع
أثر كها تحت الرهان وأبتغي	بها بدلا إني إذا لرقيع
وما أنا إلا المسك في أرض غيركم	أضوع وأما عندكم فأضيع

ولما وقف الناصر على هذه الأبيات استشاط غيظاً، وكتب إلى الشريف قتادة كتاباً يقول فيه:

أما بعد! فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس الربيع أثوابه، أتيناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون.

(١) إتحاف فضلاء الزمن (١١٤/١-١١٦). وانظر: منائح الكرم (٢٧٦/٢-٢٧٧، ٢٨٢)، وسط النجوم (٢٢٤/٤-٢٢٥)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٤)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص: ١٤٩-١٥١).

(٢) النجف: بظهر الكوفة، وهي حالياً مدينة مشهورة. انظر: (معجم البلدان ٢٧١/٥).

(٣) الدرويش: اصطلاح صوفي يقصد به الشخص المتصوف المريد، ويقال له "الدرويش" إذا كان من العجم (هامش لطف السمر وقطف الثمر ١/١٣٩).

فلما قرأ الكتاب الشريف قتادة ارتاع لذلك، فأرسل [بجمع باديته]^(١)، وأرسل إلى بني عمه بني حسين بالمدينة يستنجدهم ويسألهم المعونة، وصدر الكتاب بقوله:

بني عمنا من آل موسى وجعفر وآل حسين كيف صبركم عنا
بني عمنا إنا كأفنان دوحه فلا تتركونا يُجتنى [إلفنا منّا]^(٢)
إذا ما أخ خلى أخاه لآكل بدا بأخيه الأكل ثم به ثنى

فأنت منه رجال النجدة ذوات العدد والعدة، فلما أقبلت تلك الكتيبة الناصرية كسرهما وبدد شملها وقهرها.

ثم إنه أرسل بالاعتذار للناصر وطلب منه العفو، فعفى عنه، ووالى عليه الإنعامات الكاملة، وأقطعه الإقطاعات الهائلة. انتهى.

وقال ابن فهد^(٣): وفي سنة إحدى عشرة وستمائة قدم مكة الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل وصحبته ألف فارس من الجندارية^(٤)، ومن الرماة خمسمائة متوجهاً إلى اليمن، فنخطب له، فلما خطب له نشر على الناس ألف دينار، وحمل إلى أمير مكة ألف دينار، وقماشاً بألف دينار، ونوى الحج، فخشى تفرق الأجناد إذا جاء الموسم، فرحل من مكة إلى اليمن

(١) في الأصل: بجمع بادية. والتصويب من إتخاف فضلاء الزمن (١١٥/١).

(٢) في الأصل: إلفنا فنا. وفي إتخاف فضلاء الزمن: إلفنا فنا. والتصويب من أمراء مكة (ص: ١٥١).

(٣) إتخاف الورى (١٨/٣-١٩). وانظر: العقد الثمين (٤٩٢/٧-٤٩٣)، ودرر القرائد (ص: ٢٧٢).

(٤) الجندارية: جمع جندار. واللفظ مركب من لفطين فارسيين: (جان) بمعنى روح، و (دار) بمعنى ممسك، والمعنى الحرفي: الممسك للروح، والمراد الحرس الخاص للسلطان أو غيره، فلا يدع أحداً يقرب منه إلا من يثق فيه (هامش إتخاف الورى ١٩/٣).

في العشر الثاني من ذي القعدة. كذا ذكره بيبرس الدوادار^(١).

وذكر ابن خلكان والنويري: أنه توجه بعد الحج.

وفي السنة المذكورة حج المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق، ووصل إلى مكة يوم الثلاثاء سادس الحجة، والتقاءه أبو عزيز قتادة أمير مكة، وحضر في خدمته، فقال له المعظم: أين نترل؟ فأشار بسوطه إلى الأبطح وقال: هناك، فترل المعظم، وحجَّ معه الشريف سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة، وهمَّ به قتادة أن يلزمه فلم يتمكن من ذلك، وتوجه الأمير سالم مع المعظم إلى الشام^(٢).

وفي سنة اثني عشرة وستمئة^(٣) في تاسع صفر حاصر الشريف قتادة -أمير مكة- المدينة النبوية أياماً، وقطع تمرها جميعه وكثيراً من نخلها، فقاتله من فيها، وقُتل جماعة من أصحابه، ورحل عنها خاسراً. وكان أمير المدينة عند العادل بالشام، فبعث معه جيشاً، واستخدم جماعة من التركمان، وسار من الشام في ثالث شعبان إلى المدينة المنورة، فتوفي بالطريق، وقام ولد أخيه قاسم ابن جهاز بعده، واجتمع أهله على طاعته، فمضى بمن كان معه لقصد قتادة صاحب مكة، وجمع الشريف قتادة عسكرياً كثيراً، والتقى عسكري قتادة

(١) هو التاريخ المسمى: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، للأمير ركن الدين بيبرس الدواداري المتوفى سنة ٧٢٥ (منه عدة أجزاء في أبسالا بالسويد وباريس وأكسفورد والمتحف البريطاني) (هامش العقد الثمين ٤٩٢/٧).

(٢) العقد الثمين (٤٤/٧)، وإتحاف الوری (١٩/٣)، ودرر القرائد (ص: ٢٧٢)، وشفاء الغرام (٣٩٧/٢).

(٣) العقد الثمين (٤٣/٧)، وإتحاف الوری (٢٠/٣-٢١)، وغاية المرام (٥٥٤/١-٥٥٦).

وعسكر الشام الذي وصل به الأمير قاسم بوادي الصفراء^(١) في القعدة، فكانت الغلبة لعسكر المدينة، فاستولوا على عسكر قتادة قتلاً ونهباً، ومضى قتادة منهزماً إلى ينبع؛ فتبعوه وحصروه بقلعته، وغنم صاحب المدينة شيئاً كثيراً، وحصل حميد بن [راجب]^(٢) من الغنيمة ما يزيد على مائة فرس، وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب [الطائيين]^(٣)، وعاد الأجناد الذين كانوا مضوا مع الأمير سالم من الشام -من التركمان وغيرهم- صحبة الناهض ابن [الجرخي]^(٤) خادم المعتمد^(٥)، وفي صحبتهم كثير مما غنموه من [أعمال]^(٦) قتادة، ومن وقعة وادي الصفراء؛ من نساء وصبيان، وظهر فيهم أشراف حسنيون وحسينيون، فاستعيدوا منهم، وسُلِّمُوا إلى المعروفين من أشراف دمشق ليكفلوهم، ويشاركوهم في قسمهم من وقفهم.

(١) واد من أكبر أودية الحجاز الغربية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال: ورقان وعار والفقارة والفقرة، فيتجه غرباً مع ميل إلى الجنوب بتعرج، ويسمى أعلاه السدارة، وفيه الروحاء البئر المشهورة، وقد تسميه العامة وادي بلر لاشتهار بلدة بلر (معجم معالم الحجاز ٥/١٤٨ - ١٤٩).

(٢) في الأصل: راجب. والتصويب من العقد الثمين (٤٣/٧)، وإتحاف الوري (٢١/٣)، وغاية المرام (٥٥٥/١).

(٣) في الأصل: الطالين، وفي العقد الثمين: الكلبيين، والمثبت عن الذيل على الروضتين (ص: ٩٠) ورجحه محقق العقد الثمين.

(٤) في الأصل: الجرخي. والتصويب من العقد الثمين (٤٣/٧)، وإتحاف الوري (٢١/٣)، وغاية المرام (٥٥٥/١).

(٥) هو المعتمد بن مبارز الدين إبراهيم، والي دمشق للعدل أبي بكر محمد بن أيوب، ثم من بعده، وقد قتل الناهض في عام ٦١٦هـ بيد الفرنج في وقعة دمياط (البداية والنهاية ١٤/٧٥، والنجوم الزاهرة ٦/١٧٠، ٢٣٨).

(٦) قوله: "أعمال" زيادة من العقد الثمين (٤٣/٧)، وغاية المرام (٥٥٥/١)، وإتحاف الوري (٢١/٣).

وفي سنة ثلاث عشرة وستمائة^(١) في جمادى الأولى صعد الشريف قتادة صاحب مكة للطائف لحرب ثقيف^(٢)، فظهر قتادة على ثقيف، فقتل جماعة من مشايخ ثقيف بدار [بني]^(٣) يسار من قرى الطائف، ونهب الجيش البلاد، ففقد كتاب النبي ﷺ لأهل الطائف^(٤)، وكان عند شيخهم حمدان الثقيفي العوفي، وفرّ من ثقيف طائفة، وتحصنوا في حصونهم، فأرسل إليهم قتادة يستدعيهم للحضور إليه ويؤمنهم، وتوعدهم بالقتل إن لم يحضروا إليه، فتشاور ثقيف في ذلك، ومال أكثرهم إلى الحضور عنده خيفة أن يهلكهم إذا ظهر عليهم، فحضروا عند قتادة فقتلهم، واستخلف على بلادهم نواباً من قبله، وعصدهم بعيد له، فلم يبق لأهل الطائف معهم كلمة [ولا حرمة]^(٥)، فعمل أهل الطائف حيلة في قتل جماعة قتادة؛ وهي أنهم يدفنون سيوفهم في

(١) إتحاف الوري (٢٢/٣-٢٣). وانظر: العقد الثمين (٤٥/٧-٤٦)، وسمط النجوم (٢٢٥/٤)، وغاية المرام (٥٥٨/١-٥٥٩).

(٢) ثقيف: والنسبة إليها ثقيفي، إحدى قبائل الحجاز العريقة، ولا زالت في مساكنها القديمة حول الطائف، وثقيف هم: بنو ثقيف - واسمه قسي - بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وقيل: إن ثقيف من إباد (انظر: معجم قبائل الحجاز ص: ٦٦).

(٣) في الأصل: ابن. والنصوب من العقد الثمين (٤٦/٧)، وإتحاف الوري (٢٢/٣). ويسار: بطن من ثقيف. (معجم قبائل الحجاز ص: ٥٧٥).

(٤) الكتاب المقصود هنا: هو الذي كتبه النبي ﷺ لوفد ثقيف الذي قدم عليه سنة تسع بعد غزوة تبوك. (انظره في شرح المواهب ٨/٤-١٠).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من العقد الثمين (٤٦/٧)، وغاية المرام (٥٥٨/١)، وإتحاف الوري (٢٢/٣).

مجالسهم التي جرت عادتهم بالجلوس فيها مع أصحاب قتادة، ويستدعون أصحاب قتادة للحضور إليهم، فإذا حضروا إليهم وثب كل واحد من أهل الطائف بسيفه المدفون على جليسه فقتله به، فلما فعلوا ذلك استدعوا أصحاب قتادة إلى الموضع الذي دفنوا فيه سيوفهم، وأوهموهم أن استدعاءهم لهم بسبب كتاب ورد عليهم من قتادة، فحضر إليهم أصحاب قتادة بغير سلاح؛ لعدم مبالاقتهم بأهل الطائف؛ لما أوقعوه في قلوبهم من الرعب منهم، فلما اجتمع الفريقان واطمأنت بهم المجالس وثب كل واحد من أهل الطائف على جليسه ففتك به، ولم يسلم من أصحاب قتادة إلا واحد - على ما قيل - هرب ووصل إلى قتادة - وقد تحبَّل عقله لشدة ما رآه من الذبح في أصحابه، وأخبر قتادة بالخبر، فلم يصدق، وظنَّ أنه قد جُنَّ؛ لما رأى فيه من الخبل. انتهى.

وقال الفاسي في العقد الثمين^(١): قال أبو سعيد: قال الزنجاني: ومما يجب أن يؤرَّخ من محاسن الأمير أبي عزيز: أن شخصاً من أهل اليمن يُعرف بنابت ابن قحطان ورد برسم الحج، وكان له مال يتاجر فيه، فتطرَّق إليه أبو عزيز بسبب احتوائه [عليه]^(٢)، قال: فينما هو يتمشَّى في الحرم إذ سمع شخصاً يقول وهو يطوف بالبيت: اللهم بهذا البيت [المقصود]^(٣)، وذلك

(١) العقد الثمين (٥٥/٧-٥٧). وانظر: غاية المرام (٥٧٠/١-٥٧١).

(٢) في الأصل: إليه. والمثبت من العقد الثمين (٥٥/٧)، وغاية المرام (٥٧٠/١).

(٣) في الأصل: المعمور. والمثبت من العقد الثمين، وغاية المرام، الموضعان السابقان.

المقام المحمود، وذلك الماء المورود، وذلك المزار المشهود، إلا ما أنصفتني ممن ظلمني، وأخوَجْتَ إلى غيرك مَنْ إلى الناس أحوجني، وأريته بعد حلمك أخذك الأليم الشديد، ثم أصليته نارك، وما هي من الظالمين ببعيد. فارتاع أبو عزيز، ثم حمّله طبعه وعادته على أن وكّل به من يُعَنِّقُه ويحمّله إلى السجن بعنف، وانصرف إلى منزله، وكان له جارية حبشية نشأت بالمدينة، فقالت: يا أمير حرم الله! إن لك الليلة لشأناً، فأخبرها بخبر الشخص، فقالت: معاذ الله يا ابن بنت رسول الله ﷺ أن تأخذك العزة بالإثم، رجلٌ غريب قصد بيت الله واستجار بحرم الله، تظلمه أولاً في ماله، ثم تظلمه آخراً في نفسه، أين عزُبت عنك المكارم الهاشمية والمراحم النبوية؟ غير هذا أولى بك يا ابن فاطمة الزهراء!!

قال: فعمل كلامها في خاطره، وأمر بإحضار الرجل، فلما حضر قال له: اجعلني في حلٍّ، قال: ولم؟ قال: لأني ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: لو كنت ابن بنت رسول الله ﷺ ما فعلت الذي فعلت حين ولّاك الله أمر عباده وبلاده، فاستعذر أبو عزيز وقال: قد تُبِتُ إلى الله وصدقت عليك مالك. فقال الرجل: نعم، الآن أنت ابن بنت رسول ﷺ، وأنا فقد تصدقت بجميع ذلك المال شكراً لله تعالى على أن أعتق من العار والنار شخصاً يعتزي إلى ذلك النسب الكريم. فقال أبو عزيز: الحمد لله على كل حال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم استدعى شاهدين ونص^(١) عليهما الحكاية، ثم قال: فاشهدا أني قد اعتقت هذه الجارية، [ووهبت]^(٢) لها من المال كذا وكذا، فإن أراد هذا اليماني أن يتزوجها فعليّ صداقها عنه، وما يتجهزان به إلى بلاده، وما يعيشان به هناك في نعمة ما شاء الله، فقال اليماني: قد قبلت ذلك، ولم [ينفصل]^(٣) إلى بلاده إلا بها.

وفي تاج تواريخ البشر^(٤): قيل إن الشريف قتادة بن إدريس أهدى للسلطان صلاح الدين بن أيوب هدايا، من جملة: مروحة بيضاء من خوص النخل، وعليها سطران منسوجان بالسعف الأحمر، فلما قدم رسوله عليه قال له الشريف: يخدم السلطان بهذه المروحة التي ما رأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها، فاستشاط السلطان غضباً، فقال الرسول: لا تضجر أيها الملك بالغضب قبل تأملها، وكان السلطان صلاح الدين ملكاً حليماً، فإذا مكتوب فيها:

أنا من نخلة تجاور قبراً ساد من فيه سائر الناس طراً
شملتني سعادة القبر حتى صرت في راحة ابن أيوب أفراً

وإذا هي من خوص النخل الذي في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ، فقبلها صلاح الدين ووضعها على عينيه، وأنعم على الرسول بأضعاف العطايا. انتهى.

(١) كذا في الأصل والعقد الثمين. وكتب في هامش العقد: ولعلها وقص، وفي غاية المرام: وقص.

(٢) في الأصل: ووهب. والمثبت من العقد الثمين (٥٦/٧)، وغاية المرام (٥٧١/١).

(٣) في الأصل: ينقصل. والتصويب من العقد الثمين (٥٧/٧)، وغاية المرام، الموضع السابق.

(٤) تاج تواريخ البشر (٢٣٦-٢٣٧).

وفي العقد الثمين^(١): قال ابن الأثير^(٢): وكانت ولاية الشريف قتادة قد اتسعت من حدود اليمن إلى مدينة النبي ﷺ، وله قلعة [ينبع]^(٣) بنواحي المدينة، وكثر عسكره، واستكثر من الممالك، وخافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً، وكان في أول أمره لما ملك مكة حرسها الله، حسن السيرة، أزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحجاج وأكرمهم، وبقي كذلك مدة، ثم إنه أساء السيرة، وجدّد المكوس بمكة، وفعل أفعالاً شنيعة، ونهب الحاج في بعض السنين.

وقال ابن [سعيد]^(٤): كان أبو عزيز في أول أمره حسن السيرة، صافي السريرة، فلما وثب على شبيهه وبني عمه الرجل الذي توهم أنه من العراق وقتله انقلبت أحواله، وصار مُبغضاً في العراقيين، وفسدت نيته على الخليفة الناصر، وساءت معاملته للحجاج، وأكثر المكوس والتغريم في مكة، حتى ضجّ الناس، وارتفعت فيه الأيدي بالدعاء، فقتله الله تعالى على يد ابنه حسن بن قتادة.

وفي تاريخ العصامي^(٥): قال المنذري في التكملة^(٦): كان قتادة مهيباً

(١) العقد الثمين (٥٣/٧-٥٤).

(٢) الكامل (٤٢٦/١٠).

(٣) في الأصل: ينبع. والتصويب من الكامل، الموضع السابق، والعقد الثمين (٥٣/٧).

(٤) في الأصل: سعد. والتصويب من العقد الثمين (٤١/٧). وهو علي بن موسى بن عبد الملك المشهور بابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ. له مصنفات كثيرة، من أهمها: المشرق في حلى المشرق، والمغرب في حلى المغرب (هامش العقد الثمين ٤١/٧).

(٥) سمط النجوم (٢٢٨/٤).

(٦) انظر: التكملة لوفيات النقلة للمنذري (١٧/٣).

وقوراً، قوي النفس، شجاعاً مقداماً، فاضلاً، له شعر. تولى إمرة مكة. رأيتُه يطوف بالبيت ويتضرع، ويدعو بخشوع، والرئيس على زمزم يدعو له، وهو كالأسد شجاعة، والقطب خشوعاً وتضرعاً، والبدر كمالاً وبهاءً. وسار في مكة سيرة حسنة، وأزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحجاج وأكرمهم، وبقي كذلك مدة، ثم أساء السيرة، ونهب الحاج.

ثم زاد ظلمه في الناس وأذاه للحجاج من العراق وغيرهم، وأظهر التعدي، حتى ضجَّ الناس، وفسدت نيته على الخليفة الناصر العباسي، وارتفعت الأيدي بالدعاء عليه، فقتله الله على يد ابنه حسن بن قتادة. انتهى.

وفي إتحاف الوري بأخبار أم القرى^(١): وفي سنة سبع عشرة وستمئة جمع قتادة جموعاً كثيرة وسار عن مكة يريد المدينة، فترل بوادي الفرع^(٢) وهو مريض، وسيّر أخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة. فلما أبعدوا بلغ الحسن أن عمه قال لبعض الجند: إن أخي مريض وهو ميت لا محالة، وطلب منهم أن يحلفوا له ليكون هو الأمير بعد أخيه قتادة، فحضر الحسن عند عمه

(١) إتحاف الوري (٢٦/٣-٢٨). وانظر: الكامل (٤٢٧/١٠)، والعقد الثمين (١٧١/٤-١٧٢)، وغاية المرام (٥٨٥/١-٥٨٧).

(٢) واد من أطول أودية الحجاز وأغناها عيوناً، إذ لا تزال فيه عشرون عيناً جارية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة بني عمرو، ويسمى وادي الفرع وادي النخل لكثرة نخيله، وقد يسميه البعض وادي بني عمرو، ذلك أنه لا يسكنهم فيه أحد. وسكانه بنو عمرو من حرب (معجم معالم الحجاز ٤١/٧).

واجتمع إليه كثير من الأشراف والمماليك الذين لأبيه، فقال الحسن لعمه: قد فعلتَ كذا وكذا؟ فقال: لم أفعل، فأمر الحسن الحاضرين بقتله، فلم يفعلوا، وقالوا: أنت أمير وهذا أمير، ولا نمد أيدينا إلى أحدكما، [فقال] ^(١) له غلامان لقتادة: نحن عبيدك فمرنا بما شئت، فأمرهما أن يجعلَا عِمَامَةَ عمه في حلقه، ففعلَا، ثم قتله. فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كل مبلغ، وحلف ليقتلن ابنه -وكان على ما ذكر من المرض- فكتب بعض أصحابه إلى الحسن يُعرِّفه الحال، ويقول له: ابدأ به قبل أن يقتلك.

فعاد الحسن إلى مكة، فلما وصلها قصد دار أبيه في نفر يسير، فرأى على باب الدار جمعاً كثيراً، فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، ففارقوا الدار وعادوا إلى مساكنهم، ودخل الحسن على أبيه، فلما رآه [أبوه] ^(٢) شتمه وبالغ في ذمّه وتهديده، فوثب إليه الحسن فخنقه لوقته.

وقيل: إن الحسن واطأ جارية كانت تخدم أباه؛ فأدخلته ليلاً عليه، واستعان بها وبغلام له في إمساكه يديه، ثم قتلها بعد ذلك؛ لئلا يخرج الخبر من قِبَلِهما، وزعم للناس أنهما قتلا أباه ^(٣). وخرج الحسن إلى الحرم الشريف وأحضر الأشراف، وقال: إن أبي اشتد مرضه وقد أمركم على أن

(١) في الأصل: فقالا. والتصويب من إتحاف الوری (٢٧/٣)، والعقد الثمين (١٧١/٤).

(٢) قوله: "أبوه" زيادة من العقد الثمين (١٧٢/٤)، والكمال (٤٢٧/١٠).

(٣) انظر: إتحاف فضلاء الزمن (١١٧/١)، وغاية المرام (٥٧٥-٥٧٦).

تحلفوا [لي]^(١) على أن أكون أنا أميركم، فحلفوا له. ثم إنه أحضر تابوتاً^(٢) ودفنه ليظن الناس أنه قد مات، وكان دفنه سراً. انتهى.

وفي تاريخ العصامي^(٣): وأحضر تابوتاً مغطى وقال: هذا أبي مات، وقد كان دفنه ليلاً. انتهى.

ولاية الشريف حسن بن قتادة

وقال العلامة الدحلان في الخلاصة^(٤): كان الشريف قتادة كثير الأولاد؛ منهم: الحسن وراجح وإدريس وعلي. فتولى مكة بعد قتادة: الحسن^(٥)، وكان فاتكاً جريئاً. انتهى.

وقال ابن فهد^(٦): ولما استقرت الإمارة بمكة لحسن بن قتادة أرسل إلى أخيه الذي بقلعة ينبع على لسان أبيه يستدعيه، وكنتم موت أبيه عنه، فلما حضر أخوه قتله، واستقر أمره وثبت قدمه^(٧).

وكان له أخ اسمه: راجح، لما ملك حسن مكة أقام بظاهر مكة يُفسد الناس وينازع أخاه في ملك مكة، فلما قدم الحاج العراقي وصل مع أمير

(١) قوله: "لي" زيادة من العقد الثمين (١٧٢/٤)، والكامل (٤٢٧/١٠).

(٢) التابوت: صندوق من حجر أو خشب توضع فيه الجثة (المعجم الوسيط ٨١/١).

(٣) سبط النجوم (٢٢٨-٢٢٩).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٢٤). وانظر: منائح الكرم (٢٨٧/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١١٧/١).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (١٦٦-١٧٤)، وشفاء الغرام (٣٤١/٢)، وغاية المرام (٥٨٠-٥٨٩).

(٦) إتحاف الوري (٢٨/٣-٣٠).

(٧) العقد الثمين (١٧٢/٤)، والكامل (٤٢٧/١٠).

الحاج تقليد وخلعة لحسن بن قتادة يامارة مكة عوض^(١) أبيه قتادة، فلما كان في أيام الموسم تعرّض راجح لقطع الطريق عن مكة وعرفة، فمسكه أمير الحاج العراقي آقباش الناصري العباسي - وهو مملوك تركي للناصر العباسي، ومعنى آق باش: أبيض الرأس. ذكره العصامي^(٢) - وأقام معه تحت الحوطة؛ فأرسل إليه الحسن صاحب مكة يقول: سلّمه لي، وأسلّم إليك مالاً جزيلاً، فاتفقا على ذلك. ثم إن راجحاً قال لأمير الحاج: أجمع لك أكثر مما دفع إليك وسلّم لي مكة، فأجابه إلى ذلك، وعزم آقباش على دخول مكة وتسليمها لراجح، فمنعهم الحسن من دخول مكة وأغلق أبوابها، فترلوا الزاهر، فتقدم آقباش إلى مكة مقاتلاً لصاحبها حسن - وكان حسن قد جمع جموعاً كثيرة من العرب وغيرها -، فخرج إليه الحسن من مكة وقاتله، وتقدم أمير الحاج آقباش من عسكره منفرداً، وصعد جبل الحبشي [إذلاًلاً]^(٣) بنفسه بأنه لا يُقدّم عليه أحد؛ فأحاط به العرب أصحاب حسن فقتلوه، وحملوا رأسه إلى حسن، فنصبوه على رمح بالمسعى عند دار العباس، ثم دفن بقية جسده بالمعلا، وانهمز عسكر أمير الحاج بعد قتله، وأحاط أصحاب الحسن بالحاج لينهبوهم، فأرسل إليهم الحسن عمامته أماناً، فعاد أصحابه عنهم ولم ينهبوا منهم شيئاً، وسكن الناس، وأذن لهم الحسن في دخول مكة، وفعلوا ما يريدون من المناسك والبيع

(١) في الأصل زيادة: عن.

(٢) سبط النجوم (٢٣٠/٤).

(٣) في الأصل: أولالا. والتصويب من إتحاف الوري (٢٩/٣)، والعقد الثمين (٣٢٣/٣)، وشفاء

الغرام (٣٩٩/٢)، وغاية المرام (٥٨٠/١).

والشراء وغير ذلك، بعد أن أراد هبهم، فمنعه [أمير]^(١) الحاج الشامي البارز المعتمد والي دمشق، وخوَّفه من الأخوين الكامل صاحب مصر، والمعظم صاحب دمشق، فأجابه وكفَّ عن ذلك^(٢).

وهرب راجح إلى جهة اليمن، ثم توجه إلى المسعود ملك اليمن^(٣). وأقام الحاج بمكة عشرة أيام، وعادوا مع الركب الشامي، فوصلوا العراق سالمين، وعظم الأمر على الخليفة، وحزن على آقباش حزناً عظيماً، [ولم يخرج في الموكب للقاء الحاج على العادة]^(٤)، ووصلت رسلُ حسن بن قتادة يعتذر ويطلب العفو منه، فأجيب إلى ذلك^(٥).

ويقال: إن راجح بن قتادة قصد حاج أمير العراق آقباشا بعرفات، وقال له: أنا أكبر ولد قتادة، وبذل له وللخليفة مالاً ليساعده على ولاية مكة، فلم يجبه، وجاء معه فظن حسن أن آقباشا قد وافقه عليه وولاه، فأغلق أبواب مكة، فركب آقباش لِيُسَكِّنَ الفتنة ويُصلح بين الأخوين، وقال: ما قصدي قتال، فلم يلتفتوا له، فثار به العبيد الأشرار فحملوا عليهم فقاتلوه، فانهزم أصحابه وبقي وحده، وعُقرت

(١) قوله: "أمير" زيادة من إتحاف الوری، الموضع السابق، والعقد الثمين (٤/١٦٧)، وغاية المرام، الموضع السابق.

(٢) انظر: شفاء الغرام (٢/٣٩٧-٣٩٨)، وغاية المرام (١/٥٨٠-٥٨١).

(٣) انظر: العقد الثمين (٤/٣٧٣).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوری (٣/٣٠)، والعقد الثمين (٣/٣٢٤).

(٥) انظر: العقد الثمين (٣/٣٢٣-٣٢٤)، والكامل (١٠/٤٢٦)، وغاية المرام (١/٥٨١).

فرسه، فسقط، فذبحوه وعلّقوا رأسه^(١). انتهى.

ودامت ولاية الحسن إلى سنة تسع عشرة وستمائة، إلى أن أخذها منه الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن^(٢).

وكان الحسن قد أساء السيرة في الأشراف وممالك أبيه، فتفرقوا عنه ولم يبق له إلا القليل، فقدم المسعود يوسف أقيس ابن الملك الكامل صاحب اليمن إلى مكة في رابع ربيع الأول سنة تسع عشرة وستمائة، فلقاه الحسن وقاتله بالمسعى بين الصفا والمروة ببطن مكة، ثم انهزم الحسن وفارق مكة بمن معه، فتولى مكة المسعود يوسف بن الملك الكامل^(٣).

قال ابن فهد^(٤): وملكها -أي مكة- المسعود، ونهبها عسكره إلى العصر، حتى أخذوا الثياب عن الناس، ثم صاحت صوائح المسعود بالأمان، وحرّم النهب وسفك الدماء، وأمر المسعود أن يُنبش قبر قتادة ويحرق، فنبشوه، فظهر التابوت الذي دفنه ابنه الحسن، والناس ينظرون إليه فلم يروا به شيئاً، فعلموا حينئذ أن الحسن قتل أباه، ودفن التابوت في قبره ليخفي أمره، وردّ المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم جميعاً، وما كان أخذ من

(١) انظر: العقد الثمين (٣/٣٢٣)، وشفاء الغرام (٢/٣٩٧-٣٩٨)، وغاية المرام (١/٥٨٠ و ٥٨١).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٤٩٢-٤٩٥)، وشفاء الغرام (٢/٣٤١)، وغاية المرام (١/٥٨٩-٥٩٥).

(٣) انظر: شفاء الغرام (٢/٣٤١)، ومنايح الكرم (٢/٢٩٠)، وغاية المرام (١/٥٨٢).

(٤) إتحاف الوري (٣/٣٤-٣٦).

الوادي جميعه، ومن مكة من الدور^(١).

وبدا منه تجرّ وقلة دين؛ من ذلك: أنه صعد قبة زمزم ورمى حمام مكة بالبندق^(٢).

[ومن ذلك: ضَرَبُ غلمانہ الناس بالمسعى بالسيوف في أرجلهم وهم يسعون، ويقولون: اسعوا قليلاً قليلاً فإن السلطان نائم سكران]^(٣) في دار السلطنة بالمسعى، -وكانت تسمى دار القوارير، ومحلها محل المدرسة [القايتبائية]^(٤). ذكره العصامي^(٥) - والدم يجري من سيقان الناس^(٦).

ومن ذلك: منعه دخول الحاج العراقي مكة يوماً واحداً، وكان أميرهم ابن أبي [فراس]^(٧) وهو مستقل. ثم بعد ذلك لبس خلعة الخليفة، واتفق الأمر، وفتح باب مكة، وحج الناس وطابت قلوبهم، ونصب راية صفراء، وأطلع علمه وعلم أبيه، ومنع إطلاع علم الخليفة الناصر لدين الله العباسي

(١) العقد الثمين (١٧٠/٤). وانظر: منائح الكرم (٢٩٠/٢)، وغاية المرام (٥٨٣/١).

(٢) انظر: السلوك (٣٣٣/١)، وغاية المرام (٥٩١/١). والبندق: عبارة عن كرات من الرصاص أو ما أشبه، يرمى بها بواسطة قوس البندق الذي يسمى: الجلاهق، ويتخذ من القنا ويلف عليه الحرير ويغرى، وفي وسط وتره قطعة دائرة تسمى: الجوزة، توضع فيها البندقة عند الرمي. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص: ٦٨).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (٣٥/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٩٤/٧)، وسمط النجوم (٢٣٠/٤).

(٤) في الأصل: القايتبائي. والتصويب من سمط النجوم (٢٣١/٤).

(٥) سمط النجوم (٢٣٠-٢٣١/٤).

(٦) انظر: منائح الكرم (٢٩١/٢)، وغاية المرام (٥٩١/١).

(٧) في الأصل: فراس. والتصويب من إتحاف الورى (٣٥/٣).

وابن أبي فراس: هو حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس (إتحاف الورى ٣٢/٣).

إلى جبل عرفة، ويقال: إنه أذن في إطلاعه قبل الغروب لما ليم في ذلك وخوف^(١)، وهم العراقي لقتاله، فعجز عن ذلك لكثرة عسكره، وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة، وخرج بعد الحج من مكة متوجهاً إلى اليمن، واستتاب على مكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس. وولى المسعود راجحاً حلي والسرّين^(٢) ونصف المخلاف^(٣).

ثم إن حسن بن قتادة راح إلى ينبع وأخذ جيشاً كثيراً، وجاء إلى مكة، فخرج إليه نور الدين إلى [الخرّبة]^(٤) وكسره^(٥)، فقصّد الشام فلم يتلفت إليه، فتوجّه إلى العراق. انتهى.

قال العصامي^(٦): ثم توجه إلى العراق فلم يرَ بها وجهاً، بل أرادوا قتله بسبب قتله آقباش الناصري - مملوك الخليفة الناصر العباسي - في الواقعة التي جرت في أيامه بمكة زمن الحج، فخرج منها خائفاً، ولم يزل طريداً شريداً خائفاً إلى أن وصل بغداد، فأدركه أجله في الجانب الغربي على دكة، ولما علم

(١) انظر: غاية المرام (٥٩١/١).

(٢) حلي: مدينة على ساحل البحر جنوب مكة بينها وبين السرّين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام (معجم البلدان ٢/٢٩٧).

والسرّين: بليد قريب من مكة على ساحل البحر، بينها وبين مكة أربعة أيام أو خمسة قرب جدة (معجم البلدان ٣/٢١٩).

(٣) انظر: السلوك (٣٣٣/١)، والعقد الثمين (١٧٠/٤)، ومنايح الكرم (٢٩٠/٢-٢٩١)، وغاية المرام (٥٨٤/١).

(٤) في الأصل: الحديدية. والتصويب من إتخاف الورى (٣٦/٣)، والعقد الثمين (١٧٠/٤).

(٥) انظر: شفاء الغرام (٣٤١/٢).

(٦) سمط النجوم (٢٣١/٤).

به غُسل وصُلِّي عليه، ودُفن في مشهد موسى الكاظم^(١). انتهى.

وفي الإتحاف^(٢): وكان حسن أديباً شاعراً ظريفاً، فمن شعره

يقول:

أبي الله والخطيئة السمر والطبا وكل كمي لا يرى الدل مذهبا
بأن يتولّى أمر مكة حاكم سيوى من له سيف طويل له

انتهى.

قال ابن فهد^(٤): وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة جاء قاسم الحسيني إلى مكة بعسكر كثير، وحاصرها شهر زمان، وكان نواب الكامل فيها، وقُتل قاسم الحسيني ولم يتمكن من أخذها.

وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة^(٥) توجه المسعود من مكة على طريق عيذاب إلى مصر زائراً والده، ثم عاد إلى مكة.

ولم يزل نور الدين عمر بن علي بن رسول بمكة نائباً عن الملك المسعود إلى سنة خمس وعشرين وستمائة، ثم عاد إلى اليمن^(٦).

(١) إتحاف الوري (٤٢/٣)، وغاية المرام (٥٨٨/١)، ومنايح الكرم (٢٩٢/٢)، وغاية المرام (٥٨٥-٥٨٤/١).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١١٩/١). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٥٢).

(٣) في هامش الأصل: شبا: حدّ السيف. اهـ قاموس (ص: ١٦٧٤).
وقوله: "والخطيئة": أي الرماح، "والطبا": جمع طبة، وهي حدّ السيف أو السنان، و"الكمي": الشجاع أو لابس السلاح.

(٤) إتحاف الوري (٣٩/٣). وانظر: السلوك (٣٤١/١).

(٥) إتحاف الوري (٤١/٣).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء الزمن (١١٩/١).

وفي شهر جمادى الثاني من السنة المذكورة^(١) ولي مكة نيابة للملك المسعود حسام الدين ياقوت بن عبدالله المسعودي^(٢).

وفي سنة ست وعشرين وستمائة^(٣) قدم الملك المسعود من اليمن - بعد أن ظَلَمَ التجار - لما سمع بموت عمه المعظم صاحب دمشق طمعاً فيها، ولم يصل إلى مكة إلا وقد فُلِحَ^(٤)، وبيست يده ورجلاه، ورأى في نفسه العبر. فلما احتضر بَعَثَ إلى رجل مغربي وقال: والله ما أَرْضَى لنفسي من جميع ما معي^(٥) كَفْناً أَكْفَنَ فيه، فتصدَّقْ عليَّ بكفن، فبعث إليه [شقتين]^(٦)؛ بغدادي ومائتي درهم، واشتدَّ مرضه بمكة فمات بها، وأوصى أن يُقبر بين الغرباء في مقبرة أهل مكة.

قال السنجاري^(٧): ثم إن عتيقه الصارم بنى عليه قبة، وهي باقية إلى الآن. انتهى.

وبعد وفاة الملك المسعود استولى على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول، وبويع بالسلطنة، وتلقب بالملك المنصور^(٨).

(١) إتحاف الورى (٤٤/٣). وانظر: منائح الكرم (٢٩٤/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١١٩/١-١٢٠)، وشفاء الغرام (٣٤١/٢).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤٢٥/٧)، وشفاء الغرام (٣٤١/٢)، وغاية المرام (٦٠٧/١-٦٠٨).

(٣) إتحاف الورى (٤٥/٣). وانظر: درر الفرائد (ص: ٢٧٦)، وغاية المرام (٥٩٢/١).

(٤) فُلِحَ الرجل: أصابه داء الفالج. والفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طويلاً (المعجم الوسيط ٦٩٩/٢).

(٥) في الأصل زيادة: إلا. وانظر: إتحاف الورى (٤٥/٣).

(٦) في الأصل: شفتين. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق.

(٧) منائح الكرم (٢٩٥/٢). وانظر: غاية المرام (٥٩٣/١).

(٨) منائح الكرم (٢٩٦/٢). وانظر: شفاء الغرام (٣٤١/٢).

وولي مكة طُغتكين التركي^(١)، ولاءه أبو الملك المسعود الملك الكامل صاحب مصر^(٢).

قال ابن خلكان^(٣): ولقد حكى لي من حضر الخطبة بمكة يوم الجمعة، فسمع الخطيب يقول على المنبر في حق الملك الكامل: صاحب مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين، ورب العلامتين، وخادم الحرمين الشريفين المحترمين، الملك الكامل خليل أمير المؤمنين. كذا في خلاصة الكلام^(٤).

وقال العصامي^(٥): وفي سنة سبع وعشرين وستمائة وصل إلى مكة جيش صاحب اليمن عمر بن علي بن رسول الغساني، وصحبته الشريف راجح بن قتادة، فتلوا بالأبطح وحصروا مكة، وأرسل الشريف راجح إلى أهل مكة يذكرهم إحسان السلطان نور الدين أيام نيابته بمكة عن الملك المسعود، فمال رؤساء مكة إليه، فلما أحسَّ بذلك الأمير طُغتكين خاف على نفسه، فخرج هارباً وقصد وادي نخلة، فدخل راجح ومن معه، فوليها الشريف راجح، وكان أمير الجيش يسمى: ابن عبدان، فدخل مكة واستولى عليها، وخطب للملك المنصور ابن الملك المسعود.

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٥/٦٤-٦٦)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٢)، وغاية المرام (١/٦١٢-٦١٤).

(٢) انظر: خلاصة الكلام (ص: ٢٥).

(٣) وفيات الأعيان (٥/٨٢-٨٣).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٢٥)، ومنائح الكرم (٢/٢٩٦).

(٥) سبط النجوم (٤/٢٣٢-٢٣٤).

وتوجه طغتكين إلى ينبع فأقام هناك، وعرف الكامل بالخبر، فجهّز جيشاً كبيراً من مصر، وأمر صاحب ينبع وصاحب المدينة أن يخرجوا مع ذلك الجيش إذا وصل إليهما، ففعلوا، ووصلوا جميعاً إلى مكة في رمضان، وحاصروا راجحاً وابن عبدان وقتلوهما وانكسروا، واستولى على مكة أميرها الأول طغتكين، فقتل من أهل مكة خلقاً كثيراً ونهب ثلاثة أيام، وأظهر حقه عليهم، وأخافهم خوفاً شديداً^(١).

وفي سنة ثلاثين وستمائة جمع الشريف راجح جموعاً عظيمة، وأمدّه الملك المنصور صاحب اليمن بعساكر، فقدم مكة، وطرد طغتكين وعسكر الملك الكامل صاحب مصر، فلما علم بذلك الكامل جهّز عسكرياً في شوال سبعمائة فارس، فلما أن وصل الحاج واتضح أمر العسكر خرج الشريف راجح من مكة فدخلها العسكر المصري من غير محاربة، وطيوا قلوب أهل مكة وعدلوا فيهم وأحسنوا إليهم، وحج بالناس أمير يسمى: الزاهد، وترك في مكة أميراً يقال له: ابن مُجَلِّي في خمسين فارساً أقام بمكة، فعدل وأحسن السيرة^(٢).

وفي سنة واحد وثلاثين وستمائة جهّز الملك المنصور صاحب اليمن إلى

(١) انظر: السلوك (٣٦٦/١)، وشفاء الغرام (٣٤١/٢-٣٤٢)، ومنايح الكرم (٢٩٧/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢٠/١)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٥-٢٦)، وغاية المرام (١/١-٦٠١-٦١٣).

(٢) انظر: السلوك (٣٦٧/١)، وشفاء الغرام (٣٤٢/٢)، ومنايح الكرم (٢٩٨/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢١/١)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٦).

السيد راجح عسكرياً جرّاراً، وخزانة عظيمة، فنهض راجح ومن معه من العسكر، ودخلوا مكة، وأخرجوا ابن مجلي ومن معه^(١)، فلما وصل الحاج سمع الشريف راجح أن الملك الكامل حاج على النجب، [لوعده بينه وبين الخليفة العباسي]^(٢)، فخرج راجح من مكة فتغير عليه خاطر الملك المنصور، فلما رجع الملك الكامل عاد راجح إلى مكة، وكان بمكة غلاء عظيم سموه: غلاء ابن مجلي^(٣).

وفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وصل من [صاحب]^(٤) مصر عسكر ألف فارس، فخرج الشريف راجح إلى اليمن، فجهزه الملك المنصور بخزانة وعسكر أيضاً، وأرسل قناديل ذهب وفضة لتعلق في جوف الكعبة، فلم يقدر راجح ومن معه على مقاومة العسكر المصري فلم يدخل، فلما سمع بهم العسكر المصري خرجوا إليهم من مكة، فالتقوا بمحل يقال له: الخلف والخليف^(٥)، فانهزمت الأعراب أصحاب راجح، وأسر من عسكره ابن عبدان فقيد، وأرسل به إلى مصر^(٦).

(١) انظر: غاية المرام (٦٠١/١).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من سمط النجوم (٢٣٣/٤).

(٣) انظر: السلوك (٣٧٠/١)، ومنائح الكرم (٢٩٩/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢١/١)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٦).

(٤) قوله: "صاحب" زيادة من سمط النجوم (٢٣٣/٤).

(٥) في غاية المرام ومنائح الكرم: المحل يقال له: الخريقين، بين مكة والسرين.

(٦) انظر: غاية المرام (٦٠١/١-٦٠٢)، ومنائح الكرم (٢٩٩/٢-٣٠٠)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٦).

وقال ابن ظهيرة في الجامع اللطيف^(١) بعد ذكر ولاية عسكر الملك المنصور لمكة: ثم وليها نيابة عن الملك الكامل أميره المسمى بجفرييل^(٢) -بجيم ثم فاء ثم راء مهملة ثم مشاة تحتية ثم لام- وذلك أن الملك الكامل كان قد جهز عسكراً كبيراً فيه ألف فارس -وقيل: تسعمائة، وقيل: خمسمائة-، وخمسة أمراء مقدمهم جفرييل المذكور، واستمرت ولاية جفرييل على مكة إلى سنة خمس وثلاثين وستمائة^(٣). انتهى.

وفي خمس وثلاثين وستمائة خرج السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن قاصداً مكة في ألف فارس، وأرسل للجند الذين بمكة أن كل من جاء إليه يعطيه ألف دينار [وحصاناً]^(٤) وكسوة؛ فمال إليه كثير من الجند، وآثروه على مولاهم، ووفى لهم بما وعدهم، وأرسل إلى الشريف راجح فتلقاه في أثناء الطريق فقدمه، وأصحبه ثلاثمائة فارس من أهل النجدة من عسكره، وأعطاه النقّارات والكُوسات^(٥) وتقدم إلى مكة.

(١) الجامع اللطيف (ص: ٣١١).

(٢) هكذا ضبطه السنجاري في منائح الكرم (٢/٢٩٨)، والفاسي في شفاء الغرام (٢/٣٤٣)، والعقد الثمين (٣/٤٣٤، ٦/٣٤٥)، وفي غاية المرام: جُفرييل.

(٣) انظر: شفاء الغرام (٢/٣٤٣)، والسلوك (١/٣٧١)، ومنائح الكرم (٢/٢٩٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢١)، وغاية المرام (١/٦٠١-٦٠٢).

(٤) في الأصل: وحصان. والتصويب من سمط النجوم (٤/٢٣٣)، وغاية المرام (١/٦٠٢).

(٥) النقّارات: نوع من الطبول. والكُوسات: صنج من نحاس شبه الترس يذق بواحدة على الأخرى بإيقاع مخصوص، وهما من رسوم السلطان وآلاته (انظر: السلوك ١/١٢٦، ١/٨٩٠ ط القاهرة).

فلما تحققت عساكر مصر وصول السلطان أحرقوا ما كان عندهم من الأثقال والأقوات، وخرجوا من مكة، فأرسل الشريف راجح يشتر السلطان نور الدين بما وقع، فأحرم بعمرة ودخل مكة في رجب، وتصدق على أهل مكة بأموال جزيلة^(١).

وفي ذلك العام مات الكامل صاحب مصر، فخطبوا للملك المنصور ابن الملك المسعود صاحب اليمن^(٢). انتهى ما ذكره العصامي.

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وثلاثين وستمائة^(٣): فيها سافر المنصور إلى بلاد اليمن، وترك بمكة [رَبَّةً]^(٤) مائة وخمسين فارساً، وجعل عليهم ابن الوليد وابن التعزي^(٥)، وأقاما بمكة حتى انقضت هذه السنة.

وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة^(٦) بعث الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ألف فارس عليهم [الشريف]^(٧) شيحة - بشين معجمة مكسورة، ثم مشاة تحتية، ثم حاء مهملة، ثم هاء الوقف - بن قاسم، أمير

(١) انظر: غاية المرام (٦٠٢/١-٦٠٣)، إتحاف الوري (٥٣/٣)، والسلوك (٣٨٦/١)، ومنايح الكرم (٣٠٠/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٦).

(٢) انظر: منايح الكرم (٣٠١/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٦).

(٣) إتحاف الوري (٥٥/٣). وانظر: العقد الثمين (٣٤٦/٦)، ومنايح الكرم (٣٠١/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢١/١)، وغاية المرام (٦٠٣/١).

(٤) قوله: "رتبة" زيادة من إتحاف الوري، الموضع السابق. وانظر: غاية المرام (٦٠٣/١).

(٥) ابن الوليد: كان هو وابن التعزي من أنصار المنصور صاحب اليمن وخلفائه لما توجه إلى مكة عام ٦٣٦هـ، فتركهما بمكة حتى نهاية العام، وابن التعزي من قواده (انظر: العقد الثمين ١٧٤، ١٧٠/٨).

(٦) إتحاف الوري (٥٦/٣).

(٧) قوله: "الشريف" زيادة من إتحاف الوري ودرر الفرائد، الموضعان السابقان.

المدينة، فلما سمع بهم عسكر المنصور خرجوا عن مكة وأخلوها، فدخل الشريف شيحة وملكها ونهبها، ولم يقتل أحداً، فلما سمع المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن ذلك بعث بابن التَّصِيرِي والشريف راجح إلى مكة في عسكر جرّار؛ ففرّ الشريف شيحة بمن معه، وقدم القاهرة^(١).

وفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة^(٢) قدم مكة بعسكر جهزه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل مع الشريف شيحة، وفيهم علم الدين الكبير، وعلم الدين الصغير، فأخذوها من عسكر صاحب اليمن، وحجوا بالناس^(٣).

وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة^(٤) جهّز المنصور نور الدين جيشاً كثيفاً إلى مكة مع راجح، فلما علم بهم العسكر الذين بمكة كتبوا إلى ملكهم صاحب مصر يطلبون منه النجدة؛ فأرسل إليهم [مبارز]^(٥) الدين علي بن الحسين بن برطاس، والأمير [مجد]^(٦) الدين أحمد بن التركماني في مائة وخمسين فارساً نجدة، فلما علم بذلك عسكر صاحب

(١) انظر: السلوك (٤٠٤/١، ٤١٦)، ودرر الفرائد (٣٧٣/١)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢١/١-١٢٢)، والعقد الثمين (٣٤٦/٦)، وسمط النجوم (٢٣٤/٤)، ومناجح الكرم (٣٠١/٢-٣٠٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٦)، والعقود اللؤلؤية (٦٤/١)، وغاية المرام (٦٠٤/١).

(٢) إتحاف الوري (٥٦/٣-٥٧)، ودرر الفرائد (٣٧٣/١).

(٣) العقد الثمين (٣٤٦/٦)، وغاية المرام (٦٠٤/١)، والعقود اللؤلؤية (٦٥/١).

(٤) إتحاف الوري (٥٧/٣).

(٥) في الأصل: مبارك. والتصويب من العقد الثمين (٣٤٧/٦)، وإتحاف الوري (٥٧/٣)، والعقود اللؤلؤية (٦٩/١)، وغاية المرام (٦٠٤/١). وانظر ترجمته في: غاية المرام (٤٤/٢).

(٦) في الأصل: محمد. وهو تحريف، والتصويب من إتحاف الوري (٥٧/٣).

اليمن [أقاموا]^(١) بالسَّرين، وكتبوا إلى المنصور بذلك، فتجهز بنفسه إلى مكة في عسكر جرَّار، فلما علم المصريون بقدومه ولّوا هاربين، فأحرقوا دار السلطنة بمكة على ما فيها من عُدد وسلاح وغيرها، ودخلها السلطان نور الدين في شهر رمضان، وصام بها رمضان، وأبطل بها سائر المكوسات والجبايات والمظالم، وكتب بذلك مُرَبَّعةً^(٢)، وجُعِلَتْ قُبَالَةَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ عَلَى زَمَزَم، وبعث إلى صاحب ينبع أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، فلما أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه، واشترى قلعة ينبع وأمر بخراجها حتى لا يبقى قرار للمصريين، وجعله بالوادي مساعداً لنوابه الذين بمكة، واستتاب بمكة مملوكه الأمير فخر الدين السَّلَّاح^(٣)، [وابن فيروز]^(٤).

وقيل: أن ابن التركماني إنما قدم مكة في سنة ثمان وثلاثين وأقام بها إلى رمضان إلى سنة تسع وثلاثين.

-
- (١) زيادة من إتحاف الوري (٥٧/٣). وانظر: غاية المرام (٦٠٤/١).
- (٢) المربعة: عبارة عن قطعة مربعة من الرخام، وقد بقيت هذه المربعة إلى أن قلعتها ابن المسيب في سنة ٦٤٦ هـ، وأعاد الجبايات والمكوس (سمط النجوم ٢١٩/٤).
- (٣) في إتحاف الوري، وغاية المرام، والعقد الثمين: السَّلَّاح. وانظر ترجمته في: العقد الثمين (١٧٥/٨-١٧٦)، وغاية المرام (٦٣٠/١).
- والسَّلَّاح: هو المنوط بحمل سلاح السلطان (انظر: صبح الأعشى ٤٢٨/٥).
- (٤) ما بين المعكوفين زيادة من العقد الثمين (٣٤٧/٦)، وإتحاف الوري (٥٨/٣)، وغاية المرام (٦٠٥/١)، وسمط النجوم (٢٣٤/٤)، ودرر الفرائد (٣٧٤/١)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢٢/١).
- وانظر الخبر في: السلوك (٤١٦/١)، والعقد الثمين (٣٤٦/٦-٣٤٧)، وغاية المرام (٦٠٤/١) - (٦٠٥)، وسمط النجوم (٢٣٤/٤)، ودرر الفرائد (٣٧٣/١-٣٧٤)، ومنائح الكرم (٣٠٢/٢، ٣٠٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢٢/١)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٦)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٥٦).

وفي سنة أربعين وستمائة توجه السلطان نور الدين من مكة^(١).

وفي سنة ست وأربعين وستمائة^(٢) - أو في السنة التي قبلها في يوم الاثنين منتصف ربيع الأول - غَزَلَ المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مملوكه الأمير فخر الدين السلاح عن مكة وأعمالها، وولى عوضه محمد بن أحمد بن المسيب اليمني^(٣)، على مال يقوم به - بعد كفاية الجند - [وقود مائة فرس في كل سنة]^(٤)، فقدم إلى مكة بمرسوم السلطان فدخلها، وخرج عنها الأمير فخر الدين السلاح، فأقام ابن المسيب أميراً بمكة هذه السنة والتي بعدها، فسأدت سيرته، وعز في هذه المدة جميع الخير الذي وضعه السلطان نور الدين، وأعاد الجبايات والمكوسات، وقلع المربعة التي كان السلطان كتبها من جهة إبطال المكوسات والجبايات والمظالم وجعلها على زمزم في سنة تسع وثلاثين، واستولى على الصدقات التي كانت تصل من اليمن، وأخذ من المجد ابن [أبي]^(٥) القاسم المال الذي كان تحت يده للملك المظفر، وبني حصناً بنخلة يسمى: العَطْشَان^(٦)، واستحلف هُذَيْلاً لنفسه، ومنع الجند النفقة؛

(١) إتحاف الوري (٥٩/٣)، والعقود اللؤلؤية (٦٩/١).

(٢) إتحاف الوري (٦٧/٣).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (١٧٢/٨ - ١٧٤)، وغاية المرام (٦٣١/١ - ٦٣٣).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوري، الموضع السابق، وغاية المرام (٦٣٢/١).

(٥) قوله: "أبي" زيادة من العقد الثمين (٣٨٦/١)، والعقود اللؤلؤية (٧٨/١)، وأمراء مكة (ص: ١٥٧)، وغاية المرام (٦٣٢/١)، وإتحاف الوري، الموضع السابق.

(٦) العطشان: حصن كان بنخلة، بناه محمد بن أحمد المسيب اليمني، إبان ولايته على مكة لصاحب اليمن عمر بن علي بن رسول. كذا ذكر الفاسي في العقد الثمين (١٧٣/٨).

وقال البلادي في معجم معالم الحجاز (١٠٠/١٠): وفي أوراقي: العطشان: جبل قرب التنضب بني عليه حصن، والتنضب أرض كانت تسقيها عين بجوار البردان المعروفة بالمضيق (مضيق نخلة)

فتفرقوا عنه، ومكر مكرأ فمكر الله به^(١).

وفي سنة سبع وأربعين وستمائة^(٢) حسن بعض كبار الأعراب من زبيد للسيد أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة دخول مكة والفتك بمن فيها من جهة صاحب اليمن، [وهو] ^(٣) عليه أمرهم، وكانوا فرقتين تخرج واحدة إلى أعلى مكة والأخرى إلى أسفلها كل يوم، فحمل أبو [سعد] ^(٤) في يوم الجمعة لتسع خلون من ذي القعدة على إحدى الفرقتين فكسرها، فضعفت الأخرى عنه، فاستولى على مكة، وقبض على ابن المسيب الأمير الذي كان بها من جهة صاحب اليمن، وأخذ ما كان معه من خيل وعدد وممالك وقيدته، وأحضر أعيان أهل الحرم وقال: ما لزمته إلا لتحقيقي خلافه على مولانا السلطان، [وعلمت أنه] ^(٥) أراد الهرب بهذا المال الذي معه

وقد أجريت عين البردان لسقيا مكة. أما عين التنضب فقد غارت منذ زمن بعيد، ولا زالت أرضها معروفة.

(١) انظر: السلوك (٤٣٥/١)، والعقد الثمين (٣٨٦-٣٨٧/١)، ومنايح الكرم (٣٠٧/٢)، وغاية الأمان (٤٣١/١)، ودرر الفرائد (٣٧٥/١)، والعقود اللؤلؤية (٧٧-٧٨/١)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٥٦-١٥٧)، وغاية المرام (٦٣٢/١).

(٢) إتحاف الورى (٦٨/٣-٦٩).

(٣) في الأصل: وهو. والتصويب من العقد الثمين (١٦٠/٤)، وغاية المرام (٦٣٣/١)، وإتحاف الورى، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: سعيد. والتصويب من العقد الثمين، وإتحاف الورى، وغاية المرام، الموضع السابقة، وسمط النجوم (٢٣٤/٤)، وأمراء مكة (ص: ١٥٧).

(٥) في الأصل: وغلماؤه. وهو تحريف، والتصويب من إتحاف الورى (٦٩/٣)، والعقد الثمين (١٦٠/٤)، وغاية المرام (٦٣٤/١)، وأمراء مكة (ص: ١٥٧).

إلى العراق^(١)، وأنا غلام السلطان والمال عندي محفوظ والخيول والعدد إلى أن يصل مرسوم السلطان، فوردت الأخبار بعد أيام يسيرة بوفاة السلطان^(٢).

وتوجه راجح بن قتادة إلى اليمن هارباً لما استولى عليها أبو سعد الحسن ابن أخيه علي بن قتادة، وسكن السرين -يعني الموضع المعروف بالواديين-^(٣). انتهى.

قال السنجاري [في]^(٤) منائح الكرم^(٥): وأبو سعد هذا هو والد عبدالكريم جدّ الأشراف ذوي عبدالكريم، وكانت أمه حبشية. حكى أنه حارب بعض العرب فلحقته في هودج، فلما جاءها قالت له: [اعلم]^(٦) يا بني أنك تقف اليوم موقفاً، إن ظفرت فيه بعدوك، قال الناس: ظفر ابن رسول الله ﷺ، وإن هربت قال الناس: هرب ابن الأمة [السوداء]^(٧)، فانظر لنفسك،

(١) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٥٧).

(٢) انظر: غاية المرام (١/٦٣٣-٦٣٤).

(٣) انظر: العقد الثمين (٤/١٦٠)، ومنائح الكرم (٢/٣١١-٣١٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/١٢٣)، وسمط النجوم (٤/٢٣٤-٢٣٥).

(٤) في الأصل: وفي.

(٥) منائح الكرم (٢/٣١٢-٣١٤). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٣٥)، والعقد الثمين (٤/١٦٣)، وغاية المرام (١/٦٣٧-٦٣٨).

(٦) قوله: "اعلم" زيادة من منائح الكرم (٢/٣١٢)، وسمط النجوم (٤/٢٣٥)، وغاية المرام (١/٦٣٧).

(٧) قوله: "السوداء" زيادة من منائح الكرم، الموضع السابق، وسمط النجوم (٤/٢٣٥)، وغاية المرام (١/٦٣٧).

فإنه لا موت قبل فراغ العمر. فشكر لها ذلك، وصبر على جلاد العدو إلى أن أظفره الله تعالى.

وذكر ابن الفضل في الوسيلة عن نشأة السلافة للإمام عبدالقادر الطبري: أن الشريف أبا نمي بن الحسن بن علي بن قتادة شارك والده الحسن المذكور في ولاية مكة.

قال: وسبب ذلك^(١): أن السيد راجح بن قتادة عم والده استنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه، فخرج راجح معهم من المدينة ومعه سبعمائة فارس [من بني الحسين]^(٢) قاصداً مكة. وكان السيد [أبو]^(٣) نمي ينيب، فبلغه الخبر، فخرج في أربعين فارساً، فصادف راجحاً مقبلاً بمن معه فوقع بهم، وكان الظفر لأبي نمي، وهرب السيد عيسى الحسيني الملقب بحرون، فانتشرت عمامته فجعل يجريها [خلفه]^(٤)، وكان مقدم الجيش. وفي ذلك يقول السيد جعفر الحسيني يمدح أبا نمي ويحسن فعله، وهو إذ ذاك لسان بني حسن بالعراق:

(١) انظر تفاصيل الحادثة في: غاية المرام (٣٩/٢-٤٠)، وسمط النجوم (٢٤٠/٤-٢٤١).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٤٠/٢)، وسمط النجوم (٢٤١/٤).

(٣) في الأصل: أبا. والتصويب من منائح الكرم، الموضع السابق.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٣١٣/٢)، وغاية المرام (٤٠/٢)، وسمط النجوم (٢٤١/٤).

ألم يَبْلُغَكَ شَأْنُ بَنِي حُسَيْنٍ وَفَرَّهُمُوما فَعَلَ الْحَرُونَ
 فَيَا اللَّهَ فَعَلَ أَبِي غَمِي وَبَعْضُ النَّاسِ يُشَبِّهُهُ الْجَنُونَ
 يَصُولُ بِأَرْبَعِينَ عَلَى مِائَاتٍ^(١) وَكَمْ مِنْ كَثْرَةٍ [طَلَبَتْ]^(٢) قَهُونَ

ثم إن السيد أبا غمي دخل مكة بعد هزم الجيش، فأكرمه والده بأن جعله شريكاً له^(٣).

ورأيت في بعض الرسائل: أن عُمر الشريف [أبي]^(٤) غمي إذ ذاك لم يبلغ العشرين. انتهى.

وقال ابن فهد^(٥): وفي سنة تسع وأربعين وستمائة حج الملك المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول، وكسا رؤساء الحرم التشريفات، وأقام بمكة عشرة أيام يفرق الصدقات المبرورة، فوصلت صدقاته لكل بيت بمكة، وعمّت الحاج أجمعين على اختلاف أنواعهم، وجهاز أعيان حاج مصر^(٦). انتهى.

وقال العصامي^(٧): وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة قدم الشريف جهاز

(١) في خلاصة الكلام وأمراء مكة: يصف بأربعين على مئين.

(٢) في الأصل: ظلت. والمثبت من منائح الكرم (٣١٤/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٧).

(٣) انظر: خلاصة الكلام (ص: ٢٦-٢٧)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٥٧-١٥٨).

(٤) في الأصل: أبا، وهو لحن.

(٥) إتحاف الوري (٣/٧٠-٧١).

(٦) لم ترد هذه الحجة في ترجمة الملك المظفر في العقد الثمين (٤٨٨/٧) ولا في غيره مما تيسر من مراجع. وإن كانت أوصاف حجته هذه تنطبق على بعض أوصاف حجته في سنة ٦٥٩هـ.

(٧) سمط النجوم (٤/٢٣٦).

ابن حسن بن قتادة^(١) من دمشق بعسكر من عند الناصر بن العزيز ابن الظاهر بيبرس، ووعدته أن يخطب له بمكة، فأمدّه بعسكر صحبة الركب الشامي، فتقدم أمام الركب ودخل مكة في رمضان من السنة المذكورة، واستولى على مكة وقتل ابن عمه أبا سعد بن علي بن قتادة المذكور، وحجّ بالناس، ثم نقض عهد الناصر ولم يخطب له، وخطب للملك المظفر ابن المنصور ابن المسعود صاحب اليمن^(٢). فلما كان آخر يوم ذي الحجة من السنة المذكورة - بعدما استولى على مكة - قدم عمه راجح بن قتادة ففر منه جواز بلا قتال إلى ينبع^(٣).

ثم وليها راجح بن قتادة^(٤)، وكان بمكة غلاء عظيم، وعطش، بيعت شربة الماء بدرهم، والشاة بأربعين [درهماً]^(٥)، واستمر إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

فلما كان شهر ربيع الأول منها هجم عليه ابنه غانم بن راجح بن قتادة^(٦) وأخرج والده راجح من مكة بلا قتال، فوليها غانم بن راجح في شهر ربيع الأول المذكور، واستمر إلى شهر شوال من السنة المذكورة^(٧). انتهى.

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤٣٥-٤٣٦)، وشفاء الغرام (٣٤٤/٢)، وغاية المرام (٦٣٨/١-٦٣٩).

(٢) انظر: منائح الكرم (٣١٥/٢).

(٣) انظر: غاية المرام (٦٣٨/١).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٧٢-٣٧٩)، وشفاء الغرام (٣٤٤/٢)، وغاية المرام (٦١٦/١-٦٢٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٥-٢٧)، والأعلام (١٠/٣).

(٥) في الأصل: درهم. والتصويب من سمط النجوم، الموضع السابق.

(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٧-٥)، وشفاء الغرام (٣٤٤/٢)، وغاية المرام (٦٣٩/١-٦٤٠).

(٧) انظر: خلاصة الكلام (ص: ٢٧).

قال السنجاري^(١): وكان غانم طويلاً من الرجال إذا قام تصل يده إلى ركبته.

ثم وليها عمه إدريس بن قتادة^(٢)، وأبو نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة^(٣)، فإهما انتزعاها من غانم في شوال سنة اثنتين وخمسين وستمائة بعد قتال، قُتل فيه من الأشراف ثلاثة^(٤)، [واستمر] ^(٥) إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة، فوليها المبارز^(٦) علي بن [الحسين]^(٧) بن برطاس، وذلك أن الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن جهّز ابن برطاس هذا إلى مكة في مائتي فارس، وقاتل الشريف إدريس وأبا نمي في قَوْز المَكَّاسَةِ^(٨) أسفل مكة -محل معروف مشهور بهذا الاسم- فقوي عليهما، فأخرجهما من مكة واستولى عليها إلى يوم السبت لأربع ليال بقين من محرم، سنة ستمائة وثلاث وخمسين. فأقبل عليه إدريس وأبو نمي بجموع جمعوها،

(١) منائح الكرم (٣١٦/٢-٣١٧).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٧٨/٣-٢٨٠)، وشفاء الغرام (٣٤٤/٢)، وغاية المرام (٦٤٠/١-٦٤٢).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤٥٦/١-٤٧١)، وشفاء الغرام (٣٤٤/٢)، وغاية المرام (٩/٢-٤٤).

(٤) انظر: غاية المرام (٦٤٠/١).

(٥) في الأصل: واستمر. والتصويب من منائح الكرم (٣١٦/٢).

(٦) في الأصل زيادة: بن. وانظر: منائح الكرم، الموضع السابق. وانظر ترجمته في: غاية المرام (٤٦-٤٤/٢).

(٧) في الأصل: الحسن. والتصويب من منائح الكرم (٣١٦/٢).

(٨) قوز المكاسة: يقصد به قوز المكاسة في المسفلة. سمي بذلك نسبة إلى المكوس التي كان يفرضها أمراء مكة على بضائع أهل اليمن. وحرّفته العامة إلى النكاسة (انظر: معجم معالم الحجاز ١٧٤/٧).

فدخلوا مكة وقتلوا غالب العسكر، وسفكوا الدماء بالمسجد الحرام^(١). ووقعت بينهما وبين أمير العراق فتنة حتى كادت الحرب أن تلتحم، ثم اصطلحوا بتوسط الملك داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب الكرك^(٢).

ثم إن الأمير برطاس فدى نفسه بمال بذله، ورجع من حيث جاء^(٣).

وفي أربع وخمسين وستمائة: تنازع إدريس وأبو غني، ثم اصطلحا^(٤). وفي سنة ستمائة وخمس وخمسين - وقيل: ست وخمسين - خرج الشريف [أبو]^(٥) غني لحرب ثقيف، فهجم أولاد السيد حسن بن قتادة على مكة، واعتقلوا الشريف إدريس. فسمع بذلك الشريف أبو غني فرجع إلى مكة، وهرب منها أولاد الشريف حسن بعد ستة أيام^(٦).

-
- (١) انظر: السلوك (٤٨٦/١ - ٤٨٧)، وغاية المرام (٦٤٢/١، ١١/٢).
 (٢) الملك داود الناصر صلاح الدين بن السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل أمير الكرك. كان فقيهاً حنيفاً، ذكياً، مناضراً، شاعراً. واستعاد بيت المقدس بعد أن سلمها عمه الكامل للفرنجة، وتوفي سنة ٦٥٦هـ - (انظر: سير أعلام النبلاء ٣٧٦/٢٣ - ٣٨١).
 (٣) انظر: خلاصة الكلام (ص: ٢٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٢٩/١ - ١٣٠).
 (٤) انظر: إتحاف الوري (٧٨/٣)، والعقد الثمين (٤٥٩/١)، ومنايح الكرم (٣١٧/٢ - ٣١٨).
 (٥) وخلاصة الكلام (ص: ٢٧)، وغاية المرام (٦٤٠/١ - ٦٤١، ١٢/٢).
 (٦) في الأصل: أبي. وهو لحن.
 (٦) انظر: سمط النجوم (٢٣٧/٤)، ومنايح الكرم (٣١٨/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٣٠/١).
 ولم يذكر الفاسي وابن فهد حرب ثقيف، وذكرنا حركة أولاد حسن بن قتادة سنة ٦٥٦هـ - انظر: العقد الثمين (١٧٦/١)، وإتحاف الوري (٨٠/٣). وانظر: السلوك (٥٠١/١).

وفي سنة ستمائة وتسع وخمسين^(١) حج الملك المظفر صاحب اليمن ومعه المراكب تسايه في البحر مشحونة بالميرة، وأكثر في الطريق من الخيرات. فلما دنا من مكة خرج منها أبو نجي وعمه إدريس، فدخلها المظفر في عسكر جرّار، فأقام العسكر بالحجون، ودخل مكة منفرداً مع نفر له، ملبياً محرماً. وأقام بعد قضاء نسكه عشرة أيام، وعاد إلى بلده، فعاد إليها الشريف إدريس وأبو نجي^(٢).

وفي سنة ستمائة وإحدى وستين وقعت فتنة بعرفة، ولزم فيها راجح بن إدريس أمير ينبع، وأخذ إلى مصر، وكان يوماً شديداً الحر، وعطش الناس بعرفة حتى بيعت سحلة بأربعة دنانير.

واستمرّ متولين إلى سنة سبع وستين وستمائة، فانفرد بها أبو نجي وأخرج منها إدريس^(٣). انتهى ما ذكره السنجاري^(٤).

وفي إتحاف الوري^(٥): وفي سنة سبع وستين وستمائة وقع بين أبي نجي وعمه إدريس خلف، فأخرج أبو نجي عمه إدريس من مكة، وانفرد بالإمرة،

(١) إتحاف الوري (٨٢/٣).

(٢) انظر: منائح الكرم (٣١٨/٢-٣١٩)، وسمط النجوم (٢٣٧/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٣٠/١) وفيه حجه سنة ٦٥٥.

(٣) انظر: سمط النجوم (٢٣٨/٤).

(٤) منائح الكرم (٣١٩/٢-٣٢٠).

(٥) إتحاف الوري (٩٣/٣). وانظر: العقد الثمين (١٥١/٢)، وغاية المرام (١٢/٢-١٣).

وخطب لصاحب مصر الظاهر بيبرس البندقداري الصالحى^(١)، وكتب إليه أبو نعي يذكرو: أنه لما شاهد من عمه إدريس مَيْلاً إلى صاحب اليمن وتحاملاً على دولته أخرجه من مكة، وانفرد بالإمرة، وخطب له، وأرسل مرسومه إلى أمراء المدينة أن لا يُنجدوا عمه عليه، فاشترط عليه صاحب مصر تسهيل بيت الله للعاكف والباد [وألا يُؤخذ عنه حق]^(٢)، ولا يمنع [زائراً]^(٣) في ليل أو نهار، وأن لا يتعرض إلى تاجر ولا حاج بظلم، وأن تكون الخطبة والسكة له، ولأبي نعي على ذلك عشرون ألف درهم في كل سنة.

فلما ورد جواب أبي نعي إلى صاحب مصر بالتزام ذلك كتب له تقليداً بالإمرة بمفرده. وبعد أن خرج إدريس بن قتادة من مكة جمع جنداً ورجع إلى مكة، ثم اصطالح مع أبي نعي، واتفقا على طاعة صاحب مصر، وكتب إليه إدريس يعرفه بذلك [فسلّمت الأوقاف لنوابهما]^(٤).

وفي ربيع الأول من سنة تسع وستين وستمائة قتل ولد لأبي نعي، ووقع بين أبي نعي وعمه إدريس خلف، فاستظهر إدريس على أبي نعي، وخرج أبو نعي هارباً من بين يدي عمه، وتوجه إلى ينبع واستجد بصاحبها، وجمع جنداً

(١) انظر ترجمته في: غاية المرام (١٢/٢-١٣)، والأعلام (٧٩/٢).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من إتخاف الوري، الموضع السابق، وغاية المرام (١٣/٢).

(٣) في الأصل: زائراً. والتصويب من إتخاف الوري، وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من إتخاف الوري (٩٣/٣)، والعقد الثمين (٤٥٩/١) وفيهما: لنوابها،

وغاية المرام (١٣/٢).

وقصد مكة - بعد أربعين يوماً من قتل ولده -، فالتقى هو وعمه إدريس بخليص^(١) وتحاربا، فطعن أبو نغمي إدريس فألقاه عن جواده، ونزل إليه واحتز رأسه، واستقل بالإمرة^(٢).

وفي سنة سبعين وستمائة -في آخر صفر- وصل الأمير جمّاز بن شيحة^(٣) صاحب المدينة، وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة^(٤) وأخذوا مكة، وخرج الشريف أبو نغمي، ثم بعد أربعين يوماً -في ربيع الآخر- رجع أبو نغمي إلى مكة، وهزم جمّاز بن شيحة ومن معه وملك مكة^(٥).

وفي تاسع عشر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة كانت وقعة بمرّ

(١) خليص: واد كثير الماء والزرع، يقع شمال مكة على (١٠٠) كيلاً، يحف به من الغرب جبلا جمدان، ومن الشمال حرة الخليصة، ويصب فيه من الجنوب وادي غران، وسكانه قبائل من حرب (معجم معالم الحجاز ٣/١٤٩).

(٢) إتخاف الوري (٣/٩٩). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٢٠-٣٢١)، والعقد الثمين (١/٤٦٠)، ودرر الفرائد (ص: ٢٨٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٧-٢٨)، وغاية المرام (١/٦٤١)، (٢/١٤٤).

(٣) جمّاز بن شيحة: تولى إمارة المدينة بعد مقتل أبيه، وقدم مصر فأكرمه الأشرف خليل. تنازل عن الإمارة لابنه منصور. مات عام ٧٠٤، ومدة ولايته ٥٢ عاماً (انظر ترجمته في: غاية المرام ٢/٤٨-٥٣، والعقد الثمين ٣/٤٣٦-٤٤١). وانظر: شفاء الغرام (٢/٣٤٦).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٧/٣-٤)، وشفاء الغرام (٢/٣٤٦)، وغاية المرام (٢/٤٧-٤٨).

(٥) إتخاف الوري (٣/١٠١). وانظر: العقد الثمين (١/٤٦٠-٤٦١)، ومنائح الكرم (٢/٣٢١)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٨)، (٢/١٥٠).

الظهران^(١) بين أبي نغمي صاحب مكة وبين جمار بن شيحة صاحب المدينة، وبين صاحب ينبع إدريس بن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نغمي، وأسر إدريس، وهرب جمار. وكان عدة من مع أبي نغمي: مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً، ومن مع إدريس وجمار مائتين وخمسة عشر فارساً وستمائة راجل^(٢).

وفي آخر السنة المذكورة وصل كتاب من الملك الظاهر بيبرس إلى صاحب مكة الشريف أبي نغمي، ونسخة الكتاب:

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب أبي نغمي محمد بن أبي سعد

أما بعد: فإن الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة، وهي من بيت النبوة أسوأ، وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وفعلت ما يحمر به الوجه وتسود به الصحيفة، ومن العجب كيف تفعلون القبيح وجدكم الحسن، وتقاتلون حيث لا تكون فتنة، ولا تقاتلون حيث تكون الفتنة، هذا وأنت من أهل الكرم

(١) مر الظهران: واد فعل من أكبر أودية الحجاز، تقدم التعريف به (ص: ٤٣).

(٢) إتخاف الوري (١٠٥/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٦١/١)، وغاية المرام (١٦/٢).

وسكان الحرم!! فكيف آويت المجرم، واستحللت دم المحرم ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، فيما أن تقف عند حدك، وإلا أغمدنا فيك سيف جدك، والسلام.

فكتب إليه أبو نبي:

من محمد بن أبي سعد إلى بيبرس سلطان مصر، أما بعد: فإن المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه، فإن تأخذ فيدك الأقوى، وإن تغفو فهو أقرب للتقوى، والسلام^(١).

وفي سنة إحدى وثمانين وستمائة^(٢) أمر السلطان المنصور قلاوون الصالح أن يحلف الشريف أبو نبي، فحلف، وصفة يمينه: أخلصت يقيني وأصفيت طويتي، وساويت بين باطني وظاهري في طاعة مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح، وطاعة أولادهما، ووارثي ملكهما، لا أضمر لهم [سوءاً]^(٣) ولا غدرأ في نفس ولا مال ولا سلطنة، وإنني عدو لمن عاداهم، وصديق لمن صادقهم، حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم، وإنني لا يخرجني عن طاعتهم [طاعة]^(٤) أحد غيرهما، ولا ألتفت في ذلك إلى جهة غير

(١) إتحاف الوري (١٠٦/٣-١٠٧). وانظر: العقد الثمين (٤٦٥/١-٤٦٦)، ودرر الفرائد (٣٧٩/١)، وغاية المرام (٢٣/٢).

(٢) إتحاف الوري (١١٣/٣-١١٥). ونصّ اليمين كاملاً في: العقد الثمين (٤٦٢/١-٤٦٣). وانظر: السلوك (١٥٧/١)، ودرر الفرائد (ص: ٢٨٥)، وغاية المرام (١٨/٢-٢٢).

(٣) في الأصل: سوء. والتصويب من إتحاف الوري (١١٤/٣)، والعقد الثمين (٤٦٢/١)، وغاية المرام (١٨/٢).

(٤) في الأصل: وطاعة. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

جهتهما، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر من هذا الأمر، ولا أشرك في تحكيمهما عليّ ولا على مكة المشرفة - وحرّمها وموقف حلها - زيداً ولا عمراً. وإنني ألتزم ما [اشتراطته]^(١) لمولانا السلطان وولده في أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر الحروسية، وتعليقها على الكعبة الشريفة في كل موسم، وأن لا يتقدم علمه علم غيره، وإنني أسبّل زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج [وغيرها]^(٢) للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين اللائذين بحرمه، والحاجين والواقفين، وإنني أجتهد في حراستهم من كل عَادٍ بفعله وقوله: ﴿وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وإنني أؤمنهم في سربهم، وأُعَذِّبُ لهم مناهل شربهم، وإنني - والله - أستمّر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصوري، وأفعل في الخدمة فعل المخلص الولي، وإنني - والله - أمثل مراسيمه امثال النائب للمستتيب، وأكون لداعي أمره أول سامع مجيب، وإنني ألتزم [بشروط]^(٣) هذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أنقضها.

وقال الفاسي في العقد الثمين^(٤): وكان حلف أبي نمي [لهذه]^(٥) اليمين

(١) في الأصل: أشرطه. والتصويب من إتحاف الوري (١١٤/٣)، والعقد الثمين (٤٦٣/١)، وغاية المرام (١٩/٢).

(٢) قوله: "وغيرها" زيادة من إتحاف الوري، والعقد الثمين، وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٣) في الأصل: شروط. والمثبت من إتحاف الوري (١١٥/٣)، والعقد الثمين، وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٤) العقد الثمين (٤٦٣/١ - ٤٦٤).

(٥) في الأصل: بهذه. والمثبت من العقد الثمين (٤٦٣/١).

في سنة إحدى وثمانين وستمائة، على ما ذكر شيخنا العدل ناصر الدين بن الفرات.

وقد رأيت ما يدل على أن أبا نمي لم يف ببعض هذه اليمن؛ لأني وجدت بخط ابن محفوظ: أن في آخر يوم من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة خطب للملك المظفر صاحب اليمن، وقطعت خطبة خليل بن المنصور بعد أن خطب له في أولها. ولعل أبا نمي تأوّل أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون لم يدخل في يمينه للمنصور وابنه الصالح؛ لكون الأشرف لم يسم فيها، فإن كان تأوّل ذلك فهو تأويل غير مستقيم؛ لدخوله في قوله في اليمن: "وطاعة أولادهما".

وأظن أن الحامل لأبي نمي على تقديم صاحب اليمن على صاحب مصر؛ كون صلته أعظم من صلة صاحب مصر؛ لأن العاقل لا يفعل أمراً يلحقه فيه ضرر إلا لنفع أكبر، وكانت صلة صاحب اليمن لأبي نمي عظيمة، على ما وجدت في مقدارها؛ لأن بعض الناس ذكرها، وذكر شيئاً من حال صاحب اليمن بمكة، وحال أبي نمي معه، وذلك مما يحسن ذكره هنا. ونص ذلك:

وقد كان الملك المؤيد لما تسلطن جهّز تلك السنة [علمه]^(١) المنصور ومحمل الحج السعيد صحبة القائد ابن زاكي، فتلقاه الشريف

(١) في الأصل: على. والمثبت من العقد الثمين (٤٦٤/١)، والعقود المؤلّوية (٣٣٥/١).

[أبو]^(١) نمي صاحب مكة بالإجلال والإكرام، وخفقت ذوائب العلم المنصور على جبل التعريف بغرفة، وأعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد، وسمع تلك الأوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف، وحلف للسلطان الملك المؤيد الأيمان الغليظة، [ولب]^(٢) على قميصه ما يقتضي ما جرت به العادة.

ووصل إلى الشريف المذكور ما اقتضته المواهب السلطانية مما كان قرّره [الخليفة]^(٣) من العين، والغلة، والكساوى، والطيب^(٤)، والمسك^(٥)، والعُود^(٦)، والصنْدَل^(٧)، والعنبر^(٨)، والثياب الملونة، والخلع النفيسة. وكان

(١) في الأصل: أبي. والتصويب من العقد الثمين (٤٦٤/١)، والعقود اللؤلؤية (٣٣٥/١)، وغاية المرام (١٩/٢).

(٢) في الأصل والعقد الثمين: وكتب. والتصويب من العقود اللؤلؤية وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: للخليفة. والتصويب من العقد الثمين والعقود اللؤلؤية وغاية المرام، الموضع السابقة.

(٤) الطيب: ما يَتَطَيَّبُ به من عطر ونحوه (المعجم الوسيط ٥٧٣/٢).

(٥) المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان، وأجوده في الرائحة والنظر ما كان ثَقَاحاً تشبه رائحته رائحة التفاح اللبناني، وكان لونه يغلب عليه الصُّفْرَة (المعجم الوسيط ٨٦٩/٢، وصبح الأعشى ١٢٨/٢).

(٦) العود: ضرب من الطيب يُتَبَخَّرُ به، وأجوده ما كان صلباً، ظاهر الرطوبة، كثير المائية والدهنية، الذي له صبر على النار وغلان، وبقاء في الثياب. وأفضل ألوانه: الأسود (المعجم الوسيط ٦٣٥/٢، وصبح الأعشى ١٣٤/٢).

(٧) الصندل: شجر خشبه طيب الرائحة يظهر طيبها بالذِّكُّ أو بالإحراق، يؤتى به من سَفالة الهند (المعجم الوسيط ٥٢٥/١، وصبح الأعشى ١٣٧/٢).

(٨) العنبر: سبق الحديث عنه (ص: ٨٣) هامش (٤).

مبلغ العين: ثمانون ألف درهم، ومبلغ الغلة: أربعمائة [مُد]^(١). انتهى من كتاب العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية^(٢) لبعض مؤرخي اليمن في عصرنا.

والذي يصل لصاحب مكة من صاحب مصر نحو ربع ذلك أو أقل، ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة: ألف غرارة، ومائتا غرارة مكية، وذلك في عصرنا. والخليفة المشار إليه هو الملك المظفر، والد الملك المؤيد.

ووجدت بخط ابن محفوظ أيضاً: أن أمير الركب في سنة اثنتين وتسعين وستمئة استحلف أبا نجي على الرواح إلى مصر، وأعطاه ألف دينار، فعزم في سنة [ثلاث]^(٣) وتسعين وستمئة، ثم رجع من ينبع لما بلغه موت الأشرف. انتهى.

وفي سنة اثنتين وثمانين وستمئة تزوج أمير المدينة جَمَّاز بن شيحة [حزيمة]^(٤) بنت أبي نجي، وبنى بها في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة. انتهى^(٥).

(١) قوله: "مد" زيادة من العقد الثمين (٤٦٤/١)، والعقود اللؤلؤية (٣٣٥/١)، وغاية المرام (١٩/٢).

(٢) العقود اللؤلؤية (٣٣٥/١). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٦٤-١٦٥).

(٣) في الأصل: اثنين. والمثبت من العقد الثمين (٤٦٤/١)، وغاية المرام (٢٢/٢).

(٤) في الأصل: حزيمة. والتصويب من إتحاف الوری (١١٥/٣)، والعقد الثمين (٤٦١/١)، وغاية المرام (١٧/٢).

(٥) إتحاف الوری (١١٥/٣)، والعقد الثمين (٤٦١/١)، وغاية المرام (١٧/٢).

قال العصامي في سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي^(١): وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة كانت فتنة بين أبي نفي وبين واحد من أبناء أخيه؛ لأجل ما يؤخذ منه من الحاج، قيل: كانوا يأخذون من حج اليماني من كل جمل ثلاثين درهماً، [ومن حاج مصر على كل جمل خمسين درهماً]^(٢)، ومع هذا لا يسلمون من النهب والعسف. فلما حج الظاهر بيبرس أزاله، ثم أعادوه، فأرسل الملك المظفر عسكرياً ملكوا مكة، فجمع أبو نفي عسكرياً ودخل إلى مكة، وأخرج عسكري اليمن، وزاد على الحجاج في الجباية، وقصده جيش مصر، فلما وصلوا إلى قرب مكة قفل أبو نفي أبواب سور مكة، ومنعهم من الدخول، فاجتمع الحجاج فهزموه وأحرقوا باب المعلاة، ودخلوا مكة هجماً بعد فرار أبي نفي من مكة زمن الحج، فخشي الملك من عودته، فترك فيها ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قبله فأقاموا بها، فاتفق أن ألفاً خرجوا منهم للنتزه، فكمن لهم الشريف أبو نفي في خيل ورجل بمسجد الخيف، فلما عادوا قاصدين إلى مكة هجم عليهم فقصده أميرهم فقتله، ثم قال: من قتل فارساً فله فرسه، فعاد أكثر رجاله خيالة، ثم صدقوا المحاربة [والجالة معه]^(٣) فكسروا الألف عن آخرهم، [وانتصروا]^(٤)، وغنموا خيولهم وسلاحهم، وتفكك منهم أفراد فلحقوا بالباقيين بمكة وعرفوا أن لا طاقة بهم، فهرب الجميع إلى

(١) سمط النجوم (٢٣٩/٤ - ٢٤٠). وانظر: إتحاف الوري (١١٦/٣)، ومنايح الكرم (٣٢٢/٢ - ٣٢٣)، وغاية المرام (٢٦/٢).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من سمط النجوم (٢٣٩/٤)، وإتحاف الوري (١١٦/٣).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من سمط النجوم، الموضع السابق.

(٤) قوله: "وانتصروا" زيادة من سمط النجوم، الموضع السابق.

مصر، فلما بلغ ذلك ملك مصر جهاز جيشاً كثيفاً لقتال أبي نغمي المذكور، ثم عزم على الوصول إلى مكة بنفسه، فأتاه بعض العلماء الصالحين وسأله عن توجهه فقال: إنه [لقتل]^(١) الشريف أبي نغمي وأهله، فقال له ذلك العالم: إنك حسنت العبارة، ولكن الناس يقولون: إنك ذاهب إلى حرم الله تعالى وقتل أولاد حبيبه رسول الله ﷺ، فوقع ذلك من الملك موقعاً، ورجع عن عزمه، ثم أرسل إلى الشريف أبي نغمي بالمراسيل والهدايا والكلام اللين حتى زالت الوحشة بينهما، وأقره على إمرة مكة^(٢).

وقال ابن فهد^(٣): وفي سنة سبع وثمانين وستمائة حارب جهاز بن شيحة صهره الشريف [أبا]^(٤) نغمي، فإنه طلب من المنصور قلاوون عسكرياً، فسير له عسكرياً مقدمه أمير يقال له: الجكاجكي، فتوجهوا إلى مكة وأخذوها، وأخرجوا أبا نغمي منها، وخطب لجماز، وضربت السكة باسمه، وبقيت في يده مدة يسيرة.

ثم إن امرأة يقال لها: أم هجرس -من [صبايا خزيمة]^(٥)- بنت أبي نغمي

(١) في الأصل: يقتل. والتصويب من سبط النجوم، الموضع السابق، وغاية المرام (٤١/٢).

(٢) انظر: منائح الكرم (٣٢٢/٢-٣٢٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٨)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٦٢-١٦٣)، وغاية المرام (٤١/٢).

(٣) إتحاف الوري (١١٨/٣-١١٩). وانظر: العقد الثمين (٤٦١/١-٤٦٢)، وغاية المرام (١٧/٢-١٨).

(٤) في الأصل: أبو. والتصويب من إتحاف الوري (١١٨/٣).

(٥) في الأصل: صبايا خزيمة. والتصويب من إتحاف الوري (١١٩/٣)، والعقد الثمين (٤٦٢/١)، وغاية المرام (١٧/٢).

زوجة جَهاز سَقَتُ الأمير جَهاز سُمًّا، فاضطرب له جسمه، وحصل بين [الجكاجكي]^(١) وبين أبي نغمي مراسلة في الباطن؛ فعرف جَهاز أنه مغلوب، فرحل عن مكة، فأخذ مكة منه نواب أبي نغمي، ووصل جَهاز إلى المدينة وهو عليل من السُّم، فلم يزالوا يعالجونه حتى برئ، وأرسل الأمير جَهاز بالجكاجكي مقيداً إلى السلطان فحبسه، ولم تزل مكة في يد أبي نغمي إلى أن توفي.

وفي سنة تسع وثمانين وستمائة^(٢) وقع بين أهل مكة والحجاج فتنة، فاقتتلوا عند درب الثنية - أعني الشبيكة^(٣) -، وانتهى الأمر إلى أن شهِرَ بالمسجد الحرام من السيوف نحواً من عشرة آلاف سيف، وقُتل من الفريقين نحو أربعين نفراً - على ما قيل -، منهم ولد الشريف أحمد بن علي بن قتادة، [قُتِلَ]^(٤) بسهم، وجُرح خلق كثير، ونُهبت الأموال، ولو أراد أبو نغمي نَهَبَ الجميع لتم له ذلك، إلا أنه ثبت^(٥). انتهى.

قال النفاسي في العقد الثمين^(٦): قد أثنى على أبي نغمي غير واحد من

(١) في الأصل: الجلاجكي. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من إتخاف الوري والعقد الثمين، الموضعان السابقان، وغاية المرام (١٧/٢).

(٢) إتخاف الوري (١٢٠/٣).

(٣) الشبيكة: سبق التعريف بها في (ص: ١٠٠).

(٤) قوله: "قتل" زيادة من إتخاف الوري، الموضع السابق.

(٥) انظر: العقد الثمين (٤٦٦/١)، ومناقب الكرم (٣٢٤/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٨)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٦٤)، وغاية المرام (٢٦/٢).

(٦) العقد الثمين (٤٦٦/١-٤٦٧). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام، الموضع السابق، وغاية المرام (٢٦/٢-٢٧).

العلماء، مع ذكرهم لشيء من أخباره، منهم: الحافظ الذهبي؛ لأنه قال في "ذيل سير النبلاء" في ترجمة أبي نعيم: شيخ ضخم، [أسمراً] ^(١) عاقل سايس فارس شجاع محترم محتشم، تملك مدة طويلة، وله عدة أولاد، وفيه مكارم وسؤدد.

وذكره لي أبو عبدالله الدباهي، فأتني وقال: لولا المذهب لصلح للخلافة، وكان زيدياً كأهل بيته. انتهى.

وقال القاضي تاج الدين عبدالباقي اليماني في كتابه "هجرة الزمن في تاريخ اليمن" ^(٢) بعد أن ذكر وفاة أبي نعيم: وكان أميراً كبيراً، [زعيماً] ^(٣) ذا بخت وحظ في الإمرة، [يرغب] ^(٤) إلى الأدب، وله [الإجازات] ^(٥) السنية للشعراء الوافدين عليه؛ بإطلاق الخيل الأصائل في مقابلة القصائد. انتهى.

واستمر الشريف أبو نعيم منفرداً بمكة إلى سنة سبعمائة وواحد. فلما كان شهر صفر نزل عن ولاية مكة لولديه الشريف حميضة ورميثة، ثم توفي الشريف أبو نعيم بعد ذلك بيومين بالجديدة من وادي مرّ، وحُمِلَ إلى مكة، وصُلِّيَ عليه، وطيف بنعشه سبعاً على جري عادتهم،

(١) في الأصل: السمر. والتصويب من العقد الثمين (٤٦٦/١)، وغاية المرام (٢٦/٢).

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من هجرة الزمن.

(٣) قوله: "زعيماً" زيادة من العقد الثمين (٤٦٧/١)، وغاية المرام (٢٧/٢).

(٤) في الأصل: رغب. والمثبت من العقد الثمين وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٥) في الأصل: الإجازة. والمثبت من العقد الثمين، الموضع السابق.

ودُفن، وبني عليه قبة بالمعلا^(١).

قال الطبري في الإتحاف^(٢): كانت لأبي نمي خصال حميدة ووقائع مجيدة. قال ولده حميضة: كانت لأبي خمس خصال: العز، والكرم، والحلم، والشجاعة، والشعر.

وكانت إمارته شريكاً ومستقلاً نحو خمسين سنة، وكان يكنى أبا مهدي ويلقب بنجم الدين، وكان قد أناف على السبعين، وله من الولد ثلاثون ذكراً، واثنى عشرة أنثى، منهم: زيد الأكبر، وزيد الأصغر^(٣)، وأبو الغيث^(٤)، وشميلة^(٥)، [وعطيفة]^(٦)، ورميثة^(٧)، وسيف^(٨)، ووليد، ومقبل^(٩)، وحميضة^(١٠)، وعبدالله.

- (١) انظر: منائح الكرم (٣٢٤/٢-٣٢٥)، وشفاء الغرام (٣٤٦/٢)، وإتحاف الوري (١٣٤/١)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٨)، وغاية المرام (٣٨/٢).
- (٢) إتحاف فضلاء الزمن (١٣٣/١-١٣٤). وانظر: غاية المرام (٣٥/٢).
- (٣) ترجم الفاسي في العقد الثمين (٤٨٣/٤-٣٨٤) لأحدهما وقال: لا أدري هل هو زيد الأكبر أو زيد الأصغر.
- (٤) انظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٤٧/٢)، وغاية المرام (١١١/٢-١١٣)، والعقد الثمين (٧٩/٨-٨٠)، والدرر الكامنة (٢٥٦/٤).
- (٥) شميلة: لم يكن له دور على مسرح السياسة سوى قرض الشعر.
- (٦) في الأصل: عطية. وهو تحريف. وانظر ترجمته في: شفاء الغرام (٣٤٧/٢)، وغاية المرام (١١٣/٢-١٢٩)، والعقد الثمين (٩٥/٦-١٠٥)، والدرر الكامنة (٢٦٩/٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠-٣١)، والأعلام (٢٣٧/٤).
- (٧) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤٠٣/٤-٤٢٤)، وشفاء الغرام (٣٤٦/٢)، وغاية المرام (٧٨/٢-١١١)، والدرر الكامنة (٢٤١/٢-٢٤٢)، وشذرات الذهب (١٤٩/٣-١٥٠)، وخلاصة الكلام (٢٨-٣٠)، والأعلام (٣٣/٣).
- (٨) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦٣٣/٤).
- (٩) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٦٧/٧).
- (١٠) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٣٢/٤)، وشفاء الغرام (٣٤٦/٢)، وغاية المرام (٥٣/٢)، والدرر الكامنة (١٩٨/٢)، والأعلام (٢٨٥/٢).

ووليا مكة بعد الشريف أبي نمي ابنه حميضة ورميثة في صفر من السنة المتقدمة المذكورة، ودعي لهما على زمزم، واستمرا إلى الموسم، فقبض عليهما^(١). انتهى.

وقال ابن فهد^(٢): اختلف القواد والأشراف بعد موت أبي نمي، فطائفة مالت مع عطيفة وأبي الغيث على أخويهما، ووقعت فتنة، وكان حميضة الغالب، واعتقل عطيفة وأبا الغيث، وأقاما في الحبس مدة، ثم احتالا فخرجا وركبا إلى بعض الأشراف والقواد فمُنِعُوا منهما، ثم توجها إلى ينبع.

ولما وصل الحاج المصري - وأمرهم بيبرس المنصوري الدوادار، وكان خرج من القاهرة أول ذي القعدة، والأمير بيبرس الجاشنكير^(٣) ومعه ثلاثون أميراً -، حضر الشريفان أبو الغيث وعطيفة إلى الأمراء المذكورين وشكوا من أخويهما حميضة ورميثة أنهما وثبا عليهما بعد وفاة [أبيهما]^(٤) واعتقلاهما فقرا من الاعتقال، فمال الأمراء إليهما وحجا صحبة الأمراء، فلما انقضى الموسم اقتضى رأي الأمراء القبض على حميضة ورميثة تأديباً لهما على ما صدر منهما في حق أخويهما من الإساءة، فلزمهما الأمير بيبرس وسار بهما إلى مصر

(١) إتحاف فضلاء الزمن (١٣٦/١). وانظر: شفاء الغرام (٣٤٦/٢).

(٢) إتحاف الورى (١٣٤/٣-١٣٥). وانظر: غاية المرام (٥٤-٥٥، ٨٠).

(٣) في الأصل: الجاشنكير. والأمير بيبرس الجاشنكير: أحد القادة المماليك الكبار. تولى فيما بعد سلطنة مصر سنة ٧٠٨ هـ، ولقب بالمظفر، ولم يدم طويلاً - أقل من سنة - (انظر: الجوهر الثمين ص: ٣٣٦-٣٤٠، والنجوم الزاهرة ٢٣٢/٨).

(٤) في الأصل: أبيهم. والتصويب من إتحاف الورى (١٣٥/٣).

مقيدين، فحبسا، وأمر بمكة أبا الغيث وأخاه عطيفة^(١).

وفي سنة ثلاث وسبعمائة^(٢) أفرج عن الشريفين حميضة ورميثة من السجن، وأحضرا إلى مجلس السلطان، وخلع عليهما [بكلفتات زركش]^(٣)، فلم [يلبسها]^(٤) حميضة إلا بعد التمتع والتهديد بالعود إلى الحبس، وأجلسا فوق جميع الأمراء، ونزلا إلى منازلهما، وحمل إليهما سائر ما [يحتاجان إليه]^(٥)، وهاداهما الأمراء، وأجريت لهما الرواتب والجرايات والكسوات، وركبا مع السلطان في الميدان، ولعب حميضة مع السلطان بالكرة^(٦).

وفي سنة أربع وسبعمائة^(٧) حضر الشريفان رميثة وحميضة عند الشيخ

(١) انظر: العقد الثمين (٢٣٣/٤)، ومنايح الكرم (١٣٦/٢-١٣٧)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٨-٢٩)، وشفاء الغرام (٣٤٧/٢)، وغاية المرام (٥٤/٢، ٨٠)، والعقود اللؤلؤية (٣٣٦/١)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٦٥-١٦٦).

(٢) إتحاف الوري (١٣٨/٣).

(٣) في الأصل: بكفيات مزركش، وفي درر الفرائد: بكفتان مزركش. والتصويب من إتحاف الوري، الموضوع السابق.

وكلفتان زركش: يستفاد من التعليقات على كتاب السلوك للمقريزي أن لفظ كلوتة أو لفظ كلفتة أو كلفتة يدل على نوع من غطاء الرأس، وكانت الكلفتة تلبس وحدها أو بعمامة، وقد استحدث سلاطين الأيوبيين لبس الكلوتات الجوخ الصفراء على رؤوسها بغير عمامة، فلما ولي السلطان المنصور قلاوون سلطنة مصر استحدث الكلوتات الجوخ الصفراء، وفي عهد ابنه الأشرف خليل استحدث الكلوتات الزركش للأمراء، وترك الكلوتات الجوخ الصفراء لمن دونهم، فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون استجد العمامة الناصرية الصغار.

(٤) في الأصل: يلبسهما. والتصويب من إتحاف الوري، الموضوع السابق.

(٥) في الأصل: يحتاجون. والمثبت من إتحاف الوري، الموضوع السابق.

(٦) السلوك (٣٦٩/٢)، ودرر الفرائد (٣٨٧/١) ضمن أحداث سنة ٧٠٢هـ.

(٧) إتحاف الوري (١٤٠/٣-١٤٢).

نصر المُنْبَجِي^(١) في زاويته في القاهرة، وسألاه الشفاعة في العود^(٢) إلى لبسهما الذي أَلْفَاهُ في الحجاز، فشفع لهما، فأذن لهما أن يلبسا ما اختاراه من اللباس والزّي، ثم رضي عنهما السلطان وأعادهما إلى ولايتهما، فسارا من القاهرة إلى مكة صحبة الركب.

فلما انقضى الحج أحضر الأمير ركن الدين بيبس أبا الغيث وعطيفة، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد أخويهما إلى ولايتهما، فلم يقابلا بالسمع والطاعة، وحصلت منهما المنافرة، فقبض عليهما وتوجه بهما إلى مصر، فرتب لهما ما يكفيهما، وصارا يركبان مع الأمراء.

واستمر حميضة ورميثة في الإمرة يُظْهَرَانِ حُسْنَ السيرة وجميل السياسة، وأبطلا شيئاً من المكوس^(٣).

وفي سنة ثمان وسبعمئة ظهَرَ من الشريفين حميضة ورميثة من التعسف ما لا يمكن شرحه^(٤).

وفي سنة عشر وسبعمئة^(٥) حج من الديار المصرية عسكر قوي فيه أمراء

(١) هو الشيخ الصالح أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المُنْبَجِي الحنفي، وكان يقبل عليه ملوك عصره، توفي في جمادى الآخرة سنة ٧١٩ هـ (النجوم الزاهرة ٩/٢٤٤).

(٢) في الأصل زيادة: إلى مكة. وانظر: إتحاف الوري (٣/١٤٠).

(٣) العقد الثمين (٤/٢٣٤)، والعقود اللؤلؤية (١/٣٦٢)، ودرر الفرائد (١/٣٨٨). وانظر: هامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٦٧)، وغاية المرام (٢/٥٥-٥٦).

(٤) إتحاف الوري (٣/١٤٦)، والعقد الثمين (٤/٢٣٤، ٤٠٦)، ودرر الفرائد (١/٣٨٨)، والعقود اللؤلؤية (١/٣٨٤)، وغاية المرام (٢/٥٦).

(٥) إتحاف الوري (٣/١٤٧)، والعقد الثمين (٤/٢٣٤-٢٣٥)، ودرر الفرائد (١/٣٨٩)، وغاية المرام (٢/٥٦).

الطبلخانات^(١)، يريدون كزَمَ الشريفين حميضة ورميثة، فلما علما بذلك هربا من مكة، ولم يحصل العسكر على قبضهما، فتوجه العسكر إلى الديار المصرية وعادا إلى مكة.

وفي سنة اثني عشر وسبعمائة^(٢) فعل حميضة ورميثة ما لا ينبغي؛ من هب التجار.

وفيها^(٣): حج الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ومعه نحو أربعين أميراً، وستة آلاف مملوك على الهجن، ومائة فارس، وكان أمير مكة حميضة ورميثة عدلا عن مكة لما قدمها الناصر تخوفاً منه أن يقبض عليهما، ثم عادا إليها بعد ذهاب الناصر.

وفي سنة ثلاث عشرة وسبعمائة^(٤) اتصل بالسلطان شكوى المجاورين والحجاج من أميري مكة؛ حميضة ورميثة، فندب السلطان إلى مكة عسكرياً جراراً فيهم من المماليك الأتراك ثلاثمائة وعشرون فارساً، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخطفة والحرامية، وفيهم جماعة

(١) أمير طبلخانة: هو الأمير الذي يكن من حقه دق الطبلخانات أمام داره في أوقات معينة، أو أمامه في المواكب الرسمية. انظر: صبح الأعشى: ١٥/٤.

(٢) إتحاف الوری (١٤٨/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٠٦/٤)، ودرر الفرائد (٣٨٩/١)، وغاية المرام (٥٦/٢، ٨٢).

(٣) إتحاف الوری (١٤٩/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٠٦/٤)، ودرر الفرائد (٣٨٩/١)، ومنايح الكرم (٣٢٩/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٩)، والعقود اللؤلؤية (٤٠٢/١)، وغاية المرام (٥٦/٢).

(٤) إتحاف الوری (١٥٠/٣-١٥١). وانظر: العقد الثمين (٢٣٥-٢٣٧/٤)، ودرر الفرائد (٣٨٩/١)، ومنايح الكرم (٣٢٩/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٩)، والعقود اللؤلؤية (٤٠٧/١)، والسلوك (٤٨٨/٢)، وغاية المرام (٥٧/٢، ٥٨-٨٢، ٨٣).

من الأمراء، وفيهم سيف الدين [طَقْصُبا] ^(١) الناصري والي قوص، وهو المقدم على الجيش، وسيف الدين [يَكْتَمُر] ^(٢)، وصارم الدين صارُوجا الحسامي، وعلاء الدين الخوارزمي، وجهاز أبا الغيث بن أبي نمي معه، وتوجهوا في شوال في جملة الركب، وجَرَدَ من دمشق - "الجريدة: جماعة الخيل لا رجالة فيها، جمعه جرد. اهـ" ^(٣) - مع الأمير سيف الدين بَلْبَان البدري ^(٤). فلما علم حميضة ورميثة بأمرهم هربا إلى صوب حَلِي.

فلما انقضى الموسم وخرج الحاج توجه جميع الأمراء المجردين صحبة أمير الحاج المصري بلبان الشمسي، وأقام الأمير [طَقْصُبا] ^(٥) بالعسكر حتى رتب الشريف أبا الغيث في إمارة مكة وأقام هو معه.

وفي سنة أربع عشرة وسبعمائة ^(٦) في المحرم سار أبو الغيث والأمير طَقْصُبا إلى صوب حَلِي؛ بسبب حميضة ورميثة، فسارا قدر مرحلتين ولم يجدا خبراً عنهما؛ لأنهما لحقا ببلاد السراة، ووصل أبو الغيث وطَقْصُبا إلى حَلِي، ولم يدخلها طَقْصُبا وقال: هذه أوائل بلاد المؤيد، لا أدخلها إلا بمرسوم

(١) في الأصل: يقطي. والمثبت من إتحاف الوري (١٥٠/٣) عن النجوم الزاهرة (١٥٢/٨)، وغاية المرام (٥٧/٢).

(٢) في الأصل: يكتمر. والتصويب من إتحاف الوري (١٥٠/٣)، والعقد الثمين (٢٣٦/٤). وانظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٢٠/٢).

(٣) لسان العرب، مادة: جرد.

(٤) كذا في الأصل وإتحاف الوري. وفي العقد الثمين وغاية المرام: تترى.

(٥) في الأصل: تقصي. وكذا وردت في المواضع التالية، والمثبت من إتحاف الوري (١٥١/٣).

(٦) إتحاف الوري (١٥١-١٥٢). وانظر: غاية المرام (٥٧/٢، ٥٨، ٨٣)، والعقود اللؤلؤية (٤١٠/١).

الناصر، فعاد على عقبه، فقصر أبو الغيث في حق العسكر وضاق [بهم]^(١)، ونفر منهم، وأظهر لهم الاستغناء عنهم، فأخذوا خطّه بذلك، وعادوا وتوجهوا من عنده في ربيع الأول.

وقيل: إن الجلب قلّ وصوله إلى مكة، ولم تمطر مكة، فكثرت كُلف العسكر، واحتاجوا إلى السفر، فأشهد عليهم أبو الغيث أنه أذن لهم في السفر، وكتب بذلك إلى السلطان^(٢).

فلما علم حميضة بمفارقة الجيش [لمكة]^(٣) عاد إليها بجمع، وقاتل أخاه أبا الغيث، وقتل من أصحاب أبي الغيث نحو خمسة عشر نفراً، ومن الخيل أكثر من عشرين فرساً، وملك مكة، فانهزم أبو الغيث ولجأ إلى أخواله من هُذيل بوادي نخلة مكسوراً.

ثم إن حميضة أرسل رسولاً وخيلاً تقدمة للسلطان، فحبس رسوله، ولم يرض عنه، وأرسل بعده [أبو]^(٤) الغيث هدية؛ ووعد بنصره وإرسال عسكر، ويقال: إنه أمر صاحب المدينة بنصره^(٥).

وفيها^(٦) - في يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة - وقعت حرب بين حميضة وأبي الغيث بالقرب من مكة، [وجرح]^(٧) أبو الغيث، ثم ذبح بخيف بني شديد بأمر

(١) في الأصل: منهم. والتصويب من إتحاف الوری (١٥٢/٣).

(٢) انظر: السلوك (٤٩٧/٢).

(٣) في الأصل: إلى مكة. والتصويب من إتحاف الوری (١٥٢/٣)، وغاية المرام (٥٨/٢).

(٤) في الأصل: أبي. وهو لحن.

(٥) انظر: العقد الثمين (٨٠/٨)، وغاية المرام (٥٨/٢-٥٩).

(٦) إتحاف الوری (١٥٢/٣-١٥٣).

(٧) في الأصل: وخرج. والتصويب من إتحاف الوری (١٥٣/٣)، والعقد الثمين (٢٣٨/٤)، وغاية

المرام (٥٩/٢).

أخيه حميضة، وكان جماعة أبي الغيث أكثر عدداً، ولكن رُزق حميضة النصر واستقر بمكة^(١).

وفي منائح الكرم^(٢): قال صاحب العمدة^(٣): إن حميضة قتل أبا الغيث على فراشه، وحمله إلى داره، ثم استدعى إخوانه للضيافة فأتوه، فقدم لهم أخاهم أبا الغيث مصلوقاً في جفنة. وكان قد أوقف على رأس كل واحد منهم عشرين أسودين، في يد كل منهما سيف، فأذعنوا له وصبروا.

فاستمر حميضة مستقلاً بأمر مكة، فانترعها أخوه رميثة في شعبان سنة سبعمئة وخمس عشرة بولاية من الناصر^(٤) أيضاً. انتهى.

وفي سنة خمس عشرة وسبعمئة^(٥) تجهز السيد رميثة إلى الأبواب السلطانية بالقاهرة، وأظهر التوبة والتصل والاعتذار بسالف ذنوبه، وأنهى أنه استأنف الطاعة، وسأل العفو عنه، وإنجاده على أخيه عز الدين حميضة، فقبل السلطان عُذْرَه وعفى عن ذنوبه، وجرد طائفة من العسكر مقدمهم الأمير مجد الدين [دَمْرُخَان]^(٦) بن قُرْمَان، والأمير سيف الدين

(١) انظر: العقد الثمين (٢٣٧/٤-٢٣٨)، ودرر الفرائد (٣٨٩/١)، وسمط النجوم (٢٤٣/٤)، وغاية المرام (٥٩/٢).

(٢) منائح الكرم (٣٣٤/٢). وانظر: غاية المرام (١١٢/٢-١١٣)، وسمط النجوم (٢٤٣/٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٩)، وهامش أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٦٨).

(٣) عمدة الطالب (ص: ١١١).

(٤) أي: محمد بن قلاوون الناصر.

(٥) إتحاف الوري (١٥٣/٣-١٥٤). وانظر: العقد الثمين (٢٣٨/٤، ٤٠٨-٤٠٩)، وغاية المرام (٦٠/٢-٦١، ٨٣-٨٤).

(٦) في الأصل: دمرجان. والتصويب من إتحاف الوري (١٥٣/٣)، والعقد الثمين (٤٠٨/٤). وانظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٢٢٨/٢) وذكر وفاته سنة ٧٣٤.

[طَيْدَمُر] ^(١) الجمدار ^(٢)، فتوجَّها هما والأمير أسد الدين إلى الحجاز في ثاني شعبان، ورحلوا من بركة الحاج في رابعه.

وكان السيد حميضة مرض في شعبان، وتغيَّر سمعه، وحضر إلى بيت الله الحرام وتاب، وذكر عنه أنه ما يتعرض لأحد من المجاورين ولا التجار ولا غيرهم. ثم بلغ الشريف حميضة بن أبي غني وصول العسكر مع أخيه رميثة، وأنهم قاربوا مكة، فتوجه قبل وصولهم بستة أيام، وأخذ المال؛ النقد والبنز - وهو مائة حمل - وأحرق الباقي الذي في الحصن الذي في الجديد بوادي مَرٍّ، وقطع ألفي نخلة، ثم توجَّه إلى الخلف والخليفة - وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام - والتجأ حميضة إلى صاحبه، وصاهره ليحتمي به، ثم وصل العسكر إلى مكة يوم السبت منتصف رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً، وتوجهوا إلى الخلف والخليف، وأخذ جميع أموال حميضة وخزائنه، ونهب الحصن وأحرق، وأسر ولد حميضة ابن [اثني] ^(٣) عشرة سنة، وسَلَّم إلى عمِّه رميثة، ثم رجع الجيش إلى مكة فوصلوها في خامس عشر ذي القعدة، واستقرَّوا إلى أن حضروا الموقف ورجعوا مع المصريين، واستقر الأمير رميثة بمكة ونجا حميضة بنفسه، ولحق بالعراق ^(٤).

(١) في الأصل: طندمر. والتصويب من إتحاف الوری (١٥٣/٣)، والعقد الثمين (٤٠٨/٤)، وغاية المرام (٨٤/٢).

(٢) الجمدار: هو الذي يلزم السلطان حتى وقت نومه، وهو الذي يتولى إلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وأصله: جاما دار، وهو مركب من (جاما) أي الثوب بالفارسية، ومن (دار) أي ممسك (معيد النعم ومبيد النقم ص: ٣٥).

(٣) في الأصل: اثني. والتصويب من إتحاف الوری (١٥٣/٣)، وغاية المرام (٦٠/٢).

(٤) انظر: منائح الكرم (٣٣٤-٣٣٥)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٣٧/١)، وغاية المرام (٦٠/٢).

[وفي]^(١) سنة ست عشرة وسبعمائة^(٢) [لحق الشريف حميضة بن أبي غمي]^(٣) بخداينده^(٤) ملك التار، وأقام ببلاده أشهراً، وطلب منه جيشاً يغزو به مكة، وساعدوه جماعة من الرافضة على ذلك، وجَهَّزُوا له جمعاً من خراسان، وكانوا مهتمين بذلك، وكان مقدمهم [درقندي]^(٥) - وقيل دقلندي وهو رافضي من أعيان دولة التار-، وكان قد قام بنصر الشريف حميضة، وجمع له من الأموال والرجال على أن يأخذ له مكة ويقيم بهما، وأنهم ينقلوا الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من جوار النبي ﷺ.

ثم إن الأمير محمد بن عيسى أخا مُهَنَّأ بلغه الخبر - وكانت إقامته مدة ببلاد التار قد خرج من طاعة السلطان - فجمع من العربان نحو أربعة آلاف

(١) في الأصل: في.

(٢) إتحاف الوری (١٥٥/٣-١٥٦). وانظر: العقد الثمين (٢٣٩/٤-٢٤٠)، وغاية المرام (٦١/٢-٦٣).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوری (١٥٥/٣). وانظر غاية المرام (٦١/٢).

(٤) خداينده أو خربندا: هو خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاکو بن تولو بن جنکيز خان، يقال: إن أباه كان كلما ولد له ولد يموت صغيراً، فقال له بعض الأتراك: إذا جاءك ولد فسمه اسماً قبيحاً ليعيش، فلما ولد له هذا سماه خربندا، ومعناه: عبد الحمار. فلما كبر خربندا وملك البلاد كره هذا الاسم واستقبحه، فجعله خُدايَندا، ومعناه: عبد الله. ولما أسلم تسمى بمحمد، واقتدى بالكتاب والسنة، وصار يحب أهل الدين والصلاح، ثم اجتمع به الرافضي تاج الدين الآوي، وصيره رافضياً. توفي سنة ٧١٦ هـ (البداية والنهاية ٧٧/١٤، والنجوم الزاهرة ٢٣٨/٩).

(٥) في الأصل: دواقندي. والتصويب من إتحاف الوری (١٥٥/٣)، والعقد الثمين (٢٤٠/٤).

فارس وقصدهم في ذي الحجة وقتلهم ونهبهم، وكسب العسكر منهم أموالاً عظيمة من الذهب والدراهم، حتى إن فيهم جماعة حصل للواحد منهم نحو ألف دينار، غير الدواب والسلاح وغير ذلك، وأخذوا القؤوس والجارييف التي كانوا قد هَيَّئوها لنَبْش الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفي منائح الكرم^(١): ولما هرب حميضة إلى العراق وقصد السلطان خدابنده أكرمه وأنعم عليه، فلما رأى إقباله عليه حسنَ له أن يعينه على أخذ مكة، ووعدته بأن يخطب له بها، فعينَ له عشرة آلاف من العسكر، وأمرَ عليهم السيد طالباً الأفطس، [وأرسل حميضة إلى أمراء العرب فأجابوه. وأهمَّ ذلك أهل الشام، فلدجؤوا إلى أمراء طيء وقومهم، وهم عرب كثيرون.

واتفق وفاة السلطان خدابنده في أثناء ذلك، وكان بين الوزير رشيد الدين وبين السيد طالب الأفطس^(٢) عداوة، فكاتب الوزير العسكر، وذكر لهم موت السلطان، فحصل فيهم الاختلاف، وثارَت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة، فنهبَت العرب العسكر، وكانت بينهم مقتلة.

وقاتل الشريف حميضة العرب قتالاً شديداً يومئذ، حتى قال الأفطس: ما زلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى شاهدها من الشريف حميضة معانية. انتهى.

(١) منائح الكرم (٣٣٥-٣٣٦)، وانظر: إنحاف فضلاء الزمن (١/١٣٨)، وخلاصة الكلام (ص: ٢٩-٣٠).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (٣٣٦/٢).

وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة^(١) قدم الشريف حميضة من بلاد العراق على فرسٍ واحدٍ مسافة عشرين ليلة، ومعه اثنان من أعيان التتار، وهما دَرَقَنْدِي ومَلِكُ شَاه، ومعهم ثلاثة وعشرون راحلة، فأقاموا بنخلة، وكانوا قد [لقوا]^(٢) في طريقهم شِدَّةً من العراق إلى الحجاز، وكتب حميضة إلى أخيه رميثة ليستأذنه في دخول مكة، فمنعه من ذلك إلا بعد إذن السلطان، وأرسل إلى السلطان كتاباً يخبره بذلك، فكتب السلطان إلى حميضة أنه إن حضر إلى الديار المصرية على عَزْمِ الإقامة بها قابله بالأمان، وسامحه بذنوبه السالفة، وأما الحجاز فلا يقيم به، وكتب إلى دَرَقَنْدِي ومَلِكُ شَاه بالأمان وأن يحضرا، وأرسل [الأميرين]^(٣) سيف الدين أَيْتَمُش الحمدي وسيف الدين بَهَاذِر الصعيدي^(٤) أمير علم^(٥) وأمرهما أن يستصحب كل واحد منهما عشرة من غلمانهم، وجرّد معهما من كل أمير مائة^(٦).

(١) إتحاف الوری (١٥٦/٣-١٥٧). وانظر: العقد الثمين (٢٤٠/٤-٢٤١)، وغاية المرام (٦٢/٢-٦٤)، وسمط النجوم (٢٤٤/٤-٢٤٥)، ودرر الفرائد (٣٩٠/١)، والسلوك (٥٢٦/٢)، ومنايح الكرم (٣٣٧/٢-٣٣٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٣٨/١-١٣٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٢) في الأصل: لقيوا. والتصويب من المراجع السابقة.

(٣) في الأصل: الأمير. والتصويب من المراجع السابقة.

(٤) في إتحاف الوری وغاية: السعدي. وفي العقد الثمين: السعيدي.

(٥) أمير علم: هو الذي يتولى أمر الأعلام السلطانية والطلبخاناه وما يجري مجرى ذلك، ومن حقه تقيح العساكر على الإقدام والمبارزة (صبح الأعشى ٤٢٨/٥، ومعيد النعم وميد النقم ص: ٣٧).

(٦) أمير المائة: هو الذي يملك مائة مملوك أو أكثر، وقد يكون مقدم ألف، أي تحت قيادته ألف جندي أو أكثر (انظر: خطط المقريري ٣/٣٥٠).

[جنديين]^(١)، ومن كل أمير طبلخانة^(٢) جندياً واحداً، وتوجهها إلى مكة لإحضار حميضة ومن حضر من التتار، فتوجّها في يوم السبت سادس عشر ربيع الأول بمن معهما، فوصلا إلى مكة وأرسلا إلى حميضة في معاودة الطاعة، وأن يتوجه معهما إلى الأبواب السلطانية، فاعتذر أنه ليس معه من المال ما ينفقه على نفسه ومن معه في سفره، فطلب منهما ما يستعين به على ذلك فأعطياه، فلما قبض المال تغيب، وعاد الأميران إلى القاهرة، فوصلاها في يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة.

وفي السنة المذكورة^(٣) -أو في أول التي بعدها- بعد عود الحاج من مكة وثب الأمير عز الدين حميضة على أخيه أسد الدين رميثة بموافقة العبيد وأخرجه من مكة، فتوجه رميثة إلى نخلة، واستولى حميضة على مكة، وقطع الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراق أبي سعيد بن خرّبندة، وأخذ أموال التجار.

وفيها^(٤): حج الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد في عدةٍ من عرب آل فضل، بلغت عدّتهم نحو اثني عشر ألف راحلة.

(١) في الأصل: جندي. وهو خطأ، والتصويب من إتحاف الورى (١٥٧/٣).

(٢) سبق التعريف به (ص: ١٦٧).

(٣) إتحاف الورى (١٥٨/٣). وانظر: العقد الثمين (٢٤١/٤)، وغاية المرام (٦٤/٢، ٨٥)، وسمط

النجوم (٢٤٥/٤)، ودرر الفرائد (٣٩١/١)، والسلوك (٥٢٦/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن

(١٣٩/١)، ومنايح الكرم (٣٣٨-٣٣٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٤) إتحاف الورى (١٥٨/٣).

وفي سنة ثمانٍ عشرة وسبعمائة^(١) - في صفر - اتصل العلم بالسلطان الناصر صاحب مصر بفعل الشريف حميضة، فأمر السلطان بتجريد جماعة من أقوياء العسكر، فجرّد الأمير صارم الدين أزلبك الجرمكي، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي، والأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركماني، وأجناد الأمراء مع كل أمير مائة [فارسين]^(٢)، ومع كل أمير طلبخانة جندياً، فاجتمع ثلاثمائة فارس، وأمرهم بالمسير إلى مكة، وأن لا يعودوا إلى الديار المصرية حتى يظفروا بحميضة، فتوجهوا في العشر الأخير من ربيع الأول، ووصلوا إلى مكة ومنعوا العبيد من حمل السلاح بمكة، وأخرجوا المفسدين ونادوا بالعدل.

فلما توجه الإبراهيمي لمحاربة حميضة والقبض عليه ركب إليه، وتقاربا من بعضهما، وباتا على ذلك. ولم يقدم الإبراهيمي على مواجهة حميضة والقبض عليه، فافتضى رأي أمير الحاج المصري الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالي القبض على الإبراهيمي وعلى رميته، ونسب إليه مباطنته مع أخيه حميضة،

(١) إتحاف الوري (٣/١٥٩-١٦٠). وانظر: العقد الثمين (٤/٢٤٢)، وغاية المرام (٢/٦٤-٦٥، ٨٥-٨٦)، وسمط النجوم (٤/٢٤٥)، والسلوك (٣/١٣) ضمن سنة ٧١٩، ومناجح الكرم (٢/٣٣٩).

(٢) في الأصل: فرس. والتصويب من إتحاف الوري (٣/١٥٩)، وغاية المرام (٢/٦٥).

وأن الذي يفعله حميضة من [التشيث]^(١) باتفاق رميثة، وكان القبض عليهما في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجة بعد انقضاء أيام التشريق، وحملًا إلى مصر تحت الاحتفاظ، فسار بهما إلى القاهرة.

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة^(٢) - في يوم الخميس سابع المحرم - وصل الأمير شمس الدين آق سُنْقَرُ الناصري من أرض الحجاز إلى قلعة الجبل، ووردت الأخبار معه، أنه قُبِضَ على الأمير أسد الدين رميثة [أمير مكة في رابع عشر الحجة، وعلى الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي، بسبب ما تقدم، واتصل بالسلطان أيضاً أن الإبراهيمي ارتكب فواحش عظيمة بمكة، فرسم بالقبض عليهما، ووصل الأمير أسد الدين رميثة]^(٣) ورسم عليه بالأبواب السلطانية أياماً، ثم حصلت الشفاعة فيه فرفع عنه الترسيم، وأكرمه السلطان، وأجرى عليه في كل شهر ألف درهم، وأقام يتردد إلى الخدمة السلطانية مع الأمراء إلى أثناء ربيع الآخر، فحضر إلى الخدمة في يوم الاثنين رابع عشر، ثم ركب في عشية النهار على هُجْنٍ أعدت له وهرب نحو الحجاز. فعلم السلطان بذلك في يوم الثلاثاء، فجرد خلفه جماعة من

(١) في الأصل: التشعب. والمثبت من إتحاف الوري (١٦٠/٣)، والعقد الثمين (٢٤٢/٤)، وغاية المرام (٦٥/٢).

(٢) إتحاف الوري (١٦٢/٣-١٦٣). وانظر: العقد الثمين (٤٠٩-٤١١)، وغاية المرام (٨٦/٢-٨٧)، وسمط النجوم (٢٤٥/٤)، ومنايح الكرم (١٣/٢)، والسلوك (١٣/٣)،

(١٦).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوري (١٦٢/٣).

عُرْبَان [العايد]^(١)، فتوجهوا خلفه فوصلوا إلى منزلة حَقْل^(٢) -وهي بقرب أيلة مما يلي الحجاز- فأدركوه نازلاً في المنزلة، فقبضوا عليه وأعادوه إلى الباب السلطاني، فرسم السلطان باعتقاله في الحب، فاعتقل.

ويقال إن السلطان لما علم بهزيمة السيد رميثة كتب إلى شيخ آل حرب يقول له: هذا هرب على بلادك معتمداً عليك ولا أعرفه إلا منك. فركب شيخ آل حرب بالهجن السَّبَق، وسار خلفه مجداً، فأدركه نائماً تحت عقبة أيلة^(٣)، فجلس عند رأسه وقال: اجلس يا أسود الوجه، فانتبه رميثة، وقال: صدقت والله، لو لم أكن أسود الوجه لما نمت هذه النومة المشئومة حتى أدركتني، فقبَضَ عليه وحمله إلى حضرة السلطان، فألقاه في السجن وضيق عليه، فوجع في السجن ورمى الدم.

وفيها^(٤) -في المحرم- ولي السلطان الناصر عطيفة بن أبي غمي^(٥) إمرة

(١) في الأصل: القايد. والنصوب من إتخاف الوري (١٦٢/٣)، وغاية المرام (٨٦/٢). وفي العقد الثمين: العايد.

(٢) حقل: ساحل تيماء، دون أيلة ستة عشر ميلاً (معجم معالم الحجاز ٤٠/٣).

(٣) عقبة أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام (معجم البلدان ٢٩٢/١). وتعرف الآن بالعقبة، وهي ميناء بحري على خليج العقبة بشرق الأردن، وكانت تابعة لمصر من قبل، وكانت من محطات الحجاج للراحة.

(٤) إتخاف الوري (١٦٣/٣-١٦٤). وانظر: السلوك (١٦/٣)، والعقد الثمين (٩٦/٦)، وغاية المرام (١١٤/٢-١١٥)، وسمط النجوم (٢٤٦/٤)، ومنايح الكرم (٣٣٩/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٩٥/٦-١٠٥)، وغاية المرام (١١٣/٢-١٢٩)، وشفاء الغرام (٣٤٨/٢)، والجدائل المرضية (ص: ١٤٥)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠-٣١)، والدرر الكامنة (٢٦٩/٣)، والأعلام (٢٣٧/٤).

مكة، وجهاز عسكره، وتوجهوا من القاهرة في الحرم، فلما وصل العسكر إلى مكة أجلسوا بها عطيفة، وأقاموا عنده، وكتب الشريف عطيفة إلى السلطان: أن القوَّاد في طاعته، وأن حميضة [نرح]^(١) إلى اليمن وفارقه بنو [شعبة]^(٢) وغيرهم، وكثر بمكة الأمن والعدل، ورخصت الأسعار.

وفيها^(٣) حج صاحب مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية. وسأل المجاورون بمكة ومن بها من التجار السلطان أن يُخَلَّفَ عندهم عسكراً تمنع حميضة بن أبي غني إن هو قصد أهل مكة بسوء، فجردَ -ممن كان معه- الأمير شمس الدين آق سُنْقُرُ شادَ العمائر^(٤)، ومعه مائة فارس.

وفي سنة عشرين وسبعمائة^(٥) -في جمادى الآخرة- قصد حميضة مكة بجيش يريد أخذها، وقتل جماعةً من أهل مكة والمجاورين بها،

(١) في الأصل: برج. والمثبت من إتحاف الوري (١٦٤/٣)، والسلوك (١٦/٣).

(٢) في الأصل: شبة. وفي سمط النجوم: بنو شعيب. والمثبت عن السلوك، الموضع السابق.

(٣) إتحاف الوري (١٦٤/٣، ١٦٦). وانظر: العقد الثمين (٩٦/٦)، وغاية المرام (٦٦/٢، ١١٥)، وسمط النجوم (٢٤٦/٤)، ومنايح الكرم (٣٣٩/٢-٣٤٠)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٠).

(٤) شاد العمائر: هو المتكلم على العمائر السلطانية، والمشرف على تنفيذ ما يأمر السلطان بإحداثه أو تجديده من المساجد أو المنازل والقصور أو الأسوار والحصون (هامش إتحاف الوري ١٦٦/٣، ومعيد النعم ومعيد النقم ص: ١٢٩).

(٥) إتحاف الوري (١٦٧/٣-١٦٩). وانظر: العقد الثمين (٢٤٣/٤)، وغاية المرام (٦٥/٢-٦٨، ١١٥-١١٦)، وسمط النجوم (٢٤٦/٤-٢٤٧)، ومنايح الكرم (٣٤٠/٢-٣٤١).

فخرج إليه أخوه عطيفة [وأخوه عطا ف وآخر من إخوتهما]^(١) بعسكر ضعيف، فنصرهم الله عليه وكسروه، وهرب من ممالك الأمراء ثلاثة ولجؤوا إلى حميضة.

وفيهما لما وصل السلطان إلى قلعة الجبل بعد الحج خرج الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب وخرج معه مائة فارس من الممالك السلطانية^(٢)، ليقيموا بمكة بدل الأمير آق سُنْقُر الذي استخلفه بمكة، وخرج من القاهرة يوم الأربعاء سادس ربيع الأول، ووصل إلى مكة وأقام بها ومنع أهلها من حمل السلاح - السكين فما فوقها-، وبعث إلى حميضة -وكان بقرب نخلة- يستميله إلى الطاعة والتوجه إلى الأبواب السلطانية، فسأل رهينة عنده من الأمير ركن الدين تكون عند أهله ويحضر، فأجاب الأمير ركن الدين إلى ذلك، وجَهَّز أحد أولاده وجَهَّز معه هدية لحميضة، ولم يبق إلا أن يتوجه، فأتاه في ذلك اليوم رجلٌ من الأعراب وأخبره بقتل حميضة، فأنكر وقوع ذلك وظن ذلك مكيدة لأمرٍ ما، لكنه توقف عن إرسال ولده حتى يتبين له الحال، فلما كان في مساء ذلك اليوم طُرِقَ باب المعلاة بمكة، ففتح فإذا مملوك اسمه: [أَسْنَدْمُر]^(٣)، وهو أحد الممالك الثلاثة الذين كانوا قد التحقوا بحميضة وهو راكب حِجْرَة^(٤) حميضة

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتخاف الورى (١٦٧/٣).

(٢) الممالك السلطانية: هم أعظم الأجناد شأنًا وأرفعهم قدرًا وأشدّهم إلى السلطان قربًا، وأوفرهم إقطاعًا، ومنهم تومر الأمراء رتبة بعد رتبة (صبح الأعشى ١٦/٤).

(٣) في الأصل: استندمر. وكذا وردت في المواضع التالية، والتصويب من إتخاف الورى (١٦٨/٣)، والعقد الثمين (٢٤٤/٤).

(٤) الحجرة: أنثى الخيل (المعجم الوسيط ص: ١٥٧).

التي تسمى: جُمعة - وكان السلطان قد طلبها من حميضة فشحَّ بإرسالها - وأخبر أَسَدْمُر أنه قتل حميضة، اغتاله وهو نائم، وجَرَّد سيفه فإذا به أثر الدم، وذلك في جمادى الآخرة.

وسبب قتلهم له: أنهم خافوا من دخوله في الطاعة، وأنه يرسلهم إلى حضرة السلطان، فقتلوه، وتوجهوا إلى وادي بني شُعبة^(١) وحضروا إلى مكة، وجهز الأمير ركن الدين من توجه لإحضار سَلْبِ حميضة والمملوكين اللذين بقيا معه، فأحضر السلب وأحد المملوكين، وقيل: إن الثالث مات - وهو مملوك الأمير سيف الدين بَكْتُمُر الساقي - فألزم صاحب نخلة يحضره، وتوعده إن تأخر، فأحضره.

وأرسل ركن الدين وَلَدَيْهِ ناصر الدين محمد وشهاب الدين أحمد إلى الأبواب السلطانية بهذا الخبر، فوصلا إلى السلطان، فأنعِمَ عليهما، وعاد الجواب إلى الأمير ركن الدين بطلبه، فتوجه من مكة في مستهل شعبان وصحبته المماليك الثلاثة الذين كانوا هم سبب قتل حميضة، ووصلوا إلى الأبواب السلطانية في العشر الأول من شهر رمضان، فلما وصل شَمَلَه الإنعام والتشريف، وأمر السلطان بقتل أَسَدْمُر قاتل حميضة قَوْدًا به في شوال.

(١) لبني شعبة أودية كثيرة منها: وادي إدام، ووادي السعدية - أسفل يلملم -، ووادي الخضراء، وديارهم تقع جنوب مكة على خمسين كيلا، ثم تمتد إلى الليث (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٤٧).

وفيها^(١): أطلق السيد رميثة مع جماعة من الأمراء من الجب بالقاهرة، وتوجه إلى مكة وصحبته الأمير سيف الدين أرغون الدوادار نائب السلطنة بمصر [هو]^(٢) وبنوه وأولاده ومماليكه، فوصلوا مكة في ثالث عشر ذي القعدة، [فتألم أهل مكة لوصول السيد رميثة إلى مكة؛ لأن الناس مجتمعون على حب عطيفة، لكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة]^(٣)، [وقيل]^(٤): إن رميثة [لما قدم كان أميراً على مكة]^(٥) شريكاً لأخيه عطيفة.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة^(٦) - في أولها - حلف بنو حسن لرميثة، وأظهر رميثة مذهب الزيدية، وكتب عطيفة ومملوك كان معه لنائب السلطان يذكران للسلطان ذلك، فوصلت الكتب للسلطان في ربيع الآخر

(١) إتحاف الوري (١٦٩/٣ - ١٧٠). والعقد الثمين (٤١١/٤، ٩٧/٦)، وغاية المرام (٨٨/٢)، (١١٦).

(٢) قوله: "هو" زيادة من إتحاف الوري (١٦٩/٣)، وغاية المرام (٨٨/٢).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوري (١٦٩/٣ - ١٧٠).

(٤) في الأصل: قيل. والمثبت من إتحاف الوري (١٧٠/٣).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوري (١٧٠/٣).

(٦) إتحاف الوري (١٧٣/٣)، والعقد الثمين (٤١٢/٤، ٩٧/٦)، وغاية المرام (٨٩/٢)، (١١٧).

-أو في جمادى الأولى- [فانخرج]^(١) من هذا الأمر، واشتد غضبه على رميته.

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة^(٢) توجه صاحب مكة الشريف عطيفة ابن أبي غني إلى القاهرة، وأخبر بَقْحَط الحجاز لعدم المطر، وأنهم استسقوا ثلاثاً فلم يُسَقَّوا، ووصل القمح مائتين وخمسين درهماً الإردب، فرسم السلطان أن يُحْمَلَ إلى مكة ألفاً إِرْدَب، وحمل النائب ألف إردب، والحاج [آل مَلَك]^(٣) ألف إردب. فلما وصلت الغلال تُصَدَّقُ بها، فبيع [الإردب القمح بمائة درهم]^(٤)، وأغيثوا بعد ذلك.

وفيها^(٥): أسقط الناصر المكس المتعلق بالمأكول بمكة فقط، وعوّض صاحب مكة الشريف عطيفة بن أبي غني عن ذلك ثلثي بلد

(١) في الأصل: فخرج. وانظر: العقد الثمين (٩٧/٦).

(٢) إتحاف الوری (١٧٥/٣-١٧٦). وانظر: السلوك (٥٥/٣)، ومنايح الكرم (٣٤١/٢).

(٣) في الأصل: الملك. والتصويب من إتحاف الوری (١٧٦/٣)، والسلوك (٥٥/٣). وانظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٣٠/٣).

(٤) في الأصل: فبيع القمح بمائة درهم الإردب. (انظر: إتحاف الوری والسلوك، الموضوعان السابقان).

(٥) إتحاف الوری (١٧٦/٣). وانظر: العقد الثمين (٩٧/٦)، وشفاء الغرام (٤١٣/٢)، وغاية المرام (١١٧/٢)، وسمط النجوم (٢٤٨/٤)، والسلوك (٥٤/٣)، ومنايح الكرم (٣٤١/٢).

دماويل^(١) من صعيد مصر.

وفي سنة ثلاثين وسبعمائة^(٢) حضر الأمير عطيفة على العادة، ولبس خلعة السلطان، ولم يحضر أخوه رميثة، ولا اجتمع مع الأمراء، ولا حضر الموقف مع أخيه.

وفيها^(٣): في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة قُتل الأمير [الجندار]^(٤) سيف الدين ألدُمُر [بن]^(٥) عبدالله الناصري بمكة [وولده]^(٦) خليل ومملوكه، وأمير عشرة يعرف بالتاجي، وجماعة من النسوة، وغيرهم من الرجال، ونهبت الأسواق، وسبب قيام الفتنة التي قتل هؤلاء الناس بسببها قد ذكرناها^(٧).

وفي ثالث المحرم من سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وصل القاصد من مكة بخبر قتل ألدُمُر، فشقّ على السلطان ذلك، وكتب بإحضار الشريف عطيفة أمير مكة وولده وقواده^(٨).

(١) في السلوك: دماين. وهي بلدة من مركز الأقصر بمديرية قنا، تقع على الشاطئ الغربي للنيل (الخطط التوفيقية لعلي مبارك ٢٠/١١).

(٢) إتحاف الوري (١٨٨/٣). وانظر: العقد الثمين (٤١٣/٤) وفيه: ولكنه حضر الموقف مع أخيه، وغاية المرام (٩٠/٢).

(٣) إتحاف الوري (١٨٩/٣-١٩١)، وانظر: العقد الثمين (٣٢٨/٣-٣٢٩)، والسلوك (١٣٣/٣).

(٤) في الأصل: الخازندار. والتصويب من إتحاف الوري (١٨٩/٣)، والدرر الكامنة (٤٨٤/١).

(٥) قوله: "بن" زيادة من إتحاف الوري (١٨٩/٣). وانظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٢٧/٣).

(٦) في الأصل: ولده.

(٧) (٤٦٠/٢).

(٨) السلوك (١٣٩/٣).

فلما قدم الحاج [أخبروا]^(١) بكثرة الفتن بمكة بين الشريفين عطيفة ورميثة، وقوة رميثة على عطيفة، ونهبه بمكة، وخروجه عن الطاعة، وأنه لم يَلَقَ رَكْبَ الحجاج، فكتب بإحضارهما، فلما وَرَدَ المرسوم بطلب الشريفين إلى مصر اتفقا وخرجا عن الطاعة، فشقَّ ذلك على السلطان، وعزم على إخراج بني حسن من مكة، وأمر الأمير أَيْتَمُش أمير مائة مقدم ألف^(٢) أن يخرج بعسكر إلى مكة، وعيّن معه من الأمراء: الأمير [طَيْدَمُر]^(٣) الساقى، والأمير [أَقْبَعَا آص]^(٤)، والأمير آق سُنْقُر، والأمير [طَرْقَش]^(٥)، [والأمير]^(٦) [طُقْتَمُر]^(٧) الأحمدي، والأمير طُقْتَمُر الصلاحى، وأربعة عشر من مقدمي الحلقة، وعدة من أعيان أجناد الحلقة^(٨).

ثم استدعى [السلطان]^(٩) الأمير أَيْتَمُش بدار العدل، وقال له بحضرة

(١) في الأصل: أخبر. والتصويب من إتحاف الورى (١٩٤/٣).

(٢) أمير مائة مقدم ألف: هي مرتبة حربية يكون في خدمة حاملها مائة مملوك فارس، ويقدم في الحروب على ألف جندي من أجناد الحلقة، وكان أصحاب هذه المرتبة أعلى مراتب الأمراء، وكان يدهم في أيام الممالك جميع المناصب العليا (هامش إتحاف الورى ١٩٥/٣).

(٣) في الأصل: طيدمر. والتصويب من إتحاف الورى (١٩٥/٣)، والسلوك (١٣٩/٣).

(٤) في الأصل: أقبعاص. والتصويب من إتحاف الورى والسلوك، الموضعان السابقان.

(٥) في الأصل: طرفش. والتصويب من إتحاف الورى والسلوك، الموضعان السابقان.

(٦) قوله: "الأمير" زيادة من السلوك، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: طقتمر. والتصويب من إتحاف الورى (١٩٥/٣)، والسلوك، الموضع السابق.

(٨) أجناد الحلقة: هم عدد كبير من العسكر من غير الممالك، وربما دخل فيهم من ليس من الجند كالتعممين وغيرهم، ولكل أربعين نفساً منهم مقدم منهم، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقعهم معه (صبح الأعشى ١٦/٤).

(٩) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الورى (١٩٥/٣)، والسلوك (١٣٩/٣).

القضاة: لا تدع في مكة أحداً من الأشراف، ولا من القواد، ولا من عبيدهم، ونادى بها: من أقام منهم حلّ دمه، ثم أحرق وادي نخلة، وألقى في نخلها النار حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دمنه^(١) عامرة، وخرب ما حول مكة من المساكن، وأخرج حرم الأشراف منها، وأقم بها بمن معك حتى يأتبك عسكر آخر، فقام في ذلك قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني، ووعظ السلطان، وذكّره بوجوب تعظيم الحرم، إلى أن استقر الأمر على أن كتبَ لرميثة أماناً وتقليد بأمير مكة.

وسار العسكر من ظاهر القاهرة في نصف صفر، وعدّهم ستمائة فارس، فوصلوا مكة في العشر الأول من ربيع الآخر، ولم يروا في طريقهم أحداً من العرب ولا من غيرهم، ووجدوا الشريفين عطيفة ورميثة وأولادهما وعسكرهما لما سمعوا بوصول العسكر إلى مكة هربوا إلى جهة اليمن، وهرب الناس من مكة إلى نخلة [وغيرها]^(٢).

وكان الشريف رميثة قد جمع عرباً كثيراً [يريد]^(٣) محاربة الأمراء، فكتب إليه الأمير أَيْتَمُش يُعرِّفه بأمان السلطان له، وتقليده إمرة مكة، ويحثه على الحضور إليه، ويُرَغِّبه في الطاعة، ويحذّره عاقبة الخلاف، ويُهدّده على ذلك، ويُعرِّفه بما أَمَرَ به السلطان من إجلاء بني حسن وأتباعهم عن مكة.

(١) الدمنّة: آثار الناس وما سَوَدُوا (المعجم الوسيط ٢٩٨/١).

(٢) في الأصل: وغيرهما. والمثبت من إتخاف الوري (١٩٦/٣).

(٣) في الأصل: يزيد. والتصويب من إتخاف الوري، الموضع السابق.

فلما وقف على ذلك اطمأن إلى الأمير أَيْتَمُش، وأجابه بما كان قد عزم عليه من الحرب لو أن غيره قام مقامه، وطلب منه أن يحلف له هو ومن معه أن لا يغدروه، وأن يُقْرِضَه مبلغ خمسين ألف درهم يتعوّضها من إقطاعه، فتقرر الحال على أن بعث إليه الأمير أَيْتَمُش خيراً كثيراً من الزاد، والدقيق، والشعير، والبُقْسُمَاط^(١)، والكعك، والرقاق، والسكر، وغير ذلك، ومبلغ أربعين ألف درهم، فقدم حينئذ، فلما قارب مكة ركب الأمير أَيْتَمُش ومن معه إلى لقائه، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموا لِيَحْلِفُوا له العسكر، فعادوا بهم إلى الحرم، واجتمع المشايخ والصلحاء والأعيان، وحلّفوا الأمراء للشريف رميثة أَيْماناً مؤكدة على أنه إذا جاء إلى مكة لا يؤذونه، فسيروا له أماناً، وهو خاتم ومنديل.

فلما أن جاءه الأمان ركب إلى مكة، ولاقاه الأمراء، وقابلوه بما يليق به من الإكرام، فلبس تشريف السلطان وتقلّد إمارة مكة وحده دون أخيه عطيفة، وقرئ تقليده وأمان السلطان، وعزم على تقديمه شيء للأمراء، فامتنعوا أن يقبلوا منه هدية، وكتبوا إلى السلطان بَعُوْدَ الشريف إلى الطاعة، وأقاموا بمكة إحدى وثلاثين يوماً، ثم توجهوا منها إلى المدينة، ثم إلى القاهرة بعد أن تأخر منهم بمكة خمسون نفساً^(٢) بسبب الحنج، ويعودون مع الركب. وحصل خيرٌ كثيرٌ، فالحمد لله لم يُرَقْ

(١) البقسماط: اسم لنوع من الخبز، يجبز ويجفف، ويسمى في المغرب: بُشْمَاط (المعجم الوسيط

٦٥/١).

(٢) في إتحاف الوري: نقياً.

بسيبهم [مُخْجَمَةٌ] ^(١) دَمٍ، ولا آذَوْا أحداً من الخلق.

فلما وصل العسكر إلى القاهرة في سابع جمادى الآخرة دخل الأمير أَيْتَمُش على السلطان، فشكره على ما كان منه، وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني حاضراً، فأكثر من الثناء على أَيْتَمُش وقال: هذا الذي فعله هو الإسلام، فكانت مدة غيبتهم أربعة أشهر تنقص ثمانية أيام.

وأرسل السيد رميثة رسولاً إلى السلطان صاحب مصر، وتوجه الرسول من القاهرة إلى مكة في سادس عشر جمادى الآخرة. انتهى ^(٢).

وذكر العلامة القلقشندي رحمه الله في صبح الأعشى ^(٣) في ذكر ما يكتب لأرباب الوظائف بالمملكة الحجازية صورة تقليد الإمارة التي كتبها الملك الناصر محمد بن قلاوون للشريف رميثة بن أبي غني في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة: قال رحمه الله تعالى: وبمكة المشرفة وظيفتان:

الوظيفة الأولى: الإمارة، وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنها كانت تُؤلَّى من أبواب الخلافة ببغداد إلى حين انقراضها، إلا ما تغلب عليه الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك، ثم

(١) في الأصل: محجة. والتصويب من إتحاف الوري (١٩٧/٣).

(٢) إتحاف الوري (١٩٤/٣-١٩٧)، والعقد الثمين (٤١٣/٤-٤١٥)، والسلوك (٣/١٣٩-١٤٢)، وغاية المرام (٢/٩٠-٩١).

(٣) صبح الأعشى (١٢/٢٢٨-٢٣١).

[استقرت] ^(١) آخراً من جهة ملوك مصر إلى الآن. ويكتب له تقليد في قطع النصف بالجلس العالي بزيادة ألقاب تخصه، وقد تقدمت ألقابه في أول هذا الطرف، قد ذكرها في الجزء السادس من هذا الكتاب بقوله ^(٢): (جلال العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء، وبه يكتب لأميري مكة والمدينة المشرفتين.

وفي موضع آخر منه ^(٣): (نسيب الإمام) من ألقاب الشرفاء؛ كأميري مكة والمدينة المشرفتين، والنسيب: القريب؛ يقال: فلان نسيب فلان أي: قريبه، وذلك أن مرجع بني العباس والعلوين إلى بني هاشم.

وفي موضع آخر منه ^(٤): (زين العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء، وبه يكتب لأميري مكة والمدينة. انتهى.

وهذه نسخة تقليد يأمرة مكة المشرفة: كتب بها عن الملك الناصر محمد ابن قلاوون لأسد الدين رميثة بن أبي نعي يأمرة مكة المشرفة، عوضاً عن أخيه عطيفة عند قتل الأمير الدرمان دار وولده خليل، من إنشاء المولى تاج الدين بن البارباري رحمه الله، في الحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الحكيم: فالشريف من اتبع أوامره،

(١) في الأصل: استقر. والتصويب من صبح الأعشى (١٢/٢٢٨).

(٢) صبح الأعشى (٤٥/٦).

(٣) المرجع السابق (٧٤/٦).

(٤) المرجع السابق (٥٤/٦).

العظيم: فالسَّعِيدُ من اتَّقَى غَضَبَهُ بأعماله الزاكية ونيَّاته الطاهرة، الكريم: الفائز من سلك مَراضِيهِ في الدنيا ليأْمَنَ في الآخرة، ومن أخاف عاكِفِ حَرَمِ الله وبادِيهِ فقد بَاءَ بالأفعال الخاسرة، ومن عَظَّمَ شعائر الله فقد رَفَلَ في حُلِّ الإقبال الفاخرة.

نحمده على ألطافه الباطنة والظاهرة، ونشكره ونرجوه وما زال يُنَجِّحُ راجِيَهُ وَيَزِيدُ شاكره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اتخذ الحق ناصره، وأودع إخلاصها ضَمَائِرَهُ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحَرَمِ، فَأَلَّفَ القلوبَ النَّافِرَةَ، وفتح مَكَّةَ فطَهَّرَها من الزُّمُرَةِ الكافرة، وقال في ذلك اليوم: ((من أغلق عليه بابه فقد أمن))^(١)، فأَمْسَى أهلها ونفوسهم بالأمن ظافرة، صلى الله عليه وعلى آله بني الزهراء العترة الزاهرة، وعلى صحبه النجوم السافرة، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الحكم بالعدل شعارنا، وبالله اقتداؤنا واقتدارنا، وفي الإحسان رغبنا، وفي كلِّ عُنُقٍ مِتْنًا، نَصْفَحُ ونَمْنَحُ، ونَرْعَى من أَمْسَى في قديم الهجرة في ولايتنا وأصبح، ونُقيمُ من أهل البيت لحفظ ذلك البيت الأصْلَحَ فالأصلح، ونُقَدِّمُ من لم يزلْ مقدِّماً، وإلى صَوْبِ الصوابِ يَجْتَحُ فَيَنْجَحُ، ونُنْجِي من الهَلَكَةِ من لاح له مَنْهَجُ الخير فسلكه فأفلح.

وكانت مكة المعظمة هي أمَّ القُرى، والبلد الأمين المُجْزَلُ فيه القُرى؛ نشأ الإسلامُ في بطحائها، وحرَّمها الله فلا يَنْفَرُ صَيِّدُها، ولا يُعْصَدُ شَجَرُها، ولا

(١) أخرجه مسلم في باب فتح مكة (٣/١٤٠٧ ح ١٧٨٠).

تَحُلُّ لِقَطَّتْهَا إِلَّا لَمُنْشِدُ تَأْكِيداً لِتَشْرِيفِهَا وَإِعْلَانِهَا، وَطَلَعَتْ شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْ شُعَابِهَا، وَغُسِلَتْ الذُّنُوبُ [بِوَبْلِ] ^(١) سَحَابِهَا، فِيهَا زَمْزَمٌ وَكَزْزَةُ جَبْرِيلَ، وَفِيهَا بَدْءُ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، وَإِلَيْهَا أُعْثِقَتْ ^(٢) الرِّكَابُ فِي كُلِّ أَبْطَحٍ لِلْمَطِيِّ مَسِيرٌ وَمَسِيلٌ، فَكُمُ أَتَى إِلَيْهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ سَائِرٌ، وَكُمُ أَتَى إِلَيْهِ النَّاسُ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ؛ فَالرحمة مُسْتَقَرَّةٌ بَيْنَ نَوَاحِيهَا، وَالْعِيُونُ [تَتَمَلَّى] ^(٣) بِأَنْوَارِ تِلْكَ الْأَسْتَارِ حَتَّى تَجْتَلِيَهَا، وَالشَّفَاةُ تَتَشَرَّفُ بِتَقْيِيلِ ذَلِكَ الْحَجَرِ الَّذِي يَشْهَدُ لَهَا فِي غَدٍ وَيَقِيهَا، فَطُوبَى لِمَتَّقِيهَا، وَسُحْقاً لِمَنْ أَخَافَ وَفَدَّ اللَّهَ فِيهَا، وَنَحْنُ قَدْ بَصَرْنَا اللَّهَ بِخِدْمَةِ بَيْتِهَا الْحَرَمِ، وَحَرَمِهَا الْمَعْظُمِ، [وَكُرَّرَ إِلَيْهَا حَجَّتَنَا وَكَرَّمَهُ] ^(٤)، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَنْ كَرَّرَ حَجَّتَنَا وَكَرَّمَهُ؛ وَمَا بَرَحْنَا نُقِيمُ فِي إِمَارَتِهَا مِنَ الْعَثَرَةِ النَّبَوِيَّةِ كُلِّ شَرِيفِ النَّسَبِ، وَكُلِّ مَنْ يَكْتَسِبُ فِيهَا رِضَا اللَّهَ تَعَالَى، وَكُلِّ أَمْرٍ وَمَا اكْتَسَبَ؛ فَمَنْ أَصْلَحَ مِنْهُمْ أَقْمَنَاهُ، وَمَنْ حَادَّ عَنِ الطَّاعَةِ وَجَحَدَ النِّعْمَةَ أَرْزَلْنَاهُ، وَمَنْ أَخَافَ فِيهِ السَّبِيلَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ إِلَى الْخَيْرِ سَبِيلًا، وَمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَوَلَّيْنَاهُ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَا زَالَتْ خَوَاطِرُنَا الشَّرِيفَةُ تَقْدِّمُهُ عَلَى بَنِي أَبِيهِ، وَتَخْتَارُهُ أَمِيرًا وَتَجْتَبِيهِ؛ وَرُبَّمَا سَلَفَتْ مِنْ بَيْتِهِ هَنَاتٌ صَفَحْنَا عَنْهَا الصَّفْحَ

(١) في الأصل: بوابل. والتصويب من صبح الأعشى (٢٢٩/١٢).

(٢) أي: أسرع.

(٣) في الأصل: تتجلى. والتصويب من صبح الأعشى (٢٣٠/١٢).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من صبح الأعشى، الموضع السابق.

الجميل، وما قابلناهم إلا بما يليق بمجدهم الأصيل، والإمرة وإن كانت بيد غيره هذه المدة فما كان في الحقيقة أميراً عندنا سواه؛ لأنه كبيرُ بيته المشكور من سائر الأفواه.

والآن قد اقتضتْ آراؤنا الشريفة أن نُقيمه في بلده أميراً مفرداً إليه يشار، وأن نُصْطَفِيَه، - وإنه عندنا لمن المُصْطَفَيْنَ الأخيار-، وأن نجعلَ الكلمةَ واحدةً ليأمنَ التَّزِيلُ والجار؛ ومتى تَجَاذَبَ الأمرُ كلمتان فَسَدَ نظامُه، ومتى أُفْرِدَ الحَكْمُ حَسُنَتْ أحكامُه، [ومتى]^(١) توَحَّدَ الأمرُ زال الاختلاف، وزاد الائتلاف، وأقبلتْ أيامه.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوضَ إليه إمرة مكة المشرفة، على عادة والده. فليقلد ما فوضناه إليه من الإمرة والنيابة بمكة المعظمة، شاكرًا ما أنعم الله به عليه من مراضينا التي لا نَجَاةَ لمن لم يَنَلْ منها نصيباً مَوْفُوراً، ولا فَوْزَ لمن لم يُدْرِكْ منها حظًّا كبيراً، وليشرعْ في تمهيد البلاد من إزالة المظلمة، ولْيُطَهِّرْها من كلِّ مُجْتَرِيٍّ على الله تعالى في البُقعة المحرَّمة، ولا يُقَرِّبْ من في قلبه مرضٌ فيُعْديه، ولا يرجع لمن فيه شقاقٌ ظاهرٌ في صفحات وجهه وفَلَتَات فيه، وليعلم أن هذا بلدٌ حرامٌ حرَّمه الله يوم خَلَقَ السموات والأرض، وصيَّرَ حَجَّ بيته على مستطيعه من الفرض، وجعله للناس معاداً ومعاداً، وقال ﷺ يوم عرفة: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في

(١) في الأصل: ومن. والتصويب من صبح الأعشى (٢٣٠/١٢).

شهركم هذا في بلدكم هذا))^(١).

فَلْيَمْنَعِ الدِّمَاءَ مِنْ أَنْ تُرَاقَ، وَالْأَمْوَالَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ،
وَالظُّلْمَ

في البلد الحرام حرام، وبنو حَسَنٍ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ، وَاتَّقِ اللَّهَ
لِتَلْقَاهُ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَعْرَ، وَاتَّبِعْ سُنَّةَ جَدِّكَ، فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَثٌّ
وَأَمْرٌ، وَالْقَ وَفَدَ اللَّهُ فِي الْبِرِّ وَالْبَحْرِ بِالْحُسْنَى؛ فَهُمْ أَضْيَافُهُ، وَأَمَّنَ الْحَجَّ لِيَتِمَّ
نُسُكُهُ وَطَوَافُهُ.

هذا تقليدنا لك أيها الشريف، فطَبَّ نَفْسًا بِمَرْضَانَا، وَصَفَحْنَا عَنْ مَا
مَضَى، وَمَنْحْنَا الرِّضَى حَقًّا يَقِينًا، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِينَا، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. انتهى.

وقال ابن فهد^(٢): وفي سنة أربع وثلثين وسبعمائة جاء الشريف عطيفة
من مصر متولياً نصف مكة، ونزل أم الدمن^(٣)، ثم دخل مكة، وأخذ نصف
البلاد من أخيه الشريف رميثة. فلما كان ليلة النفر من منى أخرجه السيد
رميثة من مكة بلا قتال، فتوجه عطيفة إلى مصر صحبة الحاج، وأقام بها إلى أن
جاء مع الحاج في السنة الآتية متولياً نصف البلاد، ومعه خمسون مملوكاً شراءً
ومستخدمين، وأخذ نصف البلاد بلا قتال، وتوافق هو وأخوه.

(١) أخرجه البخاري (٣٧/١ ح ٦٧)، ومسلم (٨٨٩/٢ ح ١٢١٨).

(٢) إتخاف الوري (٢٠٤/٣-٢٠٥)، والعقد الثمين (١٠٠/٦)، وشفاء الغرام (٣٤٩/٢)، وغاية
المرام (٩٢/٢، ١٢٠)، ودرر الفرائد (ص: ٣٠٥)، ومنايح الكرم (٣٤٨/٢)، وخلاصة
الكلام (ص: ٣٠-٣١). وانظر: السلوك (١٨٨/٣) ضمن أحداث سنة ٧٣٥.

(٣) أم الدمن: هي بطرف خليص، ولم تعد معروفة اليوم (معجم معالم الحجاز ٩٦/١٠).

وفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة^(١) جرت بين الشريفين عطيفة ورميثة وحشة ومباعدة، فأقام الشريف عطيفة بمكة ومعه الممالك، ورميثة بالجديد من وادي مرّ، فتسلط مبارك بن عطيفة على المجاورين، وأخذ مال التجار. فلما كان في اليوم الثامن والعشرين من رمضان ركب السيد رميثة في جميع عسكره، ودخل مكة على السيد عطيفة بين الظهر والعصر، وكان الشريف عطيفة برباط أم الخليفة^(٢)، والخیل والدروع [والتجافيف]^(٣) في العَلَقَمِيَّة^(٤)، فلم يزل رميثة وأصحابه قاصدين إلى باب العَلَقَمِيَّة، ولم يكن معهم رَجَالَة، فوقف على باب العَلَقَمِيَّة مَنْ حَمَاهَا إلى أن أغلقت، والموضع ضيق لا مجال للخیل فيه، وحمّت ذلك [الغُرُ]^(٥) والعبيد من غلمان عطيفة، فلم يحصل في

(١) إتحاف الوری (٢٠٦/٣-٢٠٧)، والعقد الثمین (١٠٠/٦-١٠١)، وشفاء الغرام (٣٤٩/٢)، وغاية المرام (٩٣/٢-٩٤، ١٢٠-١٢١)، ومنايح الكرم (٣٤٨/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١).

(٢) رباط أم الخليفة: هو رباط أم الخليفة الناصر العباسي، ويعرف بالعطيفية؛ لأن الشريف عطيفة صاحب مكة كان يسكنه، وتاريخ وقفه سنة ٥٧٩هـ (العقد الثمین ١/١١٨، وشفاء الغرام ٦٠٨/١).

(٣) في الأصل: والتجافيف. والمثبت من إتحاف الوری (٢٠٦/٣)، وغاية المرام (٩٣/٢). والتجافيف: لباس أو آلة للحرب توضع على الفرس تقيه كالدرع ونحوه، وذهبوا فيه إلى معنى الصلابة (لسان العرب، مادة: جفف).

(٤) العَلَقَمِيَّة: دار كانت لبني عجلان الأشراف النمويين قرب المروة من مكة، كانوا بنوها سجنًا يسجنون فيه خصومهم، وقد أزيلت في توسيعات المسجد الحرام (معجم معالم الحجاز ١٠٠/١٠١-١٠١).

(٥) في الأصل: النفور. والمثبت من من إتحاف الوری (٢٠٦/٣)، والعقد الثمین (١٠٠/٦)، وغاية المرام (٩٣/٢).

[ذلك]^(١) اليوم للشريف رميثة ظفر، وقتل في ذلك اليوم من أصحاب رميثة وزيره واصل بن عيسى الزبّاع وابن عمه خُشَيْعَة ويحيى بن مُلَاعِب، ثم ولّوا راجعين إلى الجديد. ولم يقتل من أصحاب عطيفة غير عبد واحد أو اثنين - فيما قيل - والله أعلم.

ولم يحج واحد من الشريفين في هذه السنة؛ لأن رميثة أقام بالجديد، وعطيفة أقام بمكة.

وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة^(٢) اصطَلَح الشريفان رميثة وعطيفة على المشاركة في الإمرة، وأقاما مدة، ثم توجهوا إلى ناحية اليمن بالوادين، وترك عطيفة ولده [مباركاً]^(٣) بمكة، وترك رميثة ولده [مغامساً]^(٤) بالجديد.

وفي عاشر شعبان دخل رميثة مكة ومكث فيها إلى ليلة الثالث عشر من شعبان، ثم خرج منها إلى الوادي. وفي صبيحة الليلة التي خرج فيها رميثة من مكة دخلها عطيفة، ثم رحلا إلى مصر مع النجّاب الذي وصل من صاحب مصر لاستدعائهما إليه.

وفي يوم الخميس عاشر ذي القعدة دخل مكة رميثة متولياً عليها بمفرده

(١) قوله: "ذلك" زيادة من العقد الثمين (١٠٠/٦)، وغاية المرام (٩٣/٢).

(٢) إتحاف الوري (٢٠٧/٣-٢١٠)، والعقد الثمين (١٠١/٦)، وغاية المرام (٩٤/٢، ١٢١)، ومنايح الكرم (٣٤٨/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١).

(٣) في الأصل: مبارك. والتصويب من من إتحاف الوري (٢٠٨/٣)، وغاية المرام (٩٤/٢).

(٤) في الأصل: مغامس. والتصويب من من إتحاف الوري، الموضع السابق، وغاية المرام، الموضع السابق.

بعد القبض على أخيه عطيفة بالقاهرة، ولم يزل عطيفة بمصر إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين، وأمن الناس بمكة^(١).

وفي سنة أربع وأربعين وسبعمائة^(٢) اشترى عجلان وثقة إمرة مكة من والدهما رميثة بستين ألف درهم؛ لأنه كان كبر وضعف، وعجز عن البلد وعن أولاده، وبقي كل منهم له فيها حكم، ثم استدعى الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون الشريف ثقة إلى مصر، فتوجه إليها، وبقي عجلان وحده في البلاد إلى آخر ذي القعدة، فوصل مرسوم من سلطان مصر برّد البلاد على السيد رميثة، ولُزِمَ الشريف ثقة في مصر. فلما علم السيد عجلان بذلك خرج إلى ناحية اليمن، ومنع الجلاب من الوصول إلى مكة، فلم يصل منها إلا القليل، وحصل في هذه السنة غلاء عظيم في أيام الحج، ولما رحل الحاج من مكة وصل السيد عجلان من جهة اليمن ونزل الزاهر^(٣)، وأقام به أياماً، ثم بعد ذلك اصطلع هو وأبوه، وأخذوا من التجار مالاً جزيلاً. انتهى.

(١) انظر: منائح الكرم (٣٤٩/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١).

(٢) إتحاف الوری (٢٢٦/٣-٢٢٧). وانظر: العقد الثمين (٤١٦/٤-٤١٧)، وغاية المرام (٩٤/٢-٩٥)، وسمط النجوم (٢٥٠/٤)، ومنائح الكرم (٣٥٢/٢-٣٥٣)، وإتحاف فضلاء

الزمن (١٥١/١-١٥٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١).

(٣) الزاهر: سبق التعريف به في (ص: ٤٣).

ولاية الشريف عجلان من قبل سلطان مصر

قال السنجاري في منائح الكرم^(١): وفي سنة سبعمائة وست وأربعين توجه الشريف عجلان إلى مصر، فولّاه الملك الصالح مكة دون أبيه، فوصل مكة في رابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ومعه خمسون مملوكاً، وقبض على البلاد بلا قتال في حياة والده، وأخرج أخاه ثقبه إلى وادي نخلة.

وأقام معه بمكة أخواه سند ومغامس، وأعطى أخويه رسوماً [يأكلانها]^(٢)، ثم تنكّر عليهما فأخرجهما إلى مرّ الظهران^(٣)، ثم أمرهما بالاتساع في البلاد. فلحقا بأخيها ثقبه بنخلة فلم يدركاه، وأخبرا أنه توجه إلى مصر، فلحقاه بمصر فقبض عليهما جميعاً. وكان الملك الصالح قد انتقل إلى رحمة الله قبل وصول عجلان إلى مكة، وتسلمن عوضه أخوه الكامل شعبان، فكتب إلى عجلان بالولاية فلحقه النجّاب قبل دخول مكة.

(١) منائح الكرم (٣٥٣/٢-٣٥٥). وانظر: العقد الثمين (٦/٥٩-٦١)، وإتحاف فضلاء الزمن

(١٥٢/١-١٥٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٣١)، وغاية المرام (٢/١٣٨-١٤٠).

(٢) في الأصل: يأكلانها. والتصويب من منائح الكرم (٢/٣٥٤).

(٣) مر الظهران: سبق التعريف به في (ص: ٤٣).

فلما كان أوائل ذي القعدة من السنة المذكورة ورد النجباء من مصر
للشريف عجلان بإبقائه على الولاية، وأن أخويه سنداً ومغامس قد اعتقلا
بمصر، وزُين السوق بمكة.

وفي أثناء الزينة توفي والده الشريف رميثة في ثامن ذي القعدة من السنة
المذكورة، وصلي عليه بعد أن طافوا به على عاداتهم، ودُفن في تربة السيدة
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. انتهى.

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وأربعين^(١): وفيها مرض السيد
رميثة بغير مكة، فحُمِلَ وأُتي به إلى مكة - وقد دخل في الترع - في نصف ليلة
الخميس سابع ذي القعدة، ثم مات في يوم الجمعة ثامن ذي القعدة، وطيف به
وقت صلاة الجمعة - والخطيب على المنبر قبل أن يفتح الخطبة -، وسكت
الخطيب حتى فرغوا من الطواف به، وكان ابنه عجلان يطوف معه، وجعله
في مقام إبراهيم. انتهى.

وكانت ولاية الشريف رميثة بمكة سبع مرات - كما في تاريخ الرضي -
شريكاً لأخيه حميضة نحو عشر سنين، وشريكاً لأخيه عطيفة نحو خمس سنين،
ومنفرداً نحو خمس عشر سنة، فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة. ذكره في
خلاصة الكلام^(٢).

(١) إتخاف الوري (٢٣١/٣ - ٢٣٢). وانظر: العقد الثمين (٤/٤١٧)، وغاية المرام (٢/٩٥)،
٩٦.

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٣١ - ٣٢).

قال العصامي^(١): وكان له من الأولاد: أحمد، وسند^(٢)، وثقبة^(٣)، وعجلان^(٤)، ومغامس^(٥)، ومبارك^(٦). انتهى.

وفي سنة سبع وأربعين -أو ثمان وأربعين- أطلق السلطان الشريف ثقبه وأخويه سنداً ومغامساً وأشركهم مع الشريف عجلان، فجاؤوا من مصر ومعهم مرسوم فيه: أن لهم نصف البلاد، وأن الشريف عجلان له نصف البلاد، ثم تنازعوا فكان ثقبه بالجديد من وادي مَرٍّ، فخرج إليه الشريف عجلان وأراد قتاله، فأصلح بينهما القواد، ثم اتسع الشريف عجلان عن البلاد، فوثب ثقبه ودخل البلاد، فجاء الخبر إلى الشريف عجلان، فذهب إلى مصر ومعه ولداه كُبَيْش وأحمد فرجع متولياً مكة، وأخرج منها إخوته ثقبه وسنداً ومغامساً إلى اليمن، وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين وسبعمائة. كذا في خلاصة الكلام^(٧).

(١) سبط النجوم (٢٥١/٤). وانظر: منائح الكرم (٣٥٥/٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٥٣/١)، وغاية المرام (١١١/٢).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦١٧-٦٢١)، وغاية المرام (١٦٨-١٧٤)، وشفاء الغرام (٣٥٠/٢).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣٩٥-٣٩٩)، وغاية المرام (١٣٠-١٣٧)، وشفاء الغرام (٣٥٠/٢).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٥٨-٧٣)، وغاية المرام (١٣٧-١٦٨)، وشفاء الغرام (٣٤٩/٢).

(٥) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٥٠-٢٥٢).

(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (١١٧-١١٨).

(٧) خلاصة الكلام (ص: ٣٢). وانظر: منائح الكرم (٣٥٥-٣٥٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٥٥-١٥٦)، وغاية المرام (١٤٠-١٤١).

وقال ابن فهد في حوادث سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة^(١): أن الشريف عجلان كان بمكة، والسيد ثقبه بالجديد ومعه أكثر بني حسن والقوادر، وليس له يد ولا جباء بمكة، وإنما هو قاعد بالقوة، وجاءت مراكب أهل اليمن من التجار إلى جدة، فاحتاط عليها الشريف ثقبه وأخواه سند ومغامس فلزموهم وأقاموا بهم إلى شهر ربيع الأول، فجباهم السيد ثقبه جباءً عنيفاً، وأخذ منهم أموالاً كثيرة وبزاً وحريراً ورقيقاً وغير ذلك، ومنعهم من دخول مكة، ومنعهم أن يحملوا أمتعتهم إلى مكة فأقاموا بها في الوادي^(٢).

وجاء في الثامن والعشرين من^(٣) ربيع الأول الأمير علاء الدين -مملوك السلطان- بكتاب السلطان إلى الشريف عجلان وثقبه بالوصول إلى الباب الشريف، فتوجه الشريف عجلان في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى، وسافر إلى [وادي]^(٤) أبي عروة، ثم إلى [الهدية]^(٥) وأقام بها يومين أو ثلاثة، إلى أن سافر الشريف ثقبه من الجديد إلى عسفان، فسافروا جميعاً في يوم السبت سادس عشر جمادى الأولى، وسارا [بزمليهما ورحالهما]^(٦) قاصدين

(١) إتحاف الوري (٢٥٣/٣-٢٥٦). وانظر: غاية المرام (١٤٢/٢).

(٢) انظر: العقد الثمين (٣٩٦/٣، ٦٢/٦)، ودرر الفرائد (٤٠٨/١-٤٠٩).

(٣) في إتحاف الوري: ثاني عشر.

(٤) في الأصل: الوادي. والتصويب من إتحاف الوري (٢٥٤/٣).

(٥) في الأصل: الهدى. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: برجلهما ورجاهما. والتصويب من إتحاف الوري (٢٥٥/٣).

والزَّمْل: الحمل أو الرَّدِيف (انظر: المعجم الوسيط ٤٠١/١).

مصر، فلما أتوا المدينة زاروا. وتوجه السيد عجلان إلى ينبع، وأبى السيد ثقبه أن يروح إلى مصر، فأرسل السيد عجلان كتاباً للسلطان بأن ثقبه أبى أن يحضر إلى الباب السلطاني، وإني قاصد وراءه خوفاً على البلاد، وأرسله مع مملوك السلطان، ثم أقبل الشريف عجلان إلى بدر فهرب منه ثقبه وتوجه إلى ينبع، وجاء الخبر إلى مكة في سابع عشر جمادى الآخرة بأن السيد عجلان وصل الهدية قاصداً مكة، وأن ثقبه راح مصر، فهرب الشريفان سند ومغامس من الجديد إلى نخلة، وقدم الشريف ثقبه إلى القاهرة في مستهل رمضان، فخلع عليه واستقر في إمارة مكة بمفرده، وأنعم عليه الأمير طاز^(١) بقرض ألف دينار، وأقرضه شيخون عشرة آلاف درهم، واقترض من التجار مالا كثيراً، واشترى من الخيل والسلاح والمماليك، واستخدم عدة أجناد ورسم سفر حسام الدين لاجين العلاتي^(٢) [ليقلده]^(٣) بمكة. فلما نزلوا بطن مرّ [تقدم]^(٤) إلى مكة حسام الدين لاجين، وعرف الشريف عجلان انفراد أخيه ثقبه بالإمرة، [فامتنع]^(٥) من تسليمه مكة، وعاد الحسام إلى ثقبه فأقام حتى قدم الحاج -ويقال: بل رجعوا إلى خليص وأقاموا بها إلى أن جاء الحج

(١) الأمير طاز: هو طاز بن قطغاج، أحد كبار أمراء الدولة. كان بطلاً شجاعاً، محباً للعلماء معظمهم، كثير الخير والرجوع إلى الحق رحمه الله. توفي سنة ٧٦٣هـ (الدرر الكامنة ٣٧٣/٢ - ٣٧٤).

(٢) السلطان لاجين: حسام الدين السلحداري. السلطان الحادي عشر من سلاطين المماليك في مصر. ولي السلطنة سنة ٦٩٦هـ، وقتل سنة ٦٩٨هـ (الجوهر الثمين ص: ٣٢٣ - ٣٥٨). وانظر: البداية والنهاية ٣٤٨/١٣.

(٣) في الأصل: لتقلده. والتصويب من إنحاف الورى (٢٥٥/٣).

(٤) في الأصل: وتقدم. والتصويب من إنحاف الورى، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: امتنع. والتصويب من إنحاف الورى (٢٥٦/٣).

المصري-، فتلقى السيد ثقبه أمير الحاج، وطلب منه أن يحارب معه عجلان فلم يوافقته على محاربته، فأسمعه ما لا يليق، وهدده على أنه لا يمكن الحاج من دخول مكة، وقام وقد اشتد غضبه، وألبس من معه من العربان وغيرهم السلاح، فاجتمع أمير الركب والقاضي عز الدين بن جماعة -وكان قد توجه صحبة الركب للحج-، واتفقا على إرسال الحسام لاجين إلى عجلان ومعه العز بن جماعة، فجرت لهم معه منازعات آخرها أن تكون الإمرة شركة بينهما

نصفين، وعاد إلى بطن مرّ، وقررا ذلك مع ثقبه حتى رضي، وساروا جميعاً إلى مكة، فتلقاهم عجلان على العادة، وأنصف ثقبه وأنعم عليه بسبعين ألف درهم^(١).

وفي سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة^(٢) توجه السيد عجلان إلى ناحية اليمن، فلقي جلبة وصلت من اليمن فيها عبد قاضي مكة شهاب الدين الطبري، وجماعة من أهل مكة، فأخذ ما فيها، وكان قدراً جسيماً. فلما بلغ السيد ثقبه ذلك أرسل إلى أخيه عجلان يطلب نصيبه من ذلك، فأبى السيد عجلان أن يدفع له شيئاً، فركب إليه -وعجلان في قلّة من أصحابه- وغرّه بالصلح، فغدر به وقيده، وأخذ جميع ما كان مع عجلان؛ من الخيل والإبل، واستقر بالإمرة بمفرده.

(١) انظر: غاية المرام (١٤٢/٢-١٤٣).

(٢) إتخاف الوری (٢٥٧/٣-٢٥٨). وانظر: العقد الثمين (٦٣/٦-٦٤)، وغاية المرام

(١٤٣/٢-١٤٤).

فلما كان الليل ورقد الموكلون بعجلان خلع عجلان القيد من رجله - وكان واسعاً-، وهرب إلى امرأة من الفريق الذي كانوا فيه، فانزوى إليها، وعرفها بنفسه، وسألها أن [تخفيه]^(١)، فقالت له: نحن نجشى من ثقبه، فقال لها: لا بأس عليك، أنا أتخيل في إخفائي بأن أحفر حفرة تعيني وأقعد فيها، وحطّي عليّ أمتعتك، ولا عليك بفعل ذلك. فلما انتبه الموكل بعجلان فقدّه فلم يجده، فذهب إلى ثقبه وعرفه الخبر، فأخذ هو وأصحابه في طلب عجلان فلم يجده، وأتى إلى بيت المرأة التي [هو]^(٢) مختم عندها ودوره بنفسه، فلم يجد عجلان فيه. فلما كان الليل أركب فرساً وراح إلى بني [شعبة]^(٣) باليمن فأقام عندهم حتى قدم الحاج.

وفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة^(٤) توجه السيد عجلان إلى نخلة -بعد أن كان في أول السنة بالواديين-، وأخذ منها المال الذي كان نهبه، وقصد الجديد وفرّق المال، وأقام بالجديد إلى آخر السنة، فلما أن قرب وصول الحاج [وسمع]^(٥) بأن البلاد لأخيه ثقبه وليس له فيها أمر، ارتحل إلى

(١) في الأصل: تخفيه. والتصويب من إتحاف الوري (٢٥٨/٣)، والعقد الثمين (٦٣/٦)، وغاية المرام (١٤٣/٢).

(٢) في الأصل: هي. والتصويب من إتحاف الوري (٢٥٨/٣)، والعقد الثمين (٦٤/٦)، وغاية المرام (١٤٤/٢).

(٣) في الأصل: ثقبه. والتصويب من المراجع السابقة.

(٤) إتحاف الوري (٢٦٠-٢٦١/٣). وانظر: العقد الثمين (٦٤/٦)، ودرر الفرائد (٤١٠/١)، ومنايح الكرم (٣٦٣/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٢)، وغاية المرام (١٤٤/٢).

(٥) في الأصل: سمع. والتصويب من إتحاف الوري (٢٦٠/٣)، والعقد الثمين (٦٤/٦)، وغاية المرام (١٤٤/٢).

[الجرادة]^(١)، ثم أرسل إليه أمير الحاج المصري الأمير ركن الدين^(٢) عمر شاه الحاجب بأمان، وأمره أن يصل إليه ويصلح بينه وبين أخيه، فتوجه عجلان - ولقيه بالجموم^(٣) من وادي مرّ - وأخلع أمير الركب على عجلان وسار معه إلى مكة.

وقيل: إن السلطان والأمراء مدبري دولته أسروا إلى أمير الحاج ومن صحبته من الأمراء أن يقبضوا على ثقبه ويقروا الشريف عجلان بمفرده على إمارة مكة. فلما قدم الحاج بطن مرّ ومضى عجلان إلى لقائهم، شكّا [إلى]^(٤) الأمراء من أخيه ثقبه، وذكر ما فعله معه وبكى، فطمنوا قلبه، وساروا به معهم حتى لقيهم الشريف ثقبه ومعه أخواه سند ومغامس وابن عمهم محمد ابن عطيفة، وقوادهم وعبيدهم بالزاهر على جاري العادة لتلقي الأمير وخدمة الحمل، فألبسوه خلعتهم على العادة ومضوا حافين به نحو مكة وهم يحادثونه في الصلح بينه وبين أخيه عجلان، ويُحسنون له ذلك، فأبى إلا أن يكون السلطان رسم بذلك، وصمم على ذلك. فلما أيسوا منه مدّ الأمير كُشلي يده إلى سيفه وقبض عليه، وأشار إلى من معه فألقوه عن فرسه وأخذوه ومن معه من إخوته وابن عمهم وكبلوهم في الحديد، ودخلوا بهم مكة محتاطين عليهم، ففرّ القواد والعبيد، وأحضر عجلان وألبس الشريف

(١) في الأصل: الجرادة. والتصويب من إتخاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٢) في إتخاف الورى: زين الدين.

(٣) الجموم: منطقة معروفة على طريق الذهاب إلى المدينة المنورة. انظر: معجم البلدان (١٦٣/٢).

وهي قاعدة وادي فاطمة، يتبعها قرى، وهي من إمارة مكة المكرمة.

(٤) في الأصل: على. والتصويب من إتخاف الورى (٢٦٠/٣)، والسلوك (١٨٧/٤).

وعبروا به إلى مكة، فلم يختلف عليهم اثنان، وسلّم ثقبه للأمير أحمد بن [آل ملك]^(١)، فسّر الناس بذلك، وذهب أمير الركب بالأشراف إلى مصر تحت [الحوطة]^(٢)، فقدم بهم إلى القاهرة في ثامن عشر الحرم، ولم يتفق مثل هذا فيما سبق، واعتقل الأشراف بالقاهرة بالجلب، ودام عجلان على ولاية مكة [بمفرده]^(٣)، وكثر جلب الغلال وغيرها، [فأنحط]^(٤) السعر عشرين درهماً الأردب^(٥).

وفي سنة ست وخمسين وسبعمائة^(٦) شفع الأمير فياض بن مهنا^(٧) في الشريف ثقبه، فأفرج عنه وعن أخويه وابن عمه محمد بن عطيفة، فأقاموا بالقاهرة^(٨).

وفي اليوم السابع عشر من رمضان وصلوا إلى نخلة، فارّين من القاهرة وليس معهم إلا خمسة أفراس، وكان السيد عجلان يومئذ بخيف بني شديد، ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها، ثم انتقل ثقبه وأخواه في ثلاثة وخمسين فرساً إلى

(١) في الأصل: الملك. والتصويب من السلوك (١٨٧/٤).

(٢) في الأصل: الحوطة. والتصويب من إتحاف الوري (٢٦١/٣)، والعقد الثمين (٦٤/٦)، وغاية المرام (١٤٤/٢).

(٣) في الأصل: بمفرد. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وأنحط. والمثبت من إتحاف الوري، الموضع السابق.

(٥) انظر: السلوك (١٨٧/٤).

(٦) إتحاف الوري (٢٦٧/٣-٢٦٨).

(٧) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلي: أمير العرب في بادية ما بين سورية والعراق من آل فضل. ولي الإمارة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ، ثم عزل بأخيه حيار، وأرسل إلى الاسكندرية فسجن فيها (الأعلام للزركلي ١٦٤/٥).

(٨) انظر: السلوك (٢٢١/٤-٢٢٢)، والعقد الثمين (٦٥/٦)، ودرر الفرائد (٤١١/١).

الجديد في اليوم الثالث والعشرين من شوال فأقاموا به، فلما كان اليوم الثالث عشر من ذي القعدة نزل السيد ثقبه وأخواه ومن معه المعابدة^(١)، وأقاموا بها محاصرين للسيد عجلان، وجرى في هذا اليوم بين العبيد بعض قتال، قُتل فيه بعض القواد [اليواسفة]^(٢) من أصحاب الشريف ثقبه وعبداً له، وتضرر الناس بهم [كثيراً]^(٣)، ثم ارتحل السيد ثقبه ومن معه في صبيحة يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة إلى الجديد وأقاموا به. فلما كان وقت وصول الحاج رحلوا إلى ناحية جدة، وأخذوا الجلاب، فلما رحل الحاج من مكة توجهوا بالجلاب ونجلوها، ونزلوا الجديد^(٤).

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة^(٥) - في تاسع عشر المحرم - اصططح الشريفان ثقبه وعجلان على أن تكون الإمرة بينهما نصفين، وكان مع عجلان خمسون مملوكاً، فقسّمها بينه وبين أخيه، وانقسم الأشراف والقواد.

فلما كان اليوم الثالث عشر من جمادى الآخرة توجه ثقبه إلى مكة [من

(١) المعابدة: حي من مكة، وهو ما يعرف بالأبطح، والبيان اليوم في الأبطح وجانيه كل ذلك المعابدة، وهو يشمل أحياء كثيرة منها: الخانسة والجعفرية والجميزة (معجم معالم الحجاز ١٩٠/٨).

(٢) زيادة من العقد الثمين (٦/٦٥)، وإتحاف الوري (٣/٢٦٨)، وغاية المرام (٢/١٤٦).

(٣) في الأصل: كثير. والتصويب من إتحاف الوري (٣/٢٦٨).

(٤) انظر: غاية المرام (٢/١٤٥-١٤٦).

(٥) إتحاف الوري (٣/٢٦٩-٢٧٠). وانظر: العقد الثمين (٣/٣٩٧)، ومنائح الكرم (٢/٣٦٤)،

وخلاصة الكلام (ص: ٣٢-٣٣)، وغاية المرام (٢/١٤٦).

ناحية اليمن^(١) وملكها بمفرده، وقطع نداء أخيه عجلان على زمزم،
[وأقام]^(٢) بمكة إلى مستهل الحجة، وعجلان بالجديد.

فلما وصل الحاج مكة دخلها عجلان مع الحاج بعد أن فارقتها ثقبه وبُعد
عن مكة، ثم طلب أمير الركب المصري السيد ثقبه فلم يجبه -مع كونه
أمنه-، وقصد ناحية اليمن ونهب قافلة الفقيه البركاني^(٣)، وأخذ ما معهم من
البضائع والقماش، وكان مالا كثيراً.

وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة^(٤) وصل السيد ثقبه إلى الجديد ونزل به،
وأقام به مدة، ثم ارتحل إلى ناحية اليمن وأقام به مدة، ثم وصل إلى الجديد
ثانياً، فعمل عليه أصحابه القواد، [وحالفوا]^(٥) أخاه عجلان، فارتحل ثقبه إلى
خيف بني شديد، ثم إلى نخلة، ثم التأم عليه الأشراف جميعهم، ونزلوا معه في
خيف بني شديد، والتأم القواد جميعهم مع عجلان، وخرج من مكة ونزل
الجديد، ثم ارتحل منه إلى البرقة^(٦) طالباً قتال ثقبه ومن معه، فلم يمكنه القواد

(١) زيادة من إتحاف الوري (٢٦٩/٣)، وغاية المرام (١٤٦/٢).

(٢) في الأصل: وأقا. والتصويب من إتحاف الوري (٢٦٩/٣)، وغاية المرام (١٤٦/٢).

(٣) في إتحاف الوري والعقد الثمين: البركاني.

(٤) إتحاف الوري (٢٧١/٣-٢٧٢). وانظر: العقد الثمين (٣٩٨/٣، ٦٦/٦)، وغاية المرام (١٤٧-١٤٦/٢).

(٥) في الأصل: وخالفوا. والتصويب من إتحاف الوري (٢٧١/٣)، وغاية المرام (١٤٧/٢).

(٦) البرقة: عين مندثرة بطرف مَرّ الظهران من الجنوب، يمر طريق مكة غربها غير بعيد، حفرت
فيها آبار فحسنت زراعتها، وزراعتها اليوم أبناء الشريف علي بن منصور الكريمي، وعليها
قرية تعرف بهذا الاسم تراها من أبي عروة جنوباً، ومن الجموم شرقاً (معجم معالم الحجاز
٢٠٦/١).

من ذلك، وأقام بالبرقة قريباً من شهر، وجمع صروحاً كثيرة - (من الصريخ: أي المغيث، يعني جمع كثيراً من الذين يغيثونه) - وذلك في رجب، ثم عاد إلى الجديد ورتب في مكة خيلاً ورجالاً.

فلما كان أول ذي القعدة قصد ثقبه مكة ليدخلها، فلم يمكن من دخولها بعد أن وصل [إلى] ^(١) الدرب من ناحية الأبطح. فلما وصل الحاج اصططح الشريفان واشتركا في الإمرة، وحجّ الناس طيين.

وفي سنة ستين وسبعمائة ^(٢) - في جمادى الأولى - وصلت القصاد من صاحب مصر باستدعاء [الشريفين] ^(٣) عجلان وثقبة للحضور إليه. وسبب ذلك: ما حصل بمكة من الجور؛ بسبب افتراق الكلمة، فاعتذرا من الحضور إلى الأبواب السلطانية ^(٤).

وفيهما ^(٥) - في جمادى الآخرة - وصل الخبر إلى مكة بعزل الشريفين ثقبه وعجلان عن إمرة مكة، وتوليتها لأخيها سند بن رميثة، ومحمد بن عطيفة ^(٦)، وكان سند مع أخويه في ناحية اليمن وابن عطيفة بمصر، فأشار عجلان على ثقبه بأن يُعطي كل واحد منهما أربعمائة بغير لبني حسن؛ ليساعدهما على بقاء ولايتهما، ومنع ابن عطيفة ومن معه، فلم يوافق على

(١) قوله: "إلى" زيادة من العقد الثمين (٣/٣٩٨).

(٢) إتحاف الوري (٣/٢٧٥-٢٧٦).

(٣) في الأصل: الشريف. والمثبت من إتحاف الوري (٣/٢٧٦).

(٤) انظر: العقد الثمين (٣/٣٩٨، ٦/٦٧)، وغاية المرام (٢/١٤٨).

(٥) إتحاف الوري (٣/٢٧٦-٢٧٧).

(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢/١٤٠-١٤٦)، وغاية المرام (٢/١٧٥-١٨١)، وشفاء

الغرام (٢/٣٥٠-٣٥١).

ذلك ثقبه، واحتج بعجزه عن الإبل المطلوبة منه، ولما بينه وبين سند من كثرة الألفة، ومعاودة سند له^(١).

وكان بعض الأشراف بالواديين وبعضهم بالحسينية^(٢)، وكان السيد أحمد ابن عجلان^(٣) بمكة ينظر في أمورها نيابة عن أبيه^(٤).

وجّهز الناصر حسن من مصر [صحبة]^(٥) محمد بن عطيفة عسكرياً نحو مائتي مملوك، فيهم أربعة من الأمراء، وهم: سيف الدين جَرَكَتْمُر المارديني [حاجب]^(٦) الحجاب بالقاهرة [وهو مُقَدَّم]^(٧) العسكر، وقطلوبغا المنصوري، وعلم دار، وناصر الدين أحمد بن أصْلَم المنصوري، ومعهم تسعون فرساً، ووصلوا إلى مكة في آخر جمادى الآخرة، وقيل: في رجب^(٨).

فلما وصل العسكر إلى مكة وصل إليهم سند بن رميثة من ناحية اليمن فأعطوه تقليده، وخلع عليه وعلى محمد بن عطيفة، ودُعِيَ لهما على زمزم،

(١) انظر: العقد الثمين (١٤١/٢)، وغاية المرام (١٤٧/٢، ١٧٥).

(٢) الحسينية: عين جنوب منى على ١٢ كيلومتر في وادي عرنة قبيل اجتماعه بنعمان، والحسينية أيضاً: قرية تلك العين جنوباً بكيلين تحت برث تكتفه سيول عرنة ونعمان يسكنها، والعين لأشراف ذوي زيد أحد أمراء مكة المكرمة (انظر: معجم معالم الحجاز ١٣/٣-١٤).

(٣) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٨٧/٣)، وغاية المرام (١٨١/٢-١٩٥)، والعقود اللؤلؤية (١٨٧/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٣-٣٤)، والأعلام (١٦٨/١).

(٤) العقد الثمين (٨٧/٣).

(٥) في الأصل: صحبته. والتصويب من إتحاف الورى (٢٧٦/٣).

(٦) في الأصل: صاحب. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (١٤١/٢)، وغاية المرام (١٧٥/٢).

(٧) في الأصل: ومعه. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٨) انظر: منائح الكرم (٣٦٥/٢)، والسلوك (٢٤٢/٤)، وغاية المرام (١٧٥/٢-١٧٦).

وانصلح بالعسكر خال مكة، وارتفع عنها الجور وانتشر العدل بها، وأسقط المكس من المأكولات، وجلبت الأقوات؛ فرخصت فيها الأسعار إلى الغاية، وانقمع أهل الفساد، بحيث لم يتجاسر أحد منهم على حمل السلاح بمكة؛ لأن مُقَدِّم العساكر أمر بذلك، وأقام العسكر بمكة بعد الحج إلى آخر السنة^(١).

وتوجه إلى مصر الشريف عجلان ومعه ابنه أحمد وكُيِّش في جماعة من [الزمام]^(٢) عجلان، فلما وصلوا إلى مصر قبض على عجلان وابنيه أحمد وكُيِّش، فاعتقلوا بقلعة مصر، وأقسم الناصر حسن صاحب مصر أن لا يطلقهم ما دام حياً؛ لأنه كان شديد الخنق على عجلان وابنه أحمد لأمر؛ منها: أن أحمد بن عجلان صدّ الخطيب الضياء الحموي عن الخطابة بالمسجد الحرام، بعد أن برز إلى المسجد في شعار الخطبة في موسم السنة قبل هذه [رعاية]^(٣) للقاضي شهاب الدين الطبري.

وأقام ثقبه بالخبث^(٤) لقطع الطريق على من يأتي من حلي إلى مكة من

(١) انظر: العقد الثمين (١٤١/٢-١٤٢)، وشفاء الغرام (٣٥٠/٢)، ودرر الفرائد (٤١٢/١)، وغاية المرام (١٧٦/٢).

(٢) في الأصل: آل. والمثبت من إتخاف الورى (٢٧٧/٣)، وغاية المرام (١٨٢/٢)، والعقد الثمين (٨٧/٣).

(٣) في الأصل: إعانة. والمثبت من العقد الثمين (٨٧/٣)، وإتخاف الورى (٢٧٧/٣)، وغاية المرام (١٨٢/٢).

(٤) الخبت: هو خبت ريعان باليمن بين لومة وقنونا، وكان يسكنه بعض الأشراف العبادة، والأشراف العجاليين "بني عجلان" (بين مكة واليمن ص: ١١٣).

التجار والحجاج والمسافرين^(١). انتهى ما ذكره ابن فهد.

وفي خلاصة الكلام^(٢): وفي سنة سبعمائة وإحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والأشراف، وقُتل كثير من الأتراك، وعثرت بالشريف مغامس بن رميثة فرسه فسقط، فقتله الأتراك، وأسر الأشراف [كثيراً]^(٣) من الأتراك وأرسلوهم إلى ينبع، وصاروا يبيعونهم، ينادي عليهم الدلالون كالعبيد، فلما بلغ صاحب مصر هذه الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده إلى الاسكندرية إلى البرج، وكانا معتقلين عنده، وأمر بتجهيز عسكر إلى الحجاز، وأمرهم باستئصال الأشراف، وقال: لا حاجة لنا بهم، فلم يُقَمَّ بعد ذلك إلا أياماً حتى عزلته الأتراك^(٤)، وولوا مصر الملك المنصور محمد بن المظفر.

ذكر إطلاق الشريف عجلان من الحبس وتوليته إمارة مكة

فأطلق السيد عجلان، وولاه مكة، وأشرك معه أخاه ثقبه بسؤال منه، وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكراً، وكان ثقبه بوادي مَرٍّ. فلما وصل عجلان وادي مَرٍّ اجتمع بأخيه ثقبه، وكان عليلاً، فاستمر هناك إلى أن

(١) انظر: غاية المرام (١٨٢/٢)، والعقد الثمين (٨٧/٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٣٣). وانظر: سبط النجوم (٢٥٦/٤-٢٥٨)، ودرر القرائد (٤١٣/١).

(٣) (٤١٤)، ومناقب الكرم (٣٦٧/٢-٣٦٩)، وغاية المرام (١٨٣/٢).

(٤) في الأصل: كثير. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٤) تزعم عزل الناصر حسن مملوكه يلغا العمري الخاصكي في جمادى سنة ٧٦٢هـ (الجوهر الثمين لابن دقماق العلامي ص: ٤٠٢-٤٠٣).

توفي في شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وحُمِل إلى مكة ودفن بها^(١). انتهى.

وقال السنجاري في المنائح^(٢): قال الفاسي: وفيها -أي: في سنة اثنتين وستين وسبعمائة- غزا الشريف ثقبه أهل نخلة وأخذ منهم غلتهم [وجباهم]^(٣)، وقطع لهم بعض نخل، ومرض هناك وولده، وأقام بها نصف شهر، فدخل مكة وهو مريض.

وانقطع بمكة في رباط الشراي^(٤)، يُحمل كل ليلة إلى تجاه مقام إبراهيم عليه السلام، فيضرب له خباء هناك، ويُجعل له سرير [يرقد]^(٥) فيه كل ليلة، وكان قد عرض له زمانة في رجليه، وكان يُحمل في كساء، وقد يمشي بين اثنين.

فسار بعد ذلك إلى الخبت والوادي فتوفي هناك، وحُمِل إلى مكة، ودفن يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان بجذاء قبر أبيه السيد رميثة، داخل القبة المعروفة بقبر أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وذلك بعد صلاة

(١) خلاصة الكلام (ص: ٣٣). وانظر: غاية المرام (١٣٦/٢، ١٨٣)، والعقد الثمين (٣٩٨/٣، ٦٨/٦).

(٢) منائح الكرم (٣٧١/٢-٣٧٢). وانظر: إتحاف الوري (٢٨٩/٣-٢٩١).

(٣) في الأصل: وجباهم. والتصويب من منائح الكرم (٣٧١/٢)، وإتحاف الوري (٢٨٩/٣).

(٤) رباط الشراي: هو رباط الأمير إقبال الشراي المستصري العباسي، وكان يقبع عند باب بني شيبه على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام، وتاريخ عمارته له في سنة ٦٤١هـ، وللشراي عليه أوقاف كثيرة من الكتب ومن المياه وغير ذلك بوادي مَر ونخلة، جزاه الله خير الجزاء وأثابه من الدهور والأيام (العقد الثمين ١١٨/١، وشفاء الغرام ٦٠٨/١).

(٥) في الأصل: ويرقد. والتصويب من منائح الكرم (٣٧١/٢)، وإتحاف الوري (٢٨٩/٣).

الصبح عند طلوع الشمس. انتهى.

واستمر الشريف عجلان على ولاية مكة، ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة، وجعل له ربع المتحصل، وقطع الدعاء لسند على المنبر، وأمر بالدعاء لابنه أحمد. كذا في الخلاصة^(١).

وقال ابن فهد^(٢): وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة توجه السيد عجلان من مكة لحرب صاحب حلي الأمير أحمد بن عيسى الحرامي -بحاء وراء مهملتين-، والتقى الفريقان بموضع يقال له: قَحْزَة -بقاف وحاء مهملة [وزاي]^(٣) معجمة وهاء- بقرب حلي، فكان النصر لعجلان وأصحابه، فلم يُقتل منهم إلا اليسير، وقُتل من الحاربيين لهم نحو المائتين -فيما قيل، وقيل: أربعمائة-، وهرب صاحب حلي، واستولى السيد عجلان على حلي وعلى أموال كثيرة لأهلها، واستأثر عجلان بأشياء من ذلك، فلم يسهل ذلك على من كان معه من بني حسن، وتغيّرت عليه خواطرمهم، وتقدم عنه إلى صوب مكة طائفة منهم، وكتبوا أخاه سنداً يأمرونه بالقدوم عليهم إلى مكة ليساعده على ولايتها، وأملّوه بالنصر، فحضر السيد سند إلى جدة، وصادف بها جلبة فيها مال جزيل لتاجر مكّي يقال له: ابن عرفة، فنهبها

(١) خلاصة الكلام (ص: ٣٣). وانظر: منائح الكرم (٣٧٢/٢)، والعقد الثمين (٨٨/٣)، وغاية المرام (١٥٠-١٤٩/٢).

(٢) إتحاف الوری (٢٩٤-٢٩٥/٣). وانظر: العقد الثمين (٦١٩-٦٢٠/٤)، وغاية المرام (١٥٠/٢).

(٣) في الأصل: وزراء. والتصويب من إتحاف الوری (٢٩٤/٣)، وغاية المرام (١٥٠/٢)، ١٧٠-١٧١.

سند، وبلغ خبرها لنائب عجلان على مكة كَيْشًا، فجمع أهل مكة وخرج إلى جدة ليستعيد من سند ما أخذ، فأشار عليه بعض أحباب أبيه بعدم التعرض لسند، ورجوعه إلى مكة وحفظها، ففعل. ونقل سند ما فبه إلى الجديد بوادي مَرّ - وكان ما وقع منه بجدة قبل حضور بني حسن من حلي - ، فلما حضروا إلى مكة انضم إليه جمع كثير منهم، وفرق ما معه عليهم فلم يفده ذلك في مراده؛ لأن كل من انضم إليه من بني حسن له [قريب] ^(١) أكيد مع عجلان، وقصد كل منهم التحريش بين الأخوين؛ لينال كل فريق مراده مما يلائمه من الأخوين، وعرض له بأثر ذلك مرض مات به بالجديد، واستولى ابن أخيه عنان بن مغامس بن رميثة ^(٢) على خيله وسلاحه، وفرّ بذلك إلى اليمن عن عمه عجلان؛ لأنه وارث لسند.

وفي سنة سبعين وسبعمائة ^(٣) - في ربيع الآخرة - تزوج السيد عجلان أم السعد زينب بنت القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي نجم الدين الطبري، وأصدقها سبعين ألف درهم، وعقد عليها القاضي أبو الفضل التويري.

(١) في الأصل: قرب. والتصويب من إتحاف الوری (٢٩٥/٣)، والعقد الثمين (٦١٩/٤)، وغاية المرام (١٧١/٢).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٤٣٠/٦ - ٤٤٢)، وغاية المرام (٢٠٠/٢ - ٢٢٣)، وشفاء الغرام (٣٥٢/٢)، والأعلام (٩٠/٥).

(٣) إتحاف الوری (٣٠٩/٣).

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة^(١) - بعد الحج - طلق السيد عجلان زوجته زينب ابنة القاضي شهاب الدين الطبري طليقة واحدة رجعية؛ بعد سؤالها ذلك منه، وتوسلها بالختمة المعظمة أن يطلقها؛ لظنها أن الشريف يبقى على ما كان عليه بمكة، فإنها كانت تجد الكلفة العظيمة؛ لما يريده منها للقيام بكلفته وكلفة غلمانها وعبيده وبني حسن، وما [ينصرف]^(٢) على سباطه من مالها في كل شهر.

ولأنها عجزت عن القيام بذلك كله، فإنه كان لا يعطيها في كلفة ذلك ما يكفيها.

ولأنها ظهر لها أن بعض سراريه قد حملت منه، وكانت سألته أن لا يقرب سرية من سراريه، فقال لها: أما الزواج فلا أتزوج عليك أحداً، وأما الجوار فلا عليك منهن، فأبت إلا الطلاق، فطلّقها.

ذكر نزول الشريف عجلان عن إمارة مكة وأعمالها

لولده الشريف أحمد

وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة^(٣) استخار الله تعالى السيد عجلان ونزل عن إمارة مكة وأعمالها لولده السيد أحمد، وسبب تركه لذلك: أنه كان رغب في أن يكون ابنه محمد بن عجلان ضدّاً لأخيه أحمد بن عجلان؛ بأن يفعل في

(١) إتحاف الوري (٣/٣١٥-٣١٦).

(٢) في الأصل: يتصرف. والتصويب من إتحاف الوري (٣/٣١٦).

(٣) إتحاف الوري (٣/٣١٨). وانظر: العقد الثمين (٣/٨٨-٩٠)، وغاية المرام (٢/١٨٤-١٨٥).

البلاد فعلاً يظهر به محمد ويغضب منه أحمد، فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه؛ لأنه كان قَوِيَّ عليه، وينال بذلك مقاصد من ابنه أحمد، فكتب عجلان ورقة إلى ابنه محمد يأمره بأن يشغب هو وأصهاره الأشراف على أحمد بن عجلان، وأن يأخذ من خيل أبيه ما شاء، ويذهب إلى نخلة فيأخذ منها أدرعاً له هناك مودعة، ويأخذ ممن هي عنده ما يحتاج إليه من المصروف، فوصلت ورقته إلى ابنه محمد وهو في هُوٍ مع بعض أصدقاء أخيه أحمد، فأوقفهم على ورقة أبيه، فاستغفلوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد، وأشغلوه باللهو إلى أن بلغ أخاه الخبر.

فقصد أحمد أباه في جمع كثير مُعَاتِباً له على ما فعل -وكان قد بلغه ما كان من ابنه محمد، وشقَّ عليه ذلك كثيراً-، فاعتذر لأحمد، وما وجد شيئاً يَتَنَصَّلُ به إلا السماح له بترك الإمرة على مال جزيل يسلمه له ابنه أحمد، وعلى أن يشتري منه جانباً من خيله بمال جزيل بشرطه، وعلى أن يشتري منه ألف غرارة حَبَّ ذرة، وظن أنه يعجز عما يشترط عليه عوضاً في الترك، وكان في [نفسه]^(١) ثلاثمائة ألف درهم -فيما قيل- بعضها في مقابلة الإمرة، وبعضها في ثمن الخيل. فالتزم أحمد مقصود أبيه من المال. ثم إن عجلان ندم على ذلك وألح على ابنه أحمد في تحصيل المال النقد الذي شرط عليه استعجازاً منه له عن تحصيله؛ ليكون له ذلك سبباً إلى أن يرجع الأمر له كما

(١) في الأصل: كيسه. والمثبت من العقد الثمين (٨٩/٣)، وغاية المرام (١٨٥/٢)، وإتحاف الوری (٣١٨/٣).

كان من غير نكث فيه، فقيّض لأحمد بن عجلان مَن أعانه على إحضار المال المشروط، فأحضره إلى أبيه، [فامتعض]^(١) من ذلك ورام أن يُعرض عن قوله، فما قدر عليه، وما وسعه إلا الموافقة، فاشتراط على ابنه أيضاً أن يكون له الخير الذي قرّر لعجلان بديار مصر على إسقاط المكس عما يصل إلى مكة من المأكولات، وعما يصل من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية برّاً وبحراً، وهو مائة ألف درهم وستون ألف درهم، وألف إردب قمح، وأن يديم له ذلك مدة حياته، مع الخطبة له والدعاء على زمزم، فالتزم له ابنه بذلك، وأشهد كل منهما على نفسه بما التزمه جماعة من أعيان الحرم، وكتب بذلك محضر.

وفيه أيضاً^(٢): أن السيد عجلان والمجاورين يسألون تقرير السيد أحمد في ولاية مكة بمفرده، وسلّم إليه البلاد، وحكم فيها وحده، وصير إليه أمر من كان يخدمه من الشرفاء والقواد وبني حسن والمولدين والجند والمماليك والعربان، وصار النداء له ولأبيه معه، والحكم في كل شيء للسيد أحمد، وترك ما كان الشريف عجلان يأخذ من أهل مكة [بعد ترك الجباء من العقدة والطرح والمشتري من الحب وغيره]^(٣)، [والمرتّب]^(٤) على أهل

(١) في الأصل: فامتعض. والتصويب من إتحاف الوري (٣/٣١٩).

(٢) إتحاف الوري (٣/٣١٩-٣٢٠).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوري (٣/٣١٩).

(٤) في الأصل: المرتب. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق.

الأسواق وأرباب الصنائع بمكة وأعمالها، والجباء الشديد الذي كان يؤخذ في جدة من حاج البحر وغيرهم، والدلالة والكيالة، وغير ذلك كله. وكتب بذلك محضراً، وأرسل بذلك مع المحضر المكتوب على السيد عجلان بالتزول له صحبة الشريف [حناش]^(١) بن راجح بن عبد الكريم، زوج الشريفة ريا بنت عجلان، شقيقة السيد أحمد، فوصل بذلك إلى مصر، فأجاب السلطان إلى ذلك، فوقع للسيد أحمد بذلك، وكتب له بذلك تقليد كبير مليح باهي^(٢)، وأرسل له [صحبه]^(٣) خلعة مخملة، وأنعم عليه بأربعة آلاف درهم إنعاماً، فوصل السيد حناش والأمير سيف الدين السلاح^(٤)، ومعه بعض جماعة من أهل القلعة في أوائل شعبان، وكان السيد أحمد بن عجلان خارج مكة، فوصل إلى مكة في يوم الاثنين سادس شعبان، فقرئ التقليد عليه بولاية الحكم والسلطنة بمكة، وسائر البلاد الحجازية فوق زمزم، وألبس خلعة التشريف له بذلك، وأخذت العهود إليه بترك الظلم والجباء، وحفظ الحاج وطاعة السلطان، وكفّ الظلم عن أهل مكة والحاج، والقيام بما تضمنه تقليده من ذلك، مع ترك الجبائ كلة والمظالم، إلا ما يؤخذ من تجار الكارم

(١) في الأصل: حناش. وكذا وردت في الموضوع التالي، والتصويب من إتخاف الوري، الموضوع السابق. وانظر ترجمته في: العقد الثمين (٤/٢٤٩).

(٢) باهي: تعبير عامي بمعنى حسن، وفصيحه به أو بهي.

(٣) قوله: "صحبه" زيادة من إتخاف الوري (٣/٣٢٠).

(٤) السلاح أو السلحدار: هو لقب على الذي يحمل سلاح السلطان، أو الأمير الذي هو في خدمته. وفي وظيفته أيضاً الإشراف على دار السلاح (سلاح خاناه). وهو مركب من كلمتين: أولاهما عربي ومعناها: (آلة القتال)، والثانية فارسية ومعناها: (ممسك)، ويكون المعنى: ممسك السلاح (صبح الأعشى ٥/٤٣٤، والقاموس الإسلامي ٣/٤٢٣).

والعراق وأهل اليمن خاصة، وحلف على ذلك كله بالأيمان على المصحف العثماني في مقام إبراهيم الخليل^(١). انتهى.

واستمر الدعاء على المنبر للشریف عجلان وابنه أحمد إلى سنة سبعمائة وسبع وسبعين، وانتقل الشریف عجلان للجديد من وادي مرّ، ثم توفي به، وحُمل على أعناق الرجال إلى مكة. -وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٢): حمل على أعناق البغال في تختروان^(٣) إلى مكة-، وصُلي عليه، وطيف به أسبوعاً^(٤)، ودُفن بالمعلا، وبُني عليه قبة^(٥)، وقد بلغ سبعين سنة، وكانت مدة ولايته استقلالاً واشتراكاً نحو ثلاثين سنة. كذا في الخلاصة^(٦).

وفي المنائح^(٧): وهو أول من ملك حلي من أرض اليمن وأخذها، وبني الحصون بأجياد، وأرض حسان، وملك الخيول والعبيد والسيوف والدروع، وأنشأ بمكة مدرسةً وسيلاً للماء بالمرورة، وقصده الشعراء والعلماء.

وأعقب جملة من الأولاد، منهم: أحمد ومحمد وعلي وحسن وكُبَيْش. انتهى.

(١) انظر: العقد الثمين (١٣٧/٢-١٣٨، ٨٧/٣، ٩٧، ٦٩/٦-٧٠).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١٦٦/١).

(٣) التختروان: محفة لها ذراعان من أمام ومثلها من الخلف، يحمله دابتان (المعجم الوسيط ٨٢/١).

(٤) من البدع التي أحدثت الطواف بالميت، وقد أزالها الله تعالى.

(٥) قد أزيلت هذه القبة، حيث لم يرد في الشرع ما يميز بناءها على القبور.

(٦) خلاصة الكلام (ص: ٣٣-٣٤).

(٧) منائح الكرم (٣٧٧/٢).

ذكر شراكة محمد بن أحمد بن عجلان لأبيه في ولاية مكة

واستمر أحمد بن عجلان إلى سنة ثمانين وسبعمائة، فأشرك معه في الإمرة بمكة ولده محمداً^(١)، وما كان له بمشاركته في ذلك أثر وذلك لصغره؛ لأن السيد أحمد هو قائم بمصالح العسكر، وإليه النظر في جميع الأمور^(٢).

وفي سنة أربع وثمانين وسبعمائة^(٣) سأل السيد أحمد بن عجلان صاحب مصر أن يكون ولده محمد بن أحمد معه في ولايته بمكة، وكتب له بذلك، فجاء تقليده وخلعته من مصر في موسم سنة خمس وثمانين.

واستمر إلى أن مات أحمد بن عجلان في حادي عشر من شعبان سنة ثمان وثمانين^(٤).

وفي سنة ست وثمانين وسبعمائة^(٥) سافر السيد عنان بن مغامس وحسن ابن ثقبه^(٦) إلى مصر، فبالغا في شكوى السيد أحمد بن عجلان، وسألا

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣١٧/١-٣٢٠)، وغاية المرام (١٩٥/٢-٢٠٠)، وشفاء الغرام (٣٥٢/٢)، والأعلام (٣٢٩/٥).

(٢) إتحاف الورى (٣٣١/٣)، والعقد الثمين (٣١٧/١-٣١٨)، ٩٠/٣، وشفاء الغرام (٣٥٢/٢)، ومنائح الكرم (٣٧٧/٢)، وغاية المرام (١٨٥/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٤).

(٣) إتحاف الورى (٣٤١/٣). وانظر: العقد الثمين، وشفاء الغرام، ومنائح الكرم، وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) إتحاف الورى (٣٦٠/٣).

(٥) إتحاف الورى (٣٤٣/٣-٣٤٥). وانظر: العقد الثمين (٩٣/٣)، وغاية المرام (١٨٩/٢-١٩٠، ٢٠٢-٢٠٣).

(٦) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٦٨-٦٩)، والضوء اللامع (٩٧/٣).

السلطان الظاهر برقوق في أن يرسم لهما عليه بأمر، فأجاب سؤالهما؛ لأن عناناً رُزق قبولاً من السلطان. وكان السيد أحمد بن عجلان قد أتبعهم بكُيُش وهدية سنية للظاهر، فرأى كُيُش من الدولة إقبالاً على عنان وحاله رائج، فالتزم بالموافقة على ما رسم به السلطان لعنان وحسن بن ثقبه؛ لئلا يتم على أحمد سوء بمصر، [وسألهم] ^(١) حتى [توصل] ^(٢) إلى مكة، فعرف أحمد بن عجلان الخبر، وقال له: لا بد من موافقتك على ما رُسِمَ به لهما أو الفتك بعنان، فمال إلى الثاني وأضمر ذلك.

واجتمع به عنان وحسن بن ثقبه بعد التوثق منه، فما أجاب لمرادهما. ثم إن بعض [المتكفلين بعنان] ^(٣) عرفه بقصد أحمد بن عجلان فيه - وكان ذلك بمنى -، ففرّ عنان إلى ينبع، ولحقه حسن بن ثقبه، وتوجّه صحبة الحاج محمد ابن عجلان بن رميثة إلى مصر مغاضباً لأخيه أحمد، وطالبا خيراً يحصل له بمصر، فلما وصلوا ينبع تكلم أمير الحاج المصري أبو بكر بن سنقر الجمالي المعروف ببهادر، وغيره من أحباب أحمد بن عجلان مع عنان وحسن بن ثقبه في الرجوع إلى أحمد بن عجلان، فهو يجيب إلى طلبهما، وقالوا نكتب إليه ذلك فلا يخالف، وهذا أخوه محمد يرجع معكما، وحَسَنُوا لمحمد أن يرجع معهما، وأنهم يأمرؤا أحمد بكرامته وإسعافه بما يرومه، وأطمعوه في المزيد

(١) في الأصل: وسألهم. والتصويب من إتحاف الوري (٣/٣٤٤)، وغاية المرام (١٨٩/٢).

(٢) في الأصل: يوصل. والتصويب من العقد الثمين (٩٣/٣)، وغاية المرام (١٨٩/٢).

(٣) في الأصل: المتكفلين لعنان. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق.

بالإحسان من أحمد إذا وصل إليه بالمذكورين، فرجع الثلاثة إلى أحمد، وسافر الحاج.

وفي أول سنة سبع وثمانين وسبعمائة^(١) وصل الأشراف؛ محمد بن عجلان، وعنان بن مغامس، وحسن بن ثقبه من ينبع إلى مكة يتوثق محمد بن عجلان من أخيه أحمد لنفسه أولاً ولمن قدم بهم معه اعتراضاً منه بنفسه؛ لظنه أن أخاه لا يخفّره ولا يسوؤه في نفسه ولا من معه، وأنه إذا لم يوافق على مقصودهما ردهما إلى مأمنهما، فلم يصب ظنه.

فلما اجتمعوا بالسيد أحمد بن عجلان، وقد جلس لهم مجلساً عاماً فيه الترك والعبيد، وقرّر معهم أن يقبضوا على عنان وحسن بن ثقبه إذا أشار إليهم بذلك، فلما أشار بذلك قبضوا عليهما، وركب السيد أحمد بن عجلان من فوره إلى أحمد بن ثقبه^(٢) وقبض عليه وعلى ولده علي بن أحمد ابن ثقبه^(٣)، وكان أحمد بن ثقبه مظهرًا للطاعة لأحمد بن عجلان، ومُعْرِضاً عن مرافقة^(٤) أخيه حسن بن ثقبه وعنان، فما أفاده ذلك، وقيد الجميع، وضّم إليهم أخاه محمد بن عجلان.

ومن الناس من يقول: إن السيد أحمد بن عجلان ندب أخاه محمداً لإحضار عنان وحسن بن ثقبه، فلما حضر بهما إليه قبض

(١) إتحاف الوري (٣/٣٤٧-٣٤٨). وانظر: العقد الثمين (٣/٩٣-٩٤).

(٢) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٣/٢٢-٢٣)، وغاية المرام (٢/٢٢٣-٢٢٤)، وشفاء الغرام (٢/٣٥٢)، والضوء اللامع (١/٢٦٦).

(٣) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٥/١٦٥).

(٤) كذا في الأصل وإتحاف الوري. وفي العقد الثمين: موافقة.

عليهما، فأنكر ذلك محمد على أخيه، فضمه إليهم، وسجن الخمسة بأجساد مدة يسيرة، ثم بالعلقية عند المروة واستمروا بها إلى الموسم، ثم نقلهم إلى أجياد.

وفي الموسم وصل إلى السيد أحمد بن عجلان كتاب السلطان من مصر بإطلاقهم، فلم يفعل، ونقلهم بعد الموسم من أجياد إلى العلقمية عند المروة.

وفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة^(١) - في أوائل جمادى الأولى - كاد محمد ابن عجلان، وعنان بن مغامس، وحسن بن ثقبه، وأخوه أحمد، وولده علي ابن أحمد [يُفْلِتُونَ]^(٢) من الحبس بحيلة دبروها، وهي أنهم ربطوا سُرّاً كانت عندهم بشياب معهم [وصعدوا]^(٣) فيها - غير محمد بن عجلان - حتى بلغوا طاقة تُشرف على منزل ملاصق لسجنهم، فزلوا منها إليه، ففطن بهم بعض الساكنين فيه، فصاح عليهم يظنهم [لصوصاً]^(٤)، فسمع الصياح الموكلون بهم من خارج السجن، وعرفوا الأشراف بتيقظ الموكلين بهم، فأحجموا عن الخروج، إلا عناناً فإنه أقدم، ولما بلغ باب الدار وثب وثبة

(١) إتحاف الورى (٣/٣٥١-٣٥٨). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٣٢-٤٣٤)، ومنايح الكرم

(٢/٣٨٨-٣٨٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٤-٣٥)، وغاية المرام (٢/٢٠٣-٢٠٥).

(٢) في الأصل: يفلتوا. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٥١)، وغاية المرام (٢/٢٠٣).

(٣) في الأصل: صعدوا. والتصويب من إتحاف الورى، الموضع السابق، والعقد الثمين (٦/٤٣٢)،

وغاية المرام (٢/٢٠٣).

(٤) في الأصل: لصوص. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

فانفكَّ القيد عن إحدى رجله، وما شعر به أحد حتى خرج، فسار إلى جهة سوق الليل^(١)، وما كان غير قليل حتى رأى كُيُشاً والعسكر يفتشون عليه بضوء معهم، فدنا إلى مزبلة بسوق الليل وأظهر أنه يبول، وأخفاه الله عن أعينهم، فلما رجعوا سار إلى أن لقيه بعض معارفه؛ وهو عمران الحليس، فعرفه خبره، وسأله في تغيبه، [فغيبه]^(٢) في بيت بشعب علي، في صهرج فيه، ووضع على فمه حشيشاً [ودابة]^(٣)؛ لئلا يظهر موضع الصهرج للناظر في البيت.

وفي الصباح أتى كُيُش بعسكره إلى ذلك البيت؛ لأنه أفي إليه أنه فيه، فما وجده فيه، فقليل له: إن في البيت صهرجاً، فأعرض عن ذلك؛ لما أراد الله من سلامة المختفي فيه.

ثم بعث عنان إلى بعض الأشراف ذوي راجح - وكان له منهم قرابة - فحضر إليه غير واحد منهم، وسألهم في إعانته بمركوب له ولن يسافر معه، فأجابوه لقصده، وأخرجوا له ركائب إلى المعابدة^(٤)، وحملوا عليها فخاراً وغيره ليخفي أمرها عمّن يراها.

(١) سوق الليل: يقع بجوار المسجد الحرام في طرفه الشرقي جنوب منطقة القشاشية، وهو حي من أحياء مكة.

(٢) قوله: "فغيبه" زيادة من إتحاف الوري، الموضع السابق، والعقد الثمين (٦/٤٣٣)، وغاية المرام (٢/٢٠٤).

(٣) قوله: "ودابة" زيادة من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، الموضع السابقة.

(٤) المعابدة: حي من مكة سبق التعريف به في (ص: ٢٠٦).

وخرج عنان من سوق الليل إلى المعابدة، ونزل عند امرأة يعرفها، فأخفته
 يلباسها له ثياب النساء، وأجلسته معها ومع غيرها، ونمي الخبر إلى كُبَيْش،
 فأتى إلى المنزل الذي فيه عنان بالمعابدة، وسأل [عنه]^(١) صاحبة المنزل التي
 أخفته، فقالت: من عنان؟ وأتت بكلام فهم منه أنه ليس عندها، فصدّقها
 ورجع. فلما كان الليل ركب مع رجلين أو ثلاثة على الرواحل [التي]^(٢)
 أعدت لهم، فوقفت بعض ركابهم قبل وصولهم إلى وادي مرّ، وما وصل هو
 إلى خليص إلا وقد كلّت راحلته. فسأل بعض أهل خليص عن راحلة لبعض
 أصحابه بلغه أنها بخليص، فأخبر بوجودها فأخذها، ويقال: إن صاحبها كان
 إذا فرغ من علفها يقول: ليت [عناناً]^(٣) يخلص فينجو عليك. فكان ما تمناه؛
 فوصل عنان إلى ينبع فتزوج بها، وأقام عند زوجته ليلة أو أكثر، ثم توجه إلى
 مصر في جمادى الأولى في ست عشرة راحلة من بني حسن وغيرهم، وأقبل
 عليه الظاهر، ووصل إلى الظاهر كتاب من أحمد بن عجلان يسأله في رد
 عنان [إليه]^(٤)، فكتب إليه الظاهر يقول: وأما ما ذكرت من جهة عنان فإن
 الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

(١) في الأصل: عن. والتصويب من إتحاف الوري (٣/٣٥٢)، والعقد الثمين (٦/٤٣٣)، وغاية
 المرام (٢/٢٠٤).

(٢) في الأصل: الذي. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: عنان. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، الموضع
 السابقة.

(٤) قوله: "إليه" زيادة من إتحاف الوري (٣/٣٥٢)، والعقد الثمين (٦/٤٣٤)، وغاية المرام
 (٢/٢٠٥).

كَلَّمَ اللَّهُ ثُمَّ أَلْبَغَهُ مَأْمَتُهُ ﴿[التوبة: ٦]﴾، وأمره السلطان بإطلاق الأشراف، فامتنع السيد أحمد من ذلك، ثم قُدِّرَ بعد ذلك موت السيد أحمد بن عجلان في ليلة السبت تاسع عشر شعبان.

ولاية الشريف محمد بن أحمد بن عجلان منفردا

وأقيم عوضه ابنه محمد بن أحمد، وقام بأمر مكة كُبَيْش بن عجلان^(١)، ثم بعد موت السيد أحمد بنحو عشرة أيام كَحَلَّ^(٢) السيد كُبَيْش بن عجلان الأشراف محمد بن عجلان، وحسن بن ثقبه، وأخاه أحمد، وولده علياً، وعمره اثنتا عشرة سنة.

وَأَلِمَ لذلك الناس، وما حصل للراغب في ذلك راحة، وكان المتظاهر بذلك محمد بن أحمد بن عجلان، وكانوا تَرْقَّقُوا لمحمد بن عجلان عند كَحْلِهِمْ فما أفادهم ذلك، وترققوا قبل ذلك لأبيه بأشعار كتبوها إليه فما أجدت، فسرت على كل منهم ما قضى الله [به]^(٣) عليه، والذي حمل كُبَيْشاً على ذلك ما توهمه في أن ذلك [حسم]^(٤) لمادة شرهم عن ابن أخيه، فلم يتم له مراده^(٥).

وبعث محمد بن أحمد بن عجلان إلى الملك الظاهر صاحب مصر الشريف

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٨٥/٧-٩٠).

(٢) الكحل: هو إذهاب البصر بمجديدة محماة أو نحوها، توضع أمام العين حتى يذهب بصرها (شرح مصطلحات صبح الأعشى).

(٣) قوله: "به" زيادة من إتحاف الوري (٣٥٣/٣)، والعقد الثمين (٩٤/٣).

(٤) في الأصل: حسماً. والتصويب من إتحاف الوري (٣٥٣/٣).

(٥) انظر خبر كحل هؤلاء الأشراف في: غاية المرام (١٩٦/٢، ١٩٨، ٢٢٣).

عطيفة بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي، وكتب معه كتاباً يخبر فيه بموت والده، ويسأل استقراره عوضه في إمرة مكة، ومحضراً فيه خطوط أعيان أهل الحرم بسؤال ولايته، فأجاب السلطان إلى ذلك.

ثم بلغ السلطان كحلُ الأشراف فتغير على كَيْش وابن أخيه محمد بن أحمد، وأضمر السلطان تولية عنان بمكة عوض محمد، وكتب ذلك على عنان، وخادع محمد بن أحمد بن عجلان بأن أرسل إليه العهد والخلعة بولاية مكة مع رسوله، فبلغ الرسول^(١) مكة في آخر شوال أو في أواخر النصف الأول من ذي القعدة، فلبس السيد محمد بن أحمد الخلعة، وقرأ تقليده بالإمرة بالحرم الشريف على رؤوس الأشهاد، وزُيّنت مكة، وبقيت على ذلك حتى دخل المحمل مع الركب المصري إلى الزاهر^(٢)، وأذن السلطان للسيد عنان في التوجه صحبة أمير الحاج أقبغا المارديني، وأمر أمير الحاج بقلّة مراعاته لعنان في الطريق، فكان لا يلتفت إليه، وربما أهانه؛ لثلاثتهم محمد بن أحمد ابن عجلان فينفرد فيفوت المراد منه، وتمت عليه هذه الخديعة لما قضى الله [له]^(٣) به من الشهادة^(٤).

(١) الرسول هو: عطيفة بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي (انظر: العقد الثمين ١/٣١٨).

(٢) الزاهر: تقدم التعريف به (ص: ٤٣).

(٣) قوله: "له" زيادة من إتخاف الوري (٣/٣٥٤)، وغاية المرام (٢/٢٠٥).

(٤) انظر: غاية المرام (٢/٢٠٥).

وَعَرَّفَ السلطان الأمير جَرْكَسَ الْخَلِيلِي^(١) أمير آخور الملكي الظاهري بما في نفسه من حق محمد وعنان، وكان جركس من الحجاج في هذه السنة، وهي حجته الأولى، وحجَّ بتجمل كبير.

فلما وصل الأمير جَرْكَسَ الْخَلِيلِي إلى مكة خدمه محمد وأمه السيدة فاطمة بنت ثقبه كثيراً، وبعثت أمّه إليه تسأله عن حال ابنها وعنان، فذكر لها أنه لا يعلم على ابنها سوءاً - وربما قيل إنه حلف لها على ذلك - فانشرح لذلك خاطرها، وحسّنت لابنها الإقدام على مُلاَقاة الحمل المصري [لخدمته]^(٢) على عادة أمراء الحجاز - وكان مُحَجِّماً عن ذلك لإشارة كَيْشٍ عليه بعدم ملاقاته الحمل -، وما زالت به أمّه حتى وافقها على مُرادِها، فخرج في عسكره في يوم الاثنين مستهل الحجة إلى أن حضر عند الحمل، فأحاط به الترك الذين حوله، فلما أخذ يُقَبَّل خُفَّ جمل الحمل على العادة، وَثَبَ عليه باطِنْيَان^(٣) فجرحاه جِرَاحَات مات بها من فوره، وَحُمِلَ إلى معلاة

(١) جركس الخليلي: هو جركس بن عبد الله الخليلي، صاحب الخان المشهور بالقاهرة. مات قتيلاً في سنة ٧٩١هـ في محاربة الناصري خارج دمشق (السلوك ٢٧٠/٥، والدليل الشافي ٢٣٣/١).

(٢) قوله: "لخدمته" زيادة من العقد الثمين (٣١٩/١)، وإتحاف الوری (٣٥٥/٣)، وغاية المرام (١٩٧/٢).

(٣) باطنيان: أي رجلان من الباطنية، وهي فرقة من الإسماعيلية الشيعية، كانت تقوم بأعمال الاغتيالات السياسية، مدفوعة بعقيدتها، وبالأجر الذي يدفع لها. أنشأ هذه الفرقة حسن الصباح المتوفى سنة ٥١٨هـ في قلعة الموت، في الشمال الغربي من بلاد فارس، وكانت تسمى بالحشاشين، وهي بمثابة جمعية سرية يلتزم أعضاؤها بالطاعة العمياء للرئيس الأكبر، والاعتقال والقتل أهم أساليبها، وكان يطلق على الواحد من أعضائها اسم: فداوي "فدائي" (انظر: هامش السلوك ٢٧٧/٢/١ ط القاهرة).

مكة فدفنَ بها في جوار جدّه عجلان^(١).

ولما رأى كُبَيْشُ إحاطتهم بابن أخيه فرّ إلى جهة جدة، وكان [منعزلاً عن ابن أخيه بمقربة منه؛ لأنه كان]^(٢) أشار عليه أن لا يحضر لخدمة المحمل؛ لما بلغه من إضمار الشر من أمير المحمل على ابن أخيه، وتبع بعض الترك كُبَيْشاً فلم يظفروا به، وظن أن ابن أخيه لا يصلون إليه بغير القبض عليه، فلما بلغه قتل ابن أخيه ألم عليه، وودّ أنه كان حاضراً عنده وقاتل من قتله، وأقام بجدة ثلاثاً^(٣).

ولاية الشريف عنان بن مغامس

ولما قتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان أشعر أمير الحاج بولاية السيد عنان لإمرة مكة عوض المذكور، وخدم السيد عنان المحمل، ودخل مكة متولياً مع الترك، وهم متسلحون حتى انتهوا إلى أجياد، فحاربوا من ثبت لهم [من]^(٤) جماعة السيد محمد بن أحمد، ثم ولّوا، وترك الترك الحرب مع التيقظ مخافة العدو^(٥).

ونودي لعنان في البلد بالولاية، وألبسَ الخلعة السلطانية في يوم الاثنين، وقُرئ توقيعه على قبة زمزم، وكتاب السلطان بولايته، [وإزام بني]^(٦) حسن

(١) العقد الثمين (٣١٨/١-٣١٩). وانظر: منائح الكرم (٣٨٣/٢-٣٨٤)، وغاية المرام (١٩٦/٢-١٩٨).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من إتخاف الورى (٣٥٥/٣)، والعقد الثمين (٨٦/٧).

(٣) انظر: العقد الثمين (٨٦/٧).

(٤) في الأصل: في. والتصويب من إتخاف الورى (٣٥٦/٣).

(٥) انظر: العقد الثمين (٤٣٤/٦)، ومنائح الكرم (٣٨٥/٢).

(٦) في الأصل: والتأم بنو. والتصويب من العقد الثمين، الموضع السابق، وغاية المرام (٢٠٦/٢).

من الأشراف والقواد [بطاعته]^(١). وكان بين كتابة تقليده وكتابة تقليد محمد ابن أحمد بن عجلان نحو أربعة أيام أو ستة أيام لا غير، وقام السيد عنان بخدمة الحاج حتى رحلوا، وحج الناس وهم خائفون^(٢).

وأرسل عنان علي بن مبارك بن رميثة مع جماعة إلى جدة، ففارقها كَيْش^(٣).

وسمح السيد عنان لبني شبية سدة الكعبة بما كان يأخذه منهم أمراء مكة قبله، وذلك جانب كبير من كسوة الكعبة في كل سنة، أو خمسة آلاف درهم عوضاً عن ذلك، مع ستارة باب البيت، وثوب مقام إبراهيم^(٤).

ولما فارق كَيْش جدة قصد طريق الحاج، وتعرض للقاء الأمير جركس الخليلي، واستعطفه على آل عجلان، وقال كَيْش للخليلي: إنما تركت التعرض للحاج إكراماً لك، وسأله المساعدة على ما يعود نفعه على آل عجلان إذا وصل إلى الديار المصرية، ووعدته الخليلي بذلك^(٥).

(١) في الأصل: لطاعته. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٥٦)، والعقد الثمين، الموضع السابق، وغاية المرام (٢/٢٠٦).

(٢) انظر: غاية المرام (٢/٢٠٥-٢٠٦).

(٣) العقد الثمين (٧/٨٦).

(٤) المرجع السابق (٦/٤٤١).

(٥) المرجع السابق (٧/٨٦).

ثم إن كُبَيْشاً جمع جمعاً كثيراً من الأعراب وقصد بهم جدة، ومعه أيضاً القوَاد العِمرة^(١)؛ فملكها هو ومن معه، ونزل عند صهاريج جدة. ولما سمع بذلك عنان خرج من مكة ومعه من آل عجلان محمد بن عجلان المكحول، ونزل الموضع المعروف بالحديد^(٢)، وحصل له ولأصحابه عطش كثير؛ لاستيلاء كُبَيْش ومن معه هناك ثلاثة عشر يوماً، ولم يقع بينهم قتال؛ لأن في كل يوم يُجبر^(٣) واحد من الفريقين في ترك القتال في ذلك اليوم. ثم إن كُبَيْشاً رأى من أصحابه القوَاد العِمرة انحلالاً عن القتال؛ واحتجوا بأنهم يخشون أن يقتل أحد من الأعراب الذين مع كُبَيْش أحداً من جماعة عنان فيؤاخذون به لملائمتهم له، فلما رأى ذلك منهم كُبَيْش عاد إلى الموضع الذي كان به لما فارق جدة أولاً، وهو الموضع المعروف بأَم الدمن عند خليص^(٤).

ورثب السيد عنان بجدة نائباً عنه محمد بن عجلان؛ لملائمته له من السجن، وتوحيشه من كُبَيْش؛ بسبب قيامه في كَحْلِهِ، واستدعى

(١) العِمرة: طبقة من القوَاد ظهرت في القرن السابع تقريباً بمكة ذكرهم الفاسي، وظل اسمهم يتردد حتى القرن التاسع، وهم بنو عُمَر ابن مسعود مولى الشريف حسن بن علي بن قتادة، والفاسي يضبط جمعهم بكسر العين، وواحدهم بالضم.

والفاسي إذا أطلق كلمة (القوَاد) جمع قائد، يعني بها الموالي، وهي اصطلاح عند أهل الحجاز لازال مسموعاً، يقول للعبد (القائد) أو (أبو قائد). وقد ظهرت في عهد الفاسي وقبله طبقات كثيرة من هذا النوع، كانوا يحاربون مع الأشراف حيناً ويحاربونهم أحياناً، وأشهر القوَاد الذين ذكرهم الفاسي: العِمرة، والحميضات، واليواسفة، وغيرهم (معجم قبائل الحجاز ص: ٣٥٤-٣٥٥).

(٢) الحديد: موضع في وادي بني مالك شرقي جدة (معجم معالم الحجاز ٢/٢٤٧).

(٣) يجبر: أي: يطلب. (المعجم الوسيط ١/١٤٦).

(٤) العقد الثمين (٧/٨٧).

جماعة كثيرة من عبيد أحمد فأحسن إليهم، وقال: أنا عوضكم في مولاكم وابن مولاكم، فأظهروا له الرضا عنه، وجعلهم بجدة، وجعل بها مولى أبيه^(١) مغامس محمد بن [بركتي]^(٢) عيناً له على محمد ومن معه من آل عجلان^(٣).

وفي سنة تسع وثمانين وسبعمائة^(٤) وقع من محمد بن عجلان بجدة تقصير، فأنكره عليه محمد بن بركتي، وأنهى ذلك عنه إلى عنان، فكتب عنان إلى محمد بن عجلان يزجره، ويغلظ له، فاستشاط محمد غضباً، واستدعى جميع من لائم [عنناً]^(٥) من آل عجلان بوساطته، ففارقوا عناناً، وحضروا إلى محمد بجدة، فقوي أمره بهم، وغلبوا على جدة. واستدعى محمد كُيُشاً للحضور إليه، فتوقف كُيُش؛ لما وقع منه في حق محمد من التقصير بسبب كحله، ثم حضر كُيُش إلى جدة بطلب ثانٍ من محمد بعد أن توثق منه، واقتضى رأيهما فذهب ما في جدة من أموال التجار وغيرهم، من المراكب وغيرها، وكان تجار اليمن قد اجتمعوا بجدة للسفر منها إلى اليمن، وقد حضر إليها ثلاثة مراكب [للكارم]^(٦) متوجهة من اليمن إلى مصر، فذهب ذلك كله، ويقال: إن ذلك

(١) في العقد الثمين وغاية المرام: ابن مولى أبيه.

(٢) في الأصل: بركتي. وكذا وردت في الموضع التالي. والمثبت من إتحاف الوري (٣/٣٥٨)، والعقد الثمين (٦/٤٣٥)، وغاية المرام (٢/٢٠٦).

(٣) انظر: العقد الثمين (٦/٤٣٥)، وغاية المرام (٢/٢٠٦).

(٤) إتحاف الوري (٣/٣٦١-٣٦٣).

(٥) في الأصل: عنان. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من إتحاف الوري (٣/٣٦١).

(٦) في الأصل: الكارم. والمثبت من إتحاف الوري (٣/٣٦٢)، والعقد الثمين (٧/٨٨).

قَوْمَ بِسْمِائَةِ أَلْفِ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -، ثُمَّ نَهَبَ مَا فِي جَدَّةَ مِنَ الْغَلَّةِ الْمَخْزُونَةِ بِهَا لِلْأَمِيرِ جَرْكَسَ الْخَلِيلِيِّ، وَأَيَّتَمَشَ.

ولما وقع النهب في المراكب حضر إلى جدّة جماعة من الأشراف من أصحاب عنان، منهم علي بن مبارك بن رميثة، فأقبل عليه آل عجلان وأمرؤه، وجعلوا نصف المتحصل من ذلك له، وأضافوا إليه جماعة منهم يكونوا في خدمته، والنصف الثاني لعلي بن عجلان يتصرف فيه جماعته، وعمّوا بالعطاء كل من حضر إليهم من الأشراف من أصحاب عنان.

ولما لم يبق بجدّة شيء أجمع رأيهم على المسير إلى مكة، فتوجهوا إليها في ثامن جمادى الأولى، فلما بلغوا الرّكّاني^(١) فارقهم علي بن مبارك بن رميثة، وقصد عناناً [متخفياً]^(٢)؛ وذلك خوفاً من آل عجلان، ثم تبعه ابنه [وغيره]^(٣) من إخوته، فقصد آل عجلان البرابر من وادي مرّ، وأقاموا بها، وصار عبيدهم ينتشرون في الطرقات ويختطفون ما يجدونه، وأهل مكة في خوف منهم ووجل^(٤).

(١) الرّكّاني: عين كانت بأسفل مر الظهران يمين الطريق من مكة إلى جدّة عندما يهبط الوادي بعد الحديبية، ترى نخلها من هناك، ماؤه أجاج؛ لقربه من بحر جدّة. وكانت ملكاً للشريف حسين الشهيد أمير مكة المقتول في جدّة سنة ١٢٩٧هـ - على يد أحد المعتوهين (معجم معالم الحجاز ٦٧/٤ - ٦٨).

(٢) في الأصل: مخفياً. والمثبت من العقد الثمين (٨٨/٧)، وإتحاف الوري (٣٦٢/٣).

(٣) في الأصل: وعشرة. والمثبت من العقد الثمين وإتحاف الوري، الموضعان السابقان.

(٤) انظر: العقد الثمين (٦/٤ - ٥).

وكان عنان في هذه المدة مقيماً بمكة، ولم يستطع الخروج إليهم، واحتاج، فأخذ ما كان في بيت شمس الدين ابن جنّ البير - وكيل الأمير جركس الخليلي أمير خور الملكي الظاهري، [وأحد خواص^(١)] السلطان - من الغلال والقماش والسكر وغير ذلك، - وكان شيئاً كثيراً، - وأعطى ذلك لبني حسن وغيرهم، فترفع به حال عنان، وكان الذين مع كُبَيْش يختلفون على عنان^(٢)، فأرضى أحمد [بن ثقبه]^(٣) بن رميثة وعقيل بن مبارك

لما أتاه منافراً لآل عجلان، فصار لعلي بن مبارك وأخيه عقيل نصف البلاد، ولعنان وأحمد بن ثقبه النصف، وصار يُدعى للأربعة على زمزم، وفي الخطب الصغار في رمضان. وأما في خطبة الجمعة فلا يُدعى إلا لعنان؛ [لأن الخطيب بمكة لم يوافق]^(٤) على الدعاء لغيره. ورأى عنان أن في ذلك تقوية لأمره، فكان الأمر بخلاف ذلك؛ لكثرة ما حصل عليه من الاختلاف.

وبلغ ذلك جميعه - مع ما اتفق بجدة ومكة من النهب - السلطان بمصر، فعزل عناناً^(٥).

(١) في الأصل: وأخذ حواصل. والمثبت من العقد الثمين (٤٣٥/٦)، وغاية المرام (٢٠٦/٢)، وإتحاف الورى (٣٦٣/٣).

(٢) كذا في الأصل وإتحاف الورى. وفي العقد الثمين وغاية المرام: وكان الذين مع عنان يختلفون عليه.

(٣) قوله: "بن ثقبه" زيادة من غاية المرام (٢٠٦/٢)، والعقد الثمين (٤٣٥/٦). وانظر: ترجمته في: العقد الثمين (٢٢/٣).

(٤) في الأصل: ولأن الخطب بمكة لم توافق. والتصويب من إتحاف الورى (٣٦٣/٣).

(٥) انظر: العقد الثمين (٤٣٥/٦)، وغاية المرام (٢٠٦/٢-٢٠٧).

ولاية الشريف علي بن عجلان بن رميثة على مكة ورجوعه إلى مصر حيث لم يمكنه منها عنان

وولّى علي بن عجلان^(١) إمرة مكة عوضه؛ حقيقاً عليه لما اتفق في ولايته.

ووصل إلى السيد علي في النصف الثاني من شعبان تقيّة وخلعة مع نجاب^(٢) [معتبر من العيساوية]^(٣)، فبعثه كُبَيْش إلى عنان لإعلامه بذلك وإخلاء البلد لهم، فامتنع من ذلك أصحابُ عنان، وصمموا على القتال، وتابعهم على ذلك عنان، فجمع كُبَيْش أصحابه القوَاد العِمرة [والْحَمِيضَات]^(٤)، وأصرف عليهم مالاً عظيماً من

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٢٠٦/٦-٢١٦)، وغاية المرام (٢٢٧/٢-٢٤٢)، وشفاء الغرام (٣٥٢/٢-٣٥٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٦)، والأعلام (٣١٢/٤).
(٢) النجاب: هم فرقة من خواص السلطان يعتمد عليهم في المهمات الرسمية، وهم من العربان الذين يركبون الثُجُب "الإبل" (الخطط للمقريزي ٣٦٦/٣). وهو حامل الرسائل والمراسيم السلطانية إلى الأمراء والمكلف بالنداء عليها.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف الوري (٣٦٤/٣)، وغاية المرام (٢٢٨/٢).
(٤) في الأصل: والحميضات. والتصويب من إتحاف الوري (٣٦٤/٣)، والعقد الثمين (٨٨/٧).
والحميضات: جاء ذكرهم في القتال إلى جانب الشريف حسن بن عجلان الذي ولي مكة سنة ٧٩٧هـ، وكانوا ينتقلون حول مكة وفي وادي الأيبار. وهم أهل إبل وُقُتال بالارتراق، أي كانوا يعينون من يدفع لهم من الأشراف.
ولا يوهم اسمهم أنهم من بني حمضة ابن أبي نغي، فلا صلة لهم إلا أن يكونوا موالي لحميضة أو بنيّه.

قال البلادي: ولم أجد لهم ذكراً اليوم، وكان الفاسي يصفهم بالقواد، مما يدل على أنهم موالي (معجم قبائل الحجاز ص: ١٢٤).

الزَّبَاد^(١) والمسك^(٢) والإبل وغير ذلك^(٣)، وتوجهوا إلى مكة في نحو مائة فارس وألف [راجل]^(٤)، في آخر اليوم التاسع والعشرين من شعبان، وأخذوا طريق الواسطية، وساروا قليلاً قليلاً حتى أصبحوا في يوم السبت الموفي ثلاثين من شعبان، وهم بآبار الزاهر [أو حولها]^(٥)، فاقتضى رأي الشريف محمد بن محمود بن أحمد بن رميثة التزول هناك يستريحون، ويلحق بهم من [بوادهم]^(٦) ممن هو مع عنان في الليلة المسفرة، فأبى كُبَيْش، وخشي من طول الإقامة، وصمم على القتال في ذلك اليوم، وسار العسكر إلى مكة، وأخذوا الطريق التي تخرجهم إلى الزاهر إلى شعب أذاخر، فلما قطعوا الشعب افترق العسكر، فأخذ الحَمِيضَات الطريق التي تخرجهم على مسجد الإجابة، وأخذ كُبَيْش ومن معه من القوَاد العِمرة والعييد ثنية أذاخر، وهو طريق

(١) الزباد: نوع من العطور يستخرج من حيوان ثديي من الفصيلة الزبادية، قريب من السنابير، يعيش في الهند وجنوب شرق آسيا، له كيس عطر قريب من الشرج، يفرز مادة دهنية تستخدم في الشرق أساساً للعطر (انظر: المعجم الوسيط ٣٨٨/١، والموسوعة العربية الميسرة ص: ٩١٨).

(٢) المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان، وأجوده في الرائحة والنظر ما كان ثَقَافِيَاً تشبه رائحته رائحة النفاخ اللبناني، وكان لونه يغلب عليه الصُّفرة (المعجم الوسيط ٨٦٩/٢، وصحح الأعشى ١٢٨/٢).

(٣) انظر: غاية المرام (٢٢٨/٢-٢٢٩).

(٤) في الأصل: رجل. والمثبت من إتخاف الوري (٣/٣٦٤)، والعقد الثمين (٧/٨٨).

(٥) في الأصل: وحولها. والمثبت من إتخاف الوري، الموضع السابق، والعقد الثمين (٧/٨٩).

(٦) في الأصل: بواديهم. والمثبت من العقد الثمين وإتخاف الوري، الموضعان السابقان.

أقرب إلى الأبطح^(١)، فأوا بالأبطح عناناً وأصحابه -وكانوا قريباً منهم- [فأزال الرجل الذي مع كُيَيش الرجل الذي]^(٢) مع عنان عن مواضعهم بعد قتال جرى [بينهم]^(٣)، وعقروا الجمال التي عليها طبلخاناتهم^(٤)، وصاح كُيَيش بعنان يطلبه للبراز، فلم يجبه، وبرز إليه بعض الأشراف، فلم يره كُيَيش كفواً له، وضربه كُيَيش برمح له فأصابته الضربة فرس المضروب فقتلها، وسقط راكبها، فعمد بعض أصحاب عنان إلى فرس كُيَيش فعقرها، فسقط كُيَيش إلى الأرض وصار راجلاً، فقصده أصحاب عنان من كل جانب وقاتلوه، فقاتلهم أشد القتال، ثم إن بعضهم استغفله في حال قتاله ورفع الدرع عن ساقه وضربه فيه ضربةً حتى جثا على ركبتيه، وقاتل وهو على تلك الحالة حتى أزهقت روحه، وانهمز أصحابه الذين شهدوا معه الحرب بعد سقوطه عن فرسه إلى الأرض.

ودخل عنان وأصحابه مكة مسرورين بالنصر، وحمل كُيَيش إلى المعلاة

(١) الأبطح: سبق التعريف به في (ص: ٣١).

(٢) في الأصل: فأزال الرجال الذين مع كييش الرجال الذين مع عنان. والمثبت من العقد الثمين (٨٩/٧)، وإتحاف الوري (٣/٣٦٥).

(٣) في الأصل: منهم. والمثبت من العقد الثمين وإتحاف الوري، الموضعان السابقان.

(٤) الطبلخانة: مجموعة من الطبول يَدَقُّ بها في المواكب الرسمية، أو في المواقع الحربية، أو على أبواب السلاطين وبعض الأمراء (دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ص: ١٧٩).

فدفن بها^(١). وفتحت الكعبة لعنان وأصحابه لما انتهوا إلى المسجد، فدخلها جماعة منهم. وأقاموا بمكة إلى أن أطل الحجاج المصريون على دخول مكة، ثم فارقوها وقصدوا الزَّيْمَةَ^(٢) بوادي نخلة اليمانية، وتحلف عنان لما بلغه من تقرير السلطان له في نصف الإمرة بمكة المشرفة شريكاً لعلي بن عجلان، بشرط حضور عنان لخدمة المحمل^(٣).

ذكر مشاركة علي بن عجلان مع عنان في إمارة مكة ورجوعه من مصر إلى مكة مع الحاج

وكان الشريف علي بن عجلان قد توجه بعد واقعة أذاخر إلى السلطان بمصر، فأقبل السلطان عليه، وولاه نصف إمرة مكة في النصف الآخر من رمضان، وولّى [عناناً]^(٤) النصف الآخر، وشرط حضور عنان لخدمة المحمل المصري. وبلغ ذلك عناناً فتهاياً للقاء المحمل، [وبرزَ لِقائه]^(٥) حتى كاد يصل إليه، فبلغه أن آل عجلان يريدونه بسوء عند لقائه، ففرَّ وتبع أصحابه إلى الزَّيْمَةَ^(٦).

ودخل السيد علي بن عجلان مكة مع الحاج، وقرئ توقيعه على مقام

(١) انظر: العقد الثمين (٩٠/٧).

(٢) الزَّيْمَةُ - الزَّيْمَاء -: قرية قريبة من سولة بوادي نخلة اليمانية، تشتهر بكثرة بساتينها، على بعد ٤٥ كيلاً على طريق الطائف مكة القديم (انظر: معجم البلدان ١٦٥/٣، ومعجم معالم الحجاز ١٥٠/٤، ومعالم مكة ص: ١٢٤).

(٣) انظر: العقد الثمين (٤٣٦/٦)، وغاية المرام (٢٠٧/٢ - ٢٠٨).

(٤) في الأصل: عنان. والتصويب من إنحاف الورى (٣٦٦/٣).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من إنحاف الورى (٣٦٦/٣)، والعقد الثمين (٤٣٦/٦).

(٦) انظر: العقد الثمين (٤٣٦/٦)، وغاية المرام (٢٠٨/٢).

الحنابلة بالمسجد الحرام^(١).

ثم بعد سفر الحاج توجه السيد حسن بن عجلان إلى مصر لتأييد أمر أخيه علي في إمرة مكة^(٢).

وبعد سفر الحاج أيضاً نزل السيد عنان وأصحابه وادي مرّ، واستولوا عليه وعلى جدة، ونهبوا بعض تجار اليمن، وأفسدوا في الطرقات. ولأجل استيلائهم على جدة احتاج السيد علي إلى النفقة، فأخذ من تجار اليمن ما استعان به على إزالة ضرورته^(٣).

وكتب السيد عنان إلى السلطان يعتذر عن ترك حضوره لخدمة المحمل لما بلغه من قصد آل عجلان له بسوء^(٤).

وفي سنة تسعين وسبعمائة^(٥) - في ربيع الآخر أو جمادى الأولى - وصل السيد حسن بن عجلان من مصر إلى مكة ومعه جماعة من الترك نحو خمسين فارساً، استخدمهم لأخيه، وخلعة من السلطان وكتاب منه يتضمن استمرار أخيه، فلبس الخلعة وقرأ الكتاب بالمسجد الحرام.

وفيها^(٦): توجه السيد عنان إلى مصر وهو حنقٌ على بعض أصحابه، وما

(١) العقد الثمين (٢٠٧/٦)، وغاية المرام (٢٢٩/٢).

(٢) إتحاف الوري (٣٦٨/٣). وانظر: العقد الثمين (٨٦/٤).

(٣) انظر: العقد الثمين (٢٠٧/٦)، وغاية المرام (٢٠٨/٢)، ٢٢٩-٢٣٠.

(٤) انظر: العقد الثمين (٤٣٦/٦)، وغاية المرام (٢٠٨/٢). وانظر لما تقدم: إتحاف الوري

(٣٦٨-٣٦٩/٣).

(٥) إتحاف الوري (٣٧٠/٣). وانظر: العقد الثمين (٢٠٨/٦)، وغاية المرام (٢٣٠/٢).

(٦) إتحاف الوري (٣٧٠/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٣٧/٦)، والسلوك (٢١١/٥)، وغاية المرام

(٢٠٨/٢).

وجد بها الإقبال الذي كان يعهده، وأقام بها مُطلقاً بعد أن استجار بالأمير الكبير [أَيْتَمَش] ^(١) ونزل عنده، فشفع فيه، وأحضره إلى السلطان، فعفا عنه.

وفي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ^(٢) قدم إلى مصر محمد بن عجلان، فسعى في حبس عنان، فأجيب وحبس عنان.

مشاركة الشريف عنان مع الشريف علي بن عجلان في إمارة مكة ثانياً

وفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ^(٣) - بعد استقرار الظاهر بالقلعة - شفع كبيرُ المماليك المستولين على القلعة، وهو [بُطَا] ^(٤) الدَّوَادار للسيد عنان في ولاية مكة، فأجابه السلطان لسؤاله في رابع ربيع الآخر، ولكن أقرَّ علي بن عجلان على ولاية نصف إمرة مكة شريكاً لعنان. وتجهَّزَ [عنان] ^(٥) إلى مكة ومعه شخص تركيٌّ من جهة السلطان ليُقَلِّده الولاية بمكة.

ثم توجه عنان إلى مكة، وتلقاه كثيرٌ من بني حسن قبل وصوله إلى الوادي في النصف الأول من شعبان، ثم مشى الناسُ في الأُلْفَةِ بينه وبين آل عجلان، فمال كل منهم إلى ذلك، فتوافقوا على أن كلا منهما يدخل مكة

(١) في الأصل: شمس. والتصويب من إتحاف الوري (٣/٣٧٠).

(٢) إتحاف الوري (٣/٣٧٣). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٣٧)، وغاية المرام (٢/٢٠٩).

(٣) إتحاف الوري (٣/٣٧٦-٣٧٧). وانظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩)، وغاية المرام (٢/٢٣١، ٢١٠).

(٤) قوله: "بُطَا" زيادة من إتحاف الوري (٣/٣٧٦)، وغاية المرام (٢/٢١٠).

(٥) زيادة من إتحاف الوري (٣/٣٧٧)، وغاية المرام (٢/٢١٠).

إذا عرضت له حاجة فيقضيها، فإذا قضاها خرج من مكة، ولكل منهما [بها] ^(١) ثواب؛ بعضهم يقبض ما يخص [كلًا] ^(٢) منهما من المتحصّل، وبعضهم للحكم بها، وأن يكون القوّد مع عنان، والأشراف مع علي؛ لملأمتهم له قبل وصول عنان، فرضيا بذلك، وفعلا ما اتفقا عليه، وكان أصحاب [كل منهما] ^(٣) غالبين على أمره.

وفي سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ^(٤) حصل للناس ضرر كثير من أعوان الشريفين، سيما الواردين إلى مكة؛ لزيادة العرّافة ^(٥) وقلة الأمن وخطف الأموال، ونهب حجاج اليمن بالمعابدة بطريق منى وبمكة نهباً فاحشاً، ونهب أيضاً بعض الحجاج المصريين.

وفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة ^(٦) - في رابع عشر صفر - همّ سعد الدوادار عتيق السيد أحمد بن عجلان مع بعض سناديله ^(٧) بالفتك بالسيد عنان بالمسعى، ففرّ السيد عنان هارباً بعد أن كاد يهلك، وما نجا إلا بجهد عظيم.

(١) قوله: "بها" زيادة من إتحاف الوري (٣/٣٧٧).

(٢) في الأصل: كل. والتصويب من إتحاف الوري (٣/٣٧٧)، وغاية المرام (٢/٢١٠).

(٣) في الأصل: وكان أصحاب علي غالبين. والمثبت من العقد الثمين (٦/٢٠٩)، وإتحاف الوري، الموضع السابق، وغاية المرام (٢/٢٣١).

(٤) إتحاف الوري (٣/٣٨٠). وانظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩)، وغاية المرام (٢/٢٣١، ٢١٢).

(٥) العرّافة: وظيفة العرفاء، جمع عريف، وهو القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أمورهم، ويعترف الأمير منه أحوالهم (تاج العروس). ولعل المراد هنا هو الضريبة التي كان يفرضها العرفاء على المسافرين.

(٦) إتحاف الوري (٣/٣١٢). وانظر: منائح الكرم (٢/٣٩٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٦)، وغاية المرام (٢/٢١١، ٢٣١-٢٣٢).

(٧) كذا في الأصل، ولعلها: "سنادينه" بمعنى الرجال الأشداء (المعجم الوسيط ١/٤٥٤).

وبعد مفارقتة مكة اجتمع به السيد علي بن عجلان [ومحمد بن محمود -
وكان علي لا يفصل أمراً دون ابن محمود-] ^(١) واعتذر إليه بعدم العلم
[بتجرّي غلمانهم] ^(٢) عليه.

وفيها: لما سمع السلطان بمصر ما اتفق للحجاج بمكة في سنة ثلاث
وتسعين استدعى الشريفين علي بن عجلان [وعناناً] ^(٣) مع جماعة من أعيان
الأشراف والقوّاد، [فأعرضوا] ^(٤) عن الوصول لباب السلطان غير علي
وعنان، فإنهما لم يجدا بُدّاً من ذلك. وكان السيد عنان منقبضاً عن دخول
مكة لما تقدم ذكره. فلما حصل هذا الاستدعاء تحرّك لنصرة عنان بعض
الأشراف الذين مع السيد علي، وألزموا السيد علي بإخلاء مكة من العبيد
وأتباعهم حتى يدخل السيد عنان إلى مكة ويتجهّز منها لسفره، فإذا تمّ جهازه
خرج وعادوا إليها، فما وسع السيد علي إلا الموافقة، فخرج المشار إليهم إلى
منى، ودخل عنان مكة، وأقام بها مدة يسيرة حتى انقضى جهازه. فلما انقضى

(١) ما بين المعكوفين زيادة من العقد الثمين (٤٣٩/٦)، وإتحاف الوري (٣٨٣/٣)، وغاية المرام (٢١١/٢-٢١٢).

(٢) في الأصل: بما جرى عليه. والمثبت من إتحاف الوري (٣٨٣/٣)، والعقد الثمين (٤٣٩/٦)، وغاية المرام (٢١٢/٢).

وانظر الخبر في: العقد الثمين (٤٣٩/٦)، وإتحاف الوري (٣٨٢/٣-٣٨٣).

(٣) في الأصل: وعنان. والتصويب من إتحاف الوري (٣٨٣/٣).

(٤) في الأصل: فاعتذروا. والمثبت من إتحاف الوري (٣٨٣/٣)، والعقد الثمين (٤٣٩/٦)، وغاية المرام (٢١٢/٢).

جهازه سافر منها في جمادى الآخرة إلى مصر وتلاه إليها السيد علي، وترك بمكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد، وقصد المدينة الشريفة فزار جدّه المصطفى^(١) وغيره، وجمع الناس بالحرم النبوي لقراءة^(٢) ختمة شريفة للسلطان والدعاء له عقبها، وكتب بذلك محضراً يتضمن ذلك. وما اتفق ذلك لعنان؛ لأنه قصد من [بدر]^(٣) ينبع ليسبق منها علياً إلى مصر^(٤).

ولما وصل السيد علي إلى مصر أهدى للسلطان وغيره هدايا حسنة، واجتمع بالسلطان يوم الخميس خامس شعبان في يوم الموكب [بالإيوان]^(٥)، وأقبل عليه السلطان كثيراً، وأمره بالجلوس فوق عنان مع شيخوخته، وكان جلس تحته^(٦).

ولاية الشريف علي بن عجلان منفرداً مرة ثانية

ثم في حادي عشر شعبان فوّض السلطان إلى السيد علي إمرة مكة بمفرده من غير شريك، وأعطاه أربعين فرساً، وعشرة مماليك من الترك، وثلاثة آلاف إردب قمح، وألف إردب شعير، وألف إردب فول، ومما

-
- (١) الزيارة إنما هي للمسجد النبوي للحديث الصحيح: لانتشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد.
 (٢) جمع الناس وقراءة القرآن بهذه الصورة وإهداء ذلك لشخص ما لم يرد به أثر صحيح يعتمد عليه.
 (٣) في الأصل: بنذر. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٨٤)، والعقد الثمين (٦/٢١٠)، وغاية المرام (٢/٢٣٢).
 (٤) انظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩-٢١٠)، وغاية المرام (٢/٢١٢)، (٢٣١-٢٣٢).
 (٥) في الأصل: بالأبواب. والتصويب من إتحاف الورى (٣/٣٨٤)، والعقد الثمين (٦/٢١٠)، وغاية المرام (٢/٢٣٢).
 (٦) إتحاف الورى (٣/٣٨٢-٣٨٤). وانظر: العقد الثمين (٦/٢٠٩-٢١٠)، وغاية المرام (٢/٢٣٢).

أحسن إليه [به]^(١) فرس خاص، وسرج مغرق بالذهب^(٢)، وكُنْبُوش^(٣) ذهب، وسلسلة ذهب، وأحسن إليه الأمراء لإقبال السلطان عليه، فَحَصَلَ غلماناً من الترك، قيل إنهم مائة، وخيلاً قيل إنهم مائة، ونفقة جيدة، وخلع على السيد عنان خلعة^(٤) إنعام، وأمره بالإقامة، ورُتِّبَ له شيئاً يصرفه ولم يسجنه.

وتوجه السيد علي مع الحاج إلى مكة فدخلها، وكان يوم دخولها يوماً مشهوداً^(٥).

وفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة وشى بعض بني [حسين]^(٦) أهل المدينة بالسيد عنان بن مغماس إلى الملك الظاهر بمصر، وقال: إنه يريد الهرب إلى مكة يُفسد بها، وإنه أعدَّ [لُجْباً]^(٧) لذلك، فسجنه السلطان ببرج القلعة في

(١) قوله: "به" زيادة من العقد الثمين (٢١٠/٦)، وإتحاف الوری (٣٨٤/٣)، وغاية المرام (٢٣٢/٢).

(٢) التغريق بالذهب: هو الطلاء به (هامش غاية المرام ٢٣٢/٢).

(٣) الكنبوش: غطاء مزركش بالقصب أو غيره، يجعل على ظهر الحصان تحت السرج، ويطلق أيضاً على الستر أو الطرحة المزركشة التي تغطي الحصان (الخطط التوفيقية لعلي مبارك ٧٠/١٠).

(٤) في إتحاف الوری: خلعتي.

(٥) إتحاف الوری (٣٨٥-٣٨٤/٣). وانظر: غاية المرام (٢١٢/٢، ٢٣٢-٢٣٣)، والعقد الثمين (٢١٠/٦، ٤٤٠).

(٦) في الأصل: حسن. والمثبت من إتحاف الوری (٣٨٩/٣)، والعقد الثمين (٤٤٠/٦)، وغاية المرام (٢١٢/٢).

(٧) في الأصل: بخيالة. والمثبت من إتحاف الوری (٣٨٩/٣)، والعقد الثمين (٤٤٠/٦)، وغاية المرام (٢١٣/٢).

يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى^(١).

وفي سنة سبع وتسعين وسبعمائة^(٢) - في جمادى الآخرة - كان بين الشريف حسن بن عجلان وأخيه علي منافرة ووحشة، فسافر السيد حسن بعد ذلك إلى مصر راجياً لإمرة مكة، ومعه علي بن مبارك بن رميثة، فحضره عند الملك الظاهر بالقلعة، ثم اعتقلا بقلعة الجبل في شهر رمضان، وبعث السلطان للسيد علي خلعةً وكتاباً أخبره فيه بما فعل، وأمره فيه بالإحسان إلى الرعية، والعدل فيهم؛ لما بلغه من [أن]^(٣) السيد علي تعرّض لأخذ [شيء من]^(٤) المجاورين بمكة، فقرأ الكتاب بالمسجد الحرام، ولبس الخلعة^(٥) في شهر رمضان، وأحسن السيرة، ونادى في البلاد: بأن من كان له حق فليحضر إليه ليرضيه فيه. وكان الذي حمله على الأخذ، فقده لما كان يعهده من النفع بجدة، ومطالبة بني حسن له بالعطاء. انتهى ما ذكره ابن فهد.

(١) إتحاف لورى (٣/٣٨٩). وانظر: العقد الثمين (٦/٤٤٠)، والسلوك (٥/٣٣٥)، ومنايح

الكرم (٢/٣٩٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٦)، وغاية المرام (٢/٢١٢-٢١٣).

(٢) إتحاف لورى (٣/٣٩٣). وانظر: العقد الثمين (٤/٨٧)، وغاية المرام

(٢/٢٣٥-٢٣٦، ٢٤٩).

(٣) قوله: "أن" زيادة من إتحاف لورى (٣/٣٩٣)، والعقد الثمين (٦/٢١٣)، وغاية المرام

(٢/٢٣٥).

(٤) زيادة من العقد الثمين (٦/٢١٣)، وغاية المرام (٢/٢٣٥).

(٥) في العقد الثمين: بعد لبسه للخلعة.

ذكر قتل الشريف علي بن عجلان

قال السنجاري في منائح الكرم^(١): ودامت ولاية الشريف علي بن عجلان إلى أن استشهد في سابع شوال سنة سبعمائة وسبع وتسعين.

قال التقي^(٢): وكان مغلوباً عليه مع الأشراف. وسبب ذلك: أنه بعد شهر من وصوله من مصر قبضَ على جماعة من الأشراف والقوَّاد، فخُودع فيهم، فأطلقهم. فصاروا يشوِّشون عليه ويكلفونه بما لا تصل قوته إليه. فأفضى الحال إلى أن قلَّ الأمان بمكة وجدة، فقصَّد التجار ينبع، ولحق أهل مكة لذلك شدة.

وما زال القوَّاد به حتى عملوا على قتله، فقتلوه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان قتله يوم الأربعاء سابع شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة.

وقال الحضراوي في تاج تواريخ البشر^(٣): قتلوه بوادي مرّ، وهرب الذين قتلوه، وحُمِلَ إلى مكة المكرمة ودُفِنَ بالمعلا ليلاً. انتهى.

ولما قتل ولي مكة أخوه الشريف محمد بن عجلان^(٤) يوم قتل أخيه.

(١) منائح الكرم (٣٩٤/٢). وانظر: خلاصة الكلام (ص: ٣٦). وانظر خبر قتله في: غاية المرام (٢٣٦/٢-٢٣٧).

(٢) شفاء الغرام (٣٥٤/٢). وانظر: خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) تاج تواريخ البشر (٢٤٧/٢).

(٤) انظر ترجمته في: العقد الثمين (١٣٧/٢-١٤٠)، وغاية المرام (٢٤٢/٢-٢٤٦)، وشفاء الغرام (٣٥٤/٢)، والضوء اللامع (١٥٠/٨-١٥١).

ولاية الشريف حسن بن عجلان

وتقوى بالعبيد إلى أن وصل أخوه الحسن بن عجلان^(١) من مصر بولاية مكة عوض أخيه، وكان معتقلاً ثمة - كما مرّ -، فوصل خبر ولايته مكة في أثناء العشر الأخير من ذي القعدة، وحج بالناس أخوه محمد بن عجلان.

ولما رجع الحاج إلى مصر توجه الشريف حسن إلى مكة ومعه نحو مائة وثلاثين من الترك، ومن الخيل تسعون فرساً، ووصل إلى ينبع، وطالب أميرها وبير بن [مخبار]^(٢) بقمح للسلطان كان بعث للبيع، فأخذه وبير وصاحله على خمسة وثلاثين ألف درهم، فرحل من ينبع إلى مكة، وكتب إلى أخيه يلاقيه بمن معه من الأشراف، فخرجوا للقائه إلى عسفان [أو]^(٣) السُّوق^(٤)، وهرب بعض الأشراف فلم [يواجهوه]^(٥)، ولم يزل حتى نزل بيئر [شُميس]^(٦)، فأقام بها عشراً، ثم دخل مكة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر

(١) انظر ترجمته في: العقد الثمين (٨٦/٤-١٥٥)، وغاية المرام (٢/٢٤٦-٣٩١)، وشفاء الغرام (٣٥٤/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٦)، والأعلام (٢/١٩٨-١٩٩).

(٢) في الأصل: حجاز. وفي العقد الثمين وغاية المرام: مخبار. انظر ترجمته في الضوء اللامع (٢١٠/١٠).

(٣) في الأصل: والسوق. والتصويب من العقد الثمين (٨٨/٤)، وغاية المرام (٢/٢٥١)، ومنايح الكرم (٣٩٦/٢).

(٤) السوق: لعل المقصود هو سوق خليص، فهو أقرب الأسواق إلى ثنية عسفان وجران (هامش غاية المرام، الموضع السابق).

(٥) في الأصل: يواجهه. والتصويب من منائح الكرم، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: شمس. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من العقد الثمين (٨٩/٤)، وغاية المرام (٢/٢٥١)، ومنايح الكرم، الموضع السابق.

سنة سبعمئة وثمان وتسعين، فلبس الخلعة، وقرئ عهده بالولاية، وطاف بالبيت، وأقام بها إلى أثناء ليلة الأحد، وخرج إلى بئر شمس ثم إلى العُدّ لقصد بعض الأشراف اللاجئين إلى تلك الأماكن، فساروا منه إلى وادي مَرّ بحيرة من بعض أصحاب الشريف حسن، والتقوا بمكان يقال له: الزّبارة^(١)، فقاتلهم، وقتل عدة منهم^(٢).

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٣): فكان جملة من قتل من الأشراف ومن جماعتهم أربعين رجلاً، ولم يقتل من جماعة السيد حسن إلا رجل واحد أو اثنان، ثم صفت البلاد له وطاب العيش، وفخر أمره ورزقه الله القبول، وكان ذا ثروة عظيمة، وحشمة وافرة جسيمة، وخيرات كثيرة عميمة. بنى بمكة رباطاً للرجال ورباطاً للنساء. لم يَلِ مكة قبله من يدانيه في شيء من ذلك.

وقد مدحه كثير من الشعراء المعترين؛ منهم الشيخ شهاب الدين أحمد الفاسي، والد تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة، ومنهم قاضي القضاة شرف الدين إسماعيل المقرئ. وكان الحسن أديباً شاعراً. انتهى.

(١) الزبارة: موضع بين أبي عروة وخيف الرواجحة، وتبعد الزبارة قرابة ٢٨ كيلاً شمال مكة قرب سفح الحرة النهمية، ومنها تنظر إلى البرقة قبله المصلي، وكانت البرقة قصبة مر الظهران في ذلك الوقت (معجم معالم الحجاز ٩٦/١٠).

(٢) انظر: العقد الثمين (٨٩-٨٨/٤)، وإتحاف الوري (٣/٣٩٥، ٤٠٠)، وغاية المرام (٢/٢٥٣-٢٥٠)، ودرر الفرائد (١/٤٢٦)، ومنايح الكرم (٢/٣٩٥-٣٩٧)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٦-٣٧).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (١/١٧١).

وقال ابن فهد في حوادث سنة تسع وتسعين وسبعمائة^(١): وفيها - في آخرها - أخرج السلطان السيد عنان بن مغامس من البرج بالقلعة، وأنفذه إلى الاسكندرية مع جواز بن [هبة]^(٢) الحسيني صاحب المدينة، وكان قبض عليه في هذه السنة يآثر وصوله إلى مصر، وبعث السلطان معهما إلى الاسكندرية علي بن مبارك بن رميثة وولديه، وسجن الجميع بالاسكندرية.

وفي سنة أربع وثمانمائة^(٣) - في صفر - حصل للسيد حسن خمسة وستون ألف مثقال وأزيد - فيما قيل - من القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي برهان الدين المحلي، وجماعة من تجّار الكارم؛ لأن المركب الذي كانوا فيه انصلح بقرب مكة، فأعطوه هذا المقدار عوضاً عن الربع الذي يأخذه ولاية البلاد فيما ينصلح في بلادهم من الجلاب. ولما بلغ ذلك القاضي برهان الدين المحلي اشتد غضبه على السيد حسن، وسعى في إرسال شخص من خواص السلطان بمصر يطالبه بذلك، فوصل إليه في آخر رجب، وبلغ رسالته، فاعتذر بتفرّق ذلك من يده، ووعدته بالخلاص، وماطل فيه.

(١) إتحاف الوری (٤٠٥/٣-٤٠٦)، والعقد الثمين (٤٤٠/٦)، والضوء اللامع (١٤٨/٦)، ونزهة النفوس (٤٤٩/١-٤٥٠)، وغاية المرام (٢١٣/٢).

(٢) في الأصل: رميثة. والمثبت من العقد الثمين (٤٤٠/٦)، وغاية المرام (٢١٣/٢)، وإتحاف الوری (٤٠٥/٣)، ونزهة النفوس (٤٥٠/١). وانظر ترجمته في: الضوء اللامع (٧٨/٣)، والدليل الشافي (٢٥٠/١).

(٣) إتحاف الوری (٤٢٥/٣-٤٢٦)، والعقد الثمين (٩٩/٤)، وغاية المرام (٢٦٦/٢).

وفيهما - في آخرها أو في أول التي بعدها-^(١): نقل السيد عنان بن مغماس من الاسكندرية إلى مصر بسعي القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي تاجر الخواص السلطانية، لتغيره على صاحب مكة السيد حسن؛ لما أخذه من الذهب من ولده القاضي شهاب الدين، لما انكسر المركب الذي كان فيه، وهو إذ ذاك متوجه إلى اليمن، وقصد المحلي بإطلاق عنان إخافة السيد حسن حتى يرُدَّ عليه المال، أو ما أمكن منه، ونوّه لعنان بولاية [مكة]^(٢)، فما قُدِّرَ ذلك؛ لمعاجلة المنية عناناً. انتهى.

وفي الخلاصة^(٣): نقل عنان إلى مصر سنة ثمانمائة وأربع، وحصل له مرض اقتضى إبطال بعض جسده، فعولج لذلك بإضجاعه في محل حمي بالنار، فاشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمس عن ثلاث وستين سنة.

وكان شجاعاً، مقداماً، جواداً، كريماً.

أجاز الشاعر ابن العليف في قصيدة^(٤) ثلاثين ألف درهم. انتهى.

(١) إنحاف الورى (٤٣١/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٤٠/٦-٤٤١)، وغاية المرام (٢١٣/٢)، (٢٦٧).

(٢) قوله: "مكة" زيادة من إنحاف الورى (٣٤١/٣)، والعقد الثمين (٤٤١/٦)، وغاية المرام (٢١٣/٢).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٣٦). وانظر: منائح الكرم (٣٩٣/٢-٣٩٤).

(٤) وأول هذه القصيدة: "بروج زاهرات أو مغاني....". انظر: غاية المرام (٢١٥/٢).

وفي إتحاف الوري^(١): وفي سنة ست وثمانمائة أتى الخبر إلى السيد حسن بوفاة القاضي برهان الدين الحلبي، فاستراح من طلبه.

وفيها^(٢): استخدم السيد حسن بجدة جابر الحراشي^(٣)، وفوض إليه الأمر في جميع ما يصل إليها من جهة الشام واليمن، فنهض بخدمته فهوذاً لم ينهض لمثله أحد من خدامه فيما مضى، وعمر الحراشي الموضع الذي يقال له: الفرضة^(٤) بجدة؛ ليحاكي بها فرضة عدن، وقرر لبني حسن الرسوم التي يتناولونها الآن، وجعلها لهم في ثلاث [حالات]^(٥)، وأبطل رسومهم السابقة، وكانت تؤخذ من التجار مع الجبا، فلم يجعل لهم على التجار سيلاً، فأراح الناس من مطالبهم.

وفيها -أو في التي بعدها-^(٦): توجه الحراشي إلى حلبي، وبني فيها مكاناً يتحصن فيه أصحاب السيد حسن ومن انضم إليهم، وحفر حوله خندقاً.

(١) إتحاف الوري (٤٣٦/٣). وانظر: العقد الثمين (١٠١/٤)، والسلوك (١٠٨/٦)، والضوء اللامع (١١٢/١)، والدليل الشافي (٢٣/١)، وغاية المرام (٢٦٩/٢).

(٢) إتحاف الوري (٤٣٥/٣-٤٣٦). وانظر: العقد الثمين (١٠٠/٤-١٠١)، وغاية المرام (٢٦٨/٢).

(٣) هو جابر بن عبدالله، المعروف بالحراشي، تردد على مكة مرات كثيرة، وخدم الشريف حسن بن عجلان، وفوض إليه أمر جدة وغيرها، ولم يكن وفياً لمخدومه، وآل به الأمر إلى أن شق في ذي الحجة سنة ٨١٦هـ على باب المعلاة (العقد الثمين ٤٠٠/٣).

(٤) الفرضة: هو ميناء جدة (معجم معالم الحجاز ١٧١/١).

(٥) في الأصل: حالات. والتصويب من إتحاف الوري (٤٣٦/٣)، والعقد الثمين (١٠٠/٤)، وغاية المرام (٢٦٨/٢).

(٦) إتحاف الوري (٤٣٦/٣). وانظر: العقد الثمين (١٠١/٤)، وغاية المرام (٢٦٩/٢).

وفي سنة تسع وثمانمائة^(١) قبض السيد حسن على جابر الحراشي؛
 لخبث لسانه، وامتنانه عليه بالخدمة، فاستصفى أمواله، وبعثه إلى مكة،
 وسجنه بها إلى الموسم، ثم أطلقه بشفاعة الإمام صاحب صنعاء، ومنَّ
 عليه بشيء من ماله، واستحلفه على ترك [أذاه]^(٢)، وتوجه إلى اليمن.
 ويقال: إن الذي حصل للسيد حسن من التجار ومن الحراشي نحو أربعين
 ألف مثقال.

مشاركة الشريف بركات بن حسن مع أبيه حسن بن عجلان

في إمارة مكة

وفيها^(٣): سعى السيد حسن لابنه السيد بركات في أن يكون شريكه في
 إمارة مكة، فأجيب سؤاله، ووصل لابنه تقليدًا مؤرخ بالنصف من شعبان،
 ووصل هذا التقليد في الموسم.

وفي سنة عشر وثمانمائة^(٤) قدم جابر بن عبدالله الحراشي من اليمن إلى
 مكة، ولايم صاحبها السيد حسن بن عجلان.

(١) إتحاف الوري (٤٥٠/٣-٤٥١). وانظر: العقد الثمين (١٠٣/٤)، وغاية المرام (٢٧٥/٢-٢٧٦).

(٢) في الأصل: إذاته. والتصويب من إتحاف الوري (٤٥١/٣).

(٣) إتحاف الوري (٤٥٣/٣). وانظر: العقد الثمين (١٠٣/٤)، والضوء اللامع (١٣/٤)، ومناجح
 الكرم (٤٠٦/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٧)، وغاية المرام (٢٧٦/٢، ٣٩٤).

(٤) إتحاف الوري (٤٥٨/٣). وانظر: العقد الثمين (٤٠١/٣).

مشاركة الشريف أحمد بن حسن مع أخيه بركات في الإمارة

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة^(١) - في الحرم - ندب السيد حسن القائد سعد الدين جبروه^(٢) إلى مصر بهدية طائلة؛ ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات، فأجيب إلى ذلك، وولي السيد حسن نيابة السلطنة للأقطار الحجازية في العشر الأوسط من ربيع الأول، ووصل سعيد جبروه إلى مكة [بغته]^(٣) في النصف الثاني من ربيع الآخر، ووصل معه خلعة للسيد حسن، وخلعتان لولديه، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر، وصار يدعى للسيد حسن ولولديه في الخطبة بمكة وعلى زمزم.

وكان أمير المدينة ثابت بن نعيم بن منصور قد مات، فأرسل السيد حسن ابن عجلان إلى الشريف عجلان بن نعيم بن منصور - بالمدينة - فاستدعاه إلى مكة، وفوض إليه إمرة المدينة في آخر ربيع الآخر، فثار بالمدينة الشريف جهاز ابن هبة، فكتب إليه السيد حسن يقول: أخرج بسلام وإلا فأنا قاصدك، فأظهر جهاز الطاعة، ثم إن جهازاً أرسل إلى الخُدَّام بالمسجد النبوي يستدعيهم،

(١) إتخاف الوري (٤٦٢/٣). وانظر: العقد الثمين (١٠٥/٤)، وغاية المرام (٢٧٩/٢، ٤٦٨)، ومناقب الكرم (٤٠٨/٢ - ٤٠٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٧).

(٢) كذا في الأصل والعقد الثمين، وإتخاف الوري وغاية المرام. وفي الضوء اللامع (٢٥٦/٣): سعيد جبروه العجلاني القائد، مات بمكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة. وسرد بعد عدة أسطر باسم سعيد.

(٣) قوله: "بغته" زيادة من إتخاف الوري (٤٦٢/٣)، والعقد الثمين (١٠٥/٤)، وغاية المرام (٤٦٨/٢).

فامتنعوا، فأتى إلى المسجد وأخذ ستارة^(١) باب الحجرة النبوية، وطلب من الطواشية خُدام المسجد المصالحة عن حاصل القبة بتسعة آلاف درهم؛ فأبوا ذلك، فطلب مفاتيح الحاصل من قاضي المدينة زين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي، فمانعه، فأهانته وأخذها منه، وأتى إلى القبة، وضرب شيخ الخدام بيده وألقاه على الأرض، وكسر الأقفال ودخلها ومعه جماعة، فأخذ ما هناك. فمن ذلك: إحدى عشر حوائج خانات^(٢)، وصندوقان كبيران وصندوق صغير، فيهم ذهب من ودائع ملوك العراق وغيرهم، وأخرج خمسة آلاف شقة بطاين معدة لأكفان الموتى، فنقل ذلك كله. وهم أحد بني عمه بأخذ قناديل الحجرة الشريفة فمنعه، وأخذ آخرُ بُسْطُ الروضة الشريفة، فأمره جواز بردها، وصادر بعض الخدام، ثم خرج من الغد راحلاً، فقصد العرب المجتمعة الرجوع فرماهم الناس بالحجارة^(٣).

وجهاز السيد حسن إلى المدينة الشريفة عسكرياً مع ابنه السيد أحمد بن حسن على طريق الجادة، وتوجه السيد عجلان بن نعيم من مكة إلى المدينة على طريق الشرق؛ ليضم إليه جماعة ويسير بهم إلى المدينة، فدخلها عجلان في ليلة تاسع عشر جمادى الأولى ومعه آل منصور بعد خروج جواز بن هبة منها بأيام، فنودي بالأمان. ومن الغد قدم العسكر من مكة مع السيد أحمد

(١) في إتخاف الورى والسلوك: ستاري.

(٢) الحوائج خاناه: معناها بيت الحوائج، منها يصرف اللحم الراتب (أي المقرر بشكل دائم وثابت) للمطبخ السلطاني والتور السلطانية ورواتب الأمراء والممالك السلطانية وسائر الجند والمتعممين، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ أسمائهم الدفاتر (صبح الأعشى ١٢/٤).

(٣) السلوك (٢٠٩/٦-٢١٠).

ابن حسن، وهم مائتان وستون ما بين فارس وراجل، واثنان وعشرون مملوكاً، [وصحبتهم]^(١) رضي الدين أبو حامد محمد بن عبدالرحمن المطري متولياً لقضاء المدينة الشريفة من قبل السلطان، قدم من القاهرة بولايته، فقرئ توقيعه بعد توقيع السيد حسن بن عجلان، وتضمن استقراره في سلطنة المدينة وينبع وخُلِص والصفراء وأعمالهم، وقرئ بعده مرسوم آخر باستقرار الشريف ثابت وتسليمه المدينة، وإيقاع الحوطة على الشريف جماز، وما تحت يده من ناطق وصامت، وقرئ توقيع من جهة الشريف باستنابة الشريف عجلان بن نعيم على المدينة، ثم تبع طائفة من العسكر جماز بن هبة فلم يدركوه، فتوجه العسكر بعد أيام من المدينة عائداً إلى مكة^(٢).

ووصل السيد عجلان بأثر قدومه إلى المدينة توقيعاً من صاحب مصر يأمره المدينة عوض أخيه ثابت.

وفيهما -في آخرها-^(٣): أخذ السيد حسن من العفيف عبدالله بن أحمد الهبِّي خمسة آلاف مثقال -على ما قيل- عوضاً عن بيت شعر بعثه لصاحب اليمن لما طلب ذلك منه صاحب اليمن، وما كان عَوْضَهُ عن ذلك.

(١) في الأصل: وصحبته. والتصويب من إتحاف الوري (٤٦٤/٣)، والسلوك (٢١٠/٦).

(٢) السلوك (٢١٠/٦).

(٣) إتحاف الوري (٤٦٥/٣). وانظر: العقد الثمين (١٠٦/٤)، وغاية المرام (٢٨٠/٢).

وفي سنة اثنتي عشرة وثمانمائة^(١) وصل الخبر إلى مكة بأن صاحب اليمن أمر بجبس الجلاب عن مكة؛ غضباً على السيد حسن، [بسبب]^(٢) ما أخذ من [سفيره]^(٣) العفيف عبدالله الهبي، فشق ذلك على السيد حسن، فأغراه الحراشي بغزو اليمن وقال له: أنا أقوم [بجهازك]^(٤) وأجمع لك الرجال من اليمن. فتحرّك لذلك، ثم أشير عليه بالملاطفة فمال إليها، وبعث [الشبيكي]^(٥) إلى اليمن رسولاً يعتذر ويلتزم عنه بما يطيب خاطر، فقبل ذلك السلطان، وأذن للناس في السفر، فقدموا ولكن دون العادة.

وفيها^(٦): توجه جابر بن عبدالله الحراشي إلى مصر، ووشى بالسيد حسن إلى الناصر صاحب مصر مع من وشى به، وكان ممن بالغ في ذلك؛ لكونه يعرف حاله لخدمته.

وكان علي بن مبارك بن رميثة بالقاهرة يؤمل إمرة مكة، وقوي رجاءه بها لما انحرف الناصر وتغيّر على السيد حسن، ورسم بالقبض عليه وعلى ولديه، والاحتفاظ بهم، وأسرّ ذلك إلى أمير الحاج المصري الأمير بيسق، فاستعد

(١) إتحاف الوري (٤٦٩/٣). وانظر: العقد الثمين (١٠٦/٤-١٠٧).

(٢) في الأصل: لسبب. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق، والعقد الثمين (١٠٦/٤)، وغاية المرام (٢٨١/٢).

(٣) في الأصل: سفير. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) في الأصل: لجهاذك. والمثبت من إتحاف الوري، الموضع السابق، والعقد الثمين (١٠٧/٤)، وغاية المرام (٢٨١/٢).

(٥) في الأصل: السبكي. والمثبت عن العقد الثمين وإتحاف الوري وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٦) إتحاف الوري (٤٧٠/٣-٤٧٧). وانظر: العقد الثمين (٤٠١/٣).

يسق لحرب السيد حسن، وحصل مدافع وسلاحاً كثيراً، وأشير على السلطان بأن يكون علي بن مبارك مع يسق فيما [ندب]^(١) إليه؛ ليستألف له بني حسن [لثلاً]^(٢) ينفروا منه، وأن يبعث السلطان علي بن مبارك إلى الإسكندرية ليعتقل بها، فإذا خرج الحاج من مصر إلى مكة طُلبَ علي وجُهِز إلى مكة؛ بحيث يدرك أمير الحاج قبل وصوله إلى مكة، وإذا بلغ السيد حسن أن علي بن مبارك اعتقل بالاسكندرية لا ينفر من الأمير يسق، وتتم عليه المكيدة^(٣).

وسار الحاج إلى ينبع، فلما وصل أمير الحاج إلى ينبع أعلن للناس بها أن صاحب مكة معزول، وأنه يريد محاربته.

ثم بعد سفر الحاج من مصر سعيَ عند السلطان في تقرير السيد حسن وولديه في ولايتهم، على أن يخدمه السيد حسن بما يليق بمقامه؛ فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص فيروز الساقى^(٤)، وكتب إلى أمير الحاج بالكفّ عن محاربتهم.

وبلغ السيد حسن بن عجلان في عاشر القعدة عزله وعزل ولديه، فاستعد للحرب، وجمع كثيراً من الخيل والرجال، وما انقضى شهر القعدة إلا وعنده ستمائة فرس وأكثر من ستة آلاف نفر، منهم أربعة آلاف من

(١) في الأصل: يندب. والتصويب من إتخاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٢) في الأصل: لا، والتصويب يقتضيه السياق.

(٣) انظر: العقد الثمين (٢٢٤/٦-٢٢٥).

(٤) فيروز الخازنداري الرومي الساقى. توفي سنة ٨١٤ هـ (انظر عنه: الضوء اللامع

الأعراب غير بني حسن والمولدين [والعبيد]^(١). وتوقع بمكة - لأجل ذلك - فتنة عظيمة، فضاقت منهم لذلك الخواطر، حتى كادت النفوس تبلغ الحناجر.

فبينما هم في كَرْب أتاهاهم من اللطف ما لم يخطر لهم ببال، وذلك أنه وصل مَنْ أخبر بأن صاحب مصر الناصر قد أعاد السيد حسناً وولديه إلى ولايتهم، وبعث إليه بالخلع والعهد مع خادمه فيروز الساقى، وبعد ذلك - يوم أو يومين - وصل فيروز بما معه من العهد والخلع إلى مكة، وألبس صاحبها وولديه الخلع السلطانية، وقرئ عهدهم بعودهم لولايتهم، وتاريخ التوقيع في ثاني عشر القعدة، وسعى عند السيد حسن في عدم مؤاخذه أمير الحاج وتطمينه، [ودخوله]^(٢) مكة والعفو عنه، فأجاب السيد حسن إلى ذلك، على أن يُسَلِّمَ أمير الحاج ما معه من السلاح، فأجاب إلى ذلك أمير الحاج، على أن يعاد إليه سلاحه عند سفره، فأمضى له شرطه، فسَلِّمَ ذلك ودخل مكة، وحضر عند السيد حسن بمثله بأجساد فأحسن ملاقاته، وخرج من عنده وانقبض كل منهما عن الاجتماع بالآخر إلى أن انقضت أيام الحج.

ولم يحج السيد حسن في هذه السنة ولا غالب عساكره، وحج ناسٌ قليلٌ من أهل مكة خائفين، فأصاب الحاج في توجههم إلى عرفة وفي ليلة النحر بمضى قتلٌ ونهبٌ، وذهب للناس أموالٌ كثيرة، وعُقرت جمال كثيرة عند مأزمي

(١) قوله: "والعبيد" زيادة من إتحاف الورى (٤٧١/٣)، والعقد الثمين (١٠٧/٤)، وغاية المرام (٢٨٢/٢).

(٢) في الأصل: ودخول. والمثبت من إتحاف الورى، الوضع السابق.

عرفة، والفاعل لذلك جماعة من غوغاء العرب.

وتوجه أمير الحاج بالحجاج بعد انقضاء أيام التشريق - بعد أخذه سلاحه -، وتأخر فيروز عن الحجاج بمكة لقبض ما التزم به السيد حسن من الخدمة، وذلك ألف زكية^(١) للسلطان غير ما لفيزوز، ومضى فيروز بعد أيام إلى جدة، فشحت [الركائب بحضوره]^(٢)، ووصلت سالمة إلى الطور، ثم إلى مصر، وبيعت بخمسين ألف مثقال فيما يقال^(٣).

ووقفت على أرجوزة بخط خالي الفقيه محيي الدين يحيى بن عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي^(٤) من نظمه، تتضمن هذه القضية، وفيها زيادة ونقصان، فنذكرها لما فيها من الفائدة، وهي:

الحمد لله مجلي الكُرب	بيعة الهادي النبي العربي
محمد المختار ثم المجتبى	جباه ربنا بأنواع الحبي
وبعد يا صاح فاستمع لما	أقوله صدقاً ولا تصمماً
لقد جرى في سنة اثني عشر	من الخطا ما نفى عنا الكرا
واختبط الحجاز طراً وغدا	موسماً مُشْتِئاً منكدا
ما ذاك إلا من أمير الحاج	يُسَقِّهم خليفة الحجاج ^(٥)

(١) الزكية: الغرارة المصرية (الشوال) (المعجم الوسيط ٣٩٦/١).

(٢) في الأصل: الركائب. والتصويب والزيادة من إتحاف الوري (٤٧٢/٣)، والعقد الثمين (١٠٨/٤)، وغاية المرام (٢٨٣/٢).

(٣) انظر: العقد الثمين (١٠٧/٤ - ١٠٨)، وغاية المرام (٢٨١/٢ - ٢٨٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥).

(٤) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢٣٣/١٠).

(٥) هذا البيت مكسور، وكذا الذي بعده، ولا يفتقار وروي القصيدة.

فقام من مصر وأبدى ورَّقَه
 بأن سلطان الحجاز حسنا
 وأطلع الترك على ما أظهره
 فحملوا الأمر على ما ذكره
 وجهز الرايات والثُّشَّابا
 ولم يكن معهم سوى خمسينا
 وتركهم يا صاح بعد شدة
 وسار حتى قد أتى لينبع
 أقام فيها خمسة الأيام
 وأمر المنادي أن ينادي
 فإن مكة أميرها على
 فاخبط الحاج جميعاً وعبّوا
 وقالت الأتراك للأمير
 لو قلت هذا القول في مصر لقد
 فلم نسافر نطلب القتالا
 وكلها دسائس الحراشى
 فسار في الركب إلى الجحفة وقام
 وليس يدري الناس أين سارا
 حتى أتى الشريف من قد أخبرا
 فجمّع الجموع والخيولا
 ما طبق الأرض وسدّ الأفقا
 وعدة الخيل الذي قد جمعا
 وبعدها ستون من سوى التي
 فخيّل نفسه ثلاثون جواد

مضمونها يا صاح زورٌ ثَمَّه
 يَطْلُبُ منه النصر يبغي اليمنا
 وفي الفؤاد سرّه قد أضمره
 ولم يكونوا علموا ما صوره
 حملها الجمال والركابا
 من الخيول بعدها عشرونا
 ثلاثة من المئين عدة
 فاصغ لما قد قلته واسمع وعى
 ولم يكن إذاً من الإمام
 اسمعوا يا معشر العباد
 أمره السلطان فيها أن يلى
 قماشهم في ينبع أيضاً حبّوا
 ماذا الفعال كان بالفقير
 كان لنا رأي نراه في مدد
 ولم نحج لنهلك العيالا
 وفعله ما زال فيها ماشى
 وهم بالهروب والناس نيام
 وأي غُرب قد أتاهم جارا
 عن المنادي وبكل ما جرى
 من كل فج قد أتوا سيولا
 وملاً السهل وعمّ الطرقا
 ثلاثة من المئين إذ دعا
 لم تأت من موسى ومن كنانة
 ومائة يا صاح كله جواد

وعدة الرجال من الأصناف
منهم قريش وكذا الجحادلة
أما هذيل صرخهم^(١) يا صاح
كذا بنو خالد مع سواده
أما مطير مع عدوان فقد
كذا خزاعة وحيان أتوا
لو قيل روس الجبال يا هذى
لكن حلم الطالبي قد غلب
ولم يزل في كل يوم رعب
ثم أتى الحجاج وادي الجحفة
فجاءهم فيروز بالأمان
يخبرهم أن البلاد لحسن
وجاء بالخلعة والمرسوم
والناس في خوف إلى يوم الهلال
يخبرهم بالخير والسلامه
وكان في الثالث من ذي الحجة
فقليل بَيْسَقَ أتى على الدروب
وذهبوا المعلاة ييغون القتال
فوجدوا فيروز جاء في رجيف
قد أخذت ركابهم وسلبوا
وقتل هذيل منهم واحد
في ذلة منكسرين الجانب

اثنان مع ثلاثة الآلاف
كذا بنو ريشة معهم صاهلة
ألف مكملون بالسلاح
وغيرهم من العريب العاده
جاؤا كمثل السيل يرمى بالزبد
ييغون قوماً قد طغوا وقد عتوا
فلم يكن ينجو لديهم من هرب
على الشريف والفقير والعرب
حتى أتى اللطف وزال الكرب
ونزلوا فيها بكل رجفة
من الإمام الناصر السلطان
وضده في الحبس متروك زمن
وردّ فعل الظالم الغشوم
ويوم ثانی جاءهم ابن الجلال
مما يخافون وبالكرامه
والناس في العشا أقامت هجة
فشدت الخيل وسيقت للحروب
وكانت الخلق جميعاً في مجال
فأركبوه ثم من خيل الشريف
ثيابهم وغنموا ونهبوا
ودخل الأتراك كل شارد
وذاك رأي لم يكن بالصائب

(١) المراد: صارخهم أو صرخهم، بمعنى: المغيث والخارج معهم للحرب (هامش إتحاف الوري
٤٧٥/٣).

فَرَدُّ مَا كَانَ عَنْهُمْ قَدْ ذَهَبَ
وعصر ثالث أتوا للعمرة
وقام فيروز يريد صلحا
فقال بدر الدين من يبغى فقد
فلا يقيم يسق بذى البلد
فاتفقوا وأرسلوا القصادا
فسلم الرايات والذي معه
ودخل الحجاج عصر الرابع
 واجتمع الحجاج يوم الخامس
 ولم يزل أميرهم في خوف
وطاف بالسلاح والترك معه
حتى أتى الثامن نادى ندا
إني نصيح لكم يا ذى الأمم
إلا قليل طلبوا الحج فلم
وحج من أم القرى خمسون
كذلك الخلق جميعاً خلفوا
بأن هذا لم يكن جرى لنا
والعيد صلوه بمكة وما
وكان يوم النحر قامت ضجة
فوجدوا ما قيل كله كذب
وذاك من سعد شريفنا حسن

وزال عنهم كل هم ونصب
وقلب كل قد كوي بجمرة
بين الأميرين وكان نجحا
جساء بظلم وبرأسه يرد
إلا بتسليم السلاح والعدد
بكتب قد حوت المرادا
ثمان أجمال أتت مجتمعه
ما بين عطشان وبين جائع
ولم يواسوا [أحداً]^(١) بدارس
طول الثمان نادماً في حيف
قلوبهم من خوفهم منقطع
أن لا يحج أحد فليدر ذا
فلم يحج عرب ولا عجم
يمنعهم فنهبوا وما ظلم
أو نحوها وكلهم يمشونا
في مكة فحزنوا وحلفوا
نحن ولا آبائنا من قبلنا
قط جرى نظير هذا فاعلما
فألبسوا وخرجوا للهجة
ورجعوا بالأمن كل منقلب
ابن النبي والوصى والحسن

(١) في الأصل: أحد. والتصويب من إتخاف الورى (٤٧٦/٣/٣).

الأسد الضرغام والليث الهزبر
 العاقر الكوم لكل ضيف
 عون اليتامى كهف أهل الفقر
 من جَمَلَ الله به البلادا
 وخصه منه بحلم وكرم
 وفضله وجوده لم ينقطع
 أعطاه ربي كل ما قد طلبا
 ما دامت الأرض مع السما
 ثم الصلاة والسلام أبدا
 وآله وصحبه والعتره ما
 والحمد لله على أن كملت
 الفارس الكرار والنقع الممر
 وقاصد الأعدا بكل حيف
 ودافع الأسوا وكل الضر
 وأمن الباري به العبادا
 مشتهراً كالنار في رأس علم
 وغيظه على العدا لم يندفع
 وزاده من فضله ووهبا
 ومالت الأغصان [دوماً]^(١) بالهوى
 على النبي الهاشمي أحدا
 غنى حمام وشدا ترغما
 وعرف مسك ريحها ختمت
 واستمر الشريف حسن وأولاده إلى سنة ثمانى عشرة وثمانائة، ثم عزل^(٢).

ولاية الشريف رميثة بن محمد بن عجلان

وفي سنة ثمانى عشرة وثمانائة^(٣) - في سادس عشر ربيع الأول - وصل الخبر إلى السيد رميثة^(٤) بولايته لإمرة مكة عوض عمه وابنيه - وكان رميثة بالجديد وعمه بمكة - فرغب السيد حسن في أن يُعينه بنو حسن على حرب رميثة قبل أن يصل [إليه]^(٥) المدد من مصر، فما أعانوه، فمضى إلى الشرق، وترك ابنه في البلد وشكراً مولاه، وجماعة من أصحابه. ثم إن القواد العمرة

(١) قوله: "دوماً" زيادة من إتحاف الورى (٤٧٧/٣).

(٢) إتحاف الورى (٤٧٠/٣ - ٤٧٧).

(٣) إتحاف الورى (٥٢٥/٣ - ٥٢٧). وانظر: غاية المرام (٣٠٢/٢ - ٣٠٣، ٤٧٩ - ٤٨٠).

(٤) انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢٣٠/٣)، وغاية المرام (٤٧٤/٢ - ٤٨٣)، وشفاء الغرام

(٣٥٦/٢)، وإنباء الغمر (٥٢٤/٣)، والدر الكمين (٧٣٢/٢ - ٧٣٥).

(٥) قوله: "إليه" زيادة من إتحاف الورى (٥٢٥/٣)، وغاية المرام (٣٠٢/٢).

وترك ابنه في البلد وشكراً مولاه، وجماعة من أصحابه. ثم إن القواد العمرة استدعوه من الشرق وأطعموه بنيل مراده من محاربة ابن أخيه ومن معه، ومضى إليه بعض كبارهم لإحضاره إليهم، فوصل إلى مكة في سلخ جمادى الأولى، وهمّ بالمسير من فوره إلى الوادي لابن أخيه، - وكان نازلاً بالجديد من الوادي -، فمأطله الذين استدعوه، وآخر الأمر أنهم لم يوافقوه على المسير إلا بشيء جيد يأخذونه منه، فلم يسمح به، وعاد إلى الشرق ثانياً في أول العشر الأوسط من رجب، وأقام به مدة، وذهب من هناك إلى المدينة النبوية فزار^(١) جدّه المصطفى ﷺ، وعاد إلى مكة، وتوجه إلى جدة، فأزال منها رميثة وأصحابه - وكانوا قد أقاموا بها بعد رحيلهم من الوادي -، واندفع رميثة إلى جهة الشام.

ووصل الحجاج يائر ذلك، فلام رميثة الحجاج، ووصل معهم مكة؛ لتقرير المؤيد له على ولايته وهو بحلب، وكان قد خرج إليها لقتال بعض أعدائه، فظفر بهم غير واحد أو اثنين، فأقام لتحصيل عدوّه، وبعث مبشراً بالنصر إلى السيد رميثة، فوصله في أول شوال وهو بجدة، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في الخطبة وعلى زمزم إلى استهلال ذي الحجة؛ لاستيلاء السيد حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها في هذا التاريخ وقصد الشُّقَّان^(٢). ودخل السيد رميثة مكة في مستهل الحجة، وقرئ توقيعه ودُعي

(١) الزيارة المشروعة هي للمسجد النبوي للحديث الصحيح : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

(٢) الشقان: جمع شق للدلالة على كثرة الشقوق، وهي كثيرة بين جدة واليث، لها ذكر في القرن الرابع الهجري.

وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ص: ٧٨: وشقان ميقات أهل اليمن في البحر، وهو موضع يقابل يلملم (من إملاء الأستاذ حسن إبراهيم الفقي).

له على زمزم وفي الخطبة، وتاريخ التوقيع رابع عشر صفر، وصرح فيه بأنه ولي نيابة السلطنة بالحجاز عوض عمه، وإمرة مكة عوضاً عن ابني عمه^(١).

وفي سنة تسع عشرة وثمانمائة^(٢) - في أولها - نزل بالجديد من وادي مَرّ، واستولى على غلال أموال السيد رميثة وما قدروا على أخذها منه وهو بالجديد ساكن. فلما كان في صفر وصل وصلت المراكب الكارمية والجلاب الينبعية إلى الشُّقَّان، فأخذ منها السيد حسن زالة^(٣) له وخواصه ثلاثة عشر ألف مثقال ومائتي مثقال، ومكنهم السَّقية من جدة، ومضوا إلى ينبع^(٤).

(١) انظر: العقد الثمين (١٢١/٤)، وشفاء الغرام (٣٥٦/٢).

(٢) إتحاف الوري (٥٣٠/٣). وانظر: العقد الثمين (١٢٢/٤)، وغاية المرام (٣٠٣/٢).

(٣) الزالة: لعلها تعني في اصطلاح ذلك العصر المكس أو الضريبة على المرور والتزود بالزاد والمياه العذبة، أو لعلها الزلة بمعنى العطية، كما في تاج العروس (هامش إتحاف الوري ٥٢٥/٣، وهامش غاية المرام ٣٠٢/٢).

(٤) انظر: العقد الثمين (١٢٢/٤).

ولاية الشريف حسن بن عجلان ثانياً بعد عزل الشريف رميثة

وفيها^(١) - في رجب - بعث السيد حسن ولده بركات ومولاه القائد [شُكراً]^(٢) لاستعطاف المؤيد^(٣) ومعه خيل وغيرها، فقدمها فقبلت منه، وأنزل عند ناظر الخاص، والتزم السيد حسن للمؤيد بثلاثين ألف مثقال، فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة، وكُتِبَ له بذلك عنه توقيع ومثال مؤرخ بثمان عشر رمضان، وجهاز له مع ذلك خلعة مع بعض الخاسكية^(٤) المؤيدية، والنجابة السلطانية، وانتهوا إلى السيد حسن - وهو في ناحية جدة - في أوائل العشر الأوسط من شوال، فبعث السيد حسن إلى القواد العمرة - وكانوا قد بانوا عنه في شعبان، وانضموا إلى السيد رميثة بمكة - يأمرهم بالخروج من مكة، فتوقفوا في ذلك. ولما تحقق أنهم ورميثة ومن انضم إليهم مجتمعون على المقام بمكة قَصَدَهم ، وانتهى إلى وادي الزاهر^(٥) ظاهر مكة في بكرة

(١) إتحاف الوري (٥٣١/٣ - ٥٣٤). وانظر: العقد الثمين (١٢٢/٤ - ١٢٥)، ومناجح الكرم (٤٢٢/٢ - ٤٢٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٣٩)، وغاية المرام (٣٠٨ - ٣٠٤/٢)، ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) في الأصل: شكر. والتصويب من إتحاف الوري (٥٣١/٣)، والعقد الثمين (١٢٢/٤)، وغاية المرام (٣٩٥/٢).

(٣) السلطان المؤيد شيخ المحمودي الظاهري الجركسي، صاحب المدرسة المؤيدية بداخل باب زويلة بالقاهرة (نزهة الأساطين ص: ١٢٧).

(٤) الخاسكية، أو الخاصكية: جماعة السلطان يدخلون عليه في أوقات خلواته وفراغه، ويقومون بخدمة القصر والاسطيل. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية: ٩٥.

(٥) الزاهر: تقدم التعريف به (ص: ٤٣).

يوم السبت ثاني عشر شوال، فخيّم بوادي الزاهر ومعه الأشراف آل أبي نمي^(١)، و[ذوو]^(٢) علي، وذوو عبدالكريم، والأدارسة، وصاحب ينبع الشريف مقبل بن مخبار، في عسكر جاء به معه من ينبع، غير من في خدمته من عبيده ومن الترك، وكان الترك مائة [وعشرين]^(٣) - فيما قيل -، وأرسل إلى مشايخ القوادم [العمرّة]^(٤)، فحضر إليه منهم ثلاثة نفر، فخوّفهم من داهية الحرب، فسألوه أن يمهّلهم هذا اليوم والذي يليه؛ ليلزموا أصحابهم بالخروج من مكة، فأتوا أصحابهم فعرفوهم الخبر، فهُمْ أَكْثَرَهُمْ عَلَى عَدَمِ الْخُرُوجِ، فلم يسع الراغبون في ذلك إلا الموافقة، ولما تحقق ذلك السيد حسن رحل في بكرة يوم الاثنين الرابع عشر من شوال من الزاهر، وخيم بقرب العُسيّلة^(٥)

(١) آل أبي نمي: ينتسبون إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن سليمان، من ولد موسى الجون بن عبد الله المحض ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (انظر: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص: ٣١-٣٣).

(٢) في الأصل: وذوي. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من إتحاف الوري (٥٣١/٣)، وغاية المرام (٣٠٤/٢).

(٣) في الأصل: وعشرون. والتصويب من إتحاف الوري (٥٣١/٣)، والعقد الثمين (١٢٢/٤)، وغاية المرام (٣٠٤/٢).

(٤) زيادة من المراجع السابقة.

(٥) العُسيّلة: بئر من الآبار التي بمنى، وهي في منزلة بني حسن بمنى (هامش إتحاف الوري ٥٣٢/٣).

أعلى الأبطح، وأتى بعض أصحابه إلى رؤوس القوَّاد الحميضات^(١) - وكانوا مع السيد رميثة - فثبطهم عن القتال وخوفهم غائلته، فلم يصغوا لذلك.

فلما كان بكرة يوم الثلاثاء خامس عشري شوال ركب السيد حسن في عسكره - وكانوا فيما قيل ثلاثمائة فارس وأزيد من نحو ألف راجل، وكان الذي بمكة على نحو الثلث من ذلك -، ولما انتهى إلى المعابدة^(٢) بعث إلى الذين بمكة يحذِّرهم^(٣) عاقبة القتال؛ لرغبته في الإبقاء على أكثرهم، فلم يقبلوا نصيحته، ومثَّلهم ومثَّلُه في ذلك كما قيل:

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد
وسار بمن معه حتى دنوا من باب المعلاة، فأزالوا مَنْ كان عليه وقُرْبُه من
أصحاب السيد رميثة بالرمي بالنشاب والأحجار، وعمد بعضهم إلى باب
المعلاة فدهنه، وأوقد تحته النار، فاحترق حتى سقط إلى الأرض، وهذا الباب

(١) الحميضات: تقدم ذكرهم في (ص: ٢٣٥)، هامش رقم (٤).

(٢) المعابدة: تقدم ذكرها في (ص: ٢٢٤)، هامش (٤).

(٣) في الأصل زيادة: عن. وانظر: إتحاف الورى (٥٣٢/٣)، والعقد الثمين (١٢٣/٤)، وغاية

المرام (٣٠٥/٢).

كان عمل بكنباية^(١) من بلاد الهند في سنة ست [وثمانين]^(٢) وسبعمائة، وأهدي للسيد أحمد بن عجلان، وركبه على باب المعلاة السيد عنان بن مغامس في سنة تسع وثمانين لما ولي إمرة مكة بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان. وقصد بعض أصحاب السيد حسن طرف السور الذي يلي الجبل الشامي مما يلي المقبرة، فدخل منه جماعة من الترك وغيرهم، وارقوا موضعاً مرتفعاً من الجبل المشار إليه، ورموا بالنشاب والأحجار من كان داخل الدرب من أصحاب السيد رميثة، فتعبوا لذلك كثيراً، ونقب بعضهم -مما يلي الجبل الذي هم فيه- من السور عند البرج الذي هناك نقباً متسعاً سعتة نحو عشرة أذرع، حتى اتصل الهدم بالأرض، فدخل منه جماعة من الفرسان من عسكر السيد حسن، ولقيهم جماعة من أصحاب السيد رميثة، وقتلوهم حتى أخرجوهم من السور، وقد حصل في الفريقين جراحات، وهي في أصحاب السيد رميثة أكثر، وقصد بعض أصحاب السيد حسن وهم أصحاب عسكر صاحب ينبع [السور]^(٣) مما يلي بركة الصارم^(٤) فنقبوه نقباً

(١) كنباية: ولاية من ولايات الهند قائمة بذاتها، وعاصمتها تسمى بما. وهي ذات أبنية عظيمة، كان يرد منها القماش والتيل واللك الكابلي (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لابن تغري بردي ص: ٢٨٦).

(٢) في الأصل: وثمان. والتصويب من إتحاف الوري (٥٣٢/٣).

(٣) قوله: "السور" زيادة من إتحاف الوري (٥٣٣/٣)، والعقد الثمين (١٢٤/٤)، وغاية المرام (٣٠٦/٢).

(٤) بركة الصارم: هي إحدى بركتين متلاصقتين، وكانتا ببلق سور باب المعلاة ببستان الصارم، وكانتا معطتين، فعمرت إحداها في النصف الثاني من سنة ٨١٣ هـ، وملئت من عين بازان بعد جريها، والذي أمر بعمارها هو الشهاب بركوت المكين (شفاء الغرام ١/٦٢١).

متسعاً، ولم يتمكنوا من الدخول منه، لأجل البركة فإنها مهواة، فنقبوا موضعاً آخر فوقه.

ثم إن بعض الأعيان من أصحاب حسن أجار من القتال - برغبة بعض القواد في ذلك على ما قيل -، وكان السيد حسن كارهاً للقتال، ولو أراد الدخول إلى مكة بكل عسكره من الموضع الذي دخل منه بعض عسكره لقدّر على ذلك، وأمضى الجيرة، فترك القتال، وباتر ذلك وصل إليه جماعة من القضاة والفقهاء والصالحين بمكة، ومعهم ربعات شريفة، وسألوه في كفّ عسكره عن القتال، فأجاب إلى ذلك بشرط أن يُخرج من مكة الذي عانده، فمضى الفقهاء إليهم وأخبروهم بذلك، فتأخروا عنه إلى جوف مكة بعد أن [توتّقوا]^(١) من أجار في كفّ القتال، فدخل السيد حسن من السور بجميع عسكره، وخيّم بين^(٢) بروكتي المعلاة، وأقام هناك حتى أصبح، وفارق السيد رميثة مكة في ليلة الأربعاء، ودخل السيد حسن في بكرة يوم الأربعاء لابساً للخلعة، والعسكر في خدمته، وطاف بالكعبة سبعاً والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغه من الطواف وركعتيه أتى إلى جهة باب الصفا، فقرأ هناك توقيعه بإمرة مكة - وتاريخه ثامن عشر رمضان -، وكتاب السلطان [بذلك]^(٣) بحضرة القضاة والأعيان، وخلق لا يحصون كثرة، وكان

(١) في الأصل: توتّقوا. والتصويب من إتحاف الوري (٥٣٤/٣)، والعقد الثمين (١٢٤/٤)، وغاية المرام (٣٠٧/٢).

(٢) في إتحاف الوري وغاية المرام والعقد الثمين: حول.

(٣) قوله: "بذلك" زيادة من المراجع السابقة.

يوماً مشهوداً، وركب بعد ذلك فدار البلد، ونادى بالعدل والأمان، وكان قد آمن المعاندين له خمسة أيام، فتوجهوا إلى جهة اليمن، وبعث لابن أخيه رميثة بزوادة ومركوب، وانتهى رميثة ومن معه إلى قرب حلي، وعوض السيد حسن لباب المعلاة -عوض الباب المحروق- بباب جديد كان ببعض دوره بمكة، وكان ينقص عن مقدار باب المعلاة، فزيد فيه وأكمّله، وأحكمت الزيادة فيه، وركب في محله يوم الجمعة ثاني عشر القعدة، وأمر السيد حسن بعمارة ما أخرب من السور، فعمر ذلك في بقية شوال وفي أول ذي القعدة، وبعث السيد حسن إلى القواد العمرة يستميلهم، فقدم عليه منهم جماعة أيام الحج وسألوه في مصافاتهم والإحسان إليهم، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يبينوا عن ابن أخيه ويلجئوه للسفر إلى اليمن، فإذا فارق حلي مسافراً لليمن قدموا عليه وأنالهم قصدهم، فأظهروا له الموافقة على ذلك. انتهى ما ذكره ابن فهد.

وقال العلامة الدحلان في خلاصته بعد ذكر هذه الواقعة^(١): ثم إن الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن واصطلحا، فتغير القواد على الشريف حسن وقاموا بنصرة ذوي رميثة بن أبي نمي، وهم أولاد أحمد بن ثقبه بن رميثة بن أبي نمي، وأولاد علي بن مبارك بن رميثة، وأعلنوا ولاية مكة لثقبه بن أحمد بن ثقبه وميلب بن علي بن مبارك، وجعلوا لكل منهما نواباً بجدة، فجهز عليهم الشريف حسن، فهربوا من جدة وقصدوا مكة، فحاربهم نائب الشريف -وهو حسن مفتاح الزفراوي- فقتلوه، وقتلوا معه جماعة، ثم فرّوا إلى جهة اليمن في شوال سنة ثمانمائة وعشرين، وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكاً لوالده، فسرّ بذلك والده، ورشحه للأمر. انتهى.

وقال ابن فهد في حوادث سنة عشرين وثمانمائة^(٢): وفيها -في النصف الثاني من شوال- قدم السيد بركات من مصر في تجمل زائد، وقد التزم عنه وعن أبيه الأمير فخر الدين الأستاذار بمال [للسلطان، فسرّ به]^(٣) والده، وطاف السيد بركات بالكعبة، ودُعي له على زمزم كعادة أمراء مكة، وصار أبوه ينوّه له بالإمرة، ويقول لبني حسن وغيرهم: هو سلطانكم.

(١) خلاصة الكلام (ص: ٣٩-٤٠).

(٢) إتحاف الوري (٥٤٨/٣). وانظر: العقد الثمين (١٢٨/٤)، والسلوك (٤٥٠/٦)، وإنباء الغمر (١٤٢/٣)، وسمط النجوم (٢٧٣/٤)، والضوء اللامع (١٣/٣)، وغاية المرام (٣١٣، ٣٩٦/٢).

(٣) في الأصل: السلطان فسرّه. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق.

وفي السنة المذكورة^(١) - في الحرم - كتب المؤيد صاحب مصر إلى الناصر صاحب اليمن على يد سفيره القاضي مفلح التركماني كتاباً يستعطفه على السيد حسن، وذكر فيه شيئاً من حاله، [فمن]^(٢) الكتاب المذكور:

أما الشريف حسن بن عجلان فإنه بلغنا أنه طابق تسميته بالعكس، [فرسماً]^(٣) بطرده، وقلنا: هذا الكدر لا يليق عند سكان الصفا، فقربنا إليهم المسرة ببعده، وعلمت أهل مكة منا بذلك؛ فأنكرت مشاركته في البيت، وأخرجته من الحرم الشريف، وأغلقت الأبواب وقالت: هيت، وانقطع أمله من [ورود]^(٤) زمزم، وقد [جرعته كؤوس البين]^(٥) مرارة الإصدار، وتيقن قتل نفسه عند خروجه من الديار، ولم [تتعرف]^(٦) به عرفات لما طرد منكراً على وجل، ولا أمكنه أن يقول بعدها: سآوي إلى جبل، وأيقن أن يصاب من كنانة مصر بسهام يبلغ بها المقام الغرض، ويقول ببلاغة وإيجاز: سهم أصاب

(١) إتحاف الوري (٥٤٦/٣-٥٤٨). وانظر: العقد الثمين (١٣٠/٤-١٣٢)، وغاية المرام (٣١٧-٣١٥/٢).

(٢) في الأصل: في. والمثبت من إتحاف الوري (٥٤٦/٣).

(٣) في الأصل: فرسما. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق، والعقد الثمين (١٣٠/٤)، وغاية المرام (٣١٥/٢).

(٤) في الأصل: ورد. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.
(٥) في الأصل: صبر عنه كدوس اليمن. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٦) في الأصل: يتعرف. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين، الموضعان السابقان، وغاية المرام (٣١٦/٢).

وراميه بذى سلم من الحجاز، وعلمنا أن سيفنا المؤيدي لا بد أن يسبق فيه العذل، ويدخله في خبر كان، وتتغص حياته، ويأتيه الموت كأبيه عجلاً.

وَيُمْسِي الْيَمَانِي نَائِماً مِلْءَ كِذَاكَ مَدِيدَ الْبَحْرِ يَمْضِي وَفِي [خده] ^(٣) يُمْسِي السُّرُورَ مَجْدِداً وَيَعْذِبُ مِنْ [عِذاب أرياق] ^(٤) وَأَعْدَاؤُنَا أَعْدَاؤَكُمْ غَيْرَ أَهْمٍ

ومن كثرة التطويل يُخْتَصِرُ الرَّمَحَ بتقطيعه قهراً وَيَتَضَحُّ الشَّرْحَ وللطير في أفنانها بالهنا صَدَحَ [وَشَامَ] ^(٥) بها من لذة الشرب ما يصبح ظلامٌ محاه من صداقته الصبح

ونزل بعد ذلك على الطور، فقال له لسان الحال ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ^(٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ [الطور: ٦-٧]، [وفهم] ^(٦) إغراب سيفنا عن صرفه، فصرف نفسه ولم [يتقو] ^(٧) على الصرف بمانع، وتحقق أنه فعل فاحشة وظلم نفسه، فذكر الله واستغفر لذنبه، واستجار بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٨) إلى آخر الآية [التغابن: ١٤]،

(١) في الأصل: جفته. والتصويب من إتحاف الورى (٥٤٧/٣)، والعقد الثمين (١٣١/٤)، وغاية المرام الموضع السابق.

(٢) في الأصل: زخارفه. وقد كتب على الهامش: لعله: زحافه. وهو الصواب، وهو مصطلح غروض معروف.

(٣) في الأصل: جده. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، الموضع السابقة.

(٤) في الأصل: عيدان ارتفاق. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، الموضع السابقة.

(٥) في الأصل: وتسام. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، الموضع السابقة.

(٦) في الأصل: وفيهم. والمثبت من إتحاف الورى (٥٤٧/٣)، وغاية المرام (٣١٧/٢).

(٧) في الأصل: يتفق. والمثبت من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، الموضع السابقة.

فرأينا العفو أُلِّقَ به، وعلى كل حال فهو شريف، ورتبته في الشرف رفيعة، وقد تاب من ذنبه، وطمع في أن يكون المقام الأحدي شفيعه، والتزم بالتوصل إلى رضا الخواطر الكريمة عليه، ورد الأمانات إلى أهلها؛ ليفوز بالثغات العواطف الناصرية إليه، وأقسَمَ بالبيت العتيق أن يتقرب إلى المقام بإخلاص جديد، وقال: كل أحد يعرف أن الحنوّ الأحدي على الحسن غير بعيد. انتهى. وهذا الكتاب من إنشاء الأديب تقي الدين بن حجة^(١).

وفي سنة إحدى وعشرين وثمانمائة^(٢) بعث السيد حسن ولده السيد إبراهيم إلى بلاد اليمن؛ مستعظفاً لصاحبها الناصر، فعطف عليه كثيراً بعد أشهر كثيرة، وجهّزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة.

وكتب الناصر صاحب اليمن إلى المؤيد صاحب مصر جواب كتابه الذي كتب له في سنة عشرين من جهة السيد حسن.

فمن الكتاب المذكور: وأما الإيماء [إلى]^(٣) الصفح عن الشريف بدر الدين فما كان إلا صديقاً صدوقاً، ورفيقاً [رفيقاً]^(٤)، ثم بدا له في ذلك؛

(١) هو أبو بكر بن علي بن عبدالله، تقي الدين الحموي، ويعرف بابن حجة، أحد كتبة ديوان الإنشاء، مات في سنة ٨٣٧هـ (إنباء الغمر ٥٢٢/٣، والضوء اللامع ٥٣/١١).

(٢) إتحاف الوری (٣/٥٥٨-٥٦٠). وانظر: العقد الثمين (٤/١٣٠، ١٣٢)، وغاية المرام (٢/٣١٥، ٣١٧-٣١٨).

(٣) في الأصل: عن. والمثبت من إتحاف الوری (٣/٥٥٨)، والعقد الثمين (٤/١٣٢)، وغاية المرام (٢/٣١٧).

(٤) في الأصل: رفوقاً. والتصويب من العقد الثمين (٤/١٣٢)، وغاية المرام (٢/٣١٧).

فأخذ ينقص غزل تلك الصداقة بعد القوة، ويحلُّ عُرَى ذلك الرفق عُرْوَة عُرْوَة، ويُحدثُ على التجار كل عام حادثة، وكلما تضجروا من واحدة أتبعها ثانية وثالثة، حتى [تواصلت] ^(١) بشكواه الألسنة، فأردنا إيقاظه من هذه السنّة، بأن [ينقل] ^(٢) موسم التجار إلى ينبع، وأن تشحن المراكب بالمقاتلة صيانةً لها عن التَّبُع، ليعلم أن العدل هدى وعمارة، وأن الجور خراب وخسارة.

ولما حصلت الإشارة الشريفة بتلافي ما فرط منه، وتدارك ما صدر عنه، أرسل ولده وشرط على نفسه هذه الشروط الصادرة، وقد تحاملنا له فيها على التجار ليطيب خاطره؛ فإن زيادتها على ما كان يأخذه سلفه منهم ظاهرة، وأردنا أن يكون تمام ما بدا به المقام الشريف على يديه، ويعرف ما شرط على نفسه لينفذه ويقضي به عليه، وقد رضينا به جميعاً أن يكون هو الحاكم، والآخذ على يد الظالم، وحتى يعلم من يَحُورُ بعد الكُور ^(٣)، ويركب مطية الخُلْف والجور، ويسأله كَتَبَ منشور عن المرسوم الشريف، يعتصم به السفراء والتجار عند الحاجة إليه، ويشار فيه إلى أمير الحاج أن يكون في الوفاء به شاهداً وحاكماً عليه، فما ينتقص أمرٌ أبرمته عنايته، ولا يضل سالك أرشدته هدايته ^(٤). انتهى.

(١) في الأصل: توصلت. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٢) في الأصل: تنتقل. والتصويب من إتحاف الورى والعقد الثمين، الموضعان السابقان.

(٣) أي من ينقص بعد الزيادة، ومنه قولهم: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أي من النقص بعد الزيادة (المعجم الوسيط ٢/٨٠٤).

(٤) العقد الثمين (٤/١٣٢).

وهذا الكتاب من إنشاء شيخنا شرف الدين المقرئ^(١).

وفيها^(٢) - في شهر ربيع الأول - أظهر السيد حسن أنه تخلّى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات^(٣)، بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام، وجلس هو على مفرشة عنده، وأمر من في خدمته بالخلف له، فحلفوا له، فجمّع السيد أحمد بن حسن عن طاعة أبيه، فأرسل إليه أبوه من يستعطفه، ويعده عنه بذهّب ومركوب، فلم يمل السيد أحمد لذلك، واجتمع عليه جماعة من الطماعة ومضوا لجدة، وتخطفوا منها أشياء، ثم إن كثيراً من الذين كانوا معه تخلّفوا عنه؛ لملازمة أقاربهم لهم على ملائمتهم؛ لكون ذلك لا يُرضي أباه، ولما عرف هو ذلك حضر إلى حدّا^(٤)، ونزل بها، ثم دخل في الطاعة، وأقام على ذلك وقتاً، ثم خالف ومضى إلى ينبع، وأتى منها مع الحجاج إلى أبيه بمكة، فلم يرَ ما يُعجبه، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة.

(١) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقرئ، الشرف أبو محمد الشغدري، فقيه اليمن وقاضيه، وناظمها وناثرها. صاحب كتاب عنوان الشرف، المتوفى سنة ٨٣٧هـ (الضوء اللامع ٢/٢٩٢).

(٢) إتخاف الوری (٣/٥٥٥-٥٥٦). وانظر: العقد الثمين (٤/١٢٩-١٣٠)، وسمط النجوم (٤/٢٧٣-٢٧٤)، ومنايح الكرم (٢/٤٢٥-٤٢٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٠)، وغاية المرام (٢/٣١٣-٣١٥، ٣٩٦).

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٢/٣٩٢-٤٦٧)، والضوء اللامع (٣/١٣-١٤)، والدر الكمين (١/٦٤٧-٦٥٤)، وشنرات الذهب (٧/٢٩٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٠-٤٣).

(٤) حدّا: مدينة على الطريق بين مكة وجدة في منتصف الطريق تقريباً. وقد تميز فيقال: حداء، كما يقال: حدة (انظر: معجم البلدان ٣/١٧٣).

وفيه^(١) - في حادي عشر ربيع الأول - وصل من صاحب مصر إلى السيد حسن كتاب فيه إعلامه بقوة عزمه على الحج في هذه السنة، وأمره [بتسليم]^(٢) ما وصل من الغلال إلى جدة، ونقل ذلك إلى مكة والاحتفاظ بذلك، وفيه مطالبة بعشرة آلاف مثقال بقيت عنده من الثلاثين ألف مثقال التي التزم بها للخزانة لما سأل العود إلى إمرة مكة المشرفة، ثم انثنى عزم السلطان في شعبان، وكتب ببيع الغلال المجهزة في البحر.

وفيه^(٣) - في العشر الأول من ربيع الآخر - توجه السيد حسن من مكة قاصداً للشرق، وعدلَ إلى صوب الطائف، فخرب أماكن [بَلْقِيم]^(٤)، والعقيق^(٥)، ووجَّ من وادي الطائف خراباً كثيراً، وهدم حصناً

(١) إتخاف الورى (٥٥٧/٣). وانظر: العقد الثمين (١٣٣/٤-١٣٤)، وغاية المرام (٣٢٠/٢).

(٢) في الأصل والعقد الثمين: بتسليم. والمثبت من إتخاف الورى (٥٥٧/٣)، وغاية المرام (٣٢٠/٢).

(٣) إتخاف الورى (٥٥٧/٣-٥٥٨). وانظر: العقد الثمين (١٣٣/٤)، وغاية المرام (٣١٩/٢).

(٤) في الأصل: بالقيم. والتصويب من إتخاف الورى (٥٥٧/٣)، والعقد الثمين وغاية المرام، الموضوعان السابقان.

وَلُقِيم إذا تجاوز عقيق الطائف بلدة الطائف سمي لُقِيمًا، فأعلاه لقيم الأعلى، وأسفله لقيم الأسفل، وهو واد زراعي تكثر فيه الأعناب والرمان والخضار، وجلّ ملكه للأشراف العبادة (معجم معالم الحجاز ٢٦٣/٧).

(٥) عقيق الطائف: واد يأخذ من جبل الغمير الذي يظلّل الطائف وقت الأصيل ثم يمر بطرف الطائف من الغرب والشمال، وعليه أحياء من الطائف، ثم يعدل شمالاً فإذا وصل إلى الحوية سمي شَرَب، وملاكه الأشراف وخاصة العبادة، وفيه أخلاط من عتية، والحمدة من ثقيف ملاكه الأصليين (معجم معالم الحجاز ١٣٠/٦-١٣١).

لعوف بليّة^(١)، وسبب ذلك: توقّف أهل الأماكن المشار إليها^(٢) عن تسليم ما قرّره عليهم من القطيعة [لزيادتها]^(٣) على العادة مع ما هم فيه من ضيق الحال بسبب الجباية التي أخذها منهم في العام الماضي، ومع ذلك فما وسّع أهل الأماكن المشار إليها إلا استعطافه وتسليم ما رضىه، واتهموا جُويعد بن نمير صاحب [أي]^(٤) الأخيلة بأنه أغرى بهم السيد حسن بن عجلان، فلما عاد السيد حسن من الشرق إلى مكة خادعوا جويعد بن نمير، واستحضروه إليهم بقرية السلامة^(٥)، ومنعوه الخروج من المنزل الذي اجتمعوا فيه، وقصد طائفة كثيرة منهم حصنه [أبا الأخيلة]^(٦)، فأخربوه خراباً فاحشاً، ثم أطلقوه سالماً في بدنه.

(١) لية: واد فحل من أودية الحجاز الشرقية، له ما يزيد على عشرين رافداً كبيراً، يمر جنوب الطائف على ١٥ كيلا، ويأخذ سيله من شفا بني سفيان وشفا هذيل، ثم يتجه شرقاً متعرجاً إلى الجنوب الشرقي حتى يذهب ماؤه في سبخ البرث قرب حضن، وهو في أعلاه لثيف، وبعض فروعه لهذيل، وأسفله للأشراف العبادلة والعصمة من عتية، ويسمى أسفله وادي عدوان (معجم معالم الحجاز ٢٧٢/٧-٢٧٣).

(٢) في الأصل: إليهم. والتصويب من إتحاف الوري (٥٥٧/٣)، والعقد الثمين (١٣٣/٤).

(٣) في الأصل: بزيادتها. والتصويب من العقد الثمين وإتحاف الوري وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٤) زيادة من إتحاف الوري (٥٥٨/٣)، والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٥) قرية السلامة: من قرى الطائف، كثيرة البيوت والبساتين، وبها عين، وكان يزورها أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب أهلها، وضربت في سنة ١٠٨٠ هـ، وهدمت بيوتها في مدة يسيرة، ولم يبق منها إلا القليل، وأصبحت عبرة لمن يعتبر (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص: ٨٧). وفي معجم معالم الحجاز (٢١٨/٤): ألما حي من أحياء الطائف، بها مسجد ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في الأصل: بالأخيلة. والمثبت من العقد الثمين وإتحاف الوري وغاية المرام، المواضع السابقة.

وفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة^(١) - في آخر اليوم الثاني عشر من ربيع الأول - توجه السيد حسن لصوب الشرق؛ لأنه بلغه أنه كثير المطر، وليقوى به أمر العسكر الذين أرسلهم إلى الطائف وليّة لقبض القطيعة التي قرّرها على أهل الطائف وليّة، فلما وصل العسكر أخربوا أماكن [بلقيم]^(٢)، والعقيق، ووجّ^(٣) - من وادي الطائف -، وأمر بإخراجه حصن الطائف المعروف بحصن الهجوم [بسعي]^(٤) جماعة من الحمدة^(٥) عنده في ذلك، فأخرب جانب كبير منه، وأعان المخربين له على إخراجه، وذلك أن بعض أعيان عسكر الشريف استدعوا بعض أعيان أصحاب الحصن، فحضرُوا إليهم وهم لا يشعرون بما يريدُه عسكر الشريف، فلما أوثقهم عسكر الشريف ساروا لإخراجه الحصن، فرماهم منه بعض النسوة اللاتي به، وكادوا^(٦) يحمونَه، ثم قيل لمن فيه: إما أن تسلموا الحصن، وإلا ذبحنا الذين عندنا منكم، فرقّ لهم الذين

(١) إتحاف الوري (٥٦٣/٣ - ٥٦٤). وانظر: العقد الثمين (١٣٤/٤ - ١٣٥)، وغاية المرام (٣٢١/٢ - ٣٢٢).

(٢) في الأصل: بالقيم. والتصويب من إتحاف الوري (٥٦٣/٣)، والعقد الثمين (١٣٥/٤)، وغاية المرام (٣٢١/٢).

(٣) وجّ: واد من أودية الطائف، قيل إنه أحدث في وادي وج قرية في المائة السادسة من الهجرة، وقيل: إنها قرية قديمة دمرت، ثم عمّرت في المائة السادسة (إهداء للطائف ص: ٨٨).

(٤) في الأصل: فسعى. والتصويب من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٥) الحمدة: فرع صغير من ثقيف في وادي الغيم ونواحيه من الطائف الشمالي. والحمدة أيضاً:

بطن من بني جاهل من ثقيف ترعة (معجم قبائل الحجاز ص: ١٢٠).

(٦) أي من بالحصن من المدافعين عنه.

بالحصن وسلّموه، فهدم. ثم سعى أصحابه عند الشريف في أن يقف عسكره عن هدمه وفي عمارته، فأجابهم لقصدهم، وأعادوا كثيراً مما هدم بالبناء، وأمر بإخرااب الموضع المعروف [بأم السُّكاري]^(١)؛ -جبل بالسلامة من وادي الطائف-؛ لأن الذين بنوا فيه من الحمدة هم الذين قاموا في هدم حصن [أبي]^(٢) الأخيلة "حصن جويعد"؛ لانتمائه إلى الشريف، فهدم ذلك هدماً دون هدمه الأول، وعاد الشريف إلى مكة بعد أن صارت إليه القطيعة التي قررها على أهل الطائف وليّة، وسلك في طريقه طريق نخلة اليمانية.

فلما كان بالزيمة منها أمر بقطع نخيل فيها وإخراابها؛ لعنّيه [أمراً]^(٣) على أهلها، فاستعطفوه وهادوه بخيل، ومضى منها إلى سؤلة^(٤)، ثم إلى خيف بني عُمر^(٥)، ثم إلى

(١) في الأصل: المعروف بالسكاري. والتصويب من العقد الثمين (١٣٥/٤)، وإتحاف الوري (٥٦٤/٣)، وغاية المرام (٣٢٢/٢).

وأم السكاري: هي الهضبة المنقادة في الأرض المطلة على حي قَرْوَى من الجنوب، في الطائف (معجم معالم الحجاز ٢١٢/٤).

(٢) زيادة من إتحاف الوري والعقد الثمين وغاية المرام، المواضع السابقة.

(٣) قوله: "أمراً" زيادة من إتحاف الوري (٥٦٤/٣)، والعقد الثمين (١٣٥/٤)، وغاية المرام (٣٢٢/٢).

(٤) سؤلة: قلعة على رابية بوادي نخلة، تحتها عين جارية ونخل، وهي لبني مسعود، بطن من هذيل (معجم البلدان ٢٨٥/٩).

وقال البلادي في معالم مكة التاريخية (ص: ١٣٩): سؤلة: عين جارية بنخلة اليمانية أسفل من الزئمة، عند مصب وادي سُبُوحَة في نخلة اليمانية، وهي والزئمة قريتان بنخلة اليمانية.

(٥) قال البلادي في معجم معالم الحجاز (٨٥/١٠): خيف بني عمر: هو ما يعرف بالزبارة، وقد تقدم، غير أنني رأيتهم يطلقون هذا الاسم كثيراً، وصاروا يسمون ما كان يعرف بوادي المسد، يسمونه وادي بني عمر، وهو ما بعد مجمع النخلتين وأسفل من مر الظهران. وبنو عمر قبيلة من قبائل هذيل تسكن هذا الوادي.

المبارك^(١)، ثم إلى وادي مرّ، وأتى إلى مكة في أثناء رجب.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة^(٢) - في رابع عشر صفر - وصل كتاب من المؤيد صاحب مصر للسيد حسن يتضمن عتبه عليه في أمور، منها: أخذه الموجب من المتاجر السلطانية، فإن في المراكب المشار إليها حملاً منسوباً لصاحب مصر.

ومنها: كونه [كان]^(٣) في العام الماضي يشتري ما يرد بجدة من الحب والتمر ويخزّنه ويبيعه للناس.

ومنها: تأخره إرسال العشرة آلاف المتبقية عليه للخزانة السلطانية المؤيدية مما التزمه لها حين ولي مكة في سنة تسع عشرة^(٤).

وفي الكتاب عتب قوي لتأخيره إرسال هذا المبلغ، وكلمات مزعجة للناظر، منها ما معناه: ولا [تظن]^(٥) أن إهمالنا لك عجزٌ عن حصولك في قبضتنا الشريفة، وإنما لما أحسنت منك السيرة في بعض الأمور قلنا: لعل الله

(١) المبارك: واد عظيم، به عين جارية في وادي الرّبارة، وهو بين وادي مر ونخلة، يبعد عن مكة (٣٥) كيلاً شمالاً (انظر: العقد الثمين ٣٧٧/٢، ومعجم معالم الحجاز ١٢/٨).

(٢) إتحاف الوري (٥٧١/٣ - ٥٧٢). وانظر: العقد الثمين (١٣٧/٤ - ١٣٨)، وغاية المرام (٣٢٣/٢ - ٣٢٤).

(٣) قوله: "كان" زيادة من إتحاف الوري (٥٧١/٣)، والعقد الثمين (١٣٧/٤)، وغاية المرام (٣٢٤/٢).

(٤) في إتحاف الوري: سبع عشرة.

(٥) في الأصل: يظن. والتصويب من إتحاف الوري (٥٧١/٣)، والعقد الثمين (١٣٧/٤)، وغاية المرام (٣٢٤/٢).

أن يُحسن في الباقي. فانزعج خاطر السيد حسن لذلك كثيراً، وحمله ذلك على التنصل من إمرة مكة، فكتب يسأل في تفويضها لولديه بركات وإبراهيم، وذكر أنهما يقومان للخزانة بالعشرة آلاف المثقال المطلوبة منه عند ولايتهما، وأنهما أولى بالإمرة منه؛ لقوتهما، ولضعف بدنه، وحبه للعبادة^(١)، وذكر أنه لم يأخذ موجباً من المتاجر السلطانية، وأنه لم [يَشْتَرِ]^(٢) ما اشتراه من الحب والتمر في العام الماضي لقصد الاحتكار، وإنما اشتراه لحاجته إليه؛ لنفقته ونفقة عسكره. فلما رأى اضطراب الناس بآعاه عليهم، فكان في خزنه لذلك ويبيعه [نفع]^(٣) للناس. انتهى.

وفي خلاصة الكلام^(٤): وفي سنة ثمانمائة وثلاث وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تفويض إمارة مكة لولديه: بركات وإبراهيم، وتنصل عن الإمارة؛ لرغبته في العبادة لكبره وضعفه، وتوجه عقب الإرسال إلى حلي في شهر صفر، فوصل جوابه ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمانمائة وأربع وعشرين، وجاء عهد مكة له ولابنه بركات، ولم يسمح بها لإبراهيم، فحصل التناحر بين الأخوين، فخرج إبراهيم إلى اليمن، ثم جاء

(١) سمط النجوم (٢٧٤/٤).

(٢) في الأصل: يشتري. والتصويب من إتحاف الوري (٥٧٢/٣)، والعقد الثمين (١٣٧/٤)، وغاية المرام (٣٢٤/٢).

(٣) في الأصل: نفعا. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق، والعقد الثمين (١٣٨/٤)، وغاية المرام، الموضع السابق.

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٤٠). وانظر: إتحاف الوري (٥٧٩/٣-٥٨١)، ومنايح الكرم (٤٢٦/٢-٤٢٩).

ومعه جمعٌ من الأشراف وغيرهم، ودخل مكة وألزموا المؤذن بالدعاء له، فدعا له الخطيب مع أخيه وأبيه بالكراه عليهما.

واستمر الأمر على ذلك سنة ثمانمائة وست وعشرين، فأمر الشريف حسن بترك الدعاء لابنه إبراهيم؛ لأنه أمره بمباينة ذوي راجح، فلم يفعل.

وجاءت خلعتان للشريف حسن وابنه بركات من صاحب مصر الملك المظفر بن الملك المؤيد، وجعل للشريف حسن ألف أحرر تُحمل إليه من مصر في مقابلة تركه المكوس على الخضروات بمكة، وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين المسجد الحرام. ثم ولي مصر السلطان برسباي، فجعل إمارة مكة للشريف رميثة بن محمد بن عجلان، وكان باليمن، فلم يصادف الأمر محلاً، وكان أمير الحاج فيروز الناصري، فدخل مكة وهو في غاية الوجع والخوف، وكان يظن عدم مقابلة الأشراف له فتسقط حرمة، فخرج الشريف حسن إلى لقاء المحمل على جري العادة، ولبس الشريف الوارد، ثم قابل الأمير المذكور مقابلة خاصة، وقال له: بلغنا أن مولانا السلطان عزلنا عن إمارة مكة لكلام الحساد [الباطل]^(١)، فلما بلغنا ذلك لم نفعل فعل أهل الظلم والجور الذين إذا بلغهم عزلهم نبهوا البلاد وأضرّوا العباد، فأجابه الأمير بأن هذه بلدكم خلفاً عن سلف، وأن مولانا السلطان محبّ لهم، وسوف

(١) في الأصل: والباطل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٤٠).

تعلمون صحة قلبي إذا رجعت وجاءتكم المكاتيب [منه]^(١) بعدم صحة ما نقل لكم عنه. فلما أن سافر الأمير المذكور أرسل معه الشريف هدية عظيمة للسلطان، فلما وصل الأمير إلى مصر وذكر للسلطان ما قاله الشريف حسن وأخبره بما وقع من تحرره من الفتنة، وحفظه للحاج، وقدم له الهدية رضي السلطان، فأرسل إلى الشريف حسن بالتأييد والاستمرار، وقضى جميع مطالبه.

ولاية الشريف علي بن عنان بن مغامس على مكة

وفي سنة ثمانمائة وسبع وعشرين توجه الشريف علي بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نغي^(٢) إلى مصر فولاه السلطان برسباي إمارة مكة، فورد من مصر ومعه عسكر جرّار، فدخل مكة سادس جمادى الأولى من السنة المذكورة، وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته. انتهى ما في الخلاصة^(٣).

وقال الفاسي في شفاء الغرام^(٤): ولي إمرة مكة السيد علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسيني بمفرده سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وتوجه إليها من مصر صحبة العسكر المنصور الأشرفي، واستولى على مكة بغير قتال؛ لأن السيد حسن وابنه وجماعتهم فارقوها، ودخل السيد علي بن عنان إلى مكة

(١) قوله: "منه" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٤٠).

(٢) انظر ترجمته في: غاية المرام (٤٨٣/٢-٤٨٧)، وشفاء الغرام (٣٥٨/٢).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٤١). وانظر: منائح الكرم (٤٣١/٢-٤٣٢)، وغاية المرام (٤٨٥/٢)،

وإنحاف الوري (٦٠٥/٣).

(٤) شفاء الغرام (٣٥٨/٢). وانظر: سمط النجوم (٢٧٤/٤).

لابساً خلعة الولاية، ضحوة يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وطاف بالكعبة المعظمة سبعاً والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغه من صلاة الطواف قُرئ توقيعه بالولاية بظلّ زمزم، وفيه: أنه ولي إمرة مكة عَوْضَ السيد حسن بن عجلان، وركب بعد ذلك من باب الصفا، ودار في شوارع مكة والخلعة [عليه]^(١)، ثم مضى في ثالث يوم إلى جدة لتنجيل^(٢) ما وصل إليها من الهند وغير ذلك، ورفق بالقادمين، وعاد بالعسكر إلى مكة في سابع جمادى الآخرة، وضربت باسمه السكّة، وابتدأت الخطبة باسمه في سابع جمادى الأولى.

رجوع الشريف حسن في الإمارة

وفي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة^(٣) غُزل السيد علي بن عنان عن إمرة مكة المشرفة، ورسم السلطان الأشرف بطلب السيد حسن بن عجلان إلى الأبواب الشريفة، وتقدم له بذلك القاضي نجم الدين بن ظهيرة من عقبة أيلة، ومعه دواidar أمير المحمل في هذا العام الأمير [تغرى]^(٤) بردى المحمودي،

(١) في الأصل: عليها. والتصويب من شفاء الغرام، الموضع السابق.

(٢) التنجیل: إنزال التجارة من السفن إلى البر، وهي كلمة شائعة على ألسنة سكان جدة (هامش شفاء الغرام ٣٥٨/٢).

(٣) إتحاف الوری (٦٢٢/٣-٦٢٣). وانظر: العقد الثمين (١٥١/٤-١٥٢)، ودرر الفرائد (٤٤٢/١-٤٤٣)، وسمط النجوم (٢٧٥/٤)، وغاية المرام (٣٤٥/٢-٣٤٧).

(٤) في الأصل: تغر. والتصويب من إتحاف الوری (٦٢٢/٣)، والعقد الثمين (١٥١/٤)، وغاية المرام (٣٤٦/٢). وانظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢٩/٣).

فذهبا إلى السيد حسن [باليث]^(١) وأخبراه برضى السلطان عليه، وبشرّاه بالبلاد إن قابل الحمل ووطئ البلاد والبساط، وطمّنا خاطره، فبعث معهما ولده السيد بركات، فاجتمع بأمر الحاج -وقد نزل بطن مرّ- في ثامن عشري القعدة، فسّرّ بقدمه، ودخل به مكة أول ذي الحجة، وحلف له بين الحجر الأسود والملتزم أن أباه لا يناله مكروه من قبله ولا من قبل السلطان، فعاد إلى أبيه وقدم به معه مكة يوم الأربعاء رابع ذي الحجة، وخرج للقاءه أمير الحاج، والأمير قرقماس، وأمير الأول، وجماعة من في الركب من أعيان المملكة، ودخل مكة المشرفة في خدمة الأمراء والأعيان، فابتدأ بالطواف، وحلف له أمير الحاج ثانياً، والتزم له رضى السلطان عليه، وطمّن خاطره، وألبسه التشريف السلطاني، وقرّره في إمارة مكة على عادته. ثم حج الشريف حسن في محفّة^(٢) أعطاهها له أمير الحاج، وحج الناس وهم طيبون.

وتوجه السيد حسن إلى القاهرة في الحفّة صحبة أمير الحاج وصحبته عتيقه شُكر، واستخلف ولده السيد بركات على مكة، وتجهز الأمير قرقماس وبعض الأتراك وصحبتهم السيد علي بن عنان إلى القاهرة.

(١) في الأصل: بالييت. والمثبت من إتخاف الورى وغاية المرام، الموضعان السابقان. والليث: واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز (معجم البلدان ٢٨/٥) وهي إمارة ذات قرى كثيرة من إمارات مكة (المعجم الجغرافي ص: ١٠٧٤).

(٢) المحفّة: كرسيان من الخشب يجلس فيهما راكبان على مثل جلوسهما على الكرسي، ويكون وجههما إلى رأس الحمل (الرحلة الحجازية للبتوني حاشية ص: ٢٦٨، والملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ص: ٩٢).

وفي سنة تسع وعشرين وثمانمائة^(١) - في رابع عشري المحرم - وصل السيد حسن بن عجلان إلى القاهرة بعد أن أمر السلطان أعيان الدولة من أمرائه ومباشره بتلقيه وإعزازة وإكرامه، فلما أن حضر بين يدي السلطان أنعم عليه بالخلع والإنعامات، وقدم له كلّ واحد من أركان الدولة التقاديم^(٢) والضيافات، وأهدوا له الخيول المسوّمة، والسروج المغرقة^(٣)، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، وفرح به السلطان وأحبه وأكرمه، وأقبل عليه إقبالاً كلياً.

فلما كان في سابع عشري المحرم - ويقال في العشرين من جمادى الأولى - قرّره السلطان في إمرة مكة، والتزم بثلاثين ألف دينار، وبعث عبده زين الدين شكراً إلى مكة لحفظ ساحل جدة ومتحصلها، ولتجهيز العسكر المقيم بها، فوصل شكر إلى مكة، وجهاز العسكر. ثم رسم السلطان للسيد حسن بالتوجه إلى مكة وجهازه، فبرز ثقّله^(٤) خارج الديار المصرية، فاعترض له الضعف فعاد إلى القاهرة، ومكث بها أياماً يسيرة، ثم توفي في ليلة الخميس سابع عشر^(٥) جمادى الآخرة. انتهى.

(١) إتحاف الورى (٦٣٠-٦٢٧/٣). وانظر: العقد الثمين (١٥٢/٤-١٥٣)، وغاية المرام (٣٤٧/٢-٣٤٩)، ودرر الفرائد (٤٤٥/١-٤٤٦)، وسمط النجوم (٢٧٦-٢٧٥/٤).

(٢) التقاديم: مصطلح في ذلك العصر، يعني ما يقدم من الهدايا (هامش إتحاف الورى ٦٢٧/٣، وهامش غاية المرام ٣٤٧/٢).

(٣) المغرقة: أي المحلاة بالذهب والفضة (هامش إتحاف الورى، الموضع السابق).

(٤) الثقل: المتاع (لسان العرب، مادة: ثقل).

(٥) في العقد الثمين: سابع عشري.

وفي الخلاصة^(١): كانت ولاية الشريف حسن سنة سبعمائة وخمس وسبعين وكانت مدة ولايته انفراداً ومشاركةً لابنه بركات ستة عشر سنة وشهوراً.

وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة. بنى بمكة رباطاً للرجال وآخر للنساء، ولم يكن بمكة من يدانيه في جوده وكرمه، وكان من الفضلاء، أجاز به بالتحديث جماعة من علماء مصر والشام، وخرج له التقي ابن فهد أربعين حديثاً، ومدحه كثير من الشعراء، منهم: العلامة شرف الدين إسماعيل ابن المقرئ صاحب الروض والإرشاد في مذهب الشافعية، وله في مدحه قصائد، منها قصيدة مطلعها^(٢):

أحسنتم في تدبير ملكك يا حسن وأجدت في تحليل أخلاط الفتى

انتهى.

وقال ابن فهد^(٣): فلما توفي السيد حسن وصلت النجاة من القاهرة صحتهم المراسيم إلى الشريف بركات وأخيه إبراهيم ابني حسن ابن عجلان تتضمن: الحضور إلى الأبواب والتأكيد في ذلك، وأنها إن لم يحضرا كلاهما -أو أحدهما- يُخرج عنهما السلطان البلد إلى غيرهما،

(١) خلاصة الكلام (ص: ٤١). وانظر: سمط النجوم (٢٧٦/٤)، ومنايح الكرم (٤٣٧/٢)، (٧/٣)، والمشهور أن ولاية الشريف حسن كانت سنة ٧٩٧هـ، واختلف في مدة ولايته. انظر: العقد الثمين (٨٦/٤)، الضوء اللامع (١٠٣/٣)، غاية المرام (٢٤٧/٢).

(٢) انظر القصيدة بأكملها في: سمط النجوم (٢٧٦/٤-٢٧٨).

(٣) إتخاف الورى (٦٣٠/٣، ٦٣٢). وانظر: العقد الثمين (١٥٣/٤)، وغاية المرام (٣٤٩/٢-٣٥١).

فتجهز السيد بركات وأخوه إبراهيم في أثناء السنة إلى القاهرة، وخلفاً بمكة أخاهما أبا القاسم يحفظها، وبجدة زين الدين شكراً يحفظ متحصّلها، وسافرا إلى القاهرة، ووصلها في الثالث عشر من رمضان، وحضرا بين يدي السلطان فأكرمهما، وخلع عليهما خلعتين.

ولاية الشريف بركات بن حسن

وفوضت إمرة مكة إلى السيد بركات في السادس عشر، على أن يقوم بما تأخر على والده، وهو مبلغ [خمسة وعشرين ألف دينار؛ فإنه كان قد حمل قبل موته -من الثلاثين ألف دينار التي التزم بها^(١)- خمسة آلاف دينار، وألزم السيد بركات بحمل عشرة آلاف دينار في كل سنة، وأن لا يتعرض لما يؤخذ من جدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره^(٢).

وألزم السلطان السيد إبراهيم بموافقة أخيه بركات، وعاهد بينهما، وأخذ على إبراهيم العهود والمواثيق أن يكون طائعاً أخاه، ولا يخالف في البلاد، وحلف إبراهيم له على ذلك، وخلع عليهما خلعة التسفير، وتجهزا إلى مكة، وسافرا في حادي عشر شوال، فوصلا مكة في أول العشر الأوسط من ذي

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتخاف الورى (٦٣٢/٣)، وغاية المرام (٣٥٠/٢-٣٥١)، والسلوك

(١٣٨/٧-١٣٩)، والنجوم الزاهرة (٢٩٨/١٤).

(٢) انظر: العقد الثمين (١٥٣/٤)، والنجوم الزاهرة (٢٩٨/١٤)، وبدائع الزهور (١٠٧/٢)، والسلوك (١٣٨/٧-١٣٩).

القعدة، وقرئ عهد الولاية للسيد بركات، وطاف بالكعبة، ونودي له على زمزم، وأُلبس التشريف بالمسجد الحرام.

وحج في هذه السنة من الأعيان: الطواشي ياقوت مقدم الممالك، وتأخر بمكة بعد الحج حتى قبض من السيد بركات مبلغ ثلاثة عشر ألف دينار مما ألزم به السيد بركات^(١).

وفي سنة ثمانمائة واثنين وأربعين^(٢) - في الموسم - حصل بين السيد بركات وأخيه السيد علي منافرة، فسافر السيد علي صحبة الحاج ومعه الشريف ثقبه بن أحمد إلى القاهرة، فتوجه ثقبه إلى الروم، وأقام السيد علي بن حسن بالقاهرة.

وفي سنة أربع وأربعين وثمانمائة^(٣) ورد كتاب السلطان إلى السيد بركات ابن حسن بن عجلان بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة، فأراد السفر، فاجتمع به التجار والمجاورون وأهل مكة، فسألوه ورغبوه في أن يقيم ولا يسافر، فإنه متى سافر لا يأمنون على أنفسهم، وأنه يعرض ذلك على الآراء الشريفة، فإن اقتضت أن يحضر حضر، [أو أن] يقيم أقام، وكتب بذلك محضراً، وكتب الأمير سودون كتاباً بذلك إلى السلطان، ويشير بأن المصلحة في إقامة السيد

(١) إتحاف الوري (٣/٦٣٢-٦٣٣).

(٢) إتحاف الوري (٤/١٣٠)، وانظر: الدر الكمين (٢/١٠١٦)، وغاية المرام (٢/٤٩٠)، ومناجح الكرم (٣/٢٩).

(٣) إتحاف الوري (٤/١٦١). وانظر: غاية المرام (٢/٤١٧-٤١٨)، والسلوك (٧/٤٦٤، ٤٧٤)، والدر الكمين (١/٦٤٩).

(٤) في الأصل: "وأن". والمثبت من إتحاف الوري (٤/١٦١)، وغاية المرام (٢/٤١٨).

بركات بمكة وعدم سفره، وكتب السيد بركات بأن يحمل الخزانة الشريفة من صُلب ماله عشرة آلاف دينار عن^(١) نفسه، وخمسة آلاف عن ذوي شكر وشُميلة، فوصل ذلك إلى السلطان في يوم السبت خامس عشري^(٢) جمادى الأولى، فأذن السلطان للسيد بركات في الإقامة بمكة، وأعفى من الحضور، وجُهِّزَ له تشريف، وأذن لذوي شكر بأن يدخلوا مكة وجدة على جاري عادتهم، ووصل القاصد إلى مكة في رجب بهذا الخبر، فجَهِّزَ الشريف بركات للسلطان فللاً بخمسة عشر ألف دينار في البحر المالح إلى الطور. وفيها^(٣): كتب السلطان لأمير مكة وأمير المدينة وأمير ينبع، بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب في كل سنة، وأكد السلطان على الأمراء أن لا يأخذوا منهم شيئاً، فما أجمل هذا وأحسنه لو عمل به.

ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة

وفي سنة خمس وأربعين وثمانمائة^(٤) - في أواخر ربيع الأول - وصل قاصد من القاهرة إلى السيد بركات أن يحضر إلى القاهرة، فاستعفى عن الحضور مع قاصد له يسمى: السكيكي، وأرسل معه عدّة أوراق، فخامر عليه القاصدُ

(١) في الأصل زيادة: ماله. وانظر: إتحاف الورى وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٢) في إتحاف الورى: خامس عشر.

(٣) إتحاف الورى (١٦٣/٤). وانظر: غاية المرام (٤٢٠/٢)، ودرر الفرائد (ص: ٣٢٨)، والسلوك (٤٧٤/٧).

(٤) إتحاف الورى (١٧٠/٤ - ١٧١). وانظر: غاية المرام (٤٢١/٢ - ٤٢٢).

ولم يوصلها، وأرسل السيد بركات عينا له يبيع سعيداً^(١) وعلياً ابني محمد بن مفلح البُلَني يتجسّسان له أخبار مصر، وهما مقيمان عند صاحب يبيع السيد صخرة^(٢) يظهران أهما وافدان عليه، لأنه كان بينه وبين أبيهما صحبة. فلما تحقّق السيد صخرة أهما عينان للشرّيف بركات أخرجهما عن بلده، فأقاما عند ابن [دُوَيْر] ^(٣) بقرب بدر، فبعد أيام وردَ عليهم مَزْرُوع -من مولدي ذوي عجلان- وأخبرهم بولاية السيد علي بن حسن لإمرة مكة، فتوجّها إلى السيد بركات، فوصلا إليه في رابع^(٤) رجب -وكان مقيماً بوادي الآبار^(٥) من الموسم- وأخبراه بذلك، فتوجه إلى صوب اليمن، ووصل مزروع إلى مكة المشرفة في ضحى يوم الأربعاء رابع عشر رجب، وأخبر بولاية السيد علي بن حسن بن عجلان الحسني لإمرة مكة عوضاً عن أخيه بركات، وقطع الدعاء للسيد بركات من ليلة الخميس، ودُعِيَ لصاحب مكة ولم يُعَيَّن اسمه، ثم في ليلة الجمعة سلخ رجب دُعِيَ للسيد علي بن حسن، واستمر الدعاء له، فلما كان قرب العصر من يوم السبت مستهل شعبان، دخل السيد علي بن حسن مكة المشرفة محرماً، وطاف وسعى، ثم عاد في ليلة الأحد إلى الزاهر

(١) كذا في الأصل وغاية الرمام، وفي إتخاف الوري: محمداً.

(٢) هو صخرة بن مقل بن نخار، أمير يبيع. مات سنة ٨٤٦ هـ (الضوء اللامع ٣/٣١٧).

(٣) في الأصل: دويغر. والتصويب من إتخاف الوري (٤/١٧٠)، وغاية الرمام (٢/٤٢١).

(٤) في إتخاف الوري: تاسع.

(٥) وادي الآبار: على طريق اليمن على بعد ٩٠ كلم جنوب مكة المكرمة. وكان يُعدّ المرحلة الأولى على طريق اليمن القديم، وسمي بذلك؛ لكثرة ما فيه من الآبار (انظر: بين مكة واليمن للبلادي ص: ٢٥).

خارج مكة وبات به، ودخل مكة في صبح يوم الأحد لابساً الخلعة، وقرئ توقيعه، وهو مؤرخ بسادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة^(١)، بحضرة القضاة الشافعي والمالكي ونائب الحنبلي، والأمير سودون المحمدي، والأمير يشبك الصوفي^(٢).

وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة^(٣) - في خامس عشري المحرم - وصل الخبر بأن السيد بركات بن حسن جمع جموعاً وعزم على التوجه لحرب العساكر، وكان أمير الترك يشبك الصوفي والسيد علي بن حسن بن عجلان أمير مكة ببندر جدة، فعند ذلك اقتضى رأي السيد علي أن الأمير يشبك يتوجه إلى مكة، ويقيم بها هو ومن عنده من المماليك السلطانية، ويتأهبوا لحفظ البلد، والسيد علي يقيم بجدة يحفظها، إلى أن [يجوز أمر]^(٤) بركات، فلما كان يوم السبت سابع عشر صفر تحررت الأخبار على أن السيد

(١) انظر خبر عزل بركات وتولية أخيه في: النجوم الزاهرة (٣٤٩/١٥)، وبدائع الزهور (٢٣١/٢)، والتبر المسبوك (ص: ١٤)، والدر الكمين (٦٤٩/١)، وغاية المرام (٤٩٠/٢).

(٢) الأمير يشبك: هو الأمير يشبك بن عبد الله بن جانبك المؤيدي شيخ المعروف بالصوفي. صار خاصكياً بعد موته أستاذه، ثم ترقى حتى أصبح من رؤوس النواب، وتوجه إلى الحجاز مقدماً على المماليك السلطانية، ثم ولي نيابة حماة ثم طرابلس، ثم أنعم عليه بآتابكية دمشق فمات بها (انظر: النجوم الزاهرة ٢٠٠/١٦، والدليل الشافي ٧٨٨/٢-٧٨٩، وإتحاف الوري ٤/أخباره متفرقة بين ص: ١٤١-٣٤٠، والضوء اللامع ٢٧٠/١٠).

(٣) إتحاف الوري (١٧٨/٤-١٨٣). وانظر الخبر في: الدر الكمين (١٠١٧/٢)، وغاية المرام (٤٢٢/٢-٤٢٤، ٤٩٤-٤٩٥).

(٤) في الأصل: يتحرزا من. والتصويب من إتحاف الوري، الموضع السابق.

بركات نزل بجموعه العُدّة، فلما تحقق نزول السيد بركات بالعُدّة أخذ مباشروا جدة الأمير شاهين، والأمير تقي الدين ابن نصر^(١) المتحصل للسلطان، وتحصنوا به في المراكب المسمارية^(٢) بالبحر، وصار القوّاد ذوو عمر وبعض جماعة من الأشراف يتسللون قليلاً قليلاً وينسحبون إلى جهة السيد بركات، فعند ذلك أشار على السيد علي بن حسن بعض أصحابه بأن يتوجه إلى نحو مكة، فتوجه السيد علي من ليلة الأحد إلى حدّا -بفتح الحاء المهملة- هو ومن معه من ذوي عجلان والأشراف، وفارقه عبيد أبيه وأقاموا بجدة. فلما كان صبح يوم الأحد دخل جدة السيد بركات ومن معه، ولاقاه عبيد أبيه وعسكر المراكب، وكانت دخلة عظيمة قطع كُلُّ مَنْ رأى تلك الدخلة بأنه لا يخرج من جدة، ونادى بالأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، وأرسل إلى المباشرين بأن يتزلوا إليه، فامتنعوا. فلما كان صبح يوم الاثنين طلب الشريف بركات التجار والنواخذ الهنود وغيرهم، وطلب منهم عن كل مركب أربعة آلاف دينار، فأجابوه: أن المراكب [مختلفة]^(٣)، فيها كبير وصغير، ومن المراكب [ما]^(٤) لا تساوي شحنة خمسمائة دينار. فاتفق رأي التجار على أن

(١) في إتحاف الوري: أبو النصر.

(٢) المراكب المسمارية: هي السفينة التي تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط ألواحها بعضها ببعض، بخلاف السفن التي تربط ألواحها بالألياف (البحرية في مصر الإسلامية ص: ٣٦٨).

(٣) في الأصل: مختلف. والتصويب من إتحاف الوري (١٧٩/٤)، وغاية المرام (٤٢٣/٢).

(٤) في الأصل: من. وهي للعاقل، والمثبت يقتضيه غير العاقل وهي السفن. انظر: إتحاف الوري، الموضع السابق.

يعطوه نصف العُشر نظير ما أخذ الشريف علي، وكان [نحواً]^(١) من أربعين ألف دينار، فلم يرض السيد بركات بذلك، وقال: إن أقل ما يأخذ مائة ألف درهم. فبينما هم كذلك وإذا بالبلد قد ارتجّت والناسُ على صوت واحد بأن الشريف علياً والأمراء والعسكر قد أقبلوا، فعند ذلك أطلق السيد بركات التجار والنواخذ^(٢)، ولبست عساكره، وخرجوا إلى ظاهر البلد ليحوزوا^(٣) الماء عن العساكر، فأقاموا خارج البلد ساعة إلى قرب الظهر، فلم يكن الصياح عن حقيقة، فرجعوا إلى مساكنهم. هذا ما كان من خبر السيد بركات.

وأما خبر السيد علي بن حسن فإنه توجه إلى حدّا، فوجد في أثناء الطريق الأمير سودون المحمدي قاصداً جدة متجهزاً إلى القاهرة فردّه إلى حدّا، وأرسل الشريف رسله إلى مكة إلى الأمير يشبك الصوفي وجماعة الأتراك، وأرسل رسله أيضاً إلى خيف بني شديد^(٤) إلى الأشراف، فخرجت الأتراك من مكة ظهر يوم الأحد، وتتابعت بقية ذوي عجلان، فاجتمعت العساكر جميعها في ليلة الاثنين بحدّا، وأقاموا بها يوم الاثنين، وساروا في ليلة الثلاثاء إلى

(١) في الأصل: نحو. والمثبت من إتخاف الوري، الموضع السابق، وغاية المرام (٤٢٣/٢).

(٢) التاخّذة (النوخذة): مالك السفينة أو ربانها (المعجم الوسيط ٩٠٨/٢).

(٣) كذا في الأصل وغاية المرام، وفي إتخاف الوري: ليحجزوا.

(٤) خيف بني شديد: الخيف: هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ويقع هذا الخيف بحر الظهران، يسكنه الأشراف ذوو راجح من بني حسن، ولهم فيه قوة ومنعة، ويجيرون من يدخل إليهم ويحتمي بهم، ولعله ينسب للشريف الحسين بن ثابت الشديدي (انظر: معجم معالم الحجاز ١٨٢/٣، وحسن القرى بأودية أم القرى ص: ٨٧).

جدة، فباتوا بأطراف [الحديد]^(١) إلى الصبح، ثم ساروا إلى جدة في صبح يوم الثلاثاء العاشر من صفر، فاستقبلهم السيد بركات بمن معه، والتقى الجمعان، فخامر من أصحاب السيد بركات الأشراف ذوو أبي غمي، والقوَاد ذوو حُميضة، ووقع بين الفريقين حرب عظيم، كان النصر فيه لأصحاب السيد علي، وقتل من أصحاب السيد بركات جماعة من القوَاد العِمرة وغيرهم، وفرَّ عسكر السيد بركات إلى جهة اليمن، وثبت السيد بركات، وقاتل هو وعبيده وأبدى الجهد، لكن الكثرة تغلب الشجاعة، فتوجّه السيد بركات ومن فرَّ من جماعته إلى العُد^(٢)، ثم ساروا إلى صوب اليمن. وتوجه الأمير يشبك والأتراك بعد ذلك إلى مكة المشرفة، فدخلوها بعرضة [عُرِضت]^(٣) لهم، وأقام أهل جدة على وَجَلٍ وخوف بعد ذلك، وتوجهت المراكب الهندية من البندر وارتفعوا إلى [ما]^(٤) بين العلمين، وأقاموا به قريب الشهر، ثم سافروا في أوائل ربيع الأول، وبعد سفر الهنود أقام السيد علي بن حسن وجماعته بالركاني من وادي مَرّ، ثم توجه بجماعته وثلثين مملوكاً من الممالك السلطانية نحو وادي الآبار فأقاموا بها.

(١) في الأصل: الحدبة. والتصويب من إتحاف الوری (١٨٠/٤). وانظر: غاية المرام (٤٩٥/٢).

والحديد: ناحية في بني مالك شرقي جدة (معجم معالم الحجاز ٢/٢٤٧، ١٠/٨٧).

(٢) العُد: ماء جنوب غربي مكة في الساحل، يتردد ذكره في الترايع بين الأشراف (معالم مكة التاريخية ص: ١٨٠).

(٣) في الأصل: عرض. والتصويب من إتحاف الوری (١٨٢/٤).

(٤) زيادة من غاية المرام (٤٢٤/٢).

وفيها^(١) - في ليلة الجمعة سابع عشر شعبان - وصلت الرجبية ومقدمها الأمير آقبردي الظاهري المظفري، وهو أيضاً مقدم الأتراك المقيمين بمكة بدل يشبك الصوفي، وصحبته الأمير تنم المؤيدي، ودخلا مكة فطافا سبعا، وسعيا، ثم عادا إلى الزاهر، وباتا به إلى الصبح، ثم دخلا مكة لابسين الخلعة السلطانية، وخرج للقائهما صاحب مكة السيد علي بن حسن وأمير الترك بمكة يشبك الصوفي.

وفيها^(٢) - في عصر يوم السبت مستهل شوال - قدم قاصد [من]^(٣) مباشري جدة وأخبر أنهم بوادي مرّ، وأنهم يصلون في صبح يوم الأحد. فلما كان بعد العشاء من ليلة الأحد، قدم المباشرون وهم: الأمير تمرّاز المؤيدي، وأحمد بن تاج الدين، فطافا سبعا، ثم عادا إلى الزاهر وباتا به. فلما كان في صبح يوم الأحد دخل جميع الركب إلى مكة المشرفة، وخرج الأمير آقبردي الظاهري -مقدم الأجناد المقيمين بمكة- مع جماعة من الترك للقاء مباشري جدة، فامتنعا أن يدخلا إلى أن يحضر أمير مكة السيد علي بن حسن، وكان غائبا بوادي الآبار مع جماعته وثلاثين من المماليك المقيمين بمكة، فأرسل الأمير آقبردي قاصداً إلى السيد علي بن حسن بأن يحضر هو وأخوه السيد إبراهيم، فإنه وصل لكما خلعتان، فتجهز الشريفان في بعض أصحابهما وسارا نحو مكة

(١) إتحاف الوری (١٨٣/٤-١٨٤).

(٢) إتحاف الوری (١٨٥/٤-١٩٦).

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من إتحاف الوری (١٨٥/٤).

إلى شجرات السلولي^(١)، فبلغ السيد علياً أن عليه وعلى أخيه إبراهيم تخوفاً من أهل مصر، فاقتضى رأي السيد إبراهيم أن يرجع، فرجع إلى وادي الآبار، ووصل السيد علي إلى مكة، فخرج هو والأمير آقبردي وجماعة من الأتراك فلاقوا المباشرين، وسألوه عن أخيه السيد إبراهيم، فاعتذر عنه بأنه لم يتأخر عن الوصول إلا تخوفاً على الحلة^(٢) من جماعة أخيهما السيد بركات، فألبس المباشرون السيد علياً خلعة ودخلوا إلى مكة، فاجتمع الأميران والأمير تَم - ناظر الحرم - والقضاة والأعيان، فقرأ مثال^(٣) إلى السيد علي مؤرخ بثمان عشر شعبان، يتعلق [بمباشرة]^(٤) جدة، وفيه: بأنه بلغ السلطان أن السيد علياً متشوش الخاطر بأنه بلغه أن السلطان يريد التغيير به،

(١) يبدو أنه كانت هناك شجرات يستظل بها في الطريق من وادي الآبار إلى مكة، تنسب لشخص من بني سلول، ومثل هذا يحدث كثيراً مما للشجر من قيمة في الصحراء، ولكن كتب البلدان والأماكن لم تعن بالتعريف بها؛ لأنها لا ثبات لها ولا دوام.

(٢) الحلة: هي المكان الذي يعد للحلول به، ويجهز بالخيام وما أشبه، ويكون بها المجلس والجمع حيث يحل القوم (انظر: لسان العرب، مادة: حلل).

(٣) المثال: أمر دون الفرمان والمنشور، استعمله سلاجقة الروم، وكان للوزير عندهم الحق في إصدار المثالات، واستعمله أيضاً الإيلخانيون، فقد كانت المثالات من المحررات التي تعد في ديوان الرسائل.

وكان المثال في العصر المملوكي أمراً يصدر عن ديوان الجيش بمنح إقطاع أو بتحويله أو بإعادته أو بزيادته. وأما عند العثمانيين فلم يكن يفرق بين المثال والفرمان والتوقيع والنشان، بل ربما جمع بين الفرمان والمثال في عبارة واحدة (انظر: هامش صبح الأعشى ٢٠٠/٧، وتأصيل الدخيل ص: ١٨٣-١٨٤).

(٤) في الأصل: بمباشري. والتصويب من إتحاف الوري (١٨٦/٤).

فَلِيَطْبَ نَفْساً وَلِيَقَرَّ عَيْنًا، فَإِنَّهُ لَا [يَتَغَيَّرُ] ^(١) عَلَيْهِ أَبَدًا، لَمَّا بَيْنَنَا مِنَ الْعَهودِ
وَالْمَوَاتِيقِ [وَمَا] ^(٢) دَامَ عَلَى طَاعَةِ السُّلْطَانِ، وَأَنَّهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَغْزَى مِنَ
الْوَلَدِ.

وفيه أيضاً: أَنَّهُ وَصَلَ لَهُ تَشْرِيفٌ فَلْيَلْبِسْهُ عَلَى الْعَادَةِ.

وفيه أيضاً: أَنَّهُ وَصَلَ كَامِلِيَّةً ^(٣) لِلسَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ فَلْيَلْبِسْهَا. فَقَرَّتْ بِذَلِكَ
عَيْنَ السَّيِّدِ عَلَيَّ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ، فَطَافَ [الشَّرِيفُ] ^(٤) فِي ضَحَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ،
وَدُعِيَ لَهُ عَلَى قَبَةِ زَمْزَمٍ، ثُمَّ تَوَجَّهَ السَّيِّدُ عَلَيَّ إِلَى مِثْرَلِهِ بِالْخُلْعَةِ، وَاطْمَأْنَنَتْ
فِكْرَتُهُ، وَعَادَ لِلسَّلَامِ عَلَى الْأَمِيرِ تَمْرَازٍ، وَكَانَ نَازِلًا بِالْبَاسْطِيَّةِ، فَأَلْزَمَهُ الْأَمِيرُ
تَمْرَازٍ بِحَضُورِ أَخِيهِ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ لِلْبَسِ الْخُلْعَةَ وَطَاعَةَ السُّلْطَانِ، فَأَرْسَلَ
السَّيِّدُ عَلَيَّ قَاصِدًا إِلَى أَخِيهِ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا ذَكَرَ لَهُ فِيهِ أَنَّهُ لَمْ
يَجِدْ صَحَّةً عَنِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ، فَلَتَطْبَ نَفْسًا وَلِتَصِلْ وَلِتَلْبَسِ الْخُلْعَةَ. فَحَضَرَ
السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَكَّةَ فِي صَبْحِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ، وَاجْتَمَعَ بِالمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَمَامَ
بَابِ الصَّفَا هُوَ وَأَخُوهُ السَّيِّدُ عَلَيَّ، وَالْقَضَاةُ، وَالْأَمِيرُ تَنْمُ الْمُؤَيَّدِي - نَاطِرُ
الْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَمَشْدُ الْعِمَارَةِ بِهِ يَوْمُئِذٍ - وَالْأَمِيرُ تَمْرَازٍ - مَبَاشِرُ جَدَّةَ -، وَأَحْمَدُ
- نَاطِرُ جَدَّةَ -، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْأَمِيرِ آقْبَرْدِي، فَذَكَرَ أَنَّهُ شَرِبَ دَوَاءً، فَقَرَأَ
الْمِثَالُ الْمُتَعَلِّقَ بِمَبَاشِرِي جَدَّةَ، الَّذِي قَرَأَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَأَلْبَسَ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمَ

(١) فِي الْأَصْلِ: يَغْيَرُ. وَالتَّصْوِيبُ مِنْ إِتْحَافِ الْوَرَى (١٨٥/٤).

(٢) فِي الْأَصْلِ: مَا. وَالتَّصْوِيبُ مِنْ إِتْحَافِ الْوَرَى، الْمَوْضِعُ السَّابِقُ.

(٣) الْكَامِلِيَّةُ: هِيَ ثَوْبٌ ضَيْقُ الْأَكْمَامِ يَلْبَسُ فَوْقَ الْقَبَاءِ، بِهِ فَتْحَةٌ مِنْ مَتْنَصِفِ الظَّهْرِ حَتَّى أَسْفَلَ
حَافَةِ الذَّيْلِ، وَقَدْ يَبْطِنُ بِفُرُو أَوْ تَكُونُ لَهُ قَلَابَاتٌ مِنْ فُرُو (هَامِشُ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ٤٥/١٤)،
وَيَنْسَبُ لِلْكَامِلِ الْأَيُّوبِيِّ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: بِالتَّشْرِيفِ. وَالتَّصْوِيبُ مِنْ إِتْحَافِ الْوَرَى (١٨٧/٤).

الكاملية، ثم توجه السيد علي وأخوه السيد إبراهيم والأمير تَمَّ والأمير [تَمراز] ^(١) للسلام على الأمير آقبردي بإشارة من الأمير تَمَّ، فدخلوا عليه بدار المضيف بالصفاء، فسَلَمُوا عليه، ثم أخرج الأمير تَمراز مرسوماً وسَلَّمه إلى الأمير آقبردي مقدم الممالك، فناوله الأمير آقبردي لموقعه فتأمله، ثم قرأ لهم معناه بلسان الترك، وهو يتضمن: أن يقبض على الشريف علي بن حسن وأخيه إبراهيم، ويجهز في البحر المالح إلى القاهرة، فقبض الأمير تَمراز على السيد إبراهيم، وقبض الأمير آقبردي على السيد علي، ثم جعل في عُق كل منهما باشة ^(٢)، ففترق أصحاب الشريفين الذين كانوا صحبتهم بمكة المشرفة، وذهبوا كل مذهب، وكان في أيديهم النجدة، لكن فرّقهم عدم الشام قلوبهم وضعفها، ولم ينتطح في مسكهما عتران، ولا تحرك لهما اثنان، فكان ذلك من الحوادث العجيبة، فسبحان الفعال لما يريد ^(٣).

فحصل بمكة أمر عظيم استهاله كل أحد، فأمر الأمراء منادياً فنادى بالأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، وأن سلطان مكة السيد أبو القاسم ابن حسن بن عجلان ^(٤) حسب ما رسم به المقام الشريف، وأمر الأمير تَمراز

(١) في الأصل: تَمرازاً. والتصويب من إتخاف الوري (١٨٧/٤).

(٢) الباشة: قيد كالحلقة، يوضع في العنق أو اليدين والرجلين، يتصل بسلسلة من الحديد يقال لها: الجزير (هامش السلوك ٢/٣/٨٨٣ ط القاهرة). وتسمى حالياً بالكلبشات.

(٣) انظر: سبط النجوم (٢٨٢/٤)، ودرر الفرائد (٤٥٦/١-٤٥٧)، وغاية المرام (٢/٤٩٥-٤٩٦).

(٤) انظر ترجمته في غاية المرام (٢/٤٩٨-٥٠٦)، والدر الكمين (٢/١٣٢٩-١٣٣٢)، والضوء اللامع (١١/١٣٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٢-٤٣)، والتبر المسبوك (ص: ٢٨٣).

السيد علياً بأن يرد الخلعة التي خلعت عليه بالأمس، فردّها لهم، وأخذوا الكاملية من السيد إبراهيم، وأمر الأمراء السيد علي بن حسن بأن يكتب كتاباً إلى مَنْ بوادي الآبار من الأشراف ومولدي ذوي عجلان - وكانوا في جمع كثير يُفْتَحُ بمثلهم القرى والمدن - بأن يرسلوا من عندهم من الأتراك وجميع آلهم وحوائجهم، وأن لا يشوش على أحد منهم، [فإن شوشوا على أحد منهم]^(١) ما يحصل خير، فكتب السيد علي كتاباً بذلك وأرسله مع نائبه علي بن بركوت العجلاني، وكان قد قبض عليه الأمراء، وأرسل الأمراء فأحضروا حسب الله بن محمد بن بركوت الشبيكي العجلاني، وهو من خواص أصحاب السيد أبي القاسم، وسألوه في أن يُحْضَر لهم أحداً من أولاد السيد أبي القاسم ليلبسوه الخلعة نيابة عن أبيه، وأرادوا بذلك تسكين الفتنة، فامتعت الشريفة أم الكامل بنت رميثة بن محمد بن عجلان زوج السيد أبي القاسم بن حسن أن ترسل أحداً من أولادها، ثم إن الأمراء أرسلوا حسب الله الشبيكي إلى السيد زاهر بن أبي القاسم^(٢)، وكان نازلاً بالشاقّة يماي جدة^(٣)، وأعطوه مرسوماً للسيد زاهر، يتضمن: أنه شملت الصدقات

(١) ما بين المعكوفين زيادة من إتخاف الورى (١٨٨/٤).

(٢) زاهر بن أبي القاسم هو: زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نغمي الحسني، ممن له ذكر في أيام أبيه وسطوة وتجبر، إلى أن قيده أبوه ثم رضي عنه، ومات بعد (الضوء اللامع ٢٣٢/٣)، وانظر عن حياته في عهد أبيه: إتخاف الورى ٤/أخباره متفرقة بين ص: ١٨٩-٢٤٤، وغاية المرام ٤٩٦/٢).

(٣) الشاقّة اليمانية: واد فحل من أودية الحجاز الغربية، يأخذ من السراة فيمر جنوب الشاقّة الشامية حتى يدفع في البحر، أعلاه (غُلَيْب) وادٍ مُرْجِع يسح ماؤه على وجه الأرض، فيه نخل

السلطانية والده أبا القاسم يامرة مكة عوضاً عمن بها، وأعطوه أماناً وخاتماً ومنديلاً ونشابة، فتوجه حسب الله الشيبكي في ظهر يوم الثلاثاء إلى صوب السيد زاهر.

وفي صبح يوم الأربعاء أرسل الأميران آقبردي وتمرارز إلى قاضي القضاة [جمال]^(١) الدين أبي السعادات بن ظهيرة الشافعي، وسألاه في أن يتوجه إلى الشريفة أم الكامل زوجة السيد أبي القاسم ويتكلم معها في أن ترسل إلى ولد زوجها السيد زاهر أن يحضر ليلبسوه الخلعة نيابة عن أبيه، فإن البلاد بلاد أبيه، فتوجه إليها القاضي فتكلم معها على لسان الأمراء بذلك، فقالت: إن كان مقصود الأمراء بوصول السيد زاهر درء الفتنة ومصلحة المسلمين، فمصلحة المسلمين أبدى، وسيأتيكم إن شاء الله.

وأرسلت إلى السيد زاهر، حسن بن علي الشيبكي بأن يحضر، فلما كان في عصر يوم الأربعاء حضر حسب الله الشيبكي وابن أخيه حسن، وذكر أن السيد زاهراً واصل بعدهما، وأنه يريد من الأمراء أن يحلفوا له أنهم لا يريدونه بسوء، فاجتمع القضاة والأمراء آقبردي وتمرارز وتَم في المسجد الحرام أمام مقام الحنابلة تجاه الحَجَر الأسود، وأحضروا مصحفاً شريفاً، فحلف القاضي الشافعي الأمير آقبردي وتمرارز على المصحف

وزراعة، فيه سوق الحَجرة يوم الأحد، وهي بلدة عامرة. سكانها الأشراف ذوو حسن (معجم

معالم الحجاز ٩/٥-١٠).

(١) في الأصل: جلال. والمثبت من إتخاف الوري (١٩٠/٤).

الشريف بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لا يعلمان على السيد زاهر سوءاً ولا مكرراً، ولا أضمرأ له شيئاً يؤذيه، وأن البلاد بلاد أبيه السيد أبي القاسم، فحلفا.

فلما كان صباح يوم الخميس اجتمع القضاة والشريف زاهر والأميران آقبردي وتمرار بالخطيم^(١) من المسجد الحرام، وقرئ التوقيع بأن الصدقات السلطانية شملت السيد أبا القاسم لإمرة مكة عوضاً عمّن بها، وأنه واصل عقيب ذلك، وأن السيد زاهر يتقدم لجمع العربان، ويحفظ البلاد، وهو مؤرخ بتاسع^(٢) عشر شعبان، وخلع على السيد زاهر الخلعة التي خلعت على عمه السيد علي في يوم الاثنين مع الحياصة^(٣)، وطاف بالبيت، وأمر الأمراء المؤذن أن يدعو له على زمزم كعادة أمراء مكة، فدعي له، وصلى خلف المقام، وخرج من باب السلام ومعه الأميران آقبردي وتمرار، وطلع إلى

(١) الخطيم: اختلف في موضعه، وفي سبب تسميته بذلك على عدة أقوال:

الأول: أن موضعه ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل، وبه قال الأزرقى عن ابن جريج.

والثاني: أن مكان الخطيم هو الموضع الذي فيه الميزاب. وبه قالت كتب الأحناف.

والثالث: ما ذكره المحب الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الخطيم هو الجدار، يعني جدار الكعبة.

والرابع: أن الخطيم هو الشاذروان، سمي بذلك؛ لأن البيت رفع وترك هو محطوماً (انظر: الأزرقى ٢٣/٢-٢٤، وشفاء الغرام ١/٣٧٤-٣٧٥).

(٢) في إتحاف الورى: سابع.

(٣) في الأصل: الخياطة. والتصويب من إتحاف الورى (١٩١/٤).

والحياصة: هي المنطقة، تلبس في الوسط مثل الحزام (أسماء الألبسة عند العرب ص: ١٤٥-١٤٦. وانظر: الملابس المملوكية ص: ٤٧).

الردم كعادة أمراء مكة، وأقام الشريفان تحت الحفظ في دار المضيف أمام باب الصفا إلى صبح يوم السبت ثامن شوال، فتوجه الأميران آقبردي وتمرز وجماعة الأتراك شاكين في سلاحهم، فكان جملة خيلهم الملبسة اثنين وتسعين، غير أتباعهم من أهل البغال والحمير والمشاة وغيرهم [من]^(١) الخدّام والمقاتلة ومعهم آلة الحرب، وخرج معهم السيد زاهر وصحبته الشريفان علي وإبراهيم في شقْدَفَيْن، كل واحد منهما على شقْدَفٍ وعديله^(٢) مملوك، وكل منهما في حلقة الباشة، وفي عنق عديله طرف الباشة الآخر، وتوجهوا بهما إلى جدة، فوصلوا جدة ضحى يوم الأحد، فتوجهوا على الفور بالشريفين فأركبوهم من الشقْدَف إلى السنبوك^(٣)، ثم إلى جلبة، وأصعدوا معهم عشرة ممالك، وفكّ عن عنق الشريفين الأغلال، وثقلت أرجلهما بالقيود.

فلما كان في يوم الاثنين، أحضر الأمراء قاضي جدة كمال الدين أبا البركات محمد بن القاضي نور الدين علي بن أبي البركات بن ظهيرة القرشي، وابن عمه الفقيه جمال الدين محمد بن القاضي نجم الدين، وأمرهما بكتابة ورقة على العشرة الممالك [الذين تسلموا]^(٤) الشريفين بأنهما

(١) قوله: "من" زيادة من إتخاف الورى (١٩٢/٤).

(٢) الشقْدَف هو الحمل الذي يوضع على الراحلة وله عديلان، والعديل: الذي يركب في الطرف الآخر.

(٣) السنبوك - السنبوك -: سفينة صغيرة، أو قارب صغير (البحرية في مصر الإسلامية ص: ٣٤٩، وأساس البلاغة للزمخشري).

(٤) في الأصل: الذي سلموا. والمثبت من إتخاف الورى (١٩٣/٤).

تسلماهما، ولم تكن بهما جراحة، وهما طيبان في خير وعافية^(١).

فلما كان ضحى يوم الأربعاء ثاني عشر شوال، توجه الشريفان علي وإبراهيم ومن في صحبتهما إلى القاهرة، وقد أنشد العلامة قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوي المالكي في هذا المعنى^(٢):

ما جاءنا قَطُّ ولم يأتنا	مثلُك يا تمرَّازُ في الفَتَك
تسيرُ بالأخشَب من مَكَّة	والأخشَب الثاني على الفُلُك
ومثل هذا لَمْ يَكُن قَطُّ في	مُلُك بني العبَّاس والتُّرك
أنَّ شريفِي مَكَّة يُمَسِّكَا	من غير [ما] ^(٣) طَعَن ولا سَفَك
هَذَا بتقدير الذي قَهَرُهُ	يَنْزَعُ من شاءَ من المُلُك

ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن

وفي يوم الأربعاء سادس عشر شوال وصل قاصد من مصر، وأخبر أن السيد أبا القاسم بن حسن خُلع عليه في ثالث شوال، وولي إمرة مكة، وأن القائد علي بن محمد الشبيكي واصل قريبا.

وفي ليلة الثلاثاء ثاني ذي القعدة قدم علي بن محمد الشبيكي مكة

(١) انظر خبر القبض على الشريفين علي وإبراهيم من أوله وحتى وصولهما إلى القاهرة وتولية أبي القاسم ضمن تراجمهم في: الدر الكمين (ترجمة الشريف علي رقم: ٩٩٢، وترجمة الشريف إبراهيم رقم: ٥١٤)، وغاية المرام (ترجمة الشريف علي رقم: ٢٠٢، وترجمة الشريف إبراهيم رقم: ١٩٩). وانظر: بدائع الزهور (٢/٢٣٦-٢٣٧)، والتبر المسبوك (ص: ٤٥)، والنجوم الزاهرة (١٥/٣٥٦)، ودرر الفرائد (ص: ٣٢٩).

(٢) الأبيات في: درر الفرائد (ص: ٣٢٩)، وتاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٠٤)، وغاية المرام (٢/٤٩٧)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص: ١٩١-١٩٢).

(٣) قوله: "ما" زيادة من إتحاف الوري (٤/١٩٥)، ودرر الفرائد وغاية المرام، الموضوعان السابقان.

المشرفة، وأمر بضرب دراهم ينقش عليها اسم السيد أبي القاسم^(١).

وفي صباح يوم السبت السابع عشر من ذي القعدة دخل السيد أبو القاسم مكة محرماً، فطاف وسعى، ثم عاد إلى الزاهر خارج مكة، ولبس خلعة، ودخل المسجد الحرام، وقرأ التوقيع، وزينت مكة المشرفة. انتهى.

وفي الخلاصة^(٢): واستمر الشريف أبو القاسم إلى ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثمانمائة، فهجم عليه الشريف بركات ففرّ.

رجوع الشريف بركات إلى مكة وفرار أخيه أبي القاسم

فولي مكة الشريف بركات، وشاع في آخر السنة: أن السلطان غضب من فعل الشريف بركات، وأنه بعث بعزله مع الحج، فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز، وورد مع الحج نحو عشرين أميراً، فخرج الشريف بركات للقاء الأمراء على جري العادة في أكمل عدة، فلما بصروا به على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم، وحج بالناس، إلا أنه اعتزلهم بالموقف، فوقف جانباً عنهم إلى أن نفروا، ثم خرج بعد التزول عن مكة، ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة^(٣).

(١) انظر: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٠٤).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٤٢). وانظر: إتحاف الوری (٢٧٣/٤)، وغاية المرام (٤٤٠/٢)، ومنتاح الكرم (٤٧/٣-٤٩).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٤٣).

رجوع الشريف أبي القاسم إلى مكة

فعاد الشريف أبو القاسم إلى مكة، واستمر إلى سنة إحدى وخمسين^(١).

رجوع الشريف بركات إلى ولاية مكة

فلما كان سابع عشر ربيع الأول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر بإعادة الشريف بركات إلى إمارة مكة، ورضي عنه السلطان؛ لأن ابنه محمد بن بركات توجه إلى مصر وتلطف بالسلطان، فأكرمه ورضي عنه، وأعاد والده إلى مكانته. ولما جاء هذا القاصد إلى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم إلى وادي الآبار، ثم توجه إلى مصر، ومات بها هو وأخوه علي سنة ثمانمائة وثلاث وخمسين^(٢).

استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات إلى مصر

وفي سنة ثمانمائة وإحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات إلى مصر، فقدم إلى القاهرة مستهل رمضان^(٣) فخرج السلطان

(١) خلاصة الكلام، (ص: ٤٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر هذا التاريخ في: سبط النجوم (٢٨٤/٤). أما في النجوم الزاهرة (٣٧٩/١٥)، والنهل الصافي (٣٤٥/٣)، وإتحاف الوري (٢٧٢/٤)، وغاية المرام (٤٣٩/٢)، وبدائع الزهور (٢٦٠/٢) فذكروا أنه دخلها يوم الخميس مستهل شعبان، وهو الأصح لقول المصادر المعاصرة زماناً ومكاناً به.

للقائه بالرّميلة^(١)، وبالع في إكرامه، وقابله بالإجلال والإكرام، وأخذ عنه العلماء بالقاهرة، وازدحموا على القراءة عليه لعلوّ سنده^(٢)، وأجازهم.

ورجع إلى مكة ودخلها خامس جمادى الأولى محرماً بالعمرة، فطاف وسعى بالليل، وخرج إلى الزاهر وبات به، ودخل مكة في الصبح لابساً خلعة الولاية، وقرئ توقيعه بالحطيم^(٣). انتهى.

وقال العلامة [السخاوي]^(٤) في التبر المسبوك في ذيل السلوك في

(١) انظر: سمط النجوم، الموضع السابق. أما في النجوم الزاهرة (٣٧٩/١٥)، وإتحاف الوري (٢٧٢/٤)، وغاية المرام (٤٣٩/٢)، وبدائع الزهور (٢٦٠/٢) فورد فيهما أن السلطان خرج للقاءه إلى مطعم الطير بالريمانية خارج القاهرة.

وأما الرملة: فهي من الميادين الكبيرة الواسعة تحت قلعة الجبل في القاهرة، وتعرف اليوم بالمشية، وبها ميدان صلاح الدين الأيوبي (انظر: خطط المقريري ٢٢٨/٢-٢٢٩، وهامش النجوم الزاهرة ١٧٩/٩، ٥٣/١٢، وبدائع الزهور ٥٦/٤).

(٢) علو سنده: السند في اللغة: المتكأ. وفي الاصطلاح: هو مجموعة الرجال والأشخاص الذين أخذ الحديث أحدهم عن الآخر من الرسول ﷺ إلى آخرهم الذي أوصله إلينا. وعلو الإسناد: هو الوصول إلى حديث الرسول ﷺ بعدد قليل من الرواة، أي أقل ما يمكن من الرواة. ويتحقق العلو في الإسناد بأن يروي الحديث راو ثقة من كل جيل من أجيال الرواة، كأن يرويه واحد من الصحابة إلى واحد من التابعين إلى واحد من تابعيهم وهكذا إلى الراوي، ولا يقصد أن يكون الحديث فرداً، ولكن كل من طريقه تكون هكذا أو إحدى طريقه تكون هكذا، فتكون هي العالية (انظر: التقييد والابيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ص: ٢٥٧-٢٦٢، والموجز في علوم الحديث ص: ٤٨، ١٤٩-١٥١).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٤٣). وانظر: منائح الكرم (٤٧/٣-٤٩).

(٤) في الأصل: السنجاري. وهو خطأ.

حوادث سنة ٨٥١^(١): وفي شعبان قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحسني أمير مكة إلى الديار المصرية، ونزل السلطان للقائه [بمطعم الطير بالريدانية]^(٢) خارج القاهرة، وبالع في إكرامه إلى الغاية بحيث إنه قام إليه، ومشى من أجله خطوات واحتضنه، ثم أجلسه بجانبه، ولم يجلس هو إلا خارجاً عن مقعده، ثم خلع عليه وقيد له فرساً بسرج ذهب وزركش، وارتجت القاهرة لدخوله؛ بحيث خرجت العذارى فضلاً عن غيرهن لرؤيته، وكان يوماً مشهوداً، وركب مع السلطان حتى رسم له بالتوجه للمحل الذي أنزل فيه، وهرع الناس من القضاة والأمراء والأعيان للسلام عليه، وكنت ممن لقيه أنا والقلقشندي والبقاعي والسنباطي وآخرون، وسمعنا عليه بإجازته من الزين العراقي والهيتمي عشرة أحاديث، وسمع معنا القاضي أبي البركات ابن ظهيرة^(٣)، ورتب له السلطان الرواتب السنوية اللاتقة به، وأقام بالقاهرة إلى يوم الخميس خامس عشرة، فتوجه إلى بلده بعد أن ألبسه السلطان خلعة السفر، وكان وصوله مكة ثامن عشر رمضان^(٤). انتهى.

(١) التبر المسبوك (ص: ١٨٤-١٨٥). وانظر: غاية المرام (٢/٤٣٩-٤٤٠).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من التبر المسبوك (ص: ١٨٤).

ومطعم الطير: كان مخصصاً لطيور الصيد، ويقع في الريدانية التي كانت تطلق على البستان الذي أنشاه ريدان الصقلي -أحد خدام العزيز بالله الفاطمي- شمال شرق القاهرة والصحراء التي تمتد شرقه إلى ما بعد حي مصر الجديدة. وفي أطرافها تقع بركة الحاج. وكانت تسمى جب عميرة، وبسبب نزول الحاج عنده في أول مرحلة من مراحل السفر أطلق عليه اسم بركة الحاج (انظر: الخطط المقرنية ٢/١٣٩، ١٧٤).

(٣) انظر: أمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ١٩٣-١٩٤).

(٤) انظر: سمط النجوم (٤/٢٨٤).

وقال العلامة الحضراوي رحمه الله في تاج تواريخ البشر في ذكر الشريف بركات بن حسن بن عجلان^(١): ومن الحوادث العجيبة ما كتبه أحمد ابن إسماعيل الغساني -ملك اليمن- إلى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المكرمة لما أراد الحج بأن يفرغ له بيوت مكة المشرفة ويتلقاه إلى حلي، فأنشأ له هذه القصيدة الغراء السيد عفيف الدين عبدالله بن

قاسم الذروي على لسان أمير مكة المذكور لأحمد بن إسماعيل فقال^(٢):
 بالقنا الخطي والبيض الطبا
 وبخيّل تباري سُرباً^(٣)
 ساجحات مُغزّيات ضُمّر
 أهوجيّات عتّاق شُزّبا
 بُرئت أذائها عن جودة
 مثل آذان بها كم كتبا
 ذا حصيّات إذا ما اطرّدت
 فائتاً ما بان عنها هربا
 وإذا ما انجّدت عن طارد
 سبقت لم يبق منها أربا
 عودت بالحرب حتى أها
 لم تزل تهوى التلاقي طربا
 بدروع سابغات زُغف^(٤)
 شاهدت أيام عاد وسبا
 صافيات ذات نسج مُحكم
 وقتيل مثل أعيان الدبا
 وببيض روميّة لامعة
 نصّة صانعه فائتصبا
 وبأبطال إذا ما استعرت
 نار حرب ولظاها التهبها
 وردوها برماح ذبل
 وبأسياف تجزّ العصبا

(١) تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٧-٢٦٠). وانظر: بين مكة واليمن (ص: ١٨٠-١٨٣).

(٢) انظر الأبيات في: تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٧-٢٥٨)، وسمط النجوم (٤/٢٨٧-٢٨٨)، وبعضها في: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) سرباً: أي سار به على رأسها لا يخظمها (هامش تاج تواريخ البشر ٢/٢٥٧).

(٤) الرُغفة: الدرع اللينة الواسعة الحكمة، أو الرقيقة الحسنة السلاسل. (القاموس المحيط

وَرُبَّا حَلِي وَأَكْنَف قَبَا
 كُبُرُوق تَحْرِقْنَ الْحَجَبَا
 رَام يَأْتِي بَيْتَا مُغْتَصَبَا
 دَافِعَا عُشْرَا لَنَا ثَمَّ جَبَا^(١)
 تَرَكَ الْأَمْرَ وَجَا مُصْطَحَبَا
 عِنْدَنَا يَا صَاحِ إِلَّا ذَنْبَا
 أَتَرَكَ الْجَهْلَ وَخَلَّ الْكُذْبَا
 لَا وَلَا دَمَثَ لَمَنْ قَدْ طَلَبَا
 مِنْهُ بِالْأَصْرِ فَلَنْ يَنْغَلَبَا
 غُسَّقَتْ بِالْأَدَارَعِينَ التُّجَبَا
 طَابَ أَجْدَادَا وَأَمَّا وَأَبَا
 فَارَسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا انْتَدَبَا
 جَدَّهُ الْكَاشِفُ عَنَّا الْكَرْبَا
 وَأَجَلَ النَّاسَ طَرًّا حَسْبَا
 وَلِمَالِ الضَّدَّةِ كَمْ قَدْ نَهَبَا
 فَعَدَا عَنْ مُلْكِهِ مُنْقَلَبَا
 تَرَكَ الْأَمْرَ وَحَطَّ السَّلْبَا
 نَكَسَ الرَّأْسَ وَهَزَّ الذَّنْبَا
 لَا وَلَا يَقْطَعُ حَقَّ الْأَدْبَا

تَحْمِي الْبَيْتَ وَتَحْمِي جُدَّة
 بِسُيُوفٍ جُرِّدَتْ مِنْ غَمْدٍ
 قَلَّ لَمَنْ رَامَ يَنَاوِينَا وَمَنْ
 لَا يَخُجُّ الْبَيْتَ إِلَّا خَاضِعَا
 وَإِذَا مَا حَجَّهْ ذُو عِزَّة
 وَإِذَا مَا كَانَ رَأْسَا لَمْ يُعْدُ
 سُورَةُ الْفِيلِ لَنَا كَافِيَّة
 لَيْسَ بَيْتَ اللَّهِ وَادِي زَمْعٍ
 إِنْ يَبْتَثَّ اللَّهُ بَيْتًا خِصَّةً
 دُونَهُ خَيْلٌ عِتَاقٌ شُرْبٌ
 وَمَلِيكَ مِنْ بَنِي حِيدَرَةٍ
 بَرَكَاتُ الْمُنْتَقَى مِنْ حَسَنِ
 الْمَكْنَى بِالنَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ
 أَطْوَلَ النَّاسِ فَخَارًا سَامِيَا
 كَمْ جَنَى مِنْ غَرْبِ ذِي عِزَّة
 وَلَكُمْ مِنْ مُلْكٍ عَانِدُهُ
 لَوْ رَأَاهُ الْمَوْتُ فِي يَوْمِ الْبُوعَى
 أَوْ لَوْ أَنَّ اللَّيْثَ وَافَى سَطْوَهُ
 لَا وَلَا يَقْرَى [لِحَوْحَا]^(٢) ضَيْفُهُ

(١) الجبا: عطاء إكرامياً، أي ليس مستحقاً بأية صفة، فهو هبة (هامش تاريخ مكة للسباعي ص: ٣٠٦).

(٢) في الأصل: لحوماً. والنصوب من تاج تواريخ البشر (٢/٢٥٧).

وإذا [ما] ^(١) البغل من قل الحيا رام سَبَقَ الخيل جهداً تعباً

فلما بلغه الجواب تخلف عن الحج، وأمر من يترصد لعبدالله الذروي في بلاد صَبِيَّة ^(٢)، فترصدوه حتى نزل ساحل جازان ^(٣)، فتحيلوا عليه حتى ركب معهم إلى الجبلية، فسافروا به وأوصلوه إلى أحمد بن إسماعيل، فحبسه وضيق عليه الحبس، فأمر الشريف بركات بن حسن بن عجلان بفداه بمائة ألف ناقة، فقال: والله ما أخرجته من الحبس حتى يتشعب هذا الصدع، فأنشأ قصيدة في الحبس، فأرسل الله في تلك الليلة المطر، فأصبح الحجر قد انشعب بقدره الله تعالى، فأطلقه وأحسن إليه، وأوصله مأمنه. والقصيدة طويلة ذكرها بتمامها في تاج تواريخ البشر، ومطلعها ^(٤):

مَنْ لَصَبٌ هَاجَهُ نَشْرُ الصَّبَا	لَمْ يَزِدْهُ الْبَيْنُ إِلَّا نَصْبَا
قُلْ لِمَنْ كَانَ لِمَا دُونَ الْقَضَا	وَلَأَحْدَاثِ اللَّيَالِي سَبَا
وَالَّذِي أَوْقَدَ نِيرَانَ الْغَضَا	زِدْ عَلَى نَارِكَ يَا ذَا حَطْبَا
وَأَسْتَشَبَّ مَا شَتَّ عَمْدًا فَعْسَى	عَنْ قَلِيلٍ سَتَرْدِ السَّلْبَا
إِنْ تَكُنْ سَرَكٌ مَا سَا فَعَسَى	كَيْ نَرَى مِنْ بَعْدِ هَذَا عَجَبَا
إِنْ ظَنَنْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا وَاحِدًا	فَلَقَدْ حَاوَلْتَ أَمْرًا كَذْبَا

(١) قوله: "ما" زيادة من تاج تواريخ البشر (٢٥٨/٢).

(٢) صَبِيَّة -صبا-: مدينة عامرة مزدهرة عمرانياً وتجارياً، هي ثانية مدن مقاطعة جازان، وأول من اختطها هو الأمير دريب بن مهارش الخواجي سنة ٩٥٨هـ، ثم صارت عاصمة المنطقة من سنة ١٣٢٦ إلى سنة ١٣٥١هـ في العهد الإدريسي (بين مكة واليمن ص: ٢٦٠).

(٣) جيزان -جازان-: مدينة مشهورة من مدن المملكة العربية السعودية.

(٤) انظر القصيدة بتمامها في: تاج تواريخ البشر (٢٥٨/٢-٢٦٠)، وسمط النجوم (٢٨٤/٤-٢٨٦). وانظر بعضها في: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٠٦).

رُبَّ صَدْعٍ كَانَ أَعْيَا شَعْبُهُ أَدْرَكَتْهُ رَحْمَةٌ فَأَنْشَعَبَا
 وَسُرُورٌ بَعْدَ يَأْسٍ قَدْ أَتَى وَزَمَانٌ بَعْدَ بُؤْسٍ أَعْشَبَا
 وَلَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ أَتَى حَيْثُ لَا يُدْرِكُ سَاعُ هَرْبَا
 فَجَلَاهُمَا وَأَطْفَا حَرْقَا وَشَفَا غَلَاً وَجَلَاً كَرْبَا
 فَيُنَالُ الْمَلْتَجِي مِّنْ رَبِّهِ فِي أَغَادِيهِ الَّذِي قَدْ طَلَبَا
 وَصَلَاةَ اللَّهِ تَغْشَى دَائِمَا أَحْمَدُ [الْمَخْتَارُ] ^(١) مَا هَبَّ الصَّبَا

انتهى.

وفي خلاصة الكلام ^(٢): وفي سنة ثمانمائة وتسع وخمسين مرض الشريف بركات، فعرض لابنه محمد أن يكون ولي عهده من بعده.

ثم توفي الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة، بأرض خالد من وادي مَرٍّ، وحُمِلَ على أعناق الرجال إلى مكة. -وفي إتحاف فضلاء الزمن ^(٣): وحُمِلَ على أعناق البغال إلى مكة-، وغَسَلَ وصُلِّيَ عليه، وطيف به سبعاً على عادة أشراف مكة، ودُفِنَ بالمعلا، وبُني عليه قبة، ورثاه الشعراء.

قال العلامة محمد بن علي بن فضل بن عبد الله الطبري ^(٤): كان الشريف بركات ظاهر الكرم، طاهر الشيم، شجاعاً، مقداماً، بطلاً ضرغاماً، مسعوداً

(١) في الأصل: المختار. والتصويب من تاج تواريخ البشر (٢/٢٦٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٤٣). وانظر خبر موت الشريف بركات في: النجوم الزاهرة

(١٦٨/١٧٩-١٧٨)، وإتحاف الوري (٤/٣٤٦، ٣٤٧)، وغاية المرام (٢/٤٥١، ٤٥٢)،

ومنايح الكرم (٣/٥٨)، وأمرء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص: ١٩٤-١٩٥).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٤٤-٢٤٥).

(٤) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٤٤).

في سائر أحواله، مشكوراً في جميع أفعاله، وقد أجاز له جماعة من الحفاظ: العراقي، والهيثمي، والبرهان بن صديق البخاري، والمراغي، وجماعة. وحدث عنه البقاعي وغيره. كذا ذكره الإمام السيوطي في كتابه نظم العقيان في أعيان الأعيان.

ومن شعره رحمه الله تعالى، قوله^(١):
يا مَنْ بتذكّاره قد [زاد]^(٢) وسواسي
ومَنْ تَقَرَّرَ في قلبي محبّته
سألتكم شربةً مِنْ ماء مشربكم
وقد شغلتُ به عَنْ سائر النَّاسِ
وجئتُه طائعاً أسعى على الراسِ
تُغني عن الرَّاحِ إذْ لا راحَ في الكاسِ

انتهى.

تفويض الولاية للشریف محمد بن بركات

وجاء جواب عرضه ثاني يوم دفنه، وفيه تفويض مكة للشریف محمد بن بركات^(٣) - وكان غائباً في اليمن - لقبض بعض أموال والده.

ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشریف بركات^(٤).

(١) انظر الأبيات في: سمط النجوم (٢٨٩/٤)، ومنايح الكرم (٦٠/٣)، وغاية المرام (٤٥٤/٢)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (هامش ص: ١٩٥).

(٢) في الأصل: زال. والتصويب من سمط النجوم وغاية المرام، الموضعان السابقان.

(٣) انظر ترجمته في: غاية المرام (٥٠٦/٢-٦٣٣)، والدر الكمين (١٠٣/١-١٢١)، والضوء

اللامع (١٥٠/٧)، والتحفة اللطيفة (٤٥٢/٢)، والنور السافر (ص: ٣٧-٣٨)، وخلاصة

الكلام (ص: ٤٤)، والسنا الباهر (ص: ٣٠-٣١)، والأعلام (٥١/٦-٥٢).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٤٤). وانظر: منايح الكرم (٦١/٣).

قال الطبري في الإتحاف^(١): وكان في المرسوم: ورد إلينا كتاب جاني بك مشدّد جده بالثناء على المخدم، وقد بلغنا ضعفك وتوعكك، وقلة حركتك، فأقمنا مقامك في إمارة مكة ولدك السيد محمد، والرسوم مؤرّخ بسادس عشرين شهر رجب من السنة المذكورة. انتهى.

وفي شهر شوال ورد إليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية في والده وتأييده في ولاية مكة، وكان مولد الشريف محمد بن بركات في رمضان سنة ثمانمائة وأربعين، وكان جمّ الفضائل، شريف الشمائل، واستمر إلى سنة ثلاث وتسعمائة متولياً على مكة، مظهراً للعدل في الرعية، ودانت له العباد، واتسع ملكه وتصرفه في البلاد، وكانت مدة ولايته ثلاثاً وأربعين سنة.

وفي سنة ثمانمائة واثنين [وسبعين]^(٢) تولى سلطنة مصر الملك الأشرف قايتباي، وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات، وخلعة لقاضي مكة القاضي برهان الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي، وأرسل مراسيم تقتضي رفع المكوس بمكة، وأمر أن يُنقر ذلك على أسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام.

(١) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٤٩-٢٥٠). وانظر: إتحاف الوري (٤/٣٤٨)، وغاية المرام (٢/٤٥٣، ٥٠٨).

(٢) في الأصل: وتسعين. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٤٤)، ومنايح الكرم (٣/٦٨)، وإتحاف الوري (٤/٤٨٣).

وفي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة^(١) غزا مولانا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد - بين خليص ورابع-، وقتل شيخهم رومي وأخاه مالكاً ونحو سبعين رجلاً، وغنم نحو ثلاثين ألفاً من المواشي.

وفي سنة ثمانمائة وسبع وسبعين^(٢) وصل مع الحج مرسوم من السلطان يطلب صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة، فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات، وصحبته القاضي برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة، والقاضي أبو السعود بن ظهيرة، وجماعة من أقاربهم، فقبلوا بالإجلال والإكرام من السلطان قايتباي، ثم رجعوا^(٣).

وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة غزا مولانا الشريف جازان من أرض اليمن، فحرب حصونها وأوديتها، وأخذ الأموال، وغنم غنائم جزيلة منها، ورجع سالماً^(٤).

وفاة الشريف محمد بن بركات

وفي سنة تسعمائة وثلاث توفي الشريف محمد بن بركات في الحادي عشر من محرم بوادي مرّ الظهران، وحمل إلى مكة، وصلي عليه،

(١) إتحاف الوري (٤/٤٩٣). وانظر: منائح الكرم (٣/٦٩-٧٠)، وسمط النجوم (٤/٢٩٠)،

ودرر الفرائد (ص: ٣٣٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٧٢)، وغاية المرام (٢/٥١٣-٥١٤).

(٢) إتحاف الوري (٤/٥٥٨). وانظر: منائح الكرم (٣/٧٥-٧٦)، وإتحاف فضلاء الزمن

(١/٢٧٤)، وغاية المرام (٢/٥١٨).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٤٤).

(٤) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٧٩)، وسمط النجوم (٤/٢٩١).

ودفن بالمعلا، وبني عليه قبة^(١). انتهى.

وفي بلوغ القرى^(٢) في حوادث سنة ثلاث وتسعمائة: وفيها في يوم الثلاثاء حادي عشر^(٣) شهر محرم الحرام مات السيد الشريف الحسيب النسيب جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان -صاحب الحجاز كله؛ مكة، والمدينة، وينبع، والحجاز، وحلي، بل وصاحب جازان من تحت أمره، ويحمل الخراج إليه كل سنة- بوادي الآبار، [ووصل]^(٤) الخبر إلى مكة المشرفة، وحُمِلَ إلى مكة في سرير على أعناق الرجال، فوصل إليها في أثناء ليلة الأربعاء، ومعه أولاده وعسكره، ولحقهم النساء في الفجر إلا اليسير جداً، فوصلوا ليلة الخميس، وجَهَّزَ بيته وحُمِلَ إلى الكعبة المشرفة وطيف به أسبوعاً كعادة أسلافه، ومعه بعض أولاده وعسكره، ثم بعد الفراغ وضع عند البيت إلى أن صَلَّى الصبح يوم الأربعاء، فصلَّى عليه الناس، وأمامهم القاضي الشافعي الجمال أبو السعود، ونادى الرئيس فوق ظلة زمزم بالصلاة عليه، ووصفه بألقاب حسنة مسجعة، فزاد الناس بالبكاء والنحيب، وشيَّعه جميع الناس، حتى الأمير أزيك، بل خرج معه من البيت، والمخدرات من البيوت، ودفن بحوطة قبة أبيه، ورام الأمير أزيك بالمعلاة كتابة محضر حينئذ

(١) خلاصة الكلام (ص: ٤٦). وانظر: منائح الكرم (٩٨/٣)، وسمط النجوم (٢٩٢/٤)، ودرر القرائد (ص: ٣٤٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٨٩/١)، وغاية المرام (٥٩٦/٢)، وقد هدمت القبة المذكورة.

(٢) بلوغ القرى (ص: ١٠٠). وانظر: غاية المرام (٥٩٦-٥٩٧).

(٣) في بلوغ القرى: عشري.

(٤) في الأصل: وصل. وانظر: غاية المرام (٥٩٦/٢).

للسيد بركات، واستدعى إليه القاضيين الحنفي والمالكي، والشافعي [كان]^(١) عنده، وحضر جميع النساء اللاتي ييكن إلى المعلاة، وجزّ كثير منهن شعورهنّ، وتعطلّ البيع والشراء بعده بالمسعى والشوارع إلى يوم الاثنين سابع عشري الشهر.

قال العلامة الطبري في إتحاف فضلاء الزمن^(٢): كان السيد محمد بن بركات جامعاً لأشتات الفضائل، حاوي المحاسن والشمائل، بنى بمكة رباطاً للفقراء، وبالنوارية^(٣) سبيلاً في طريق وادي مرّ، وبني سبيلاً بطريق جدة، وأوقف على ذلك أوقافاً كثيرة، وهي بوادي مرّ شهيرة، وخلف من الأولاد ستة عشر ذكراً غير الإناث، منهم: حميضة، ورميثة، وجازان، وهزاع، وقايتباي، وعلي، وراجح، وبركات.

ولاية الشريف بركات بن محمد

فولي مكة مولانا الشريف بركات بن محمد بن بركات^(٤)، وقرئ توقيعه بالخطيم يوم الأربعاء، رابع ربيع الآخر عام تاريخه، من قبل الناصر محمد بن قايتباي. انتهى.

(١) في الأصل: كانا. والتصويب من بلوغ القرى (ص: ١٠٠).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢٨٩/١-٢٩٠).

(٣) النوارية: كانت محطة بوادي سرف، وأقيمت هناك مصانع للنورة فتكونت هذه المحطة وانعشت، فلما توقفت تلك المصانع تقهقرت المحطة أو المنهل وكاد يندثر. ثم خططت وعمرت، وأصبحت اليوم حياً جليلاً مأهولاً (معجم معالم الحجاز ٩/٩٤).

(٤) انظر ترجمته في: غاية المرام (٣/٣٣٥-٣٣٩)، والضوء اللامع (٣/١٤)، والنور السافر (ص: ١٥٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٦-٥٢)، والأعلام (٢/٤٩)، والسنا الباهر (ص: ٣٠٢-٣٠٨).

وفي منائح الكرم^(١): قرئ توقيعه بحضرة كاتم السر^(٢) البدري محمد بن مزهر لوصوله بقصد ولايته من صاحب مصر السلطان محمد بن قايتباي، وأشرك معه أخوه هزاع في لبس الخلعة الثانية، وفوض إليه أمر الأقطار الحجازية والحرمين.

فلبس الخلعة الواردة عليه وطاف بها والريس يدعو له، ثم صعد إلى داره ولم يزل إلى أن خالفه أخوه هزاع وأحمد الجازاني سنة تسعمائة وأربع كما سيأتي بيانه^(٣).

ومولده سنة ثمانمائة وإحدى وستين بمكة المشرفة إما في ربيع أو بعده، ونشأ في كفالة والده.

قال في النشأة^(٤): وترجمه السخاوي في "الضوء اللامع"^(٥)، وكذا ترجمه العلامة عبدالعزيز بن فهد في مؤلف له سماه: "غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام"^(٦).

وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمان وسبعين، ورجع شريكاً لوالده، وأخذ في مصر على نحو أربعين شيخاً وأجازوه، وأجازوه بمكة جماعة خرجوا له

(١) منائح الكرم (١٠٣-١٠١/٣).

(٢) كاتب السر: هو صاحب ديوان الإنشاء، ويطلق عليه العامة: كاتم السر؛ لأنه يكتب سر الملك. وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل. ومن مهماته: التوقيع على القصص بدار العدل، وتلقي أخبار الممالك وعرضها على السلطان وتولي الإجابة عنها، وغيرها (انظر: صبح الأعشى ٤٣٦/٥، ومعيد النعم ومبيد النقم ص: ٣٠).

(٣) في الصفحة التالية.

(٤) هو كتاب نشأة السلافة بمنشآت الخلافة في التاريخ، لخي الدين عبدالقادر الطبري.

(٥) الضوء اللامع (١٤/٣).

(٦) غاية المرام (٣٥/٣).

عن مشايخه، ففرح بذلك وأحسن إليهم. ذكرهم بأجمعهم ابن الفضل في "الوسيلة"^(١).

قال الطبري في الإتحاف^(٢): خرَّج له الشيخ الرُّحَلَة جَار الله بن عبدالعزيز بن فهد عن أربعين شيخاً من مشايخه أربعين حديثاً في فضل أهل البيت، سماها: "غاية الأمان والمسرّات لعلو سلطان الحجاز بركات"^(٣).

واستمر الشريف المذكور إلى أن خالفه أخوه هزاع وأحمد، سنة تسعمائة وأربع، فوقع الحرب بينهم بوادي الجموم^(٤). وسبب ذلك: أن طومان باي^(٥) لما ولي مصر بعد جنبلط^(٦) طرد رجلاً من جماعة جنبلط يقال له: قانصوه الحمدي، ويعرف بالبرج^(٧)، فجاء إلى مكة فلم يلتفت إليه صاحب مكة

(١) أورد أسماءهم العز ابن فهد في غاية المرام (٣/٣٧-٤٣).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٠-٢٩٤).

(٣) انظر: سمط النجوم (٤/٢٩٤). وقد أورد معناه ابن فهد في غاية المرام (٣/٢٣٤-٢٣٥).

(٤) وادي الجموم: يبدو أنه جزء من وادي مر الظهران إذا تعدى هذا الوادي قرية أبي حصاني، سمي عندها وادي فاطمة، وفيه قرى عديدة منها الجموم قصبة هذا الوادي (انظر: معجم معالم الحجاز ٢/١٧٦-١٧٧).

(٥) طومان باي: هو طومان بن قانصوه. ولد عام ٨٧٩ هـ، جركسي الأصل. تسلطن عام ٩٠٦ هـ، وخلع بعد مائة يوم (بدائع الزهور ٤/٤٧٧).

(٦) جنبلط: هو ابن يشبك الأشرفي. ولد عام ٨٦٥ هـ، وتسلطن عام ٩٠٥ هـ، وخلع بعد ستة أشهر، ثم قتل في سجنه بالاسكندرية عام ٩٠٦ هـ (بدائع الزهور ٤/٤٦٢).

(٧) قانصوه الحمدي: من القادة الأقوياء. توفي عام ٩١٠ هـ، ويعرف بالبرجي؛ لأنه كان نائب البرج الذي بناه قايتباي بالاسكندرية. كان أصله من ممالك الأشرف قايتباي. ولي عدة وظائف سنية منها: نيابة البرج، وأمير مجلس، وأمير محمل الحج، ثم صار نائباً للشام حيث مات فيها (انظر: غاية المرام ٣/٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١٧٥، وبدائع الزهور ٣/٤٣٣، ٤٦٩، ٤٧٠، ٣٤٦، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠

الشريف بركات بن محمد، ولا قاضيه^(١)؛ خوفاً من السلطان طومان، فلما فقد طومان وتولى الغوري ليلة عيد الفطر من سنة تسعمائة وست، أرسل إلى قانصوه (البرج) بولاية الشام، فوصلت إليه الكتب في أول ذي القعدة، وهو بمكة، فجاءه الشريف بركات والقاضي أبو السعود بن ظهيرة للسلام عليه، فلم يأذن لهما؛ لعدم التفاهما إليه أولاً، وكان الشريف هزاع بن محمد بن بركات بمكة، فعامله قانصوه على أن يجعل إمرة مكة إليه، ويخلع أخاه بركات، وأمره بالخروج إلى ينبع، فخرج في خمسمائة فارس ونزلوا بالينبع، وكان واليها يحيى ابن سبع الحسيني^(٢). وكتبوا السلطان في إمرة مكة المشرفة بمائة ألف دينار شريفي^(٣) جديد، فأمر مولانا السلطان بتعيين المقرّ البدر بن مزهر^(٤)

(١) أبو السعود بن ظهيرة.

(٢) يحيى بن سبع الحسيني: تولى إمارة ينبع عوضاً عن دراج في عهد السلطان محمد بن قايتباي عام ٩٠٣هـ (بدائع الزهور ٣/٣٨٦).

(٣) شريفي، وأشرفي، وأشرفي: هي كلمة فارسية بمعنى نبيل، أطلقت في القرن السادس عشر لتدل على العملة الذهبية التي ضربتها الأسرة الصفوية بفارس، وهي بحجم وزن الدينار الذهب. أما في العصر المملوكي في مصر فأطلق لفظ أشرفي على العملة الذهبية التي ضربها السلطان الملك الأشرف برسباي سنة ٨٢٩هـ، وهي عيار مرتفع ووزن قدره درهم، وثن الدرهم ويساوي زنة الافرنقي المستعمل قبله، وبعد الفتح العثماني لمصر أطلق لفظ الشريفي على العملة الذهبية المضروبة في القسطنطينية وأصبح مرادفاً لكلمة سلطاني (انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٤، والموسوعة العربية الميسرة ص: ١٦٥).

(٤) المقر: من الألقاب. وأصله في اللغة: موضع الاستقرار. استعير في المكاتبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيماً له عن التفوه باسمه، أطلق في أول عصر المماليك على السلطان، ثم تدهور فيما بعد فأصبح يختص بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجري مجراهم كناظر الجيش وناظر الخاوص وناظر الدولة وكتاب الدست، ومن في معناهم (انظر: صبح الأعشى ٥/٤٦٣ - =

ياخذ هذه الفتنة^(١).

ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات

ثم إن قانصوه المذكور أرسل إلى أمير الحج المصري سودون العجمي^(٢) ودولات باي^(٣) أمير أول يأمره أن يعطي المراسيم والخلع للشريف هزاع^(٤)، ففعل ذلك أمير الحاج لما وصل إلى ينبع، وأتاه الشريف هزاع بكتب طومان، وتوجه إلى مكة مع الحاج المصري، ومعه الأشراف بنو إبراهيم^(٥) في نحو مائة فارس، فلما علم بذلك -بركات- خرج إلى وادي مرّ، والتقى الجمعان هناك^(٦)، وتقاتلا فانكسر هزاع، وقتل من أصحابه نحو الثلاثين، فأعانه الأمير المصري والحجاج على أخيه بمال بذله إليه الشريف هزاع، فكثرت

٤٦٤، والألقاب الإسلامية ص: ٤٨٩-٤٩٤). والمقر البدرى: من القضاة. تولى كتابة السر عام ٩٠٣ هـ، ثم عزل مرتين، وسجن وعذب، وأطلق سراحه العادل طومان عام ٩٠٦ هـ. توفي عام ٩١٦ هـ.

(١) انظر: منائح الكرم (١٠٥/٣-١١١)، وسط النجوم (٣١٣/٤).
(٢) سودون العجمي: تولى نيابة الشام، ثم أتاكب العسكر بمصر. قتل بمرج دابق عام ٩٢٢ هـ (مفاكهة الخلائ ٢٨١/١، ٢٤/٢، وبدائع الزهور ٦/٤).
(٣) دولات باي قرموط: أخو السلطان طومان باي. تولى إمرة الحاج الشامي في نيابة حلب وطرابلس، ثم الشام جميعاً. مات عام ٩١٧ هـ (مفاكهة الخلائ ١٨٣/١، ٣٥٥، وبدائع الزهور ٦/٤).

(٤) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ٤٦)، والأعلام (٨٣/٨)، والسنا الباهر (ص: ٥٩-٦٠).

(٥) بنو إبراهيم: يبدو أنهم ذوو إبراهيم الذين هم فرع من الأشراف بني بركات بن أبي غني والذين يسكنون وادي مر الظهران (معجم قبائل الحجاز ص: ١٢).

(٦) في رأس الجموم (انظر: غاية المرام ١٠٣/٣).

المقاتلة على الشريف بركات، وقتل ابنه السيد أبو القاسم، وجماعة من العسكر^(١)، وأخذت محطته^(٢) بما فيها، وانتهكت الحرم والأطفال، فهرب الشريف بركات إلى جدة، ودخل الشريف هزاع مكة صحبة الحاج المصري، واضطربت أحوال الناس، ونهبت الأطراف، فضجّت الناس، وطلعوا إلى الشريف هزاع وأسمعوه ما شقّ عليه، فدخل عليه عمه الشريف إبراهيم بن بركات، وأمره بالخروج معه إلى الشريف بركات، فخرج معه، وأصلح بينهما. والتزم للشريف بركات أن يأخذ له من الشريف هزاع ثلاثة آلاف أشرفي [فوافقه الشريف هزاع^(٣)]، ولم يحج الشريف بركات^(٤) في هذا العام، وخرج من جدة إلى بدر، وأقام هناك بجموع جمعها.

ثم إن الشريف هزاع لم يأمن من أخاه، فخرج مع الحج المصري إلى ينبع، وانحاز إلى يحيى بن سبيع أمير ينبع وغيره من زبيد -أخوال أخيه جازان-، وجمع هناك الجموع.

فدخل الشريف بركات مكة لثمان بقين من ذي الحجة^(٥). ثم إنه تأهب

(١) أي عسكر الشريف بركات.

(٢) أي مكان إقامته.

(٣) في هامش منائح الكرم: الأصح: الشريف بركات.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من منائح الكرم (١٠٩/٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٩٣/١).

(٥) أي سنة ١٠٦٥هـ. وقد ذكر ابن فهد في حاشية المصنف (١٠٩/٣): أن الشريف بركات

سنة ١٠٦٥هـ. روى ابن فهد في حاشية المصنف (١٠٩/٣).

لقتال أخيه هزاع، وأقبل هزاع نحو مكة، فخرج للقائه، والتقيا بالبرقاء^(١) في العشر الأول ضحى يوم الأحد، تاسع جمادى الأولى، سنة تسعمائة وسبع، فهزم عسكر الشريف بركات وقتل أخوه [أبو]^(٢) دعيج وجماعة من الأتراك، وسبعة من آل أبي نمي، وخلق من الفريقين^(٣).

فتوجه الشريف بركات إلى الليث -من جهة اليمن-، فتبعه الشريف هزاع، وجدّ خلفه، ولما فاته الشريف بركات رجع إلى جدة، وأقام بها وزيراً^(٤) وحاكماً^(٥)، وقرر أحواهما، ووصلته المراسيم والخلع من البحر على يد الأمير إلياس^(٦)، وطلع الأمير المذكور إلى مكة، فكان دخوله جدة يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر المذكور، [وقراً]^(٧) المراسيم، وألبسه الخلع.

واستمر بمكة^(٨)، ثم وعك، فخرج إلى وادي الآبار وهو مريض، فقدر

(١) البرقاء: يبدو أنها برقاء الغميم، وكانت تعرف بكراع الغميم بين مكة والمدينة، وهي برقاء على كراع من الحرة يسار الطريق الصادر من عسفان على (١٦) كيلومتراً تقريباً، تقع بين وادي راين وشامية ابن حمادي (انظر: معجم البلدان ٤/٤٤٣، ومعجم معالم الحجاز ٢٦٣/٦-٢٦٥).

(٢) قوله: "أبو" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (٢٩٤/١)، ومنايح الكرم (١١٠/٣). وأبو دعيج هو: ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (انظر: غاية المرام ٢/٦٠٠، ١١٤/٣).

(٣) انظر أسماءهم في: غاية المرام (١١٤/٣-١١٥).

(٤) هو محمد بن راجح بن شيلة.

(٥) هو عبد من قواده.

(٦) كذا في الأصل ومنايح الكرم وإتحاف فضلاء الزمن. وسياي: ألماس.

(٧) في الأصل: وقرئ. والتصويب من منائح الكرم (١١١/٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٩٤/١).

(٨) أي الشريف هزاع.

الله عز وجل وفاته بوادي الآبار، في خامس عشر رجب، وحُمِلَ إلى مكة وصُلِّيَ عليه، وطيف^(١) به سبعاً على عادتهم، ودفن بالمعلاة بقبة أبيه. انتهى^(٢).

وفي بلوغ القرى^(٣): وفي يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رجب سنة سبع وتسعمائة مات السيد هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بالسمرات بين وادي الآبار والعدّة، وحمل في فردة شقذف على رؤوس الرجال إلى مكة، فوصل بها بعد العشاء، وجُهِزَ بداره، وحُمِلَ إلى المسجد قبل التسيح، ثم طيف به أسبوعاً^(٤)، وصُلِّيَ عليه قاضي القضاة الشافعي بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة، ونادى الرئيس بالصلاة عليه فوق ظلة زمزم: "الصلاة على السيد الشريف الحسيب النسيب زين الدين هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان صاحب الحجاز، الصلاة رحمكم الله" وشيَّعه القضاة، والفقهاء، والأمراء، والترك، والتجار، وغوغاء الناس، وكان الجمع وافراً، وكذا النساء، ولم يبك عليه إلا بعد إتيانه المسجد، جاء أهله من الفريق فبكوا، وطلعوا المعلاة فتتابع النسوان، ودفن بقبة أبيه. انتهى.

(١) الطواف بالبيت من الأمور المبتدعة التي وقعت في تلك الفترة، وقد زالت والله الحمد والمنة.

(٢) منائح الكرم (١٠٥/٣-١١١). وانظر أحداث ولاية الشريف هزاع في: غاية المرام (١٠٠/٣-١١٧)، ودرر القرائد (ص: ٣٤٨-٣٥٠). وانظر: سمط النجوم (٢٩٧/٤-٢٩٨).

(٣) بلوغ القرى (ص: ١٢٥). وانظر: (هامش غاية المرام ١١٦/٣-١١٧).

(٤) انظر التعليق رقم (١) المتقدم.

ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات، الملقب بالجازاني

فولي مكة أخوه الشريف أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازاني^(١)،
-ويقال فيه: جازان-، ودخل مكة خامس عشر رجب بمساعدة القاضي
[أبي]^(٢) السعود بن ظهيرة.

قال السيد السمرقندي: وبعد موت الشريف هزاع وقع عقد مجلس
بالحرم الشريف حضره القاضي أبو السعود [وابنه]^(٣) صلاح الدين بن
ظهيرة، والقضاة، والحكام، والأمراء من العرب، والأروام^(٤)، وفيهم
الشريف جازان، ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد^(٥)، وأعيان الشرفاء
الكرام، وتفاوضوا فيمن يليق بإمارة مكة، فقال مالك بن رومي: ما أمير
مكة إلا جازان -في كلام تكلم به-، فسكت الحاضرون، فقال القاضي

(١) انظر ترجمته في: بدائع الزهور (٤/٦٢، ٤٧)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٦-٤٨)، والأعلام (١/٢٣٢).

(٢) في الأصل: أبو. وهو خطأ، وانظر: منائح الكرم (٣/١١٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٤).

(٣) في الأصل: بن. والتصويب من منائح الكرم، الموضع السابق.

وهو: صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة المكي الشافعي، قاضي القضاة، وناظر المسجد الحرام، وأحد علماء مكة الأفاضل. توفي سنة ٩٢٧هـ، ودفن بالمعلاة (انظر: غاية المرام ٣/٢٣٥، ٢٤٧، ٢٨٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤)، والمختصر من نشر النور والزهر (ص: ٢٢٣).

(٤) الأروام: هم الأعاجم الذين ترجع أصولهم إلى بلاد الروم (آسيا الصغرى).

(٥) هو مالك بن رومي، أمير خليص، وخال الشريف جازان، توفي سنة ٩١٣هـ (عنه وعن دَوْره في الأحداث انظر: غاية المرام ٣/٨٧، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٨٤، ٢٠١، وبدائع الزهور ٤/٣٦، ودرر الفرائد ص: ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٧).

أبو السعود: ومن يليها الآن [وتكون]^(١) في وجهه؟ فقال مالك بن رومي: جازان وبنو إبراهيم معه في ذلك. انتهى. ذكره الطبري في إتحاف فضلاء الزمن^(٢).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن فهد في بلوغ القرى^(٣): ونودي في شوارع البلد أن البلد لجازان بن محمد، وأن البلاد وجميع العربان في وجهه، وأظن أنهم يكتبون محضراً بذلك ويأخذون فيه خطوط الناس ويرسلونه مع قاصد بمصر، وجع التجار في مدرسة السيد محمد بن بركات، ولم يظهر بعضهم، فكسر باب بعضهم، وبعضهم أرادوا به ذلك، وجعل عليهم مال، أُخْبِرْتُ أنه جعل على رستم خمسمائة -وقيل: ثمانمائة-، وعلى علي راحات أربعمائة، وعلى الشيخ علي ألف، وعلى كل من محمد سلطان وابن المزين ومعين الدين وابن القاري وابن الشيخ علي مائتين مائتين، وعلى ناس مائة مائة، وآخرين خمسين، وعلى غيرهم أربعمائة وثلاثمائة، واجتمع من ذلك شيء كثير، وأخذوا من أخي أبي ناصر كثيراً من تركة [القراء]^(٤) الذي هو وصي عليها، وهو شاشات، ورمى ذلك على التجار.

ثم في يوم الجمعة ثامن عشر الشهر دعا الخطيب محب الدين النويري للسيد جازان، وسماه: شهاب الدين أحمد، ثم بعد الصلاة والدعاء طاف

(١) في الأصل: ونكون. والتصويب من منائح الكرم (١١٣/٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٩٥/١).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢٩٤-٢٩٥). وانظر: منائح الكرم (١١٢/٣-١١٣)، وسمط

النجوم (٣١٤/٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٧).

(٣) بلوغ القرى (ص: ١٢٥-١٢٦). وانظر: هامش غاية المرام (١١٧/٣).

(٤) قوله: "القراء" زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٢٥).

السيد جازان، ودُعي له على ظلة زمزم على عادة أمراء مكة.

ثم في صبح يوم السبت تاسع عشر الشهر توجه السيد جازان إلى الفريق^(١)، فأنكر عليه يحيى بن سبيع أخذه من التجار والشاشات [خصوصاً جماعة للحامين بالقلعة]^(٢)، فأرسل [برد]^(٣) الشاشات، فوجدوهم قد أخذوا فيها من التجار والمتسبين وهو ألف دينار، وأعطوه للشرفاء ذوي أبي نهي، ووقع الاتفاق بين السيد جازان والعسكر على أن يعطى الفارس عشرين أشرفياً، والراجل عشرة أشرفية، فأعطاهم النصف على أن يكمل لهم.

ثم في آخر يوم الثلاثاء الثاني عشر من الشهر وصل جازان [لمكة]^(٤) من الفريق.

ثم في أوائل يوم الخميس الرابع عشر من الشهر توجه السيد جازان إلى جدة، وتوجهت بنو إبراهيم في آخر النهار، وتوجه مالك بن رومي أيضاً إلى جدة بمن معه وبعض عسكر يحيى بن سبيع، وتوجه يحيى بمن معه إلى جهة ينبع، ولما وصل السيد جازان إلى جدة اجتمع هو ومالك وعسكرهما ونهبوا، وكان ذلك في يوم الجمعة، واستمروا في نهبها إلى آخر النهار، ولم يصل في ذلك اليوم جمعة ولا جماعة، ورضي ابن قيماز وبعض جماعته بأخذ مبلغ من

(١) الفريق: تصغير فرق، وهو اسم موضع بتهامة (معجم البلدان ٤/٢٦٠).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٢٥).

(٣) في الأصل: لرد. والتصويب من بلوغ القرى، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: بمكة. والتصويب من بلوغ القرى، الموضع السابق.

أهل دور [أو حارة]^(١)، ومنعوا بيوهم من النهب. انتهى.

رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة، واعتذار

صاحب مصر له

واستمر الشريف أحمد بن محمد الجازاني بمكة إلى أن بلغه قدوم الشريف بركات في شعبان عام تاريخه^(٢)، فخرج من مكة إلى ينبع^(٣).

قال الشيخ عبدالعزيز بن فهد^(٤): وفي شعبان من السنة المذكورة توافدت الأخبار بوصول الشريف بركات من اليمن، ووصل منه بعض أناس قليلون، ثم في يوم الأربعاء ثامن الشهر نودي بوصول السيد بركات، وأن العرضة^(٥) غداً، فلما كان صباح الخميس وصل من الحجاز جوهر الطويل [والجمال محمد الثَّقَري]^(٦)، ومعهما نحو عشرين فارساً ورجال كثيرين، وعرض لهم من بمكة من العبيد وأهلها، ودخلوا إلى بيت الشريف، واستمر اللعب عند بيت الشريف صباحاً ومساءً، وخرج القضاة والأمراء إلى الزاهر للقاءه، ولما وصل الزاهر ألبسه الأمير ألماس خلعة سلطانية، ثم ركب وركبت معه القضاة

(١) ما بين المعكوفين زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٢٦).

(٢) أي سنة ٩٠٧ هـ.

(٣) منائح الكرم (١١٤/٣).

(٤) بلوغ القرى (ص: ١٢٦)، وغاية المرام (١١٧/٣-١١٩).

(٥) العرضة: نوع من الاستعراض العسكري، تخرج القبائل فيه لاستقبال زائرها، يلوحون بسيوفهم، ويلعبون بينادقهم (هامش تاريخ مكة للسباعي ٤٦٤/٢).

(٦) في الأصل وبلوغ القرى: والنضر. والمثبت من غاية المرام (١١٧/٣).

والنقري: واحد النقرة، بطن من رفاة من مالك من جهينة (معجم قبائل الحجاز ص: ٥٣٢).

والأمراء والأتراك وجميع الخيالة والعساكر الذين وصلوا معه، وهم كثيرون جداً، واستمروا إلى أن دخلوا المسجد من باب بني شيبه، فسجد الشريف شكراً لله تعالى، ثم طاف، ودعا له الرئيس على زمزم في جميع أشواطه كالعادة، ثم بعد صلته في المقام جلس هو والأمراء وقاضي القضاة الشافعي بالخطيم تحت زمزم، وقرأ ابن الحناوي المرسوم، وفيه -بعد السلام والتحية-: الاعتذار عما وقع من الأمراء من تولية السيد هزاع، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا لما رأوه هو وابن سبيع في جمع كثير، فخافوا على الحاج، ولم يكن هذا عن أمرنا، وساءنا موت ولدك، وكان ينبغي لك لما سمعت تجمعهم توجهت لهم، وقد جهزنا لك خلعة ومرسوماً على يد الأمير ألماس -أحد أمراء الطبلخانات-(١)، والتوصية به، وشافهته بما يُشافهك به، فلتقر عيناً، ولتنشرح صدرأ. بتاريخ ثامن ربيع الآخر.

وبعد قراءته دخل الحِجر وصلى به ركعتين، وتوجه إلى داره والناس مشاة أمامه، ثم إنه جمع التجار وسأهم في قرض مال، فأذعنوا له، فكثّر على بعضهم، فاشمأزوا وتركوا، ثم طلبوا مرة بعد الأخرى، ثم خففَ عمن كثر عليه.

وكان في المطلوب منهم: عبدالله وعثمان ابنا محمد البوني، فطلب منهما

(١) أمير الطبلخانة: سبق التعريف به.

ثلاثة آلاف، ثم حبسا، ثم خُفِّفَ عنهما، فجعل على الأول ألف، وعلى الثاني ألف وخمسمائة، فباع الأول بيتاً وحوشاً بسبعمئة على ابن العيني، وبيتاً بالسوق الصغير بثلاثمائة، والثاني باع بيتاً له على [عنقاء]^(١) بن وُبَيْر، وهو يسوم باقي بيوته ليوفي ما صودر به، والله يلفظ بالمسلمين. انتهى.

قال السنجاري^(٢): ثم إنه لما استقر أمر الشريف بركات قبض على قاضي القضاة جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة في تاسع رمضان من العام المذكور^(٣)، وذلك لأن جماعة الشريف بركات ظفروا بكتب من القاضي المذكور إلى الشريف أحمد يستحثه إلى مكة بعد وفاة هزاع، فظفروا بها قبل أن تصل إلى أحمد، فجاؤوا بها إلى الشريف بركات، فعقد عليه مجلساً في داره، واستدعاه من درسه في تاسع رمضان سنة تسعمائة وسبع، فاستمهل إلى آخر درسه، فلم يُمهل، ودخل الطواف ليطوف فلم يمكِّن، فلما حضر المجلس لم يقابله الشريف بما يعتاده من الإكرام، وأمر بإجلاسه مجلس العوام، ثم أخرج كتاباً قرأه على الحاضرين من القضاة والأعيان، وباش

(١) في الأصل: عنقان. وهو خطأ. والتصويب من بلوغ القرى (ص: ١٢٦).

وعنقاء بن وُبَيْر: هو الشريف عنقاء بن وُبَيْر بن محمد بن عاطف بن أبي دعيح، قريب صاحب الحجاز، وصهره على ابنته -واحدة بعد الأخرى- وعلى أخته قبلهما، إلا أنه سخط عليه في آخر أيامه؛ لتوهمه استمالته مع المصريين، وأمره بطلاق ابنته (الضوء اللامع ١٤٩/٦).

(٢) منائح الكرم (٣/١١٤-١١٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٢٩٥-٢٩٦). وانظر: سمط النجوم (٤/٢٩٨).

(٣) أي سنة: ٩٠٧هـ.

[العسكر]^(١)، والمحتسب، والشهاب العيني.

وسأل الجماعة الحاضرون له العفو فلم يجابوا إلى ذلك، بل أقيم من المجلس بعد أن لطمه السيد قايتباي بن محمد، وأودع السجن، وأخذت أمواله الظاهرة، وأمر ببيع عقاره، فبيع غالبه. انتهى.

وقال ابن فهد في بلوغ القرى^(٢): وبعدما أمر الشريف بركات بالمواظبة والحفظ على القاضي الشافعي، توجه البوقيري وابن قنيد إلى بيته وأخرجوا أولاده وبناته وعيالهم إلى بيت بهاء الدين، وختموا على بيوت القاضي وأولاده صلاح الدين وبهاء الدين، وبنتيه، وأخيه سيد الناس داخلاً وخارجاً، إلا باب بهاء الدين الكبير، فجمعوا النسوان في الدهليز وغلقوا الباب من خارج، ثم توجهوا بصلاح الدين وإخوانه وبني عمه والبطيني فردّوهم كلهم، إلا ولده صلاح الدين وأخاه سيد الناس والبطيني، وترك الأولان بيت البوقيري، وحبس البطيني عند ابن قنيد، ثم لما كان بعد المغرب أو العشاء حضر ابن قنيد إلى بيت بهاء الدين، وأخرج النسوان وذهب بينات القاضي الثلاثة، ثم في صباحها حضر البوقيري إلى بيت القاضي وسّم بعض الخوخ والباب الذي من حارة قريش، وكان هذا الأمر فظيماً، وشقّ على الخيرين من الناس ولا قوة إلا بالله، والله يفرّج عنا وعنهم وعن المكروبين.

(١) في الأصل: عسكر. والمثبت من منائح الكرم (١١٦/٣).

وهو قانصوه الجوشن (انظر: غاية المرام ١١٥/٣).

(٢) بلوغ القرى (ص: ١٢٦-١٢٧).

ثم كتب للشريف محضر وفيه: أن السيد الشريف محمد بن بركات والقاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة كانا شيئاً واحداً، ثم السيد بركات والقاضي أبو السعود كذلك، ثم إن العسكر صاروا ينقلون للسيد بركات عن القاضي أشياء وهو يكذبها، إلى أن اتفق في الموسم مما اتفق، ثم لما وصل بعد الموسم السيد بركات وهرب السيد هزاع أراد السيد بركات يتجهز لزريد، فصار القاضي يفخده^(١) ويقول له: نيتهم مع جازان الصلح، وصار يكتب جازان ويرسل له بالثياب والحلوى والأوراق، ثم أرسل له السيد بركات ولامه فاعتذر، وقال: إني وأصلون، وإني أريد أن أظهر ولدي، فإذا أظهرته يجيء جازان بلا شك، فأظهره فلم يصل، ثم جاء السيد هزاع ومعه أخواه جازان وحميضة، وزيد، وصاحب ينبع وعسكره، وبنو إبراهيم، والصيادلة^(٢) ومن يلتم عليهم، فكان أيضاً ما قدر، ثم لما مات السيد هزاع أقام جازان وأمر الخطيب فدعى له، ثم طاف ودعى له على زمزم، وكل ذلك [اقتيات]^(٣) منه، ثم صار بعض الفقهاء بعد أن وصلنا يخبرنا عنه بأشياء، ثم ظفروا بأوراق له فيها ورقة بخطه وقائمة وذكرها برمتيها، ثم ورقة أخرى، فلما تحققنا ذلك اعتقلناه، وختمنا على أبوابه، وطالعنا الأبواب الشريفة لنعتمد على ما يرد علينا، والسلام. وكتب في المحضر القضاة والفقهاء والتجار وخلق كثير رغبة ورهبة، وبالله المستعان.

(١) في النسخة الأخرى لبلوغ القرى: يفخذه.

(٢) الصيادلة: بطن من بني إبراهيم من مالك من جهينة، منازلهم حول أم لج (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٧٠).

(٣) زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٢٦).

ثم بعد مدة أخرج البطيني بشفاعه ابن العيني.

وفي ليلة الأحد خشب على الصلاحي وسيد الناس، ثم سمع أهلها في الصباح، فتوجه أقرباؤها والقضاة وغيرهما إلى ابن العيني فشفع لهما عند السيد بركات، وجعل عليهما خمسة آلاف دينار وخمسمائة ترسيم للبوقيري، ثلاثة على صلاح الدين وألفان على سيد الناس، فتقدم أقرباؤها من النسوان وأخرجوا صيغتهم ورهنوا، وباع سيد الناس على البوقيري مكانين بالجموم وواسط بثلاثمائة وستين.

وفي ليلة الأحد تاسع الشهر خرج القاضي صلاح الدين بن ظهيرة وعمه سيد الناس، وفتح بيت الأول وأبيه، ويقال: إنه جعل على القاضي ستة عشر ألفاً محققاً، وسلم صلاح الدين المفاتيح والحوائج، وشرع في ثاني تاريخه في بيع جميع الموجود في بيت والده والله يدبره، ثم شرع في بيع الكتب يوم الخميس ثالث عشر الشهر، وبيع يوم الجمعة والسبت، والبيع بنحو مائة وستين أو سبعين، ثم بيع في نحو المرتين بنحو الثلاثمائة، وباع جميع ما هو في البيت من الثياب والأثاث والصيني والنحاس والمفارش والأقمشة والمراطين والسمن والعسل والقمح ونخيل وبيوت، فمن النخيل بالهددة الترهة بألف دينار على عنقاء، وأموال أخر عليه بأربعة آلاف دينار وعلى غيره، ومن البيوت بمكة بيت [الغلة]^(١) بمائة وخمسة عشر، وغير ذلك، وأوردوا عشرة آلاف دينار عيناً، وأخذوا على سبيل القرض ستة آلاف، ولم يفرجوا

(١) زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٢٧).

عن القاضي، بل عاقبوه بعد ذلك وأخذوا منه عشرة آلاف أيضاً، باعوا دوراً وأصايل وثياب.

وفي غرة ذي القعدة يوم الأحد سافر السيد الشريف صاحب مكة الزيني بركات إلى جدة لأجل التوجه إلى زيد، وخلف أخاه قايتباي لأجل القاضي الشافعي، وكذا سافر الشهاب أحمد بن العيني بجدة لأجل إخراج الواصلين في المراكب.

ثم في ليلة الاثنين ثاني الشهر أمر قايتباي من عاقب القاضي الشافعي، فجعلوا في يديه الخشب، وجعلوا ألواحاً على صدره وظهره وأضلاعهم، ففعل به ذلك إلى أن خشي عليه الفوات، وأظنه استمر إلى أثناء النهار، فسمع ولده، فأخذ القاضي المالكي والرافعي وذهبوا إلى الشريف قايتباي، فدخلوا عليه فأطلقوه من العقاب، ويقال: إنه كان أطلقه قبل ذلك لما سكت أُنينه وتدلّى لسانه، وقيل له يفوت، ويقال: إنه أعيد عليه بعد ذلك، والله أعلم بما قدره عليه من المهالك، ثم جعل عليه عشرة آلاف أشرفي، فشرع ولده في بيع الأملاك والثياب والنخيل وبقية الأثاث بيت البنات وغيرهم، بل وأرسل الجمال محمد بن أحمد الدقوقي إلى جدة لبيع البيوت والصهاريج بجدة، والله يحسن العاقبة، ولا يسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا.

ثم في ليلة السبت سابع الشهر سَفَر إلى جهة جدة في شقدف؛ لأن يرسل بحراً إلى جزيرة ابن بركوت، ثم سَفَر من جدة صباح ليلة الثلاثاء عاشر الشهر.

وفي ليلة الاثنين تاسع عشر الشهر سَفَر من مكة أيضاً أولاده؛ صلاح الدين، وبهاء الدين، وتاج الدين، وسعادة، وكمالية، وأم الحسين، وسفروا بحراً إلى أبيهم بجزيرة ابن بركوت. انتهى.

وقال العصامي^(١): بعث به وأهله إلى جزيرة القنفذة^(٢)، وأمر نائبه عليها أن يركبه سنبوقاً ويغرقه، ففعل ذلك به، وغرق يوم الأحد الثاني من ذي الحجة سنة سبع وتسعمائة، وأولاده وعياله ينظرون إليه.

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٣): أغرق في البحر يوم الجمعة ثاني عيد النحر من السنة المذكورة.

ثم إن الشريف بركات سنة تسعمائة وسبع خرج لقتال أخيه أحمد الجازاني إلى ينبع، فالتقى سادس عشر ذي الحجة، فكسر الشريف بركات، وقتل ولده السيد إبراهيم وجماعة من عسكره. فرجع مكة ومرض بها. وتوفي بمكة ابن ٥٠ السيد عجلان، وأتاه الخبر بأن أخاه الجازاني جمع جموعاً وهو قاصده، فلما تحقق ذلك خرج إلى اليمن، وأقام بها إلى رجب^(٤) حتى قوي من مرضه^(٥).

(١) سبط النجوم (٢٩٨/٤). وانظر: منائح الكرم (١١٧/٣).

(٢) القنفذة: مدينة صغيرة وميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي، على قرابة ٣٤٣ كيلاً جنوب مكة، وقد برزت هذه المدينة على حساب مدينة حلي التي أخذت في الازمحلال (بين مكة واليمن ص: ١١٢-١١٣).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (٢٩٦/١).

(٤) سنة ٩٠٨ هـ.

(٥) منائح الكرم (١٢٧/٣-١٢٨)، وسبط النجوم (٢٩٨/٤-٢٩٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٨/١).

دخول الشريف أحمد الجازاني إلى مكة وخروج الشريف بركات منها إلى اليمن

فدخل الشريف أحمد مكة سنة تسعمائة وثمان، وحصل الخوف والنهب، وصادر أهلها، وأخذ أموالهم، وسبى الأرقاء، وأمهات الأولاد^(١)، وكثيراً من الأولاد [الأحرار]^(٢)، وخرج بما أخذه إلى ينبع فافتدى جماعة من أهل مكة أولادهم بدرهم سلّموها. كذا في منائح الكرم^(٣).

وفي بلوغ القرى^(٤): وفي ليلة السبت سابع شهر ربيع الأول، سنة ثمانية وتسعمائة توجه الشريف جازان إلى جدة، ورسم بجدة على ناظر جدة القاضي نور الدين الوفائي وطلب منه عشرون ألفاً، ويقال: إنه حبس بمخزن، ورسم على الناصري في ألف دينار أخذها منه، وشفع للناظر السيد حميضة فلم يقبل، ورجع بمكة مغضباً، ثم يقال: إنه لم يأخذ منه إلا ما ذكره حميضة، وهو عشرة آلاف دينار، وكان أن يأخذ منه^(٥) عشرين ألفاً أو خمسة عشر، وذلك من مال السلطان المتحصل من العشور.

وفي يوم الاثنين سادس شهر جمادى الأولى طلب السيد جازان بن محمد ابن بركات القاضي أبا القاسم الحنفي، والقاضي شرف الدين الرافعي،

(١) أمهات الأولاد: الجوّاري اللوائى ولدن لأسياذهن.

(٢) في الأصل: والأجرار. والتصويب من منائح الكرم (١٢٩/٣).

(٣) منائح الكرم (١٢٨/٣-١٢٩).

(٤) بلوغ القرى (ص: ١٢٩-١٣٠).

(٥) كذا في الأصل، والجملة غير ظاهرة في مصورة بلوغ القرى.

والشيخ خير الدين [بن]^(١) أبي السعود بن ظهيرة، والنوري علي بن أبي بكر المرشدي، وشافههم بأنكم كتبتم في المحضر وكفرتموني وقتلتم: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [الآية ٣٣: المائدة] وأنا أطلب [القاضي]^(٢) المالكي، واثبتوا على ما ذكرتم، فأنكروا أن هذا لم يكن، وجرى بينهم بعض كلام، وقام عنهم وتركوا بدهليز بيت ابن كرسون، واستمروا إلى عصر يوم الأربعاء فخرجوا على مال إلا ابن المرشدي، فجعل على الرافعي ثلاثة آلاف، وعلى أبي القاسم الحنفي وخير الدين ثلاثمائة، ويقال أن المرشدي جعل عليه ألف، ثم في ليلة السبت حادي عشر الشهر اختفى الرافعي وجميع أهل بيته.

وفي يوم الأربعاء خامس عشر الشهر أمر الشريف جازان أن يهدم بيت الرافعي، فشرعوا في ذلك، ثم أرسل الرافعي محمد بن عنقا ليجيء بالأمان ويعطي ألفين، وإلا يهدم بيته ويقطع نخله.

ثم في يوم السبت ثامن عشر الشهر مسك جماعة من التجار وضيق عليهم بالخشبة، فدفعوا ما طلب منهم وخلصوا أنفسهم، وباع بعض منهم دوراً له وبعضهم نخلاً لنجاة نفسه، واختفى كثير من التجار، بل هرب وترك أهله، والناس في أمر مريع، والله يلطف بهم. انتهى.

(١) قوله: "بن" زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٣٠).

(٢) زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٣٠).

دخول الشريف بركات مكة

ثم إن الشريف بركات جمع جمعاً كثيرة وعاد إلى مكة، فلقي أخاه أحمد بالمنحني^(١)، فقاتله هناك، ففرّ جماعة من الأشراف^(٢) الذين مع الشريف بركات إلى جهة حراء؛ لمبايعة لأخيه أحمد، فكسّر بركات، فهرب من منى على طريق الحسينية^(٣) متوجهاً إلى اليمن، فتبعه أخوه أحمد بعسكره، فأتى الشريف بركات الخبر بأنه وراءه بعسكره، فأخلف الطريق، ودخل مكة بعد خروج أحمد في طلبه، وذلك يوم الجمعة حادي عشر شهر رمضان^(٤).

ففرح به أهل مكة -لظلم من أحمد جرى عليهم- فعاهدوه على القتال معه، وبذلوا الهمة في مساعدته، وحفروا خندقاً علو مكة^(٥) وأسفلها^(٦)، وحاربوا معه لما عاد^(٧)، فعاد إليه أخوه أحمد المذكور صبح يوم الأربعاء ثالث

(١) المنحني: هو الخنساء وادي الخصب عندما يدفع في الأبطح، وعنده اليوم القصر الملكي، والجبل الذي ينحني عليه هو جبل العيرة اليمانية، ويسمى اليوم جبل الشبي (معجم معالم الحجاز ٢٨٢/٨).

(٢) وهم ذوو أبي نمي (انظر: غاية المرام ١٢٦/٣).

(٣) الحسينية: عين جنوب منى على ١٢ كيلومتر في وادي عرنة قبيل اجتماعه بنعمان، والحسينية أيضاً: قرية تلك العين جنوباً بكيلين تحت برث تكتفه سيول عرنة ونعمان يسكنها، والعين لأشراف ذوي زيد أحد أمراء مكة المكرمة (انظر: معجم معالم الحجاز ١٣/٣-١٤).

(٤) انظر: غاية المرام (١٢٧/٣)، وسمط النجوم (٢٩٩/٤)، وفيه: يوم الجمعة حادي عشر شعبان.

(٥) عند مسجد الراية وما يليه من سوق الليل (انظر: غاية المرام، الموضع السابق).

(٦) في الشبيكة بالقرب من بيت الجمال الطنبداوي وخندق عند دار الهجن (انظر: غاية المرام، الموضع السابق).

(٧) في الأصل زيادة: إليه.

عشر رمضان^(١) من أسفل مكة - من جهة المسفلة - فقاتله الشريف بركات، وأهل مكة معه، وأظهر له المجاورون من الأروام^(٢) الصدق، فكسر الشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين، ثم استعان واستنجد صاحب ينبع، فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به، وقصد مكة يوم السبت رابع عشر شوال من السنة المذكورة^(٣).

ودخل مكة من أذاخر، فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة، وقتلهم عند باب المعلاة قتلاً شديداً، وفرّ جماعة الشريف بركات، وثبتت معه الأروام المجاورون، وأبان في ذلك اليوم عن شجاعته وقوته، وما زال حتى زحزحهم عن مصافهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله في النشأة: وأخبرني من أثق به أنه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى: الجرادة، وأنه اقتحم بها الخندق الذي [حفرتة]^(٤) الأتراك حول سور المعلا، وهو بمفرده، وجعل يضرب بسيفه في الجيش، فانهزموا وهو يضربهم حتى أبعدهم، فذُرْع^(٥) بعد ذلك عرض الخندق فكان سبعة أذرع. انتهى.

وانهزم القوم راجعين إلى ينبع^(٦).

(١) انظر: غاية المرام (١٢٧/٣، ١٢٨).

(٢) أي المقيمين من الأتراك.

(٣) أي سنة ٩٠٨ هـ. انظر: غاية المرام (١٣٠/٣، ١٣٣)، وبلوغ القرى (ص: ١٣٢).

(٤) في الأصل: حفرت. والمثبت من منائح الكرم (١٣٢/٣).

(٥) أي: أخذ مقاسه بالنراخ.

(٦) منائح الكرم (١٢٩/٣-١٣٣)، وانظر: سمط النجوم (٢٩٨/٤-٢٩٩)، وإتحاف فضلاء

الزمن (٣٠٨/١-٣٠٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٧-٤٨).

دخول الشريف أحمد مكة في غيبة أخيه الشريف بركات

ثم إن الشريف بركات خرج إلى اليمن، فدخل الشريف أحمد بن محمد بن بركات مكة في غيبة الشريف بركات، وأذل^(١) أهلها، وعاقبهم أشد عقاب، وأهانهم أشد إهانة، وقتل خلقاً كثيراً، ونهب البيوت، وسبى الأرقاء وأمهات الأولاد، وكثيراً من [أولاد]^(٢) الناس. كذا في منائح الكرم^(٣).

قال الشيخ عبدالعزيز بن فهد^(٤): واستفك الناس كثيراً من العبيد والإماء، وغالبهم ذهبوا به وأبوا عليه، وتوجهوا بكثير من النهب لينبع، وباعوا الكثير بمكة بأرخص الأثمان، وبيع النحاس والصيني بما لا يذكر، واشترى من لا يخاف الله ذلك، واستفك من له قدرة بعض قماشهم وحوائجهم بما هو أحسن من الشراء، ونهبنا في جملة من نهب، وأخذ لنا عبد وجارية، وتعبنا في تخليصهما لقلّة الدراهم، ولقينا بعض الحوائج بأجس الأثمان، فعجزنا عن شرائها لعدم القدرة، بل عجزنا عن النفقة، وأراد الله لبعض الناس خيراً بأن سلمت يوقم على مال جعلت لمن حضرهم، وغلب بعضهم بأن [أخذ]^(٥) زائداً ونهب شيئاً آخر، بل أخذ للشريف

(١) في منائح الكرم (١٣٣/٣): وآذى.

(٢) زيادة من منائح الكرم (١٣٣/٣).

(٣) منائح الكرم (١٢٧/٣-١٣٣). وانظر: سمط النجوم (٢٩٩/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن

(٣٠٩/١)، وبلوغ القرى (ص: ١٣٣).

(٤) بلوغ القرى (ص: ١٣٣-١٣٤).

(٥) في الأصل: أخذنا. والتصويب من بلوغ القرى (ص: ١٣٤).

جازان بعض من سلم ودار الشريف جازان وأخوه حميضة بمكة، وقال لبعض العسكر حالة النهب: لا تفعل، فقالوا: ما بيننا وبينك هذا، بل بيننا وبينك أن ننهب ثلاثة أيام، ولم يسمعوا له.

قال السنجاري^(١): ثم رجع الشريف أحمد إلى ينبع، فصادف إقبال تجريدة^(٢) من مصر إلى مكة، فاجتمع بأمرها، وجعل له ستين ألف شريقي أحمر على أن يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة، فترك ينبع وعاد إلى مكة. وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن في ثالث عشر ذي القعدة، فخرج لملاقاة مقدم التجريدة المقرّ الأشرف [قيت]^(٣) الرحبي أمير التجريدة، فخلع على الشريف بركات [ومن معه من الأشراف]^(٤) بالزاهر، ودخل مكة وهو لا بس الخلعة ومعه إخوانه، وأمير التجريدة معه، ولم يزالوا إلى أن وصلوا مدرسة الأشرف قايتباي، فقبض على الشريف بركات ومن معه من الأشراف، وجعلوا في الحديد، ونهب بيوتهم، وأخذ خيولهم وأسلحتهم^(٥)، ونادى في البلد للشريف أحمد الجازاني، وحج بهم مكبلين في الحديد.

(١) منائح الكرم (١٣٣/٣-١٣٦). وانظر: سمط النجوم (٢٩٩/٤)، وغاية المرام (١٣٩/٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٩/١-٣١٠)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٨).

(٢) التجريدة: الكتيبة من الفرسان ليس فيها راجل، كتيبة من الجند، حملة عسكرية أثناء السنة. (انظر: تكملة المعاجم العربية ١٧٥/٢-١٧٦، والمعجم الوسيط ١١٦/١).

(٣) في الأصل: قتب. والتصويب من غاية المرام (١٤٤/٣)، وسمط النجوم (٢٩٩/٤)، وبدائع الزهور (٢٧٧/٣). وفي منائح الكرم: قيتب الرحبي.

(٤) زيادة من منائح الكرم (١٣٤/٣).

(٥) في منائح الكرم: وإبلهم. وانظر تفصيلات ذلك في: غاية المرام (١٤٥/٣-١٤٧).

ثم رجع بهم إلى مصر، فغضب السلطان الغوري لذلك وأمر بإطلاقهم، وأنزل الشريف بركات في منزل خاص به هو ومن تبعه من الأشراف^(١). انتهى.

وصول الشريف أحمد الجازاني مكة

قال الشيخ عبدالعزيز بن فهد^(٢): وفي آخر يوم الأربعاء السادس عشر من شهر ذي الحجة سنة تسعمائة وثمانٍ وصل الخبر بأن الشريف أحمد الجازاني وصل الوادي أو قربه.

وفي أوائل يوم الخميس اجتمع الأمراء والقاضيان الحنفي والمالكي وكتب صورة حلف الشريف جازان، وتوجه [إليه]^(٣) إلى وادي الجموم في الضحى العالي القاضيان، وقاضي الحمل، [والشاهدان له]^(٤)، والأمير شاهين، والباش بكبيه، ودويداره؛ ليلبسوه الخلعة ويحلفوه بصورة الحلف المكتوب، فوصلوا الوادي بعد العصر فلم يجدوه، وجلسوا بالجموم عند المسجد إلى أن جاء في نحو نصف الليل، في خيل قليلة، فحلفوه وألبسوه الخلعة المعتادة ولعلها التي كانت ألبست لأخيه الشريف بركات.

قال الطبري في الإتحاف^(٥): وما زال الشريف بركات بأرض مصر ينتهز

(١) انظر خبر وصول الشريف إلى مصر في: بدائع الزهور (٥٧/٤).

(٢) بلوغ القرى (ص: ١٣٦).

(٣) زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٣٦).

(٤) زيادة من بلوغ القرى، الموضع السابق.

(٥) إتحاف فضلاء الزمن (٣٢٠/١-٣٢٢). وانظر: غاية المرام (١٦٦/٣)، وبلوغ القرى

(ص: ١٤٢)، وسمط النجوم (٣٠١/٤)، ومنايح الكرم (١٤٦/٣-١٤٩).

الغفلة، ويستتجد المهلة، حتى أمكنه الفرار، وساعدته الأقدار، فتوجه إلى مكة في ساعة مخوفة، وما شعر به الغوري إلا بعد يومين، فأرسل خلفه^(١) فلم يلحقه^(٢). وظفر^(٣) في طريقه بالسيد بطاح الحسيني مرسولاً من أخيه الشريف أحمد بھدايا وأموال إلى السلطان الغوري، فكانت من نصيبه، لأنه قتله وأخذ ما معه.

وأما الغوري فلما فقد الشريف بركات منع جميع من كان بمصر من جماعته وعياله وحرس عليهم، فخرج أمير الحاج^(٤) بعدة عظيمة من العسكر والمدافع؛ خوفاً من الشريف بركات، فبعث إليه رسولاً إلى عين القصب^(٥) بمكاتيب يؤمنه ويأمره بالحج على أسر الأحوال، ويعرفه: أي من خدمة السلطان فلا يحصل [مني]^(٦) شيء في أمر الحاج. فلما بلغ هذا الخبر حضرة

(١) الأمير قايتاي أمير آخور (انظر: درر الفرائد ص: ٣٥٤).

(٢) وسبب هروبه: أن أركان الدولة أفهموه السوء في نفسه، وأخبره بعضهم أن بني إبراهيم أوعدوا الأمير الكبير بمال على أن يسعى في إرساله إلى الاسكندرية، فأشار عليه أمير سلاح قانصوه بالهرب (انظر: غاية المرام ١٦٦/٣). وفي رواية أخرى: أن السلطان الغوري قرر عليه وعلى إخوته مالا له صورة، فما وافقوا على ذلك وهربوا (انظر: بدائع الزهور ٦٢/٤). وانظر خبر هروبه في: (درر الفرائد ص: ٣٥٤، وخلاصة الكلام ص: ٤٨).

(٣) أي الشريف بركات.

(٤) هو قيت الرحي.

(٥) عين القصب: هي عينونا، واد يسيل من جبل زهد يصب بالبحر الأحمر، وعند مصبه منهل فيه مياه ونخل كان محطة للحجاج على مرحلتين من مفارقة شعيب شعيب في بر مدين (البدع اليوم) وهي عين سارحة ضعيفة النبع بنت عليها القصب، لهذا سمي الحاج هذه المنطقة بعين القصب نسبة لأبرز شيء فيها وجهلهم باسمها الحقيقي، كما كان الحجاج يقيمون يومهم بكامله فيها للاغتسال (غسل القماش) (انظر: في تاريخ مكة الجزء ١ ص: ١٠٠).

السلطان رَضِيَ عنه، وجهَّزَ له عياله وجميع ما هو له بمصر.

وفي سنة تسع وتسعمائة مدة غيبة مولانا الشريف بركات بمصر صبح يوم الجمعة، التاسع من شهر رجب، قُتل الشريف أحمد بن محمد الجازاني في الطواف في الشوط الثالث، قتله جماعة من الأتراك بمواطأة من أخيه حميضة. انتهى^(١).

قال عبدالعزيز بن فهد^(٢): وبعدما قتل -وكان ملقى بالمعجنة- صار النساء والرجال يأتون إليه ويشتمونه، ويذكرون له قبائح ما فعله، فأمر الباش عبدالله المصري مشيع الطرحا يأخذه ويذهب به إلى بيته، ويسأل أخاه حميضة ما يفعل به، فحمل إلى بيته وشاور أخاه، فأمر بدفنه على أخيه مهيزع، فحمله بحاله إلى المعلاة، ودفن على أخيه المذكور ببعض ثيابه بلا غسل ولا صلاة، ولم يشيِّعه أحد، بل حضر دفنه مسعود بن قنيد وأبو القاسم الهيصمي. انتهى.

ولاية الشريف حميضة بن محمد بن بركات

قال السنجاري^(٣): وبعد دفن الشريف أحمد الجازاني ألبس الأمير

(١) انظر: منائح الكرم (١٤٦/٣-١٤٩)، وبلوغ القرى (ص: ١٣٩)، والسنا الباهر (ص: ٦٩-٧٠)، وسمط النجوم (٣١٥/٤-٣١٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٨)، وغاية المرام (١٦٦/٣).

(٢) بلوغ القرى (ص: ١٣٩). وانظر: غاية المرام (١٦٦/٣).

(٣) منائح الكرم (١٤٩/٣-١٥٣). وانظر: السنا الباهر (ص: ٧٠)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٨).

بلباي^(١) باش [العسكر]^(٢) أخاه السيد حميضة خلعة لولاية مكة، وأقامه على الحجاز حتى يأتي أمر السلطان من مصر، وكتبوا إلى السلطان الغوري بذلك. ثم إن الشريف حميضة بن محمد قابل أمير الحاج المصري^(٣) مع يحيى بن سبيع بالينبع، فلبس الخلعة الواردة وحج بهم ذلك [العام]^(٤).

وأما ما كان من أمر الشريف بركات؛ فإنه سار من ينبع إلى المدينة، ومنها إلى الشرق، فترل على السيد حميدان بن شامان الحسيني، وكان بعض الأشراف [قد]^(٥) خطب ابنته الشريفة عيشة^(٦)، فقبله سرفي الحي زير يضرب، وقد تهيؤوا للزواج، ولم يبق غير العقد-، فسأل الشريف بركات

(١) بلباي: هو بكبيه أو بكباي أو بك باي دوادار الأتابكي. انظر هذا وعن دوره في الأحداث في: غاية المرام (١٤٦/٣، ١٤٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٩)، وبلوغ القرى (ص: ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٩)، وبدائع الزهور (٦٢/٤)، ودرر الفرائد (ص: ٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) في الأصل: عسكر. وباش العسكر: اسم وظيفة يتألف من لفظة: باش، وهي تركية بمعنى رأس أو رئيس، والعساكر بمعنى الجنود، ولفظة باش كانت اسم وظيفة في العصر المملوكي، حيث كان لكل مائة جندي من أجناد الحلقة في زمن المماليك البحرية باش، أي رأس أو رئيس، كما أطلقت بصفة عامة على الرئيس، ويضاف إلى ما تقدم أن باش العساكر أو باش الأعسكر كانت وظيفة عسكرية عالية في هذا العصر (انظر: الفنون الإسلامية ٢٩٣/١).

(٣) وهو أنص باي أو أنسباي بن ولي الدين الذي كان أمير الركب الأول سنة ٩٠٨ هـ (انظر: بدائع الزهور ٥٠/٤، ٦٢، ودرر الفرائد ص: ٣٥٣، ٣٥٤).

(٤) زيادة من منائح الكرم (١٥٠/٣). وانظر هذا الخبر في: درر الفرائد (ص: ٣٥٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٨).

(٥) زيادة من منائح الكرم (١٥١/٣).

(٦) في منائح الكرم: غيبة. وفي سمط النجوم: عيبة.

من العريس أن يسمح له بهذه البنت فيتزوجها، فسمح له بها، فعقد لها على الشريف بركات، فدخل بها الشريف بركات، فحملت منه بالشريف أبي غمي ابن بركات، فولدت له السيد المذكور ليلة التاسع من ذي الحجة سنة تسعمائة وإحدى عشر^(١).

رجع^(٢): ولما كان يوم التروية^(٣) سنة تسعمائة وتسع^(٤) هجم الشريف بركات بمن معه من العرب - بني عقبة^(٥) وبني لام^(٦)، وأخلط من العرب -

(١) انظر خبر ولادته في: درر الفرائد (ص: ٣٥٥)، وسمط النجوم (٤/ ٣٠٥-٣٠٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٩).

(٢) أي: رجع الحديث إلى بركات.

(٣) وهو اليوم الثامن من ذي الحجة الذي يسن للحاج أن يتوجه به إلى منى قبل الزوال وأن يصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والمبيت بها، ولا يغادرها حتى تطلع شمس يوم عرفة تأسيا بفعل رسول الله ﷺ (انظر: القرى لقاصد أم القرى ص: ٣٧٦-٣٧٩، ودرر الفرائد ص: ٥٩٥). واختلف في تسمية ذلك اليوم يوم التروية، فقيل: مشتق من الرواية، لأن الإمام يروي الناس مناسكهم. وقيل: من الارتواء؛ لأنهم يرتوون الماء في ذلك اليوم ويجمعونه بمنى. وقيل: من الروية، وهي الفكر؛ لأن إبراهيم عليه السلام أرى ليلة الثامن ذبح ولده، فأصبح يتروى في ذلك، أي يفكر فيه (القرى لقاصد أم القرى ص: ٣٧٨).

(٤) في منائح الكرم (٣/ ١٥٢): تسعمائة وثمان.

(٥) بنو عقبة: هم بطن من جذام، من القحطانية. وهو بنو عقبة بن مخزومة بن حزام، كانت ديارهم من الكرك إلى الأزلم في بيرة الحجاز وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة المنورة إلى حدود غزة من بلاد الشام، وفي رواية أخرى: عليهم درك الحجيج من العقبة إلى الأزلم. وفرقة منهم بالحجاز من بني واصل بن عقبة، وبأفريقية منهم بقية بنواحي طرابلس (انظر: نهاية الأرب ص: ٣٦٤، ومعجم قبائل الحجاز ص: ٣٣٧-٣٣٩).

(٦) بنو لام بن عمرو: بطن من جديلة، من طيء، من زيد، من كهلان، من قحطان. كانت

على مكة، ونهبت العرب^(١)، فأرسل الأمراء للشريف بركات، وضمنوا له أن يأخذوا له من -الشريف حمضة- أخيه خمسة آلاف دينار^(٢)، فقال حمضة: ما لي قدرة، فأعطاه الأمراء من مال الصر^(٣) الذي جاؤوا به^(٤)، فكف العرب^(٥).

قال عبدالعزيز بن فهد^(٦): فصعد الأمراء والحجاج في صبح اليوم التاسع يوم الجمعة إلى عرفة، ف تبعهم كثير من الناس فلم يحصل لهم ضرر، وتوجه بعض الناس بعدهم فحصل لهم تشويش، فبعضهم فُتب، وبعضهم رجع، وبعضهم توجه بعد أن حصل لهم بعض مناوشة بينهم وبين الأعراب قرب منى، وغالب أهل مكة لم يحجوا، وتخلّف قاضي القضاة المالكي وعيال الشافعي، وكنا ممن تخلّف.

(١) في غاية المرام (١٧٠/٣)، وبلوغ القرى (ص: ١٤٣): "وفي اليوم الثامن خرج جماعة من الفقراء مشاة للحج فخرج عليهم خيل ورجل ونهبهم".

(٢) في غاية المرام وبلوغ القرى: "ألفي دينار، ألفاً حاضرة، وأخرى إلى منى".

(٣) مال الصر: هو مصطلح تاريخي أطلق على الاعتمادات المالية المخصصة للحجاز، والتي كانت ترصده الحكومة المصرية في ميزانيتها وترسله سنوياً مع قافلة الحج المصري، ثم ألزمت مصر بإرسال هذه الالتزامات القديمة والمستحدثة في عهد الدولة العثمانية، وأصبح ذلك من أهم واجبات الباشا العثماني فيها، ويحاسب حساباً إذا قصر في إرسالها (انظر: الدولة العثمانية ٦٥/١، والإعلام ص: ٢٨٥).

(٤) في غاية المرام (١٧١/٣)، وبلوغ القرى (ص: ١٤٣): "فدل الأمير شاهين الأمراء على الواصل لأهل مكة من الروم".

(٥) انظر هذا الخبر في: غاية المرام (١٧٠/٣)، وبلوغ القرى (ص: ١٤٣) بشكل مخالف لما أورده السنجاري، ومنايح الكرم (١٥٢/٣-١٥٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٩).

(٦) بلوغ القرى: (ص: ١٤٣-١٤٤).

وأقام الحاج بعرفة إلى آخر النهار، والشريف بركات بعسكره نازل بعرفة تحت الجبل الذي يباع عنده الغنم والسمن وغيرهما، ووقف الحاج كعادتهم مع تخوفهم من بركات وجماعته؛ لكثرتهم وكثرة ضجيجهم، ويقال: إنهم كانوا يودون الغارة على الحاج، ولكن يمنعهم السيد بركات، ونفر الكل سالمون إلى مزدلفة، ثم من مزدلفة إلى منى ليلاً، فنهَب بعضهم، ومن جملتهم الخطيب، وأخذ جملة.

وفي ضحى يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة من سنة ٩٠٩ سافر [إلى] ^(١) جدة قافلة كبيرة تزيد على ألف جمل، وسافر معها جماعة من زيد وبني إبراهيم، وجبت القافلة يقال لمالك ^(٢) أخذ على كل شقذ ستة محلقة، وقيل: على كل جمل مطلقاً ستة محلقة، وعلى كل حمار محلقة، فهذه سيئة ابتدعت، أخزى الله فاعلها.

وفي يوم الجمعة ثالث عشري الشهر سافر إلى جدة قافلة ثانية مثل الأولى، وسافر معها الأمير شاهين الجمالي نائب جدة، وقاضيه الشافعي فجبيت القافلة كالأولى.

وفي صبح يوم السبت ثاني شهر محرم الحرام سنة ٩١٠ توجه إلى جدة قافلة، فبعد خروجها من مكة حطّت عند سبيل شميلة إلى أن تكاملت، ثم رحلت من ذلك الموضع بعد الزوال وتوجهت إلى جدة، فجبيت بجدة كما فعل بالقوافل التي تقدمت. انتهى.

(١) زيادة من بلوغ القرى (ص: ١٤٤).

(٢) لعل المراد بذلك مالك بن رومي الزبيدي الآتي ذكره في الصفحة التالية.

رجوع الشريف بركات لولاية مكة

وفي سنة عشر وتسعمائة أرسل السلطان الغوري بولاية مكة لمولانا الشريف بركات بن محمد، وكان قد دخل مكة بالسيف، وأخرج حميضة وأمن الحجاج، وجاءه التفويض طبق ما في مراده. ذكره الطبري في الإتحاف^(١).

وفي منائح الكرم^(٢): ثم إن السلطان الغوري أرسل بالتفويض إلى الشريف بركات بأمر مكة سنة تسعمائة وعشرة، وأن المعول في الأمور عليه، فأمر أن يخلع على أخيه قايتباي ويدعى له ولابنه علي بن بركات، ويختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر.

وفي سنة تسعمائة وثلاث عشرة خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومي الزبيدي الذي كان سبياً في فُهب مكة المشرفة زمن أخيه أحمد إلى جبل الروحاء^(٣)، وقتل مالك بن رومي وأولاده الثلاثة: مقرض^(٤)، وقادم، وزاعر^(٥)،

(١) إتحاف فضلاء الزمن (٣٢٢/١).

(٢) منائح الكرم (١٥٤-١٥٧، ١٧٣-١٧٧، ١٩٨-١٩٩). وانظر: خلاصة الكلام (ص: ٤٩).
(٣) في غاية المرام (٢٠٠/٣)، وبلوغ القرى (ص: ١٧٣، ١٧٤): "أهم ظفروا بهم بجبل قرب الروحاء" وهو الأصح. فالروحاء: كانت قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة بينهما واحد وأربعون ميلاً، واليوم ٧٥ كيلومتراً، وهي ليست عامرة، بل فيها بيوتات ومقاه، وسكانها الرحلة وعوف من حرب، وبها بئر كانت تسمى سجسج، وواديها يسمى سجاسج، واليوم الدارة (انظر: معجم ما استعجم ٦٨١/١، ٦٨٢، وقلب الحجاز ص: ١٥٧).

(٤) في غاية المرام (٢٠١/٣): مقرر.

(٥) في منائح الكرم: داعر. وفي غاية المرام: ذاعر، وفي إتحاف فضلاء الزمن: أذاعير.

وأخاه مشهور بن رومي، وطائفة منهم، وبعث برؤوسهم إلى الغوري، ونصبت على أبواب مصر، وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان^(١).

وفي هذه السنة^(٢) توفي السيد علي بن بركات^(٣)، فجعل عوضه أخاه محمد بن بركات، وكان كل منهما يلبس معه الخلعة - أعني محمداً وقايتباي -^(٤).

وفي سنة تسعمائة وخمس عشرة بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل^(٥) إلى السلطان الغوري بهدية، من جملتها عشرون عبداً حبشياً، وعشرون ألف دينار ذهباً، وعشرون فرساً، وثلاثة آلاف دينار للدويدار. فقابلهم السلطان، وخلع عليه وعلى من معه، وأرسل إلى مولانا الشريف بخلعة وهدية سنية، وخاطبه بخطاب بليغ، وفوض إليه جميع أمور الأقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها^(٦).

(١) انظر هذه الأخبار في: درر الفرائد (ص: ٣٥٦)، وغاية المرام (٢٠٠/٣-٢٠٢)، وبلوغ القرى (ص: ١٧٤)، وسمط النجوم (٣١٧/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٢٤/١).

(٢) أي سنة: ٩١٣هـ.

(٣) انظر سنة وفاته في: غاية المرام (٢٠٧/٣-٢٠٨)، وبلوغ القرى (ص: ١٧٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٩).

(٤) انظر: غاية المرام (٢١١/٣-٢١٢) وفيه أن تعيين محمد بن بركات كان سنة ٩١٤هـ، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٢٤/١).

(٥) عرار بن عجل بن رميح النموي الشريف، أخو زوجة الشريف بركات أم الكامل. كان رسوله الدائم إلى السلطان قانصوه الغوري ويده اليمنى في أكثر الأمور. توفي بالطاعون في اسطنبول سنة ٩٤٥هـ (انظر: البرق اليماني ص: ٩١-٩٢).

(٦) انظر هذه الأخبار في: غاية المرام (٢١٦/٣-٢١٨) إلا أنه لم يذكر تفويض السلطان له بإمرة الأقطار الحجازية، وسمط النجوم (٣١٧/٤-٣١٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٢٤/١ و ٣٣١)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٩).

وحصل بمكة فرح عظيم بقتل من قتل من زبيد، ومدح الشعراء الشريف على ذلك^(١).

وفي سنة تسعمائة وثمان عشرة توفي السيد قايتباي في يوم الأحد حادي [عشري]^(٢) صفر بأرض حسان، فحمل إلى مكة على أعناق الرجال، ومعه أخوه الشريف بركات، فدخل به مكة ربع الليل، فجهزه في منزله ونزل به إلى المسجد، وصلى عليه، وطيف به سبعا^(٣)، ودفن في المعلا بجوار قبر أبيه. وكان جواداً كريماً، حزن عليه الناس، ورثاه الشعراء بعدة قصائد^(٤).

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة أرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات إلى عنده، فأرسل يعتذر إليه، وأرسل ابنه أبا نجي بن بركات بدله إلى مصر ومعه السيد عرار بن عجل، وقاضيا مكة: صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي، ونجم الدين بن يعقوب المالكي، [وولديه]^(٥) القاضي محمد، والقاضي تاج الدين، وجملة من القواد. فتوجهوا إلى مصر ومعهم السيد

(١) منائح الكرم (٣/١٥٧).

(٢) في الأصل: حادي عشر. والمثبت من منائح الكرم (٣/١٧٣)، وسمط النجوم (٤/٣٠٢). وانظر تاريخ وفاته في: خلاصة الكلام (ص: ٤٩). وفي غاية المرام (٣/٢٤٧): حادي عشري ربيع الأول، وفي إتخاف فضلاء الزمن (١/٣٣٠): حادي عشر صفر الخير، وفي درر الفرائد (ص: ٣٥٨)، والسنا الباهر (ص: ١٤٣): حادي عشر ربيع أول.

والراجع: حادي عشري ربيع الأول، لقول المصادر به ومن بينها المعاصرة زماناً ومكاناً.

(٣) من البدع التي استحدثت في تلك الفترة الطواف بالميت ثم أزالها الله.

(٤) انظر: غاية المرام (٣/٢٤٧-٢٤٨).

(٥) في الأصل: وولده. والمثبت من منائح الكرم (٣/١٧٥).

أبو نمي - وعمره إذ ذاك ثمانين سنين - فلما دخلوا مصر قابلهما السلطان الغوري بالإعزاز والإكرام، وأجلس السيد أبا نمي على حجره، وقبل يده، وفرح به غاية الفرح.

وكان السلطان الغوري يتجهز للخروج إلى قتال، فسأل السيد أبا نمي: ما سورتك؟ فقال: ﴿إِنَّا مَتَحْنَاكَ مَتَعًا مَيِّتًا ۝﴾ [الفتح: ١]، فاستبشر الغوري بذلك، ثم جعله شريكاً لوالده في إمرة مكة وجدة وينبع وسائر الأقطار الحجازية، وكتب له توقيعاً شريفاً بكل ذلك وأعادته إلى والده. وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة، وكان يُدعى لهما على المنابر^(١).

وفي سنة تسعمائة وعشرين حجّت زوجة السلطان الغوري ومعها ولده محمد، وصاحب السر محمود^(٢)، فأكرمهم مولانا الشريف بركات، [وقام]^(٣) بكل ما يحتاجونه أتم قيام^(٤).

(١) انظر هذا الخبر في: سبط النجوم (٣٠٢/٤ - ٣٠٣، ٣٢٢ - ٣٢٣)، ومنايح الكرم (٣/١٧٥ - ١٧٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٣١)، وخلاصة الكلام (ص: ٤٩ - ٥٠).

(٢) هو محمود بن محمد بن محمود بن خليل بن أجا التدمري الأصل الحلبي ثم القاهري الحنفي، محب الدين أبو الشتاء. ولد بحلب سنة ٨٥٢هـ. طلبه الغوري وولاه كتابة السر بالقاهرة عوضاً عن ابن جيعان سنة ٩٠٦هـ، واستمر فيها إلى آخر الدولة الجركسية، فكان آخر كتاب السر في الديار المصرية، ولما دخل السلطان سليم مصر عرض عليه وظيفته فاستعفى وعاد إلى حلب حيث توفي فيها سنة ٩٥٢هـ (انظر: بدائع الزهور ٣٤/٥، ٤٠٩، ٤١٢، ٣٠٧/٥، والكواكب السائرة ١/٣٠٣، وشذرات الذهب ٤/١٣٩ - ١٤٠).

(٣) في الأصل: وأقام له. والمثبت من منائح الكرم (٣/١٩٩).

(٤) انظر: خبر حج ابن السلطان ووالدته في: غاية المرام (٣/٢٩٩ - ٣٠٠)، وبدائع الزهور (٤/٤٠٩، ٤١٣، ٤٣٢)، ودرر الفرائد (ص: ٣٦٠)، وسبط النجوم (٤/٣٢٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٣٩ - ٣٤٠)، وخلاصة الكلام (ص: ٥٠).

فسألاه أن يتوجه معهم إلى مصر ليجازوه على فعله، فسار معهم، وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثيرة لما وصل إلى مصر. انتهى^(١).

قال في الخلاصة^(٢): وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر، وأكرمه السلطان وأجزل برّه والإحسان إليه، ثم رجع إلى مكة في شهر رجب من العام المذكور، وزيّنت مكة لقدمه، وكان يوم قدمه أكبر فرح.

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة كان القتال بين السلطان الغوري والسلطان سليم خان ملك القسطنطينية بمرج دابق^(٣)، وكسرت الجراكسة، وفقد السلطان الغوري في المعركة تحت سنايك

(١) انظر خبر حج زوجة السلطان الغوري في: غاية المرام (٣/٢٩٩-٣٠٠). وبدائع الزهور (٤/٤٠٩، ٤١٣، ٤٣٢)، ودرر الفرائد (ص: ٣٦٠)، وسمط النجوم (٤/٣٢٨)، ومنايح الكرم (٣/١٩٨-٢٠٠)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/٣٣٩-٣٤٠)، وخلاصة الكلام (ص: ٥٠). وانظر أخبار زيارة الشريف بركات إلى مصر في: غاية المرام (٣/٣٠١-٣١٦)، وبلوغ القرى (ص: ٢٢٣-٢٢٦)، وبدائع الزهور (٤/٤٣٩-٤٤٢، ٤٤٧-٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٥-٤٥٧)، ودرر الفرائد (ص: ٣٦٠)، وسمط النجوم (٤/٣٢٩).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٥٠-٥٢).

(٣) مرج دابق: مرج معشب نزه شمالي مدينة حلب عند قرية دابق، من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ على الطريق بين منبج وأنطاكية على نهر قويق (معجم البلدان ٢/٤١٦-٤١٧، ودائرة المعارف الإسلامية ٩/٦٩-٧٠).

الخيّل^(١)، ودخل السلطان سليم مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة.

وكان السلطان سليم كثير المحبة لأهل الحرمين، وهو أول من رتب لهم صدقة الحب^(٢).

ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشاً إلى مكة المشرفة، وكان بالديار المصرية القاضي صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة معتقلاً بها، صادره الغوري يطلب منه عشرة آلاف دينار، فعجز، فأمر بحمله إلى مصر، فاعتقله ثمة^(٣)، فأطلقه السلطان سليم لما دخل مصر^(٤)، فلما سمع القاضي تجهيز الجيش^(٥) اجتمع بوزير^(٦) مولانا السلطان سليم وعرفه عظمة صاحب

(١) انظر في هذا: منائح الكرم (٢٠٧/٣-٢٠٨)، والإعلام (ص: ٢٤٣، ٢٧٧-٢٧٨)، والكواكب السائرة (٢٩٥/١-٢٩٧)، وشذرات الذهب (١١٤/٤-١١٥، ١٤٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٥٨/١).

(٢) انظر صدقة الحب هذه والتي كانت زنتها ٧ آلاف إردب لأهل مكة والمدينة وكيفية توزيعها في: الإعلام (ص: ٢٨٧-٢٨٩)، وأعلام العلماء (ص: ١٠٦).

(٣) انظر خبر اعتقال القاضي في: غاية المرام (٣٣٤/٣-٣٣٥)، وبدائع الزهور (٨٠/٥-٨١)، وسمط النجوم (٣٣٠/٤) نقلاً عن السمرقندي.

(٤) في بدائع الزهور (٨٠/٥)، والإعلام (ص: ٢٨٤): أن من أطلق سراحه هو السلطان طومان باي. (٥) وسبب تجهيزه الجيش كما ذكر العصامي في سمط النجوم (٣٢٩/٤-٣٣٠) نقلاً عن السمرقندي: "أنهى إليه بعض الحساد أن جميع الملك والسلطان طرازه الأعظم ملك الحرمين الشريفين واعمالهما، والدعاء لمولانا على منابرهما، فشرع في تجهيز جيش كيف للحرمين الشريفين".

(٦) واسمه: بير محمد الجالي الصديقي المعروف ببيري باشا الأعظم أو الصدر الأعظم. تولى الوزارة بعد مقتل يونس باشا من قبل السلطان خان. عزل نفسه عنها سنة ٩٢٩ هـ (انظر: بدائع الزهور ٣١٠/٥-٣١١، والإعلام ص: ٢٩٥-٢٩٦، وسمط النجوم ٣٣٠/٤).

مكة، ومترلته من الشرف، وأنه من خدم مولانا السلطان، وأن الرأي إرسال مكتوب إليه، ولا تبدو منه مخالفة أبداً، ولا يحتاج إلى تجهيز جيش.

فاستقر الحال على إرسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات، وإبقاء الشريف أبي غمي على شركة أبيه، نظير توقيع السلطان الغوري، وكتب القاضي صلاح الدين لمولانا الشريف يعرفه بما وقع، [ويسأله]^(١) إرسال ابنه الشريف محمد أبي غمي إلى الحضرة السلطانية [يتشرف]^(٢) باللقاء، ويكون دليلاً على الرضا والبقاء. فقبل الشريف ذلك.

فلما وصل إليه الأمر السلطاني أرسل ابنه أبا غمي^(٣)، وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة - في حبس الغوري - وأرسل بهم بعد إكرامهم إلى مكة^(٤).

وأرسل الأمير مصلح بك^(٥) بمحمل رومي^(٦) وكسوة للكعبة وصدقات^(٧).

(١) في الأصل: ويسأل منه. والمثبت من منائح الكرم (٢٢٧/٣).

(٢) في الأصل: يتشرف. والمثبت من منائح الكرم، الموضع السابق.

(٣) انظر خبر هذا التوقيع وإرسال ابن الشريف في: سمط النجوم (٣٣٠/٤) نقلاً عن السمرقندي.

(٤) انظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (٢٢٤/٣-٢٢٧)، والإعلام (ص: ٢٨٤).

(٥) هو الأمير مصلح الدين بك، أحد أمراء السلطان سليم خان وخازن داره (انظر هذا والأعمال التي قام بها في مكة والمدينة في: الإعلام ص: ٢٨٤-٢٩٠، وبدائع الزهور ٢١٣/٥-٢١٥، ٢٢٨).

(٦) الحمل الآتي من الدولة العثمانية.

(٧) منائح الكرم (٢٢٤/٣-٢٢٧)، والإعلام (ص: ٢٨٤).

ولما وصل الشريف أبو غني إلى مصر قابله السلطان سليم بالإجلال والإكرام، وأعادته شريكاً لوالده، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة.

وخطب يوم التروية الشريف النويري، ودعا لحضرة مولانا السلطان سليم، وخطب بعرفة قاضي مكة القاضي صلاح الدين بن ظهيرة، ودعا للسلطان في الموقف الأعظم.

وتوفي السلطان سليم سنة تسعمائة وست وعشرين، وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان^(١)، وأرسل بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبي غني.

واستمر الشريف بركات إلى أن توفي رابع عشر ذي [القعدة]^(٢) سنة تسعمائة وإحدى وثلاثين، وصُلِّي عليه تجاه الكعبة، وطيف به^(٣) سبعاً، ودفن بالمعلا، وبني عليه قبة^(٤)، وله من العمر إحدى وسبعون^(٥) سنة، وكانت مدة ولايته استقلالاً ومشاركة لأبيه وولده وإخوته نحو ثلاث وخمسين سنة^(٦).

(١) السلطان سليم خان القانوني (٩٠٠-٩٧٤ هـ) هو ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد الأول سلطان الدولة العثمانية. بلغت الدولة العثمانية في حكمه أعلى درجات الشرف والكمال. كان عالي الأهمية عالمًا. اشتهر بالعدل والفتوحات. له خيرات كثيرة في الحرمين الشريفين والقدس وغيرها من البلاد، وعمر الكثير من المدارس. توفي في بعض غزواته بعد أن أوصى بالخلافة لولده سليم (انظر ترجمته في: بدائع الزهور ٥/أحداث سنة ٩٢٦ هـ، والإعلام ص: ٢٩١-٣٥٥، وتاريخ سلاطين آل عثمان ٤٠/١-٥١ هـ، والكواكب السائرة ١٥٦/٣-١٥٧).

(٢) في الأصل: ذي الحجة. وهو خطأ. والمثبت من منائح الكرم (٢٤٣/٣).

(٣) من البدع التي أحدثت الطواف بالميت ثم أزالها الله تعالى.

(٤) بناء القباب على الأموات من البدع المستحدثة وليست من الإسلام في شيء،

(٥) انظر مقدار عمره في: سبط النجوم (٣٠٥/٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٥٢)، وهو خطأ؛ لأنه

ولد حسب اتفاق المؤرخين سنة ٨٦١ هـ. (انظر: غاية المرام ٣٦/٣) فيكون عمره حوالي ٦٨ سنة وأشهرًا أو ٦٩ سنة وأشهرًا.

(٦) انظر ما سبق من الأخبار في: منائح الكرم (٢٣١/٣-٢٤٤).

وفي الإتحاف^(١): جملة ولايته استقلالاً وشراكة أربع وخمسون سنة. وأعقب من الأولاد: ثقبه، وأبا القاسم، وحازماً، وواصلاً، وسنداً، وعلياً، ومحمد أبا نمي. انتهى.

وفي الخلاصة^(٢): أعظمهم وأعلامهم قدراً الشريف أبو نمي^(٣).

ولاية الشريف أبي نمي استقلالاً بعد وفاة أبيه

فولي مكة بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة، وقد أعز الله الشريف أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه، وجعل له من الذكر والصيت ما لم يكن لأحد من أسلافه وآبائه. شارك والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين، ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة، ثم استقل بأعباء سلطنة الحجاز بعد موت أبيه، [وعمره إذ ذاك عشرون سنة]^(٤)، وجاءته المراسيم السلطانية السليمانية، فخدمت بولايته نار الفتن، وأبهج بمكة وجه الزمن، وأرسل ابنه السيد أحمد بصحبة سليمان باشا الذي كان في اليمن حين أراد التوجه إلى مصر، وأصبح معه السيد عرار بن عجل والقاضي تاج الدين المالكي، فوصلوا الروم^(٥)، واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان، ففرح بهم وأحسن إليهم،

(١) إتحاف فضلاء الزمن (٤٠٥/١).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٥٢).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ٥٢-٥٥)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني

(ص: ١٠٤-١٠٦)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ٢١٥)، والأعلام (٥٢/٦)،

والسنا الباهر (ص: ٧٩٩-٨٠٤).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٥) انظر: البرق اليماني (ص: ٨٧-٨٨، ٩٠-٩١).

وأشرك السيد أحمد^(١) مع أبيه في إمرة مكة. والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل منديل^(٢) وآل حراز^(٣)، وتوفي السيد عرار هناك، ورجع السيد أحمد سنة تسعمائة وسبع وأربعين، ودخل مكة غرة ربيع الأول، وقرأ توقيعه بالحطيم يوم العاشر من ربيع، ولبس الخلعة السلطانية، وطاف بها، والمؤذن يدعو له ولوالده. وامتدحه الأدباء والشعراء بالشعر الرائق^(٤).

وفي سنة تسعمائة وإحدى وستين^(٥): توفي السيد أحمد بن أبي غني، وبعد وفاته التمس مولانا الشريف من السلطنة أن يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده، فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة، وزينت البلد سبعة أيام.

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ٥٣-٥٥)، والنور السافر (ص: ٢٥٣)، والأعلام (١/٢٣٣-٢٣٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٠٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢١٦).

(٢) آل منديل: فرع من الأشراف النحويين، وهم بنو أحمد بن أبي غني، أبوهم منديل بن حيدر بن أحمد بن أبي غني، كانت ديارهم مكة فترح منهم قسم إلى وادي يبا من هامة عسير، ومنهم جماعة في ذوي حسن حول الليث. وكان منديل والي مكة سنة ٩٣٢هـ (معجم قبائل الحجاز ص: ٥١٢).

(٣) بنو حراز: ويقال لهم الحرازات: فرع من الأشراف، وهم بنو حراز بن أحمد بن أبي غني ابن بركات. وديار الحرازات كانت بين جدة وبحرة، يخترقها الطريق وتسمى: الحرازية، وكانوا أهل إبل فتحصروا، ومنهم حي في أسفل وادي العرج شرق الطائف (معجم قبائل الحجاز ص: ١٠٦).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٥٢-٥٣). وانظر: منائح الكرم (٣/٢٤٦-٢٤٧، ٢٦٦-٢٧١)، وسمط النجوم (٤/٣٣٦-٣٣٧).

(٥) خلاصة الكلام (ص: ٥٥). وانظر: منائح الكرم (٣/٣٣٠ و ٣٣٣).

وفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة^(١) طلب مولانا الشريف من السلطنة تفويض الأمر إلى ابنه الشريف حسن^(٢)، وأراد هو العكوف [على]^(٣) العبادة، فجاء الأمر بالتفويض لابنه الحسن، بحيث فوض إليه أمر مكة، وجدة، والمدينة، وينبع، وخيبر، وحلي، وجميع أقطار الحجاز [من خير إلى حلي]^(٤) إلى نجد وما دخل في ذلك، وعكف مولانا الشريف أبو نعي على العبادة واجتناء العلوم، وكان جامعاً لأشتات الفضائل، حاوياً لمحاسن السمائل، وله النثر الفائق، والشعر الرائق.

واستمر الشريف أبو نعي إلى أن توفي تاسع شهر المحرم سنة تسعمائة واثنين وتسعين بوادي الآبار من جهة اليمن، وحُمِلَ إلى مكة، وصَلِّيَ عليه تجاه الكعبة، ودُفِنَ بالمعلا، وبُني عليه قبة^(٥)، وكان عمره ثمانين سنة وشهراً ويوماً. ومدة ولايته منفرداً ومشاركاً لولديه ثلاث وسبعون سنة.

وأعقب من الذكور: الحسن، وثقبة، وبشير^(٦)، وراجح، ومنصور، وسرور.

(١) خلاصة الكلام (ص: ٥٥-٥٦).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٢/٢-١٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٥٦-٦١)، والأعلام (٢/٢١٨-٢١٩)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٠٦-١٠٧)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢١٦-٢٢٢).

(٣) في الأصل: إلى. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٥٥).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومناح الكرم (٣/٣٦٤).

(٥) وقد أزيلت والله الحمد وهي من البدع المحدث.

(٦) في خلاصة الكلام: وبشير.

ومن البنات: ناصرة، وصالحه، وشمسية، وعنبسة^(١)، [وموزة]^(٢)، وراية، وغيرهم^(٣).

ولاية الشريف حسن بن أبي نهي استقلالاً

استقل الشريف حسن بولاية مكة بعد وفاة والده، وكان جامعاً بين الفتوة والبسالة، وكان آية عظيمة في حلّ المشكلات، مع وفور العقل وصحة الفراسات، وكان يجيز على التأليف والقصيدة الألف وأكثر، وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد على إمارة مكة، فقام بسلطنة الحجاز أحسن قيام، وضبط الأمور والأحكام على أحسن نظام، وأمنت البلاد واطمأنت العباد، وقطع دابر أهل الفساد، فكانت القوافل والأحمال تسير بكثير من الأموال مع آحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك، وخافه كل مقدم فاتك، وأبرزت له مخدرات العلوم من أنواع ما ينظم وينثر، فهو أول من كتب في التوقيعات، يجري على الوجه الشرعي، والقانون المحرر المرعي، فكان يكتب ذلك على الحجج الشرعية، وتبعه على ذلك من بعده من الملوك، ويكتب على القصص وهي الإنماءات ليحاب إلى سؤاله، زاد الله في نواله، وكتبه فلان، ويمهر^(٤) الحجة والقصة، ويكتب على التقارير اسمه فقط من غير أن يمهر عليها. ولما

(١) في منائح الكرم: وعيشة. وفي سمط النجوم: وغية.

(٢) في الأصل: وفوزة. والتصويب من منائح الكرم (٣/٣٧٥)، وسمط النجوم (٤/٣٤٨).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٥٥-٥٦). وانظر: منائح الكرم (٣/٣٦٣-٣٦٤، ٣٧٢-٣٧٥)، وسمط النجوم (٤/٣٤٧-٣٤٨).

(٤) ويقصد به أنه يدمغه بخاتمه (عن الدمغة انظر: تأصيل ما ورد في الجبري من الدخيل ص: ١٠٧).

تولى مكة بعد وفاة والده^(١)، وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد، وهناه الشعراء، ومدحوه بقصائد كثيرة^(٢).

ولما بنى دار السعادة التي هي منزله، جعل له بعض الأفاضل أبيات شعر كتبت في بعض الطرازات هي هذه:

يا سائلي عن محل الملك من كتب له السعادة ما أن سارت الفلك
هذي الديار التي قد عزّ منشؤها فما بنى مثلها عجم ولا ترك
أرجت بنياها إذ تم معظمها بنظم بيت كدر زانه السلك^(٣)
ما منزل الملك إلا ما حوى حسن وفي بنيه يكون العز والملك

فكتب ذلك في الطراز، فعظم على أخيه السيد ثقبه بن أبي نمي بيت التاريخ، فأنشأ داره المعروفة به، وكتب في طرازها شعراً أنشأه له بعض الفضلاء، وجاء فيه بقوله:

ما منزل الملك إلا ما حوى ثقبه

ففرح به السيد ثقبه غاية الفرح لمناقضته للسابق في دار الشريف حسن. فاتفق أنه لما جلس فيه للسكنى أتاه الشريف حسن للتهنئة، وجعل يقرأ الطراز، فلما وصل إلى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك، فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبه من الخجل، وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن.

(١) في خلاصة الكلام (ص: ٥٦): ولما توفي والده تولى إمارة مكة.

(٢) انظر بعض هذه القصائد في: منائح الكرم (٣/٣٨٣-٤٣١).

(٣) السلك: الخيط (المعجم الوسيط ١/٤٤٥).

وللشيخ عبدالقادر الطبري أبيات فيها تاريخ دار السعادة في شطر

هي هذه:

إن بيتاً بناه خير مليك أسس الملك كفه وأشاده
فاق في وصفه وحسن بناه كل قصر لأهل العلا والسياده
جاء تاريخ وصفه في نصيف أنا بيت الملوك دار السعادة

يقال: إن دار السعادة كان في موضع التكية المصرية الآن^(١).

وقال الشيخ جعفر لبنى رحمه الله في شرح رسالة ابن زيدون: دار السعادة كانت قبالة المسجد الحرام تجاه باب أم هانئ وباب الشريف وباب أجياد - أي موضع التكية المصرية والحميدية دار الحكومة الآن -، واحترقت في حدود سنة ١١٨٤ لما ولي مكة من ذوي بركات الشريف عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات.

وكان من تولى من ذوي زيد^(٢) يتزله، وأما ذوو بركات فيترلون في دار الهناء، ويقال: إنه في موضع بيت الشريف أبي نغمي^(٣) الذي تجاه باب الوداع.

وذكر السيد محمد مدني المعروف بكبريت: أنه دخل الشيخ عبدالرزاق

(١) خلاصة الكلام (ص: ٥٦-٥٧). وانظر: منائح الكرم (٣/ ٣٧٥، ٤٣٢-٤٣٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (١/ ٤٩٩).

(٢) ذوو زيد: فرع من الأشراف، كانوا أمراء مكة، نزع عدد كبير منهم إلى مصر، والباقيون موزعون في كثير من مدن الحجاز، وهم بنو زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن محمد أبي نغمي بن بركات. ومنهم اليوم: الأشراف ذوو غالب بن مساعد، والأشراف ذوو سرور، وآل عبدالله سكان الجبال بالطائف، وآل يحيى سكان مكة، وآل سعيد سكان مكة أيضاً، وذوو مبارك، وذوو مساعد، وذوو ماضي، والعواجية (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٠٣).

(٣) في خلاصة الكلام: الشريف نغمي.

الشيبي على مولانا الشريف حسن يستأذنه في السفر إلى الهند، فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائي:

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تغنيك منه مصّة الوشل
أريد بسطة كفّ أستعين بها على قضاء حقوق للعلی قبلي
فأجابه بقول الطغرائي من القصيدة:

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة، حيث لم يكن مذكوراً عقب البيت الذي ذكره مولانا الشريف، فأمر له بألف دينار. انتهى ما في الخلاصة^(١).

وفي سنة ست وثمانين وتسعمائة: سار الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة إلى نجد، وحاصر معكال المعروف في الرياض ومعه من الجنود مقدار خمسين ألفاً، وطال مقامه فيها، وقتل فيها رجالاً، ونهب أموالاً، وأسر من رؤسائهم أناساً، وأقاموا في حبسه سنة، ثم أطلقهم على أنهم يعطونه ما يرضيه، وأمر فيهم محمد بن الفضل. انتهى. ذكره في عنوان المجد^(٢).

وقال الطبري في الإتحاف^(٣): وفي سنة ألف وثلاثة توفي السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان^(٤)، وتسلمن بعده ابنه السلطان محمد خان، وأرسل إلى صاحب مكة الشريف [حسن]^(٥) بالاستقرار.

(١) خلاصة الكلام (ص: ٥٧).

(٢) عنوان المجد (١/٣٩٢).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٣-١٤). وانظر: منائح الكرم (٣/٤٩٩-٥٠٠).

(٤) انظر خبر وفاته في: خلاصة الأثر (٤/٣٥٤)، وسمط النجوم (٤/٣٦٦).

(٥) قوله: "حسن" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٣).

وفي سنة ألف وثمانية توفي الشريف ثقبه بن أبي نمي أخو الشريف حسن^(١). انتهى.

وقال السنجاري في المنايح^(٢): وفي سنة ألف وثمانية بعث الشريف حسن بن أبي نمي صحبة الحج المصري الآغا بهرام الشريفي إلى حضرة السلطان الأعظم، والخاصان الأفخم السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان يطلب من حضرته العلية أن يكون ابنه السيد أبا طالب شريكه في إمرة مكة، وولي عهده بعده.

فوصل الآغا المذكور إلى الأبواب، وقوبل بالإجلال، ورجع بما يروم من الجواب، وعاد بخلع التفويض السنية، وتقليد الولاية الحسنية على الجهات الحرمية للشريف أبي طالب بن حسن، ودخل مكة وقرئ التوقيع^(٣) المذكور بالحطيم، ولبس الشريف أبو طالب الخلعة الواردة، وطاف بها على جري العادة، والرئيس يدعو له بأعلا زمزم. انتهى.

وفي خلاصة الكلام^(٤) نقلاً عن خلاصة الأثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر^(٥) في ترجمة الشريف حسن: أنه كان عظيم القدر، مفرط السخاء، بصيراً بفصل الأمور، شجاعاً، مقدماً، صاحب فراسة عجيبة.

(١) انظر خبر وفاته في: سبط النجوم (٤/٣٦٨).

(٢) منائح الكرم (٣/٥٠٤-٥٠٥).

(٣) انظر محتويات هذا التوقيع (أي: التشريف) في: ربحانة الألبا للخفاجي (١/٣٩٨-٤٠٥)، وهو من إنشائه بأمر رئيس الكتاب، وعقد الجواهر والدرر (أحداث سنة ١٠١٢هـ)، ومقتطفات منه في: خلاصة الأثر (١/١٣٢-١٣٣)، وخلاصة الكلام (ص: ٦٢).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٥٨-٥٩).

(٥) خلاصة الأثر (٢/٣، ١٢-١٣).

حكى أنه سرقت الفريضة السلطانية بجدة، وضاع منها قماش له صورة وأموال كثيرة، ولم يكسر بأبها، ولا نقب جدارها، ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب، بل وجد جبل مسدول من بعض الجوانب. فلما عرض الأمر عليه طلب الجبل، ثم شمه، فقال: هذا جبل عطار. ثم دفعه إلى ثقة من خدامه وأمره أن يدور على العطارين، فعرفه بعضهم وقال: هذا جبل كان عندي، اشتراه مني فلان، فسألوا عن ذلك، فوجدوا الجبل قد نقل من رجل إلى رجل، إلى أن وصل لشخص من جماعة أمير جدة، ثم وجدت السرقة بعينها في الخل الذي ظنها فيه.

ومن ذلك: أنه اختصم عنده رجلان؛ مصري وبعاني في جارية، فادّعى كل منهما أنها له، وأقام بذلك بينة. فأجال فكرته الوقادة، وطلب قليلاً من الحبّ، وقال لها: ما اسم هذا في بلادكم؟ فقالت: بُرّ، فحكم بها لليمني. فظهر بعد ذلك أنها ملكه.

ومن ذلك: أنه اختصم لديه رجلان؛ شامي ومصري في جمل، فادّعى كل منهما أنه له، وأقام بذلك حجة، ثم قال لهما: إني سأحكم بحكم، فإن ظهر لي أن الحق بيد أحدكما غرمت الآخر ثمن الجمل، فأمر بذبح الجمل، فذبح وأمر باستخراج مخه، فاستخرج، فتأمله وقضى بالجمل للشامي، وأمر المصري بتسليم القيمة، فقبل له في ذلك، فقال: رأيت مخه منعقداً، فاستدللت بذلك،

فإن أهل الشام يعلفون دوابهم الكرْسَنَة^(١)، وهي تعقد المخ، وأهل مصر يعلفون الفول، وهو يعقد الشحم دون المخ، فظهر بعد ذلك أن الحق كما قال.

ومن ذلك: أن شخصاً دفن مالاً بالمزدلفة -أي ليكون محفوظاً مدة مقامه بالمزدلفة- وكان شخص يرقبه، فلما قصد النفر منها إلى منى، وجد المال قد حفر عنه وأخذ، ولم يظفر بأثر من آثار الغريم إلا بعصا ملقاة، فأخذها ورفع شكواه إليه، وذكر له القصة، فسأله: هل وجدت من أثر؟ فقال: نعم، وجدت عصا ملقاة، فطلبها منه، فأحضرها، ثم تأملها، فأمر بإحضار جماعة مخصوصين من العرب فحضروا، فأشرفهم على العصا، وسألهم هل يعرفون صاحبها؟ فقالوا: نعم، هي عصا فلان، فأحضره وسأله، فأنكر، فشدد عليه فأقرّ بالمال.

ومن ذلك: أن شخصاً من سادات اليمن وصل إلى مكة بجارية حسناء سنّها نحو العشر سنوات، فتعصب عليه طائفة من الجبرت^(٢)، وادّعى بعضهم أنها من أصل وأنها بنت فلان، وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك، واستخلصوها من يد ذلك السيد قهراً، فرفع القضية له، فطلب الشاهدين، وأخذ يستدرجهما بمدحهما، وأنهما من مشاهير من جاور بمكة من مدة طويلة، وأن شهادتهما مقبولة، ثم سألهما عن الشهادة فأديها كما سبق، وأنها

(١) الكرْسَنَة: عشب حولي من الفصيلة القرنية، يزرع لجه الذي يجعل علفاً (المعجم الوسيط

٧٨٣/٢).

(٢) الجبرت: طائفة مشهورة تنتسب إلى الحبشة ارتريا حالياً.

بنت فلان الجبرتي، ولدت ببلده ونحن بها قبل وصولنا بمكة، فقبل شهادتهما، ثم سألهما عن مدة إقامتهما بمكة وهل خرجا بعد دخولهما، فذكرا أن المدة تنوف على ثلاثين سنة، وأنها ما خرجا منها إلى بلدهما بعد أن دخلا، فشاغلهما بالكلام ساعة، ثم سألهما عن سنّ الجارية فقالا: نحو عشر سنين، فأخذ يستبهما ويتكلم عليهما حيث شهدا بولادتهما وهما ببلدهما [وقصد إتلافهما]^(١)، وأعاد الجارية إلى سيدها، وكانت هذه الحكومة منه حكمة بالغة، فإنه قصم بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك، فإنهم سلكوا هذا المسلك مدة، واستخلصوا به أرقاء الناس من أيديهم. انتهى.

قال السنجاري^(٢) بعد ذكر مناقب الشريف حسن وأوصافه: وبالجملّة: فلا أحسن من الحسن، إلا أن الناس استضرت في زمنه بوزيره عبدالرحمن بن عبدالله بن عتيق^(٣)، الحضرمي الأصل، المكي المولد، فإنه كان ظالماً غير شفيق، وله منكرات عظيمة، وبلبات جسيمة، تزوج والده ابنة الشيخ محمد جار الله بن أمين الدين بن ظهيرة وأولدها عبدالرحمن هذا، فنشأ بمكة، وزاحمت به السادة ذوي بركات^(٤). فلما بلغ مبلغ الرجال لم يزل يترقى إلى أن استوزره الشريف حسن سنة ألف وثلاثة، فاستولى على مولاه وتعدى حدود الله. انتهى.

(١) في الأصل: وقصدا إتلافهما. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٥٩)، وخلاصة الأثر (١٣/٢).

(٢) منائح الكرم (٤٣٥/٣-٤٣٦).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣٦١/٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٦٣).

(٤) ذوو بركات: هم الأشراف أولاد بركات بن أبي نجي، جميعهم يسكنون مكة المكرمة ووادي فاطمة -مر الظهران- (انظر: قبائل الطائف وأشراف الحجاز ص: ٤٠-٤٢).

قال المحبي في خلاصة الأثر^(١): وأفهمه النصح في الخدمة، وسحره إلى أن
تمكن منه غاية التمكن، وبقي حاله معه كما قال الشاعر:
وأمره ليس له ردُّ أمرك مردودٌ إلى أمره

فتسلط على جميع المملكة، وتصرف فيها كيف شاء، وبقي كل من
يموت من أهل البلد والحجاج يستأصل ماله، لا يترك لوارثه شيئاً، فإذا
تكلم الوارث أظهر له حجة أن مورثه كان قد اقترض منه في الزمن الفلاني
كذا وكذا ألف دينار، و[يقول]^(٢): هذا الذي أخذته دون حقي، وبقي لي
كذا وكذا، وطريق كتابته لهذه الحجة وأمثالها: أن كتبة المحكمة تحت
أمره وقهره، فيأمرهم بكتابة الحجة، فيكتبونها، وعنده أكثر من مائة مهر
للقضاة والنواب السابقين، فيمهرها، ويأمر عبدالرحمن الخالجي أن يكتب
إمضاء القاضي الذي قد مهر الحجة بمهره، ويكتب خاله الشيخ علي بن جار
الله وعبدالقادر بن محمد بن جار الله شهادتهما، ويكتب الشيخ علي أيضاً
عليها ما نصه:

تأملت هذه الحجة فوجدتها [مسددة]^(٣)، وشهد بذلك محمد بن عبد
المعطي الظهيري، وابن عمه صلاح الدين بن أبي السعادات الظهيري، وأحمد
ابن عبد الله الحنبلي الظهيري وغيرهم.

(١) خلاصة الأثر (٣٦١/٢). وانظر: سمط النجوم (٣٩٠/٤).

(٢) زيادة من خلاصة الأثر (٣٦١/٢).

(٣) في الأصل: مسدودة. والتصويب من: خلاصة الأثر، الموضع السابق، وسمط النجوم (٣٩١/٤).

ثم إنه يظهر الحجة ويقرؤها بين الناس، وجميعهم يعرف أنها زور ولا أصل لها، ولا يقدرّون أن يتكلموا بكلمة واحدة خوفاً من شره وقوة قهره، واستولى بهذا الأسلوب على ما أراد كما أراد، وإذا شكّي على الشريف حسن يقول: هذه حجة شرعية، وشهودها مثل هؤلاء الجماعة الأجلاء، فنفرت قلوب الناس من ابن عتيق، وضجّوا وضجروا، وكل من أمكنه السفر سافر، وما تأخر إلا العاجز.

ومن جملة معاملاته الشنيعة: ما ذكره الشيخ الحضراوي في تاج تواريخ البشر^(١): أنه طلب من خضر أفندي الرومي أن يشهد له شهادة زور لأجل اغتصاب بعض الدور، فلم يجبه فيما دعاه، فنصب له العداوة والبغضاء حتى كان لا يلقّبه إلا بالنصراني، ولم يزل به إلى أن رماه عند الشريف حسن ببهتان، وقال له: إنه ينسب إلى دولتك الظلم والمظالم، وأنه يكتب فيك لأمراء الأروام، فإذا لم [تتلق]^(٢) أمره شبّ نار التلاقي جهره، وحسن له في جلّائه عن البيت الحرام، فأذن له الشريف في إجلّائه، فشمّر له عن ساعد بلّائه، وأمره بالخروج في الحال، ولم يُمهله إلى أن ينقل ماله ويرى ما عليه وما له، فخرج متوجّهاً إلى مدينة الرسول الأكرم ﷺ، وما بُعد عن مكة قيد مرحلتين حتى استولى الوزير على داره، وأظهر صولة قدره واقتداره، واصطفى ما فيها قبل الوفاة، ونادى عليها في الأسواق كما ينادى على تركة

(١) تاج تواريخ البشر (٢/٢٧٦).

(٢) في الأصل: تتلف. والتصويب من تاج تواريخ البشر، الموضع السابق.

الأموات، فبلغ الشيخ الخبر وهو في أثناء الطريق، فمات قهراً على ماله، وكان الأفندي المذكور رجلاً صالحاً طالب علم.

قال المحي^(١): وكان الشريف أبو طالب بن حسن كلما سمع شيئاً من هذه الأمور تألم غاية التألم، فأول ما استقلّ بالشرافة أرسل من المبعوث^(٢) قبل وصوله إلى مكة رسله بمسك ابن عتيق، فمسك يوم الجمعة بعد العصر، واستمر في الحبس يوم السبت والأحد، فلما وصل الشريف أبو طالب إلى مكة وتولى أمر والده الشريف حسن ودفنه استدعى ابن عتيق وسأله عن أحواله فقال: قد فعلت جميع ذلك، ثم رده إلى الحبس.

ففي ليلة الاثنين أخذ ابن عتيق جنية^(٣) العبد الوصيف المرسم عليه وهو نائم، فاستيقظ العبد وخلصها منه، فأخبر سيده الشريف أبا طالب بذلك، فأعطاه [جنية]^(٤) وقال له: خذ هذه وقل له: لا تسرق الجنية بالليل، هذه جنيتي إن كنت تريد أن تقتل نفسك فاقتلها، وأسرع بإرسالها إلى جهنم وبئس المصير، فأخبره الوصيف بما قاله الشريف، فأخذها منه، وأدخلها في

(١) خلاصة الأثر (٣٦٢/٢).

(٢) المبعوث: أحد أودية الطائف يصب في سهول ركة في سيوح هناك، يقطعه طريق الطائف، المتجد على قراية (٦٠) كيلاً (معجم معالم الحجاز ١٥/٨).

(٣) الجنية: مدينة لنصلها حدان، سميت بذلك؛ لأنها تثبت في حزام وتوضع في الجنب، لها أشكال متنوعة، تستعمل في شبه الجزيرة العربية والغرب الأقصى، وألبانيا، وتركيا، وأجودها ما صنع في فارس والهند واليمن (انظر: الموسوعة الميسرة ص: ٦٤٨).

(٤) في الأصل: جنيتته. والمثبت من خلاصة الأثر (٣٦٢/٢).

بطنه نحو إصبع، ثم أخرجها، ثم أعادها وأدخل منها ضعف الأول، ثم أدخلها جميعها، ثم أخرجها وقال: وا مالي، واستمر ذلك اليوم إلى ظهر يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة سنة عشر وألف، فمات، ورمي به في درب جدة في حفرة صغيرة بلا غسل ولا صلاة ولا كفن، ورمت عليه العامة الحجارة، وعملت الفضلاء فيه تواريخ، فمنها قول بعضهم:

أشقى النفوسِ الباغيَّةُ ابنُ عتيقِ الطاغِيَّةِ
نار الجحيمِ استغوذَتْ منه وقالتْ مَالِيَّةُ
لَمَّا أتى تاريخُهُ أجِبْ لظى والهاويَّةِ

انتهى ما في خلاصة الأثر^(١).

وفي سنة ألف وعشرة توجه مولانا الشريف حسن إلى نجد غازياً، فتوفي هناك في ثالث جمادى الآخرة^(٢).

قال العصامي^(٣): بعدما توفي حمل في تختروانه^(٤) الذي كان يركبه في حياته على البغال، وقد حصلت علامات الموت من عصر يوم الأربعاء، حتى إن [أبناءه]^(٥) الذين كانوا معه بذلك المحل أعدوا البغال والبراذين في المنازل

(١) خلاصة الأثر (٣٦١/٢-٣٦٢). وانظر: سمط النجوم (٣٩٠/٤-٣٩٣)، ومنايح الكرم (٤٣٥-٤٣٧)، وخلاصة الكلام (ص: ٦٣).

(٢) انظر: منائح الكرم (٥٠٧/٣-٥٠٨)، وخلاصة الكلام (ص: ٦١).

(٣) سمط النجوم (٣٧٠/٤).

(٤) التختروان: محفة لها ذراعان من أمام ومثلهما من الخلف، يحمله دابتان (المعجم الوسيط ٨٢/١).

(٥) في الأصل: ابناه. والتصويب من سمط النجوم، الموضع السابق.

صوب مكة؛ لغلبة ظنهم بوقوع الوفاة، وبُعد المسافة عن مكة لتكون كخيال البريد. فلما توفي جدّوا به السير، فساروا ليلة الخميس وليلة الجمعة ويومها، ووصلوا به إلى مكة في أوائل النصف الثاني من ليلة السبت.

قال السنجاري^(١): في محل يقال [له]^(٢): فاعية - بقاء وألف وعين مهملة فياء تحية مثناة بعدها هاء [السكت]^(٣) - وكان في مسافة عشرة أيام عن مكة، فحُمِلَ في مَحْفَةٍ على البغال إلى مكة ومعه بعض أولاده، وراح النعي إلى الشريف أبي طالب إلى المبعوث، فسار من وقته إلى مكة، فدخلها ليلة السبت خامس الشهر، ودخلت جنازة والده بعد دخوله في النصف الثاني من تلك الليلة، وبمجرد وصوله غُسِّلَ وكُفِّنَ وصُلِّيَ عليه تجاه الكعبة، ودُفِنَ بالمعلاة، وبُني عليه قبة^(٤). وله من العمر تسع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر.

ومدة ولايته مشاركاً لأبيه ومستقلاً نحو خمسين سنة.

عدد أولاد الشريف حسن وأسمائهم

ورزق من الأولاد الذكور سبعة وعشرون، ومن الإناث خمس وعشرون.

فأولاده الذكور: أبو طالب، وحسين، وباز، وسالم، وأبو القاسم،

(١) منائح الكرم (٥٠٧/٣ - ٥٠٨)، وانظر: خلاصة الكلام (ص: ٦١).

(٢) في الأصل: لها. والتصويب من منائح الكرم (٥٠٧/٣).

(٣) في الأصل: السكتة. والتصويب من منائح الكرم (٥٠٨/٣).

(٤) وقد أزيلت والله الحمد والمنة.

ومسعود، وعبد المطلب، وعبد الكريم، وإدريس، وعقيل، وعبد الله، وعبد المحسن، وعبد المنعم، وعدنان، وفهيد، وشنبر، والمرتضى، وهزاع، وعبد العزيز، ومضر، وعنان، وجود الله، وعبيد الله، وبركات، ومحمد الحارث، وقايتباي، وآدم.

[وأولاده]^(١) الإناث هنّ: شمسية، وروضة، وزينب، وحمدة، وياقوتة، وفاطمة، وعزيزة، وزين الحبوش، وجربوعة، وزين الشرف، وسلافة، وكثيرة، وغريبة، ومنى، ومزنة، وغيرهن.

ومات منهم جملة من الذكور والإناث في حياته، وورثه سبعة عشر ذكراً وأربع عشرة أنثى. كذا في الإتحاف للطبري^(٢)، وخلاصة الكلام^(٣).

ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي

قال في خلاصة الكلام^(٤): ولما توفي مولانا الشريف حسن تولى إمارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب^(٥).

قال في خلاصة الأثر^(٦): كان من أمره أنه لما كبر أبوه فوَّض أولاً نيابة

(١) في الأصل: وأولاد.

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٩-٢٠).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٦١). وانظر: منائح الكرم (٣/٥١٦-٥١٧).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٦٢-٦٤).

(٥) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/١٣١-١٣٥)، وخلاصة الكلام (ص: ٦٢)، والأعلام

(٣/٢١٨)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٠٧-١٠٨)، وأمراء مكة المكرمة

عبر عصور الإسلام (ص: ٢٢٣-٢٢٤).

(٦) خلاصة الأثر (١/١٣١-١٣٥).

الإمارة لابنه الشريف حسين، فلم يطل أمره فيها، فمات، فولاها شقيقه الشريف مسعوداً، وكان موصوفاً بالشجاعة والقوة، لكنه لم يسلك مسلكاً مرضياً، فتوفي وهو شاب، قالت إلى أبي طالب صاحب الترجمة.

وكان ذا فكر صائب، وشجاعة عظيمة، وفضيلة باهرة، وبعدما حكم بالنيابة عن أبيه مدة، أمر أبوه أمراء الحاج أن يلبسوه الخلعة الكبرى، وألبسوا ولده عبدالمطلب الخلعة الثانية، فألبسهما، ثم جهّز من أتباعه الأمير بهرام بمدة سنية إلى الأبواب السلطانية في هذا الخصوص، والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقريراً بذلك، فأجيب إلى ملتمسه، ورجع بهرام بالتقارير وصورة منشورة مطوّلة مذكورة في ريحانة الخفاجي^(١).

ومن جملة ما في ذلك المنشور: ثم ليعلم كل من كحل بصره بإثم منشورنا الكريم، وشتف مسامعه بلآلى لفظه العظيم من في دارة تلك الديار، وهالة تلك الأقطار، وانتظم في سلك سكان القرى والأمصار، من السادة الكرام، والقضاة والحكام، وولاة الأمور من الأعيان، والوافدين على تلك الديار والسكان، أن إمارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر، وما أحاطت به من الأصاغر والأكابر، وسائر الوظائف والمناصب، والجهات والمراتب، مفوضة إلى السيد السند الشريف أبي طالب، ناظراً بعين الإنصاف، متجنباً سبيل الاعتساف، ويصرف المستحقين بحسن التصريف، ويصرف من لا يستحق برأيه الشريف، أقمناه مقام نفسنا في ذلك المقام، وفوضنا إليه النقص

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا (ص: ١٥٠-١٥١).

والإبرام، والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم، محققة كافية من منطوق ومفهوم، فليتحقق من وقف على هذا الخطاب، ومن عنده علم الكتاب، من أهل مكة ومن في جوارها، وطيبة الطيبة وسائر أقطارها، وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بمباسم السرور من حاضرها وباديها، أنا أعطينا القوس باريها، فلم تَكُ تصلح إلا له، ولم يَكُ يصلح إلا لها، سدّد الله سهام رأيه في أغراض الصواب، وفتح له بمفاتيح السر كل مغلق من الأبواب، ما سقطت من أكفّ الثريا الخواتم، ورقّت على منابر الأغصان خطب الحمائم، والسلام.

وفي سنة وفاة الشريف حسن توفي ابنه الشريف عبدالمطلب، وكانت ولادة الشريف أبي طالب سنة تسعمائة وخمس - أو ست - وستين. واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير شريك فيه، وهنّاه الله بما صار إليه، وأصلح الله به أمور العباد والبلاد، وقام بأعباء الملك، وأظهر السطوة، وقهر أهل العناد، فهابته النفوس، وأنصف في أحكامه، وسار السيرة المرضية.

وكان حسن الهيئة، شديد الهيبة، فإذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته، وكانت تخافه البوادي وأهل النوادي، وكان سخيّاً، ندي الكف.

ومما يحكى من كرمه: أنه زار^(١) النبي ﷺ قبل أن يلي أمر مكة، فلما أمسى نزل في وادٍ هناك هو ومن معه، فأضافه رجل من أهل الوادي يقال له: السوداني، فذبح الذبائح ومدّ الموائد وقدمها، ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم

(١) الزيارة الصحيحة إنما هي لمسجده صلى الله عليه وسلم للحديث الصحيح الوارد: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد "

يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره لشغل عرض له، فعمد السوداني إلى أربع أو خمس دجاجات فذبهن وطبخهن، وقدمهن على كيلتين من العيش في زبدية كبيرة من الصيني، وجاء بها إليه وقال: ياسيدي، هذا عشاء عبدك، اجبر خاطره جبر الله خاطرك، فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات، ودعا له. فلما استقل بالولاية وفد عليه السوداني بعد سنة، فقال له الشريف: الزبدية التي تعشنا فيها عندك، فقال: نعم، قال: اثني بها، فملأها له ذهباً. وله كثير من هذا القليل. ولأهل عصره فيه مدائح كثيرة.

ولم يزل الشريف أبو طالب في أعلى درجات الجور، مالكاً لأزمة الأمور، والعلماء عاكفة على أبوابه، والشعراء ناظمة محاسن صفاته في أحاسن ألقابه، إلى أن توفي راجعاً من بعض في غزواته بمحل يقال له: العُش^(١)، من نواحي بيشة^(٢)، في العشر من جمادى الآخرة سنة ألف واثني عشرة، فغُسل وكُفن هناك، وقصد به مكة^(٣).

قال العصامي^(٤): وحمل في التخت على البغال إلى أن انقطعت^(٥)

(١) في خلاصة الأثر: العشة.

والعش: بلد شرق الطائف (معجم معالم الحجاز ١٠٥/٦).

(٢) بيشة: مدينة كبيرة مشهورة، تقع جنوب مكة المكرمة، وانظر معجم البلدان: ٥٢٩/١.

(٣) انظر: منائح الكرم (٣/٥١٩-٥٢٠).

(٤) سمط النجوم (٤/٣٩٣-٣٩٤).

(٥) في سمط النجوم: تقطعت.

وعجزت عن المسير، فجعل في شبرية^(١) على بعير^(٢)، ودخلوا به مكة ضحوة يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر المذكور، وصُلِّي عليه عند باب الكعبة الشريفة بعد أن فتحت، ونادى عليه الرئيس من أعلى زمزم. انتهى.
ودفن بالمعلا، وبُني عليه قبة^(٣)، فكانت ولايته سنتين وأربعة عشر يوماً، وعمره سبع وأربعون سنة.

ولاية الشريف إدريس بن حسن

فولي مكة بعده أخوه مولانا الشريف إدريس بن حسن بن أبي نغمي^(٤)، وكانت ولايته بإجماع من السادة الأشراف، وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن حسن وابن أخيه السيد محسن بن حسين بن حسن، وأرسلوا قاصداً إلى الروم بما وقع عليه الاتفاق، فقبول بالإجلال والإكرام من مولانا السلطان أحمد، وبعث إليه بخلة الاستمرار، وقرئ توقيعه بالحطيم حادي عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة^(٥).

(١) الشبرية: كالشقدف، محفة توضع على الجمل فيركب فيها (هامش معجم معالم الحجاز ١٠٥/٦).

(٢) انظر: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٥٦).

(٣) وقد أزيلت.

(٤) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/ ٣٩٠-٣٩٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٦٤-٦٦)، والأعلام (١/ ٢٧٩)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٠٨).

(٥) انظر: منائح الكرم (٣/ ٥٢٧-٥٢٩)، وانظر هذا الخبر مختصراً في: إتحاف فضلاء الزمن (٢/ ٢٦-٢٧)، وسمط النجوم (٤/ ٤٠٠-٤٠١).

قال في خلاصة الأثر في ترجمة الشريف إدريس^(١): وكان من أجلّ الناس، من سَراة الأشراف، شهماً، قهابه الملوك والأشراف، شجاعاً، حسن الأخلاق، وكان يكنى أبا عون.

وكان له من العبيد المولّدين والرقيق الجلب ما يزيد على أربعمائة، ومن المقاديم من العرب جماعة كثيرون.

واستمر أخوه الشريف فُheid^(٢) وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له في الربع في جميع أقطار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة، فكثرت أتباع فُheid من الأشراف وغيرهم، بحيث صار موكبه يضاهي موكب الملك، واتخذ رماة للبندق نحو مائتين أو أكثر، ولم يحفظ أتباعه وعبيده من النهب والسرقة، فكثر ضررهم على الناس، وعجز عن مداراته الشريف إدريس، ولما اشتد أمره أخذ [بجانب]^(٣) أكمل الدين القطبي، وأراد أن يصيِّره مفتياً، فلم يرض الشريف إدريس، ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك، فأرسل الشريف لابن أخيه محسن، وكان إذ ذاك باليمن، وكان خروجه إلى اليمن مغاضباً لعمه الشريف إدريس، وكتب إليه أن يأتي بجميع من معه من الأشراف والقوَّاد والعرب، فحضر ومعه أمير حلي محمد بن بركات الحرامي، ونودي في البلد

(١) خلاصة الأثر (١/٣٩٣-٣٩٤، ٢٨٨/٣).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٢٨٨/٣)، والأعلام (١٥٨/٥)، وأمرء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٠٩).

(٣) في الأصل: بجانبه. والنصوب من خلاصة الكلام (ص: ٦٤)، وخلاصة الأثر (٢٨٨/٣).

بأن البلاد لله، وللسلطان، وللشريف إدريس والشريف محسن، وخلع الشريف فهيد من الذَّكر، ومنع من الربع، وجعل ما كان له للشريف محسن، ولم يخطب له، وكان يومئذ في بيته جموع وافرة، فاستعدَّ أصحابه للقتال، وأشار إليه أعيانهم بالحرب، فامتنع من ذلك، وطلب من الشريف إدريس مقدار شهر مهلة؛ ليتأهب للخروج من مكة إلى حيث أراد، فأعطاه، ثم خرج من مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه إدريس أن يمكنه من سكنى مكة بغير ربع، فامتنع، فانضم إلى بعض أكابر الحج المصري، وسافر إلى مصر، ثم توجه إلى الديار الرومية، واجتمع بالسلطان أحمد، فيقال: إنه أنعم عليه بإمارة مكة، فعاجلته المنية، ومات هناك في سنة عشرين بعد الألف.

واستمر الشريف محسن مشاركاً لعمه الشريف إدريس على صدق الكلمة، والنصح، والمساعدة في الأحوال المهمة. ثم وقع بين [الشريفين]^(١) إدريس ومحسن تنافر بسبب خدام الشريف إدريس وتجاوزهم في التعدي، وعمّت البلوى بما يصدر عنهم من الأمور المشتملة على التلبس، خصوصاً من وزيره أحمد بن يونس، وكان الشريف متغافلاً عما يصنعونه، ولم يلق سمعه إلى ما ينهى إليه من فعلهم، ولا ينصف أحداً من شكائهم، [وراجعه]^(٢)

(١) في الأصل: الشريف. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٦٥)، وخلاصة الأثر (٣٩٢/١).

(٢) في الأصل: وراجع. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، وخلاصة الأثر (٣٩٣/١).

الشريف محسن في شأنهم مراراً، [وردّد] ^(١) القول عليه، فكانت الشكوى إلى غير منصف، فرأى الشريف محسن وخامة عواقب الحال، فعند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بني عمه السادة الأشراف والعلماء والفقهاء والأعيان، ورفعوا الشريف إدريس عن ولاية الحجاز ^(٢).

استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز

وفوضوا الأمر إلى الشريف محسن ^(٣)، وكان ذلك في سنة أربع وثلاثين وألف. ولما أشيع بمكة أن السادة الأشراف نيّتهم إقامة الشريف محسن مستقلاً بالأمر، حصل اضطراب عظيم في البلد وحركة عظيمة، وقسمت آلات الحرب من الجانبين، وكان ذلك يوم الأربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وألف.

فلما كان يوم الخميس ألبس كلٌّ منهما آلة الحرب لمن معه من العساكر والجنود، ووقف كل منهما عند باب داره، فبرز من جماعة الشريف محسن شردمة من جانب مقعد السيد بشير بنية عقد النداء في البلد للشريف محسن استقلاً، فقبل وصولهم المقعد رمتهم

(١) في الأصل: وردوا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٥)، وخلاصة الأثر (١/٣٩٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٦٤-٦٥).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣/٣٠٩-٣١١)، وخلاصة الكلام (ص: ٦٥)، والأعلام

(٢٨٦/٥)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٥٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني

(ص: ١٠٩-١١٠).

[الجبالية]^(١) المجمعولون في مدرسة السيد [العيدروس]^(٢) بالبندق، فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق: السيد سليمان بن عجلان بن ثقبه، والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن، فرجع الباقون^(٣).

وفي ضحى هذا اليوم ركب الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن حسن ومعه خيل، والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن، ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه.

ومن أطف الله تعالى أن الجماعة بالمسجد الحرام قائمة ذلك اليوم، والأسواق فاتحة، وفيها الأقوات، ولم يحصل [تغير]^(٤) أبداً.

فلما كانت ليلة الجمعة خامس المحرم وقع الصلح بينهما على أن يستقل الشريف محسن بالأمر، ويكون الكفّ عن المحاربة ستة أشهر، منها ثلاثة يكون الشريف إدريس فيها في البلد، وثلاثة في البر، فاتفق الحال، ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده، ثم خرج إدريس من مكة ليلة المولد.

وقال في خلاصة الأثر^(٥): ونقل الثقات: أنه لما ضويق عليه وأجلبت عليه

(١) في الأصل: الجالية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٥)، وخلاصة الأثر (٣٩٣/١)

(٢) في الأصل: عيدروس. والتصويب من خلاصة الكلام وخلاصة الأثر، الموضعان السابقان.

(٣) انظر: منائح الكرم (٣/٥٧٦-٥٧٧).

(٤) في الأصل: تغيير. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٦)، وخلاصة الأثر (٣٩٣/١).

(٥) خلاصة الأثر (١/٣٩٤-٣٩٤).

الأشراف ومن معهم، بحيث إنه أصيبت جويرية بين يديه بالبندق، فسقطت ميتة بين يديه، فارتاع لذلك وحزن، ووضع منديلاً لطيفاً على وجهه، وبكى لفقد الناصرين، فدخلت عليه في تلك الحالة أخته الشريفة زينب بنت الحسن، فقالت له: علام ذا الحزن والعناء، دعها لابن أخيك، فقد وليتها مدة طويلة، فحينئذ أرسل إلى الشريف محسن والأشراف، وطلب منهم مهلة شهرين في البلد، وأربعة أشهر خارجها، ليتأهب للسفر حيث شاء، فأعطاه الشريف محسن ذلك، وشرط عليه: أن لا يحدث شيئاً من المخالفات، فاستمر شهر محرم وصفر، فمرض فيه حتى خيف عليه.

وفي ليلة المولد خرج من مكة، فما طاف للوداع إلا في محفة^(١)، وخرج وقد أضعفه المرض فتوفي سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة عند جبل ثمر، ودفن بمحل يسمى: ياطب.

ومن الاتفاق العجيب: أن "ياطب" حسابه بالجمال: اثنتان وعشرون سنة، وهي مدة ولايته مجبورة، فإن ولايته إحدى وعشرون سنة ونصف، وعمره ستون سنة، ووصل خبر وفاته إلى مكة مستهل رجب، وصُلِّي عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام.

واستمر الشريف محسن على إمارة مكة، وعرض إلى الأبواب السلطانية بما وقع، فجاء الجواب بالتأييد، وقرئت المراسيم رابع عشر رمضان سنة ألف

(١) الخفة: سبق التعريف بما (ص: ٢٨٧)، هامش (٢).

وأربع وثلاثين، وكان القارئ لمرسومه: العلامة الشيخ عبدالرحمن المرشدي.
ومدحه الشعراء بقصائد، وأرّخوا عام ولايته، فمن ذلك قول الإمام علي
ابن عبدالقادر الطبري:

عام ولاية المليك محسن ابن الحسين بن الشريف
من رام أن يضبطه فقد أتى تاريخه خير ملوك الزمن

ولم يزل مولانا الشريف محسن منفرداً بمراحده، قامعاً لأضداده، آمناً في
سربه، عزيزاً في حربه، إلى أن دخلت سنة سبع وثلاثين وألف، فورد من
السلطنة العلية أحمد باشا^(١) متولياً على اليمن، فلما ندخ^(٢) مركبه جدة،
ومعه نحو ألفين من العسكر غرق بالقرب من جدة، ونجا هو ونحو ثلاثمائة من
عسكره، وكان دخوله إلى جدة في صفر من السنة المذكورة^(٣)، فطلب الباشا
المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين في جدة غواصين لطلب
أسبابه، فعينوا أقواماً غاصوا نحو خمسة عشر يوماً، ولم يخرجوا شيئاً من أسبابه،
فتخيل أنهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن، مع أنه بعث إلى مولانا
الشريف بهدية سنية، وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبدالرحمن المرشدي

(١) هو الوزير أحمد باشا. جهزه صاحب مصر من قبل السلطان العثماني لليمن بأموال كثيرة
وعساكر، فتجهز بأمواله في البحر في مركب كبير (انظر: عقد الجواهر والدرر/أحداث سنة
١٠٣٦ هـ، وغاية الأمان في أخبار القطر اليماني ٨٢٨/٢، وسمط النجوم ٤/٢٠٤،
وخلاصة الأثر ٣/٣١٠).

(٢) ندخ: صدم (المعجم الوسيط ٢/٩١٠).

(٣) انظر تاريخ وروده هذا في: سمط النجوم ٤/٤٢٠، وخلاصة الأثر ٣/٣١٠. أما في عقد
الجواهر والدرر، وإتحاف فضلاء الزمن فذكروا أن وصوله كان في سنة ١٠٣٦ هـ.

مفتي السلطنة بمكة بمكاتيب منه، وأوصى عليه خدمه.

فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه، وشنق حاكم مولانا الشريف بجدة، وهو القائد راجح، ونزل إلى جدة الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن الحسن بن أبي نمي^(١).

قال في خلاصة الأثر^(٢): إنه كان بين الشريف مسعود بن إدريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبدالمطلب ممالة ومواطاة قبل نزوله لبندر جدة، مضمونها: أن الشريف أحمد قال للشريف مسعود: إني لا أريد الملك لنفسي، إنما أريده لك، وهو بيننا، [فخذل عني]^(٣) من استطعت من آل أبي نمي وثبطهم وحلّ عزائمهم، فوعده الشريف مسعود بذلك، وفعل. فلما نزل الشريف أحمد إلى جدة تداخل مع أحمد باشا المذكور^(٤).

ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب^(٥)

فولاه شرافة مكة، ونادى له في جدة، وأبان عزل الشريف محسن، ثم قدر الله أن الباشا مات في تلك الأيام، فكتب كيخية^(٦) الباشا المذكور

(١) انظر: منائح الكرم (٣/٦٣٩-٦٤١).

(٢) خلاصة الأثر (١/٢٤٠). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٢٩).

(٣) في الأصل: فخذل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٨)، وقوله: "عني" زيادة من خلاصة الأثر وسمط النجوم، الموضوعان السابقان.

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٦٥-٦٨)، وتاج تواريخ البشر (٢/٢٨٩).

(٥) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١/٢٣٩-٢٤١)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص: ٢٥١)، وخلاصة الكلام (ص: ٦٨)، والأعلام (١/١٦٣)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١١٠-١١١).

(٦) كيخية أو كخيّا تؤدي معنى كنتخا - كدخدأ -: وهو الموظف الكبير، ويقصد بها الوزير الأول في حكومة الولاية التي يحكمها باشا (انظر: مقدمة البرق اليماني ص: ٧٩، والتشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية من بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥ م، ص: ٩٥).

يوسف آغا إلى الشريف محسن بوفاة الباشا، وطلب منه عشرة آلاف قرش^(١) ليتوجه بها إلى اليمن. قال: والبلاد بلادكم.

فبلغ فعل الكيخية الشريف أحمد بن عبدالمطلب، فاستمال العسكر، فقتلوا الكيخية ومن بقي من جماعة الشريف محسن، وصادر التجار وأهل البلد، فأخذ منهم جملة من الأموال، وتأهب لحرب الشريف محسن.

فلما بلغ ذلك الشريف محسناً خرج لهم إلى [الحديد]^(٢) -موضع مقابل لجدة- فخرج إليه بعض الأتراك، وأخذوا قطع غنم [العرب]^(٣)، فقاتلهم

(١) القرش: قرش "بياستر"، البياستر في الأصل: نقد أسباني من الفضة قدره ثمانية ريالات. وقد بدأ تداوله في بداية القرن السادس عشر الميلادي، ثم استقر في التعامل التجاري مع بلدان الشرق. وقد أطلق اسم البياستر على العملة الفضية التركية التي تسمى قرش أو غرش والتي ضربت لأول مرة في تركيا في عهد السلطان سليمان الثاني (١٦٨٧-١٦٩٠) يزن القرش ٢٤٨ حبة، وقيمته أربعون بارة.

ولفظ قرش مشتق من الألمانية جروشن، وهناك نوعان من القروش، قرش صاغ وقيمته أربعون بارة، وقرش بربع هذه القيمة. وكانت الشعوب العربية تطلق أحياناً على القرش الصاغ اسم القرش الرومي، وتعني بذلك القرش التركي، وقيمته أربعون بارة. (الموسوعة العربية الميسرة ص: ١٣٧٥).

(٢) في الأصل: الحدة. والتصويب من إتحاف الوري (١٨٠/٤). وانظر: غاية المرام (٤٩٥/٢). والحديد: ناحية في بني مالك شرقي جدة (معجم معالم الحجاز ٢/٢٤٧، ١٠/٨٧).

(٣) في الأصل: العرب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٨).

بعض الأشراف^(١)، فقتل السيد ظفر بن سرور بن أبي غني، والسيد أبو القاسم ابن جازان، وغيرهما، ومن الأتراك نحو الخمسين. ثم انحاز [كل إلى فتنه]^(٢)، وأتى الخبر لمولانا الشريف محسن أن السيد مسعود بن إدريس دخل مكة، واستمال الأشراف بني حسن بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبدالمطلب، أطمعه فيه بمناصفة مكة إن هو استمال الأشراف إليه.

فكرّ الشريف محسن راجعاً إلى مكة، وترك على جماعته هناك السيد قايتباي ابن سعيد بن بركات، فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذين وردوا مع الباشا السابق ذكره، وسار من جدة إلى مكة في سبعة عشر يوماً، ولما وصل التنعيم^(٣) لأربع عشر ليلة بقيت من رمضان، خرج الشريف محسن للقاءه بجيش جرّار، إلا أن غالب مَنْ معه كان مباطناً للشريف أحمد بواسطة السيد مسعود ابن إدريس.

فلما التقى الفريقان وتبين للشريف محسن انحلال عقد مَنْ معه كفّ عن القتال بعد أن أطلق جماعة الشريف أحمد مدفعين، وتوجه الشريف محسن

(١) انظر هذا الخبر في: عقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٣٦ هـ، وسمط النجوم

(٤/٤٢٠-٤٢١)، وخلاصة الأثر (٣/٣١٠).

(٢) في الأصل: كل فتنه. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٦٨).

(٣) التنعيم: سبق التعريف به في (ص: ٢١).

ومعه بعض جماعته إلى اليمن، واستمر هناك إلى أن توفي سنة ألف وثمان وثلثين، وعمره أربع وخمسون سنة، ودفن بصنعاء، وبني عليه قبة هناك^(١).

دخول الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن حسن مكة، ومعاقبته بعض أعيانها

فدخل مكة الشريف أحمد بن عبدالمطلب بن حسن ضحى يوم الأحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلثين وألف، وفر من مكة مَنْ كان فيها من جماعة الشريف محسن، واختفى مَنْ اختفى. ومن اختفى من الأعيان: الشيخ عبدالرحمن ابن عيسى المرشدي الحنفي مفتي الحرم المكي، فلما بلغه اختفاءه حَثَّ في طلبه، ونادى عليه ببراءة الذمة ممن وجد لديه، فأظهره مَنْ أضمره، فذهب داره وقبض عليه وحبسه، وأخاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، ثم قتل الشيخ عبدالرحمن المرشدي في السجن كما سيأتي^(٢).

قال في خلاصة الأثر^(٣) نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوي^(٤) في ترجمة

(١) خلاصة الكلام (ص: ٦٨). وانظر هذه الأحداث في: منائح الكرم (٣/٦٤١-٦٤٥)، وعقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٣٦ هـ، وسمط النجوم (٤/٤٢١-٤٢٢)، وخلاصة الأثر (٣/٣١١-٣١٠)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٨-٣٩).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٦٨-٦٩). وانظر: منائح الكرم (٤/٧-٩)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٤٠).

(٣) خلاصة الأثر (٢/٣٦٩-٣٧١، ٣٧٥).

(٤) لم أقف له على ترجمة في الضوء اللامع، وعبارة المحي في الخلاصة لا توحى بأن السخاوي قد ترجم له في الضوء.

الشيخ عبدالرحمن المرشدي: نشأ بمكة، وحفظ القرآن، وصلى به التراويح إماماً في المسجد الحرام، وحفظ الألفية، والأربعين للنووي، وكثر الدقائق، إلا القليل منه، والجزرية، وغيرها، وشرع في الاشتغال من سنة تسع وثمانين وتسعمائة، فلازم الشيخ [عبدالرحيم]^(١) بن حسان. وأخذ عن [الشيخ]^(٢) علي بن جار الله بن ظهيرة، والملا عبدالله الكردي، والسيد غضنفر.

وروى الحديث عن الشمس الرملي، وعن الشيخ المعمر الملا حميد السندي، والشيخ أحمد الشريبي، والشمس النحراوي.

وأخذ القراءات عن الملا علي القاري الهروي، وولي تدريس مدرسة المرحوم محمد باشا في حدود سنة تسع وتسعين وتسعمائة، قدرّس بها صحيح البخاري، وأملى عليه شرحاً بلغ فيه إلى باب: رفع العلم وظهور الجهل، فعزل عنها ووليها مدرّسها الأول، ونظم منظومة في علم التصريف سماها: "تصريف التصريف"، وشرحها شرحاً نفيساً سماه: "فتح اللطيف"، وشرح [كتاب]^(٣) "الكافي في علمي العروض والقوافي"، سماه: "الوافي في شرح الكافي"، وشرح "عقود الجمان في المعاني" للأسيوطي شرحاً حافلاً، مزج فيه عبارة النظم في الشرح، فاق على شرح مؤلفها بكثير. وولي إمامة المسجد الحرام وخطابته، والإفتاء السلطاني في سنة عشرين وألف، ثم تولى تدريس المدرسة السليمانية الحنفية سابع عشر رجب سنة سبع وعشرين وألف،

(١) في الأصل: عبدالرحمن. والتصويب من خلاصة الأثر (٣٦٩/٢).

(٢) قوله: "الشيخ" زيادة من خلاصة الأثر، الموضع السابق.

(٣) في الأصل زيادة: شرح. وقوله: "كتاب" زيادة من خلاصة الأثر، الموضع السابق.

وباشر الدرس فيها سادس شعبان منها، وافتتح الدرس في تفسير البيضاوي من قوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وحضر مجلسه فيها يومئذ جميع العلماء والأعيان. وذكره السيد علي في السُلالة^(١)، وذكر وصفه إلى أن قال: ولم يزل ممتطياً صهوة العز المكين^(٢)، راقياً ذروة طود الجاه الركين، لا يقاس به قرين، ولا تطأ آساد الشرى له عرين، إلى أن تولى الشريف أحمد بن عبدالمطلب مكة المشرفة، ورفل في حلل ولايتها المفوَّقة، وكان في نفسه من الشيخ المشار إليه ضغن، حَلَّ بصميم مهجته [وما ظعن]^(٣)، فأمر أولاً بنهب [داره]^(٤) وخفض محله ومقداره، ثم قبض عليه. انتهى.

وفيه أيضاً^(٥): قبض على المرشدي في أواخر شهر رمضان [من]^(٦) سنة سبع وثلاثين وسجنه، ونهب داره وكتبه، [وطلبه]^(٧) يوماً إلى مجلسه وهو غاص بأهله، وعاتبه أشدَّ عتاب، فأجابه بأحسن جواب، ثم أعاده إلى السجن، وقال للحاضرين: والله إني أعلم وأعتقد أنه من أفضل علماء زمانه، وأتقى أهل عصره. واستمر في السجن إلى يوم النحر، فأمر بخنقه. انتهى بحذف واختصار.

(١) سلافة العصر (٦٨-٦٩).

(٢) في سلافة العصر: المتين.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من سلافة العصر (ص: ٦٩).

(٤) قوله: "داره" زيادة من سلافة العصر، الموضع السابق.

(٥) خلاصة الأثر (٣٧٦/٢).

(٦) في الأصل: في. والتصويب من خلاصة الأثر، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: وطلب. والتصويب من خلاصة الأثر، الموضع السابق.

قال الرضي في تاريخه: [اختلفت]^(١) الأقوال في سبب قتل الشيخ عبدالرحمن المرشدي، فقيل: تعريضه بالشريف أحمد بن عبدالمطلب في خطبة عقده التي خطب بها في زواج سلطنة بنت علي شهاب، وكان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يُزوّج، فعرض الشيخ بذلك، حيث قال في ابتداء الخطبة: الحمد لله الذي أعز سلطانه، وأدحض شيطانه.

وقيل: إنه جاء إلى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبدالمطلب معزياً لابساً صوفاً أبيض، وكانت عادتهم لبس السواد في مثل ذلك اليوم.

وقيل: إن الشريف أحمد حين استولى على مكة وطلع إلى دار السعادة على فرش الشريف محسن، وجد تحت طرف المرتبة فتياً من الشيخ المذكور بتسميتهم بغاة جائرين ظالمين، وبوجوب قتالهم، بخطه المعروف واسمه الموصوف، وكان الشريف أحمد بعد أن حبس الشيخ عبدالرحمن المرشدي يخرج في كل شهر لحضور ديوانه، وهو في أصفاده وأحزانه، فأقبل مرة، فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبدالمطلب أنشد:

لا تضع للعزیز قدراً وإن كنـت ————— مشاراً إليه بالتعظيم
فالعزیز الكريم ينقص قدراً بالتعدي على العزیز الكريم

فالتفت الشريف إلى الحاضرين وقال: انظروا إلى جرأته في ثلبي، وقوة جنانه لحربي! فجعل عين ذلك المجلس -وهو الإمام زين العابدين بن

(١) في الأصل: اختلف. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٦٩).

عبدالقادر الطبري- يعتذر ويحسن التعليل بما قدر، فقصره الشريف عن التطويل وقال: هيهات! إنما قصد من القطعة ما قيل:
ولع الخمر بالعقول رمى الخم — — — — — بتنجيئها وبالتحریم

ثم قال: والله إني لأعلم أنه أفضلكم على الإطلاق، وقد عنّ لي العفو عنه، إلا أنه جاء تُكرّاً إذ جعل نفسه عقلاً، وجعلني خمراً. وأمر بإعادته إلى حبسه، إلى أن نقله إلى رمسه، فإنه لم يزل في الحبس إلى الموسم، فورد الحج المصري وأميره قانصوه باشا، ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة، فخرج للقاءه الشريف أحمد، فألبسه الخلعة على جري العادة، وحج بالناس، ولم يحج من أهل مكة في هذا العام إلا القليل.

ولما كانت ليلة الحادي عشر من ذي الحجة جاء إلى الشريف من أوحى إليه أن الأمراء عزموا على إطلاق الشيخ عبدالرحمن المرشدي وتخليصه من يد الشريف، فبعث من ليلته إلى الحبس، وأمر بقتل الشيخ وأخيه، فشفع حاكمه عتيق بن عمر في القاضي أحمد [أخي]^(١) الشيخ، لصحبة كانت بينهما، فشفعه فيه، ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبدالرحمن، فقتلوه صبراً في تلك الليلة، ودفن بالشبيكة^(٢). وقتل معه تلك الليلة: حيدر الشامي -أحد تجار مكة- بدلاً عن القاضي أحمد بن عيسى المرشدي؛ لكونه أمر بقتل الاثنين.

(١) في الأصل: أخ. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) الشبيكة: سبق التعريف بها (ص: ١٠٠).

فلما كانت صبيحة يوم النحر جاء الأمراء إلى الشريف، وذكروا له أمر الشيخ وشفعوا فيه، فقال: قد تفرطنا فيه، وهلا ذكرتم لنا قبل هذا؟

وكان عمر الشيخ المرشدي حين قُتل إحدى وستين سنة، وأصاب الناس عليه أعظم حسرة، وقتل الشريف أحمد هذه القتلة بعينها، كما سيأتي^(١).

وفي الأثر: "كما تدين تدان"، وهذا حال الدهر مع كل قاصٍ ودان^(٢).

قال في خلاصة الأثر^(٣): ولما تولى الشريف أحمد أمر مكة استولى على أموال الناس، ولم يرحم أحداً، وعاقب كثيراً ممن كان قبل استبعادها عنه [وسخر منه]^(٤)، وكان له أخدان وجلساء قبل الولاية، فعجل لهم الأذية، منهم: السيد سالم بن أحمد شيخان، والشيخ أحمد القشاشي، والشيخ محمد^(٥) المقدسي خليفة سيدي أحمد البدوي، فحبس الجميع وثقل عليهم، حتى افتدوا أنفسهم بمال جزيل، وذلك بوشاية شخص يقال له: المياس^(٦)، واستمر متغلباً على مكة، واستولى على أموال مكة ورقاب أهلها، وصادر التجار،

(١) انظر: منائح الكرم (٩/٣، ١١-٢٢، ٢٤-٢٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٤٠-٤١، ٤٢-٤٣). وانظر هذه الأحداث مع الكثير من الاختلاف في: عقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٣٧هـ، وسمط النجوم (٤/٤٢٦-٤٢٨)، وخلاصة الأثر (١/٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٦٩-٧٠).

(٣) خلاصة الأثر (١/٢٣٩). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٣١)، وخلاصة الكلام (ص: ٧٠)، وتاج تواريخ البشر (٢/٢٨٨).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من المراجع السابقة.

(٥) في تاج تواريخ البشر: أحمد.

(٦) في خلاصة الأثر وتاج تواريخ البشر: الماس.

وحبس من حبس، وقتل من قتل، فنفرت الناس وجلت عن مكة، وخالفت القبائل، وتقطعت الطرق، وأكثر العسكر الفساد في أشراف البلاد، وسكنوا بيوت الأشراف، وانتهكوا حرمتهم.

وفي منائح الكرم^(١): وعاثت عساكره بمكة حتى حجر ذوو الهيئات غلمانهم، وسكنوا الدور، وهتكوا الستور، فصار الحرم مباحاً يدخله العسكري بنعاله فلا يمنعه أحد.

وذكر الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي: أن بعض العسكر سكر، فدخل الحرم وضرب الحجر الأسود بسيفه، وضرب البيت الشريف، فأراد تأديبه، فتعصبت له جماعته ومنعوه.

وصادر الشريف المذكور أهالي مكة وتجارها، وأخذ منهم أموالاً لا تحصى.

وذكر شيخنا السيد محمد الشلي باعلوي^(٢): أنه خرص ما أخذه من المال، فكان نحو ثلاثين ألف دينار من الذهب.

وفي إتخاف فضلاء الزمن^(٣): ثلاثين ألف دينار من الذهب. انتهى.

(١) منائح الكرم (١٣/٤-١٤). وانظر: إتخاف فضلاء الزمن (٤٢/٢)، وعقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٣٦هـ.

(٢) عقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٤٠هـ.

(٣) إتخاف فضلاء الزمن (٤٢/٢).

وكان ممن فرّ منها: الشيخ جمال الدين محمد باقشير، فتوجّه مع الحج المصري إلى مصر مختفياً، وفي ليلة خروجه مختفياً صادف في خروجه في طريقه الشريف أحمد عائداً من العمرة، فكتب بطاقة، وأمر بعض العامة أن يعطيها الشريف أحمد، فأوصلها له، فقرأها في ضوء الشمع، وكان يسير به ليلاً بدلاً عن المشاعل، فإذا فيها:

تستحل الدماء وتحرم بالعم ——— رة دعها وعن دما الناس أمسك
ما رأينا والله أعجب حالاً منك واهأ لفاتك متسك

فسأل عن صاحب الرقعة فلم يعرف.

وبقي الشيخ جمال الدين باقشير بمصر إلى أن قتل الشريف أحمد، فرجع إلى مكة، واستمر الشريف أحمد على ولاية مكة، ولم يف للشريف مسعود بن إدريس ببعض تلك العهود، بل أراد قتله، ففرّ إلى قانصوه باشا والتجأ إليه، فوجد قانصوه مملوءاً على الشريف أحمد، فلما أقبل قانصوه قاصداً لليمن لاقاه الشريف مسعود من ينبع أو الحوراء^(١)، وجاء معه مختفياً، وكان قانصوه مأموراً أن ينظر في أمر مكة ويولي فيها من يختار.

ولما أن قضت الحجاج مناسكهم وذهبوا إلى بلادهم، تخلف قانصوه بثقله أسفل مكة، فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق إلا مخيمه وخيام العسكر، فأشار قانصوه إلى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمداً المياس^(٢) أن يُحسن للشريف أحمد الوصول إلى

(١) الحوراء: كورة من كور مصر القبلية في آخر حدودها من جهة الحجاز على البحر في شرقي القلزم، وهي مرفأ سفن مصر إلى المدينة (معجم البلدان ٣١٦/٢).

(٢) في تاج تواريخ البشر: إلياس.

قانسوه للوداع، ففعل، وذهب إلى الشريف أحمد وحسن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر.

فلما كانت ليلة الأحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف، ركب الشريف أحمد إليه وصحبته جماعة من الأشراف ومن الخدم، فلم يزالوا يدخلون المخيم من باب إلى باب حتى وصلوا إليه، فتحدثا ملياً، ثم نصبا الشطرنج^(١).

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع، فقتل الشريف أحمد، وأطلق الباقي، فتحركت عساكره، فأظهره لهم مقتولاً، ونشر العلم، ونودي: المطيع للسلطان يقف تحته، فوقفت العساكر تحته، وخلع على الشريف مسعود بن إدريس، وكانت مدة ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب: سنة واحدة، وأربعة أشهر، وثمانية عشر يوماً^(٢).

ولاية الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي

ثم استدعى الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي^(٣) وخلع

(١) الشطرنج: لعبة تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعاً، وتمثل دولتين متحاربتين باثنتين وثلاثين قطعة تمثل الملكين والوزيرين والخيالة والقلاع والفيلة والجنود ((هندية)) (المعجم الوسيط ٤٨٢/١).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٧٠-٧١). وانظر: منائح الكرم (٤/٢٨-٢٩، ٣٢-٣٥)، وإنحاف فضلاء الزمن (٢/٤٤-٤٥)، وخلاصة الأثر (١/٢٤٠)، وسطح النجوم (٤/٤٣٠، ٤٣٢)، وعقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٣٩ هـ، وتاج تواريخ البشر (٢/٢٨٩-٢٩٠).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٤/٣٦١-٣٦٢)، وخلاصة الكلام (ص: ٧١)، والأعلام (٧/٢١٦). وفي رحلة العياشي (٢/٢٣٧) قصيدة في مدحه، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١١١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٣١-٢٣٣).

عليه في اليوم المذكور، وولاه مكة، فدخلها وصحبته قانصوه.

ثم إن قانصوه صادر تجار مكة، وأخذ منهم جملة أموال، ثم توجه إلى اليمن فيما أمر به، واستقل بمدخول جدة من العثور، وخرجت من يد صاحب مكة أصالة، ولم تنزل إلى أن استرجع الشريف زيد نصفها بعد تعب شديد، فهي اليوم نصفين؛ النصف للشريف صاحب مكة، والنصف للسلطنة، وطمع فيها أصحاب الدولة حتى صار يجعل فيها باشا^(١) من جهة الأبواب. انتهى^(٢).

وفي خلاصة الكلام^(٣): كان الشريف مسعود ملكاً جواداً، شجاعاً، حسن التدبير، محباً للأدب، عارفاً بمقادير العلماء والأفاضل، فبلغت به الناس المنى، وكثر عليه الشاء، ومدحه الشعراء بقصائد، وفي أيامه كان سقوط البيت الشريف.

قال السنجاري^(٤): وفي أيامه كان الغلاء الشديد بمكة، حيث إنه كان لا يوجد إلا الدخن^(٥)، فسمي العام: عام دخنه، وأعقب ذلك الغلاء مرض عام غريب حصل منه اعتلال في الركب بحيث إن الإنسان كان يخرج

(١) أي باشا للأبواب يتولى أمرها على مقدار تلك النفقة (هامش إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٤٥/٢)، ومنايح الكرم (٣٦/٤-٣٧)، وعقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٣٩هـ.

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٧١). وانظر: منايح الكرم (٣٨/٤).

(٤) منايح الكرم (٨٨/٤). وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (٥٠/٢).

(٥) الدخن: نبات عشبي من النجيليات، حبه صغير أملس كحب السمسم، ينبت برياً ومزروعاً (انظر: المعجم الوسيط ١/٢٧٦).

[إلى] ^(١) السوق على رجليه، فيعاد محمولاً لا قدرة له على القيام من غير داء يشكوه، وكان دواء الناس منه شرب ماء الليم ^(٢) مع السكر بعد تحميته في جلده على النار. انتهى.

وفي ثاني عشرين ربيع الثاني سنة أربعين وألف توفي الشريف مسعود بيستانه بالمعابدة ^(٣) بمرض الدق ^(٤)، ودفن بقبة السيدة خديجة رضي الله عنها. وكانت مدة ولايته: سنة، وشهرين، وستة وعشرون يوماً. ذكره في تحصيل المرام ^(٥).

وفي شرح رسالة ابن زيدون للشيخ جعفر لبني: توفي الشريف مسعود بيستانه بأمر عابدة بمرض الدق، وأم عابدة الحارة التي يقال لها اليوم: معابدة، وبستانه الظاهر أنه الذي عند حوض [أبي] ^(٦) طالب، لأنه مشهور سابقاً بيستان مسعود، واليوم عند الشريف دخيل الله العواجي من آل زيد ^(٧). انتهى.

(١) قوله: "إلى" زيادة من منائح الكرم (٨٨/٤).

(٢) الليم: من الخوامض من فصيلة النارج (هامش تاريخ مكة للسباعي ص: ٣٦٤).

(٣) المعابدة: سبق التعريف به.

(٤) الدق: حمى معاودة يومياً تصحب غالباً السل الحار (اللسان، مادة: دقق، والمعجم الوسيط (٢٩١/١).

(٥) تحصيل المرام (ورقة ١٩٧). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٣٧)، وإعلام الأنام (ص: ١٦٦)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٥٠).

(٦) في الأصل: أبو.

(٧) انظر: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٣٦٥).

ولاية الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي، وهو جد [الأشراف]^(١) آل عون أمراء مكة حالاً

فاجتمع السادة الأشراف، واتفقوا على تولية الشريف عبدالله بن حسن ابن أبي نمي^(٢)، وعرضوا ذلك إلى السلطنة العلية، فجاءته مراسيم التأييد، وهذا الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي هو جد الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون أمير مكة، فإنه: محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي.

وقد ترجم صاحب خلاصة الأثر الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي فقال^(٣): كان سيداً جليلاً، عظيماً، صالحاً.

ولي مكة بعد ابن أخيه الشريف مسعود -وهو إذ ذاك أكبر آل أبي نمي- بالاتفاق من الأشراف، وكان ممتنعاً في الولاية، وتحلف عن جنازة الشريف مسعود لذلك، فألزموه بذلك حقناً لدماء العالم، وما زالوا به حتى رضي، وحصل بولايته الأمن والأمان، واستمر الشريف عبدالله بن حسن إلى أن حج بالناس سنة أربعين^(٤).

(١) في الأصل: أشراف.

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٣/٣٨-٣٩)، وخلاصة الكلام (ص: ٧١)، والأعلام (٤/٧٨)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١١١-١١٢)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٣٣-٢٣٦).

(٣) خلاصة الأثر (٣/٣٨-٣٩).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٧٢). وانظر: سمط النجوم (٤/٤٤١-٤٤٢).

نزول الشريف عبدالله بن حسن عن الإمارة لولده محمد، ومشاركة زيد بن محسن لولده المذكور

وفي شهر صفر سنة إحدى وأربعين وألف خلع نفسه، تعففاً وديانةً، وقد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبدالله^(١)، وأرسل إلى اليمن يطلب مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نجي^(٢)؛ لأنه بقي هناك بعد أن توفي والده، وأخبره أنه يريد أن يجعله شريكاً لولده، فوفد عليه الشريف زيد بن محسن من اليمن، فأشركه مع ولده في النصف الآخر، وتخلي مولانا الشريف عبدالله عن الأمر، وتجرد للعبادة، إلا أنه كان يُدعى له على المنبر معهما.

واستمر مولانا الشريف عبدالله بن حسن بعد أن خلع نفسه إلى أن توفي ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة^(٣)، وصلي عليه، ودفن في قبة والده الشريف حسن. فكانت مدة ولايته: تسعة أشهر، وثلاثة أيام^(٤).

وأعقب جملة من الذكور، وهم: محمد، وأحمد، وحمود، وحسين، وهاشم،

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٢٧/٤)، وخلاصة الكلام (ص: ٧٢-٧٣)، والأعلام (٢٤٠/٦)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١١٢)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٣٦).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١٧٦/٢-١٨٦)، وخلاصة الكلام (ص: ٧٤-٧٩)، والأعلام (٦٠/٣-٦١)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١١٣-١١٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٣٦).

(٣) أي سنة ١٠٤١ هـ.

(٤) انظر: منائح الكرم (١٢٤/٤-١٢٦)، وسمط النجوم (٤/٤٤٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٥٨/٢-٥٩).

وثقبة، وزامل، ومبارك، وزين العابدين.

واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة، وجاءهما التأييد من السلطة العلية، ولبسا خلعتين، وقرئ مرسومهما في سابع جمادى الأولى من هذه السنة.

وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية، وملخصها:

أن عسكرياً من اليمن خرجوا عن طاعة قانصوه باشا، وجاء الخبر أنهم لما وصلوا القنفذة^(١) اجتمع بهم السيد نامي بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نعي، واستماهم على أخذ مكة، فأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الإذن في دخول مكة، ثم يتوجهون إلى مصر، فرجع إليهم الجواب بعدم الإذن في دخول مكة، ثم جاء الخبر بأن الأتراك وصلوا السعدية^(٢)، فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهم العساكر إلى قَوْز المَكَّاسَة أسفل مكة، ووقع اللقاء بين العسكريين هناك، فحصلت ملحمة عظيمة، وقتل الشريف محمد بن عبد الله صاحب مكة، وجماعة من الأشراف، منهم: السيد أحمد بن حراز، والسيد حسين بن مغامس، والسيد [سعيد]^(٣) بن راشد، وأصيبت يد هزاع [بن محمد الحارث، وقتل من

(١) القنفذة: مدينة صغيرة وميناء على ساحل البحر الأحمر على قرابة ٣٤٣ كيلاً جنوب مكة المكرمة (بين مكة واليمن: ١١٢-١١٣).

(٢) السعدية: في جنوب مكة أسفل وادي يلملم على درب اليمن، ميقات أهل اليمن، تبعد عن مكة حوالي ١٠٠ كيلومتراً، كانت محطة للحجاج، وهي المرحلة الثانية على نظام القوافل. وفي عام ١٣٩٨ هـ عُبد طريق اليمن، فابتعد عنها إلى الساحل فقل راندها (انظر: هامش تاريخ مكة للسباعي ص: ٣٦٧، ومعجم معالم الحجاز ٢١٠/٤).

(٣) في الأصل: سعد. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٧٣)، ومناخ الكرم (١٤٣/٤)، وسمط النجوم (٤٤٤/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٦١/٢).

الجماعة نحو المائتين، ورجع الأشراف بالشريف محمد عصر^(١) ذلك اليوم، وغسلوه وصلوا عليه، ودفنوه في المعلاة مع آبائه. وكانت مدة ولايته: سبعة أشهر إلا ستة أيام.

وتوجه من نجا من الأشراف إلى جهة وادي مرّ الظهران، بعد أن قاتل الشريف زيد قتلاً شديداً، ثم بعد تمام الواقعة دخلت الأتراك مكة ومعهم الشريف نامي بن عبدالمطلب^(٢).

ولاية الشريف نامي بن عبدالمطلب^(٣) سنة ١٠٤١هـ

فنودي له في البلد، وأشركوا معه السيد عبدالعزيز بن إدريس بن حسن في ربيع مكة، لكن لم يشركوه في الدعاء على المنبر، وأرسلوا إلى أمير جدة دولار آغا أن يسلمها إليهم، فمنع من ذلك، فجهز إليه الشريف عبدالعزيز والعسكر، وحاصروا الأمير المذكور، ثم دخلوا جدة ونهبوا بيته، وأخذوه وأهانوه وضربوه، ثم أطلقوه، ونهبوا غالب التجار بجدة، ثم رجعوا إلى مكة، وتفرق العسكر إلى غالب بيوت الأشراف وبقيّة البيوت، وعاثت العسكر في مكة، وصادر الشريف نامي بعض التجار، وقتل مصطفى بك كبير العسكر

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٧٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٧٢-٧٣). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (٤/١٤٠-١٤٤)، وسخط النجوم (٤/٤٤٤-٤٤٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٦١-٦٢)، والأرج المسكي (ص: ١٣١-١٣٢).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (٤/٤٤٨)، وخلاصة الكلام (ص: ٧٣-٧٤)، والأعلام (٨/٦)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١١٣)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٣٨).

الذين كانوا مع شريف مكة، وفرّ بقية العسكر الذين كانوا معه إلى جدة، ثم إلى سواكن.

ولما كان أثناء شهر ذي القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأسلحة لمولانا الشريف زيد بن محسن، وكان بعد الواقعة توجه إلى المدينة، فصادف بيدر السيد علي بن هيزع يريد مصر، فكتب معه إلى صاحب مصر، فوصل السيد علي المذكور وأخبر الباشا، وهوّل الأمر فيما وقع بمكة من الجلالية، فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكري ومعهم خمسة صناجق سافروا براً، وجهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكري، وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد، وأمره بلبسهما والتوجه إلى ينبع لملاقاة العسكر، فلبسهما بالمدينة المنورة في حجرة النبي ﷺ، وتوجه إلى ينبع ولاقى العسكر، وسار معهم إلى أن وصلوا الجموم^(١)، ووصل خبرهم إلى مكة، فبعث الشريف نامي عيوناً يصرون له العسكر في وادي الجموم نحو ثلاثين خيلاً، وعشرة هجانة، فوصلوا الوادي ليلاً، فشعر بهم العسكر المصري، فلحقتهم الخيل فقتلوا منهم ثلاثة عشر خيلاً، وخمسة أو ستة هجانة، وفرّ الباقون إلى مكة، فجاؤوا إلى الشريف نامي وأخبروه بما هاهم، فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الجلالية، ومعه أخوه [سيد]^(٢) بن عبد المطلب، والسيد عبدالعزيز بن إدريس لأربع خلون من ذي الحجة بعد صلاة العصر سنة إحدى وأربعين وألف،

(١) تقدم التعريف به في (٣٠٥/٢).

(٢) في الأصل: أسيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٧٤)، ومنايح الكرم (٤/١٥٤).

وتوجهوا إلى تربة^(١)، وتحصنوا بها، وفارقهم في أثناء الطريق السيد عبدالعزيز ابن إدريس، وانحدر إلى ينبع.

وكان بمكة السيد أحمد بن قتادة بن ثقبه بن مهنا، فنادى في البلاد لمولانا السلطان، فأمن الناس واطمأنوا، وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بخلو البلاد^(٢).

دخول الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس [ذي]^(٣) الحجة، دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق، ونزل بدار السعادة، ودخل المحمل المصري عقب دخوله، ولم يكن معهم حجاج غير العسكر، ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم، وطاف بالبيت، والرئيس يدعوه له، والمنادي ينادي له في شوارع مكة، وحج بالناس في السنة المذكورة.

ثم بعد قضاء المناسك توجه مولانا الشريف زيد مع الأشراف إلى تربة لمحاصرة المتحصنين بها، فحاصروهم، وخرج من الحصن بعضهم بالأمان،

(١) تربة: بلدة عامرة في وادي تربة بالقرب من مكة على مسافة يومين منها، ولواديها ذكر في خبر عمر رضي الله عنه حين أنفذه رسول الله ﷺ غازياً حتى بلغ تربة (معجم البلدان ٢/٢١٢)، ومعجم معالم الحجاز ٢/٢٠-٢٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٧٣-٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (٤/١٤٤-١٤٦)، ١٥٤-١٥٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٦٢-٦٤)، وانظر هذه الأخبار مع بعض الاختلاف في: سمط النجوم (٤/٤٤٥-٤٤٦)، والأرج المسكي (ص: ١٣٢)، ومختصراً في: عقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٤١هـ.

(٣) في الأصل: ذو.

وهجم العسكر على الحصن ودخلوه، وقتلوا غالب مَنْ فيه، وأمسكوا كور محمود والشريف نامي وأخاه [سيداً]^(١)، وجاء الخبر إلى مكة، فزينت البلد سبعة أيام، وكان دخولهم الحصن عاشر^(٢) محرم سنة اثنتين وأربعين وألف، فرجعوا ودخلوا مكة سابع عشر^(٣) محرم، فاستفتوا بمكة على قتل الشريفين نامي وأخيه، فأفتى العلماء بقتلهما^(٤).

تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى

شنع الشريفين بالمدعى في روشنين^(٥) متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم، وأمرت العساكر بتخريق^(٦) سواعد كور محمود، وأركبوه جهلاً^(٧)،

(١) في الأصل: أسيداً. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٧٤).

(٢) في منائح الكرم (١٦٣/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٦٥/٢): أن دخولهم الحصن كان ليلة الجمعة الحادي عشر من محرم.

(٣) في سمط النجوم (٤٤٧/٤) أن دخولهم مكة كان ثامن عشر محرم.

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (١٥٥-١٥٧، ١٦٢-١٦٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٦٤-٦٥)، وسمط النجوم (٤٤٦-٤٤٧)، والأراج المسكي (ص: ١٣٣).

(٥) الروشن: الرف (لسان العرب، مادة: رشن).

(٦) الخرق: هي الفرشة والشق (لسان العرب، مادة: خرق).

(٧) وفي تاريخ العصامي: عذب محمود بأنواع العذاب، وطيف به على جهل في شوارع مكة عاري [الجسد] ١، ومدّ باعه بعضاً وربطت يده عليها وعورضت من خلفه، وشقّ عضداه وذراعاه، وغرز فيها مصطفة خرق الزيت الموقدة، ووكل من يضربها من خلف حيناً بعد حين، فيتناثر شققها على جسده والعياذ بالله، ثم علق بكلاّب أدخل في رأس ذراع يده اليمنى، ثم أدخل تحت عصب عقب رجله اليسرى، ورفع إلى شجرة حمير عند باب المعلاة، فمكث كذلك نحو يومين ٢ حياً يسب ويفحش ويفجر، ثم قطع رأسه، وسحب برجله إلى شعب الغفاريات فأحرق. انتهى (سمط النجوم ٤٤٧/٤). (غازي).

وطافوا به في شوارع مكة، ثم علقوه بالجميزة^(١) التي في المعلا، وبقي حياً إلى آخر النهار، فأنزلوه وقتلوه وحرقوه، وذروا رماده في الهواء^(٢).

وفي تاج تواريخ البشر^(٣): أخذته العامة وأحرقته في شعبة العفاريت^(٤) بمكة في أعلا [فلق]^(٥) عبدالمطلب. انتهى.

وتخلف أمير الحاج المصري والشامي إلى أن رجع العسكر من تربة، وتوجهوا جميعاً أواخر صفر.

واستمر الشريف زيد حاكماً بمكة، ضابطاً لها، مؤمناً لها ولأهلها، إلى أن توفي إلى رحمة الله. وكانت مدة الشريف نامي: مائة [يوم]^(٦) ويوماً، على قدر حروف اسمه^(٧).

١- قوله: "الجسد" زيادة من سمط النجوم (٤٤٧/٤).

٢- في سمط النجوم: ثلاثة أيام.

(١) أي شجرة جهيز.

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (١٦٣/٤-١٦٥)، وإتحاف

فضلاء الزمن (٦٥/٢)، وسمط النجوم (٤٤٧/٤)، والأرج المسكي (ص: ١٣٣).

(٣) تاج تواريخ البشر (٢٩٣/٢).

(٤) شعبة العفاريت: هو شعب أبي دب، ويسمى أيضاً: شعبة الجن. وهو الشعب الذي فيه الجزارون،

وأبو دب رجل من بني سؤاعة بن عامر (معجم معالم الحجاز ٢٠١/٣-٢٠٢).

(٥) في الأصل: صلق. والتصويب من تاج تواريخ البشر (٢٩٣/٢).

(٦) في الأصل: يوماً. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٧٤).

(٧) خلاصة الكلام (ص: ٧٤). وانظر هذه الأخبار في: منائح الكرم (١٦٥/٤-١٦٦)، وإتحاف

فضلاء الزمن (٦٦/٢)، وسمط النجوم (٤٤٧/٤)، وعقد الجواهر والدرر/أحداث سنة

وفي سنة سبع وأربعين وألف غزا مولانا الشريف بني سعد وغامد، ورجع سالماً غانماً^(١).

وفي سنة تسع وأربعين وألف حج بشير آغا الطواشي، من مماليك السلطان مراد، وكان حظياً عنده، فاستأذنه في الحج، فأذن له، وأخرج دستوراً مكرماً بيده، ومعناه جواز تصرفه في كل ما يريد من عزل وتولية.

فلما دخل مصر خرج للقاءه صاحب مصر^(٢) إلى خارج البلد، فلما نظر إليه ترجل عن فرسه، وسار إلى أن قبل ركبته، ومشى إلى أن أمره بالركوب، فدخل مصر، ووصل الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد، فأخذته أنفة الأريحية والهمة العلية، وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه العبر، فعزم على الخروج من مكة ليكون عذراً في عدم اللقاء، وحاجزاً عن التسافل بعد الارتقاء.

ولما تزايد عليه هذا الطارئ قصد السيد عبدالرحمن المحجوب، وذكر له ما خطر بباله لتزايد بلباله^(٣)، فقال له مولانا السيد عبدالرحمن: دَعْ عنك هذا،

(١) خلاصة الكلام (ص: ٧٥). وانظر هذا الخبر في: منائح الكرم (١٨٣/٤)، وفي إتخاف فضلاء الزمن (٧١/٢)، والأرج المسكي (ص: ٦٣) أن غزوه لبني سعد وغامد كان سنة ١٠٤٥، وهو الأصح؛ لكون المؤرخ معاصراً للأحداث.

(٢) هو محمد باشا زلعة السم. قدم إلى مصر في ثاني رجب سنة ١٠٤٧ هـ، فاستمر بها والياً إلى أن عزل في ثاني عشر جمادى الأولى سنة ١٠٥٠ هـ، وهو ابن أخت السلطان سليم الثاني (انظر: أوضح الإشارات ص: ١٤٧).

(٣) البلبال: شدة الهم والوسواس في الصدور وحديث النفس (لسان العرب، مادة: بلل).

فإن الله يكفيك من ذلك، وطب نفساً، فما يقع إلا الخير، والله التدبير، فاعتمد على قوله.

فلما أن وصل بشير آغا إلى رابغ^(١)، أتاه نجاب بنجر وفاة مولانا السلطان، فبطل ما بيده من الأحكام، وصار كأحد الناس بعد أن كان رئيس الحكام.

وجاء الخبر إلى مولانا الشريف زيد بالتأييد، وأن السلطان توفي في أوائل شوال، فولي بعده مولانا السلطان إبراهيم بن أحمد خان^(٢)، أخو السلطان مراد، فورد بشير آغا مكة، فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة، وبشير آغا عنده أن خبر موت السلطان مكتوم، فلما تقاربا وتصافحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدماً على بشير آغا [وناكبه]^(٣) وقال: "الله رحمة أيله سلطان مراد"^(٤)، فحين سمعه بشير آغا تداخل في جسمه، ومشى كالأسير. كذا في خلاصة الكلام^(٥).

(١) رابغ: بلدة حجازية ساحلية بين جدة وينبع على (١٥٥) كيلاً من جدة شمالاً و (١٩٠) كيلاً من ينبع جنوباً (معجم معالم الحجاز ٥/٤).

(٢) هو السلطان إبراهيم خان الأول ابن السلطان أحمد خان الأول. جلس على تخت الملك سنة ١٠٤٩ هـ. كان غير ميال للحرب، إلا أنه كان شديد المحافظة على كرامة الدولة. عزل سنة ١٠٥٨ هـ، وولي بدلاً منه ابنه محمد خان الرابع، وبعد عدة أيام من سجنه قتل خنقاً. من أهم أعماله: فتح جزيرة كريت (تاريخ الدولة العثمانية ص: ١٥٠-١٥٥، والتحفة الحليمية ص: ١٣٦-١٤٠، وتاريخ الدولة العلية ص: ٢٨٦-٢٨٨).

(٣) في الأصل: ونائبه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٧٦).

(٤) أي رحم الله السلطان مراداً.

(٥) خلاصة الكلام (ص: ٧٥-٧٦). وانظر: منائح الكرم (١٨٧/٤-١٩٠)، وإتحاف فضلاء الزمن (٧٣-٧٢/٢)، وسمط النجوم (٤/٤٦٤-٤٦٥)، وخلاصة الأثر (١٨٥/٢).

وفي منائح الكرم^(١): وفي سنة ألف وتسع وخمسين رحل مولانا الشريف زيد إلى المدينة لزيارة جدّه الأعظم النبي ﷺ^(٢)، فاتفق أن قتل بعض العرب زفر أفندي قاضي المدينة، فظن أهلها أن ذلك بأمر مولانا الشريف، فاحتشدوا وغلقوا أبواب السور.

فلم يزل مولانا الشريف يتلطف بهم إلى أن تمكن منهم، فأخذ رؤوس الفتنة في الحديد، نحواً من تسعة أنفس، وسار بهم راجعاً إلى مكة معه، وحبسهم في ينبع.

ولم يزلوا به إلى أن ورد الحج، فشفع فيهم أمير الحج رضوان بك، وأتى بهم مكة. انتهى.

وذكر العلامة الفاضل الشيخ عبدالله العياشي رحمه الله في رحلته للحرمين بعد أن ذكر مجيئه من المدينة ووقوفه بعرفات وذكر جلوسه بمخى ما نصه^(٣): بينما نحن جالسون إذ مرّ أمير مكة المشرفة الشريف زيد في موكب، وله شارة حسنة، معه طائفة من الأشراف والجند ذاهباً لرمي الجمار، قد ظلّل على رأسه بمظلة كبيرة من حرير كأنها قبة خباء، يحملها فارس بجانبه يُسائره وهو في ظلّها، والناس يحْيونه عن اليمين وعن الشمال، فالعوام يقولون في تحيتهم:

(١) منائح الكرم (٢١٠-٢١١). وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (٧٧/٢-٧٨)، وسمط النجوم (٤٧١/٤-٤٧٢)، وخلاصة الأثر (١٨٠/٢-١٨١)، وخلاصة الكلام (ص: ٧٧).

(٢) كان وصوله في اليوم الثامن من شهر شعبان، ونزل بالقاضيّة خارج سور المدينة (انظر: سمط النجوم ٤٧١/٤-٤٧٢، وخلاصة الأثر ١٨٠/٢، وإتحاف فضلاء الزمن ٧٧/٢)، والزيارة إنما ينبغي أن تكون للمسجد النبوي كما صحت بذلك الآثار.

(٣) الرحلة العياشية (ص: ١٩٩-٢٠٠).

"نصرك الله يا زيد"، والخواص يقولون: "السلام عليكم"، وهو يردّ على كل من حيّاه من وضع وشريف، ولا يهمل أحداً، ويشير برأسه إلى كل من حيّاه، وذلك لشدة تواضعه رضي الله عنه. وهو رجل أسمر اللون، أبيض اللحية، سمح الوجه، ضرب من الرجال، إلى النحافة أميل، وأثنى من حضر المجلس عليه كثيراً في سيرته وعقيدته، وأثنى لي عليه شيخنا العلامة الماهر الفهامة أبا مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري المغربي، الجاور بحرم الله وحرم رسوله. وهذا الأمير من أحسن أمراء عصره^(١) سياسة وحسن تدبير.

ولم تنزل الإمارة في أسلافه منذ أعصار متطاولة، وأسلافه [هم]^(٢) المشهورون بآل أبي نمي، وهو بطن من بني حسن، وإخوانهم بنو حسين لهم إمرة المدينة وولاية الحجاز الآن بأطرافه من أطراف اليمن إلى أقصى نجد مما يلي البصرة، ثم إلى خير^(٣) مما يلي ناحية الشام، ثم إلى ينبع كلها للأمير زيد بن محسن ولأسلافه، وليس لبني حسين في ولاية المدينة في هذا الزمان إلا الاسم فقط، وبعض تصرف من تحت يد الأمير زيد.

وكان هذا الأمير فيما [مضى]^(٤) على معتقد أهل بيته كاعتقاد الزيدية، ثم باينهم، ورجع إلى معتقد أهل السنة، وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة،

(١) في الأصل زيادة: في. وانظر: الرحلة العياشية (ص: ١٩٩).

(٢) قوله: "هم" زيادة من الرحلة العياشية، الموضع السابق.

(٣) خير: هي مدينة تاريخية شمال المدينة بـ (١٧١) كيلاً على الجادة إلى تبوك، فيها من العيون

(١٨٠) عيناً جارية (معجم معالم الحجاز ٣/ ١٧٠).

(٤) قوله: "مضى" زيادة من الرحلة العياشية (ص: ٢٠٠).

وَحَسُنَ اعتقادهُ في علماء أهل السُّنَّة، وبالغ في تعظيمهم، وكَفَّ أهل بيته عن كثير مما كانوا ينالون من أهل السُّنَّة، ومنعهم من إظهار معتقداًهم. وقد بلغنا أنهم اجتمعوا ذات يوم ولاموه على رجوعه عن مذهبهم، فقال لهم: ألا يكفيكم مني أني لم أجبركم وأقهركم على الرجوع عما أنتم عليه، إنما هو دين لا يسع [المرء]^(١) فيه إلا اعتقاد ما هو^(٢) الحق، واتباع من يغلب على ظنه أنه على الحق والهدى، وقد ظهر لي صحة ما رجعت إليه، فإن رأيتم ما رأيتم وتبين لكم ما تبين لي، فينبغي لكم أن ترجعوا إلى الحق والهدى، وإن لم تروه فلکم دينکم ولي دين، فمن ذلك اليوم أيسوا منه. انتهى.

وفي خلاصة الأثر في ترجمة الشريف زيد بن محسن^(٣): أن الشريف أجاز السيد أحمد الأنسي اليميني على قصيدته التي أنشدها في مدحه بألف ذهب، وعبد، وفرس، والذهب الواحد عندهم بمثابة ثلث القرش في بلادنا. انتهى.

وفي خلاصة الكلام^(٤): وفي سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد، ثم توفي يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام، فمدة ولايته: خمس وثلاثون سنة، وشهر، وأيام، وعمره إحدى وستون سنة.

(١) في الأصل: للمرء. والتصويب من الرحلة العياشية، الموضع السابق.

(٢) في الأصل زيادة: على. وانظر: الرحلة العياشية، الموضع السابق.

(٣) خلاصة الأثر (١٨٥/٢).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ٧٩-٨٠). وانظر: منائح الكرم (٢٣٦-٢٤٠)، وإتحاف فضلاء الزمن (٨٤/٢-٨٥، ٨٧-٨٨)،

وأعقب الشريف: [سعداً]^(١)، ومحمد يحيى، وأحمد، وحسناً. وأما ابنه حسين فمات في حياة أبيه، وخلف محسناً. ولي إمارة مكة كما سيأتي، ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد وحسن.

وبعد وفاة الشريف زيد انحازت الأشراف بأجمعها إلى دار السيد حمود بن عبدالله بن حسن بن أبي نعي، وكان يرى أنه الأحق بولاية مكة بعد الشريف زيد؛ لكون أبيه الشريف عبدالله بن حسن هو الذي طلب الشريف [زيداً]^(٢) من اليمن وأشركه في الأمر مع ابنه محمد - كما تقدم -، ولم يبق مع الشريف [سعد]^(٣) إلا جماعة يحصيهم العدد، فترددت الرسل من الجانبين، السيد حمود والشريف سعد إلى عماد أفندي، وكان هو صنحق جدة وشيخ الحرم المكي، ووقعت رجة عظيمة بمكة في التولية على المسلمين فيمن يقوم مقام الشريف زيد، بين ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبدالله، وقام كل من الرجلين أشد قيام، وجمع الجموع، وبذل المال، وتحصنوا في البيوت والمناثر، فرد الأمر إلى عماد أفندي شيخ الحرم، فاستحسن تولية الشريف سعد، فأرسل الخلعة إليه، فلبسها في بيته، فقليل لعماد أفندي: إن الشريف زيداً كان قد أخذ أمراً سلطانياً من الدولة لابنه السيد محمد يحيى، وكتبه لأمر خشيه، ولم يُظهره خوفاً من الاختلاف، فهو ولي العهد بعده، فقال: قولوا للشريف سعد: بشرط أنك قائمقام، فجاء جماعة من الأشراف من جهة السيد حمود يراجعون عماد

(١) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٧٩).

(٢) في الأصل: زيد. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) قوله: "سعد" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

أفندي، فقال لهم: نحن ألبسنا الشريف سعد بشرط أنه قائم مقام أخيه السيد [محمد]^(١) يحيى، لأنه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني، فلم يردوا له جواباً، ورجعوا إلى بيت السيد حمود فأخبروه.

وفي خلاصة الأثر^(٢): أنهم راجعوا عماد أفندي، فقال له بعضهم -وهو السيد مبارك بن فضل بن مسعود-: حمود شيخنا وكبيرنا، ولا نرضى إلا به، وكان عند عماد أفندي السيد راجح بن قايتباي من جانب الشريف سعد، فوقع بينهما كلام طويل، ثم ذهب الأشراف إلى الشريف حمود.

وكان للشريف زيد عبد حبشي اسمه: بلال، ومملوك تركي اسمه: ذو الفقار، وكان شيخاً للعسكر، وأوصاه الشريف زيد على بنيه، فقام عليهم أحسن قيام، وكان ذا هبة ورأي سديد، فقام على قدميه، وشمر عن ساقيه، ورتب العسكر في المواضع الحصينة، والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بني عمه وشيعته، ونار الفتنة أشد قيام.

(١) قوله: "محمد" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

(٢) خلاصة الأثر (١/٤٣٧).

جلوس الشريف سعد بن زيد^(١) للتهنئة بالإمارة سنة ١٠٧٧

فجلس الشريف سعد للتهنئة، ودعا مشايخ العرب وأهل الإدراك، وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس، وامتدحه الشعراء بعده قصائد.

وفي اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر إلى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود [وكل منهما جمع جيوشه، وتحصنوا في البيوت والمناثر، وركب جماعة السيد حمود]^(٢) على الجبل الذي خلف بيته، وعلى الجبل المعروف بجبل عمر^(٣)، وتراموا بالرصاص من بُعد، ولم تحصل مواجهة، واستمر بهم الحال، وكل يوم يصبحون في [قيل وقال]^(٤)، وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصائل.

ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد حمود على قدر معلوم من المعلوم، وعينت جهاته، وكان يوماً عظيماً عند الناس،

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ٨٠، ١٤٢، ١٢٥، ١٢١، ١١٩)، وتاريخ الدول الإسلامية (١٥٤-١٥٨)، والأعلام (٨٥/٣)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١١٥-١٢١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٤٣-٢٤٦).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

(٣) جبل عمر: هو الجبل الطويل المشرف على ريع عمر، اسمه العاقر. وهو الجبل المشرف على حق آل عمر، وحق آل مطيع بن الأسود، وآل كثير بن الصلت الكندي. وعمر الذي ينسب إليه: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يسمى في الجاهلية: ذا أعاصير (الأزرقى ٢/ ٢٩٢، ٢٩٦). ويذكر البلادي أن جبل عمر هو شق من ثبير الزنج، وهو ما يلي حي الشبيكة وريع الحفائر (معجم معالم الحجاز ٦/ ١٦٦-١٦٧).

(٤) في الأصل: قال وقيل. والثبت من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

وحصل بذلك الأمن، وارتفع البأس، وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام، ثم كتب محضر من الشريف سعد إلى الدولة العلية يأنهاء ما صار من وفاة الشريف زيد، وجلس الشريف [سعد]^(١) بعده، [والتماس]^(٢) تأييده خطوط الأعيان، وذهب به عبد والده المذكور سابقاً بلال آغا إلى مصر، وسلمه لصاحب مصر، فأرسله إلى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه، وأصبحه مكتوباً من عنده، وصدر أيضاً عرض آخر من السيد حمود بنقض ما كتبه الشريف سعد، ولم يكن عليه إلا خطوط السادة الأشراف، أرسله مع رجل من أهل مصر يسمى: الشيخ عيسى، فقضى الله عليه قبل [دخوله]^(٣) مصر بيومين، فوجدوا العرض في تركته، فلم يجد نفعاً، وصدر أيضاً عرض ثالث من السيد [محمد]^(٤) يحيى بن زيد من المدينة، لأنه كان بها، وعليه خطوط الأعيان من أهل المدينة، وألزم السيد محمد يحيى نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدولة العثمانية.

فلما كان اليوم الثاني والعشرون من رجب جاءت الأخبار الصحيحة بأن الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة.

وفي السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضرة السلطان بالخلعة

(١) قوله: "سعد" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٠).

(٢) في الأصل: والتماسه. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: دخول. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٨١).

(٤) قوله: "محمد" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

الشريفة والأمر السلطاني، فلبس الخلعة بالمسجد الحرام، وقرئ الأمر السلطاني، وجلس للتهنئة، وامتدحه الشعراء.

ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة، إلى أن حصل بينهما التنافر؛ وذلك بأسباب عدم إيفاء الشريف سعد بما رتبته للسيد حمود من تلك المقررات والوعود، فخرج الشريف حمود والسيد أحمد ابن محمد الحارث وغيرهم من الأشراف والخدم والأتباع إلى وادي مرّ، وأقاموا إلى قدوم الحاج المصري، فاجتمع بأميره السيد حمود والسيد أحمد وغيرهما، فأثموا إليه الحال وعدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به من معاليهم، وقالوا: إننا أيها الأمير لا ندع أحداً يحج إلا أن نأخذ ما هو لنا، وكان قدره مائة ألف أشرفي، فالتزم للسيد حمود أن ينقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفاً منها، فقبل ذلك وخلّى سبيله ومن معه.

فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذي الحجة خرج إليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة، ثم كلمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق التزامه، وأعطى خادم السيد حمود الخمسين ألف قبل الصعود، وبقي السيد حمود ومن معه بالوادي إلى عشرين من ذي الحجة، فدخل مكة ومن معه من الأشراف، وقصد أمير الحج وكبار العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد، وعقدوا مجلساً، ولكن لم يقع بينهم اتفاق، وتوجه السيد حمود إلى ينبع، ولحق به السيد محمد يحيى أخو الشريف سعد مغاضباً لأخيه، فإنه طلب أن يكون له ربع مكة بشعار الدعاء مع الشريف سعد، فامتنع الشريف سعد من

ذلك، ولم يزل السيد حمود ينبع، ثم انتقل إلى الشرق، وبقي هناك إلى أن أذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد، فوفد عليه السيد حمود بالطائف - وقيل بالمبعوث - سنة إحدى وثمانين وألف، فقابلته بالإجلال والإكرام، ثم دخل معه الطائف، وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مباني الصلح المحكم الأساس بمرأى من ضريح سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وأقاما في أرغد عيش بعد ذلك الطيش^(١).

وفي سنة تسع وسبعين وألف طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه أن يكون شريكاً له في مكة، فوافقه على ذلك، وفوض إليه ربع مدخول مكة، فطلب أن يدعى له في المنبر معه، فأمر مولانا الشريف بذلك، ثم عرض على السلطنة، وطلب الوزير ذلك، فجاءت المراسيم بذلك.

وفي هذه السنة ورد مع الحج الشامي حسن باشا^(٢) وفوضت الدولة إليه أمر جدة، ومشيخة الحرم، والنظر في أمر مكة، ولما دخل المدينة أغراه بعض الناس - منهم محمد ظافر - ببعض خدام الشريف سعد الذين كانوا بالمدينة،

(١) انظر: سمط النجوم (٥٢١/٤) مع بعض الاختلاف، وإتحاف فضلاء الزمن (٨٩/٢)، وعقد الجواهر والدرر / أحداث سنة ١٠٨١ هـ.

(٢) حسن باشا: كان له دور كبير في مجريات الأحداث بين سنتي ١٠٧٩-١٠٨٢ هـ منها: قطع نصيب الشريف سعد من مال جدة، ومنها: قطع الدعاء للشريف له بالمدينة، وتولية الحجاز للشريف أحمد بن الحارث. عزل من منصبه هذا سنة ١٠٨٢ هـ فارتحل عن المدينة، ولما كان بطريق غزة توفي فيها (انظر: سمط النجوم ٥١١/٤-٥٢٦).

فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة^(١)، ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد.

وفي خلاصة الأثر^(٢): أن سبب إرسال حسن باشا: أن أهل المدينة رفعوا إلى السلطان شكايات من الشريف سعد، فلما بلغ الشريف سعداً ما فعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعاً، فلما دخل حسن باشا مكة، دخلها وهو في تحت إلى باب السلام، ثم استلم الصرّ المكي، ولم يقسم منه شيئاً، فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل، وقال: يُظهِر ما بيده إن كان بيده عزل أو تولية، وكادت أن تقوم فتنة، فالتزم له الأمراء بأنه لا يقع منه محذور، فتوثق منهم، وحج مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد وقع بمكة، بحيث عزل السوق، فلما حج ونزل فرّق حسن باشا الصر على أهاليه، ولم يجتمع مولانا الشريف بالبasha، إلى أن سعى بينهما أمراء الحج وضمنوا عدم المخالفة، وطبّوا خاطر مولانا الشريف، فاجتمع به في الحرم ثاني محرم الحرام خلف مقام الحنفي ساعة، وحضر أعيان الدولة وجمع من المسلمين، وأصلحوا بينهما، ثم قام مولانا الشريف إلى منزله. ثم إن الشريف أتاه إلى منزله هو والشريف أحمد بن زيد، فلما أرادوا الانصراف ألبس كل منهما قفطاناً يليق به، وقام مشيعاً لهما إلى باب الطريق.

(١) انظر سبب ورود حسن باشا هذا في: منائح الكرم (٢٨٩/٤-٢٩٠)، ومختصراً في: سبط النجوم (٥١١/٤)، وخلاصة الأثر (٤٤١/١)، وخلاصة الكلام (ص: ٨٣).
(٢) خلاصة الأثر (٤٤١/١).

وفي اليوم العاشر من محرم وصل المذكور إلى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به، ولما أراد القيام أمر له مولانا الشريف بفرس تساوي ألف دينار، فترل من عنده وسافر من وقته إلى جدة، ولما نزل إلى جدة بارز مولانا الشريف بالعداوة، وقطع معاليمه من جدة، وطلع إلى الحج ختام سنة إحدى وثمانين - وقيل اثنتين وثمانين - وألف. فلما فرغ من تعريفه^(١) توجه إلى المزدلفة، ثم إلى منى، وأقام بها. فلما كان اليوم الثالث من أيام منى رمي برصاصة - وقيل بثلاث رصاصات - عند غروب الشمس تجاه جمرة العقبة وهو منحدر إلى مكة، فأصيب في فخذه، فوقع من فوق حصانه، فاحتمله العسكر إلى التخت، ونزلوا به، وقتلوا من وجدوه تجاههم من الحجاج والفقراء إلى أن وصلوا باب الباسطية^(٢) مسكنه.

وبلغ مولانا الشريف الخبر، فترل من منى بمن معه من العسكر والأشراف في لباس الحديد، ونزل إلى بيته، واعتدت عساكر حسن باشا للحصار، وجعلوا المدافع على باب السدة ورباط الباسطية ومن جهة باب الشبيكة^(٣)،

(١) أي الوقوف بعرفة.

(٢) باب الباسطية: - ويسمى باب العجلة - نسبة إلى عبد الباسط ناظر الجيش في دولة الملك الأشرف برسباي؛ لأنه عمّر بجواره مدرسة للفقراء في غاية الإحكام والانتقان، أنشأه الخليفة العباسي محمد المهدي في عمارته سنة ١٦٠هـ، وجدد في سنة ٩٨٤هـ (انظر: الأزرقى ٩٣/٢، والإعلام ص: ٤٢٤، ومرآة الحرمين ٢٣٤/١، وتاريخ عمارة المسجد الحرام ص: ١٣٠).

(٣) الشبيكة: حي كبير من أعرق أحياء مكة، تقدم التعريف به في (ص: ٣٩٣).

ومن جهة سوقية^(١)، فاقتضى الحال تحريز مولانا الشريف أيضاً.

ولم يزل الحال هكذا إلى الصباح، فاجتمع أمراء الحج بمولانا الشريف، فأخبرهم أن هذا الأمر ليس لي به خبر، وقد وقع ذلك والله أعلم بفاعله، ولا لنا علم به.

وطلب الشريف محاسبته مادام في قيد الحياة عما هو له من مدخول جدة؛ لأنه منعه من غير أمر يقتضي ذلك بعد إنعام السلطنة عليّ به، وصمّم في الدعوى، ووكل الخواجه محمد سعيد بن مصطفى السيوري وزير جدة من جهته، فجاء إلى حضرة القاضي وادّعى على الباشا المذكور، وأحضر دفاتر بندر جدة، فصحّ للشريف عنده أربعة وعشرون ألف قرش، فتوسطت الأمراء في ترك البعض، فأخذ عشرة آلاف وسامح بأربعة عشر ألفاً^(٢). وقيل: كان المبلغ ثلاثون ألفاً، فترك عشرة، وأخذ عشرين.

ثم إن الباشا المذكور توجه إلى جدة في سابع عشر ذي الحجة، ثم توجه إلى المدينة المنورة، فلما دخلها وأقام بها أياماً حسنّ له محمد ظافر -السابق

(١) السوقية: بالتصغير موضع مشهور كان على فم شعب قعيقعان، لكنه دخل في توسعة المسجد الحرام سنة ١٣٧٥، إلا أن الاسم بقي يطلق على سوق كان لها شأن ولا يزال في مكة قرب المروة، وكان يباع فيها ما يحتاجه الحاج ويتموله، ثم أصبح أكثر ما يباع فيها القماش، وإذا أطلقت لفظة (السوقية) فإنما يراد بها (سوق السوقية).

(٢) انظر هذه الأخبار مختصرة في: عقد الجواهر والدرر /أحداث سنة ١٠٨١ هـ، وسمط النجوم (٤/٥٢٢-٥٢٣)، وخلاصة الأثر (١/٤٤٢)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٩٧-٩٨).

ذكره- أن يبعث إلى السيد أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن أبي نمي ويوليه شرافة مكة، فبعث إليه، فجاء إلى المدينة فألبسه حسن باشا خلعة في الروضة الشريفة، ونادى له في البلد، وأمر بالدعاء له على المنبر، وأرسل إلى جدة يريد ذخيرة ليتوجه بها إلى مكة. فلما بلغ مولانا الشريف الخبر توجه إلى ينبع وتحقق أن حسن باشا ألبس الشريف أحمد الحارث^(١).

صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد بن محمد الحارث حين ولّاه حسن باشا إمارة مكة بالمدينة

فكتب إلى السيد أحمد كتاباً سلك فيه مسلك مثله من الاعتراف بحق الأكبر مع مزيد اللطافة، ومضمونه كما في تاريخ العصامي^(٢):

بعد مزيد الثناء وحميد الدعاء: إن هذا [الواقع]^(٣) الذي سمعنا به، من تقمصك لبرد الملك وأثوابه، فهذا أمر أنت بيته الأعلى، ومثلك أخرى به وأولى، فإنك أنت الشيخ والوالد، الحائز كل كمال طريف وتالد، فإن كان هذا محكم الأساس والبنیان، جارياً على مقتضى [مرسوم]^(٤) السلطان، فنحن بالطاعة أعوان، وإن كان الأمر خلاف ذلك، وإنما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر، وتنميقات ذلك المذمم الغير الظافر، فأجلّ حلمك أن تستخفه

(١) خلاصة الكلام (ص: ٨٠-٨٥). وانظر: منائح الكرم (٤/٣٠٤-٣٠٨).

(٢) سمط النجوم (٤/٥٢٤-٥٢٥). وانظر: خلاصة الأثر (١/٤٤٣-٤٤٤).

(٣) قوله: "الواقع" زيادة من سمط النجوم (٤/٥٢٤)، وخلاصة الأثر (١/٤٤٣).

(٤) في الأصل: رسوم. والتصويب من سمط النجوم وخلاصة الأثر، الموضعان السابقان.

نكباء الطيش، وأن [تستزله]^(١) أخلاط [الأوباش]^(٢) وغوغاء الجيش.

فأرسل إليه بالجواب مولانا السيد أحمد بأن الأمر لم يكن على هواي، وإنما هو إلزام، مع علمي بأن هذا الابتداء لا يكون له تمام. والسلام.

وأقام السيد أحمد بن الحارث بالمدينة مع حسن باشا، وطلبوا السيد حمود بن عبدالله هنالك للمعونة، وكان نازلاً بالمبعوث، فأثاه رسول أحمد بن الحارث وحسن باشا بكتابين يستدعيانه إليهما للانضمام، ووعداه بما يريده من الجهات والمعينات، وكذلك أثاه كتاب من الشريف سعد يستحثه بالمسير إليه، وأرسل إليه ألف دينار، واتفق وصول الرسولين إليه في يوم واحد، فقال له بعض الحاضرين: ما رأيت، لمن تتوجه؟ قال: إلى سعد صاحب الفضل ومولاه، فإن بيني وبينه في ضريح الخبر عبدالله عهداً، لو عارضني فيها والذي عبدالله لكفحت وجهه بالسيف دون ذلك، ثم توجه على الركائب يومه الثاني، [وقوض الأخبية وفارق المباني]^(٣)، حتى وصل إلى سعد وأخيه وهما بمحل يقال له: ملجا، فوافي ذلك عزل حسن باشا، وأتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخرانة والذخيرة التي طلبها حسن باشا، فأرسلت له من جدة، فتعرضها

(١) في الأصل: تستزل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٨٦)، وسمط النجوم وخلاصة الأثر، الموضوعان السابقان.

(٢) كذا في الأصل. وفي خلاصة الكلام وخلاصة الأثر، الموضوعان السابقان: الأشارب. وفي سمط النجوم (٥٢٤/٤): الأشارب.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٦-٨٧).

وأخذها عن آخرها، وقسمها على من عنده، ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن باشا وطلبه إلى الأبواب، وجاء لمولانا الشريف خلعة مع ذلك القاصد [فلبسها ثمة].

وفي خلاصة الأثر^(١) عند ذكر هذه الخلعة: وكان إرسالها ضرباً من المكاييد.

وتوجه القاصد^(٢) بخبر العزل إلى المدينة، فتوجه حسن باشا من المدينة على طريق غزة، وتوفي في الطريق، وتوجه معه محمد ظافر وأغاة القلعة، وذهب محمد ظافر إلى غزة، ثم إلى مصر، ثم انقطعت الأخبار عن مولانا الشريف، وكثرت الأقاويل عند الوزير^(٣)، وكان الشيخ محمد بن سليمان المغربي المشهور بالروداني إذ ذاك في القسطنطينية، وكان مجاوراً بالمدينة ثم بمكة، وله عداوة مع الشريف سعد، وذلك أنه تشفع عنده في شفاعته فلم يقبلها، ثم سافر إلى الروم واتصل بالوزير، واجتمع بالسلطان محمد بن إبراهيم، وطلب منه أن يزيل أشياء كانت بمكة، فأمر السلطان بإبطائها، فلما كانت قضية حسن

(١) خلاصة الأثر (١/٤٤٤).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٧).

(٣) هو أحمد فاضل باشا بن محمد باشا الكوبرلي. تولى الصدارة بعد موت والده عنها سنة ١٠٧٢ هـ. توفي سنة ١٠٨٧، وتولى بعده زوج أخته قره مصطفى باشا. وكان أحمد من أفاضل الوزراء وأحسنهم سياسة. أعاد للدولة العثمانية ما كان لها من الجند (انظر: تاريخ الدولة العثمانية ص: ١٧١-١٧٦، والتحفة الحليمية ص: ١٤٤-١٤٥، وتاريخ الدولة العلية ص: ٢٩٤-٣٠٠).

باشا حضر عند الوزير، وانفتح ذلك المجال فوجد مكاناً فسيحاً للمقال، فعند ذلك أمر الوزير الأعظم بإخراج أمر سلطاني إلى صاحب مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكري من مصر إلى مكة، وكتب إلى حسين باشا^(١) صاحب حلب أن يحج في هذا العام بألفي عسكري، وينظر في أمر الحرمين، ولا يبرم شيئاً دون إشارة الشيخ محمد بن سليمان، وأمر الشيخ بالحج وإصلاح البلد، وتولية من يرى فيه الصلاح، وجعل إليه أمر ذلك.

فلما كان ثالث شوال ورد من مصر الخبر بتجهيز العساكر إلى الجهة الحرمية، وكثر الهرج والمرج. واستمر مولانا الشريف ينبع إلى ذي القعدة، فرجع ووصل إلى مكة يوم الحادي عشر من ذي القعدة.

ولما كان يوم الثالث والعشرين^(٢) من ذي القعدة وصل ثلاثة آلاف من العسكر، ورئيسهم محمد جاوش، ونزلوا بجبرول^(٣) خارج الشبيكة، فخرج إليهم الوزير والحاكم، وبعث مولانا الشريف لمحمد جاوش هدية من جملتها فرس عربية [مزهبة]^(٤)، وكذلك أخوه الشريف أحمد، فشكر فعلهما. ثم

(١) هو حسين باشا الأصغر. تولى حلب ثم نيابة الشام ثم أناضول ثم الشام. توفي عام ١٠٩٤ هـ (خلاصة الأثر ١٢٤/٢).

(٢) في منائح الكرم (٣١٦/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٠٢/٢): الثاني والعشرين.

(٣) جبرول: حي كبير من أحياء مكة، يقع غرب جبل قيعقان، ويمتد غرباً فلا تعرف حدوده الواضحة، ومن أحيائه: الزاهر، والزهران، والتضباوي، ومُلَقِيَّة، ومُطَشَّش، وجلّ سكانه من قبيلة حرب التي تحضّر كثير من أبنائها هنا بعد الحرب العالمية الثانية (معجم معالم الحجاز ١٤٣/٢).

(٤) في الأصل: مذهبة. والتصويب من منائح الكرم (٣١٧/٤).

ومزهبة: أي مجهزة بما تحتاجه.

اجتمعوا به واستخبراه عن مجيئه بهذا العسكر، فلم يخبرهما، وقال: لا علم لي، وإنما جهزت بهذا العسكر إلى مكة، وقيل لي: يصل إليك مع الحج [الشامي]^(١) حسين باشا صاحب حلب، والأمر إليه، وأمرني حضرة الباشا صاحب السعادة^(٢) أن لا أدخل البلد بهذه العساكر.

ثم جاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان لمولانا الشريف من المدينة يخبره بوصوله مع حسين باشا، وأنه من المحبين لكم، فقابلوه بما يليق، فإنه عين للوزير الأعظم.

فلما قرأ الشريف كتابه أمر القاضي إمام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي أن يتلقى المشار إليه، وأرسل معه كاتب الجراية^(٣) محمد [جلي]^(٤).

وفي اليوم الثالث من ذي الحجة بعث مولانا الشريف إلى محمد جاش أن يترفع عن طريق العرضة يوم خروج الشريف للقاء الأمير، ولبس الخلعة، فامتنع من ذلك، فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف المراد من هذا المتزل.

وفي اليوم الخامس من ذي الحجة ورد الأمير المصري^(٥)، وانتظر مجيء مولانا الشريف للخلعة، فلم يأت، فأرسل إليه يسأل عن سبب التأخر،

(١) قوله: "الشامي" زيادة من منائح الكرم (٣١٧/٤).

(٢) أي صاحب مصر، وهو إبراهيم باشا الوزير.

(٣) كاتب الجراية: كاتب الوكالة أو كاتب الجاري من الرواتب (الفنون الإسلامية ٩٠١/٢، والمعجم الوسيط ١١٩/١).

(٤) في الأصل: جلي. والتصويب من منائح الكرم (٣١٧/٤).

(٥) وهو الأمير أربك بيك (انظر: منائح الكرم ٣١٨/٤).

فأخبره مولانا الشريف بامتناع محمد جاوش عن الترفع من طريقه، فبعث إليه أن أقبل واترك العسكر اليمانية، فلا يضيق بكم الطريق.

وترددت المراسيل إلى قبيل الزوال، فأرسل محمد جاوش بعض الصناجق رهائن في أن لا يحصل شيء من العسكر. فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما، فطلعوا من الحجون ونزلوا على الزاهر^(١)، وليس الخلة، ورجعا من الشبيكة، وهو أول الاختلاف، فإنه لم يعهد من صاحب مكة أنه خرج للقاء الأمير من الحجون.

فلما وصلا إلى مترهما أطلقا الصناجق الرهائن، فرجعوا إلى العسكر. كذا في تاريخ السنجاري^(٢).

وفي تاريخ الرضي: أن مولانا الشريف لما خرج من الحجون وقف منتظراً لإرسال الخلة إليه، فأرسلوا إليه بالطلب للحضور، فأبى، وعاد إلى مكة عازماً على الحرب والقتال، فأرسلوا إليه الخلة بنهاية الإسراع.

ولما كان سادس ذي الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة

(١) الزاهر: تقدم التعريف به (ص: ٢٢٧).

(٢) منائح الكرم (٣٠٥/٤-٣١٩). وانظر ما سبق من الأخبار في: إتخاف فضلاء الزمن (١٠٣-٩٨/٢).

وصحبه القاضي إمام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي، والجمال محمد بن مصطفى - كاتب الجراية - وحسين الميري، فسألهم مولانا الشريف عما رأوه وفهموه من حسين باشا، فأخبروه أنهم لاقوه ورأوا منه غاية الكمال، وسألوه عن العساكر المصرية، فقال: ما عندي علم بهم، وإنما أمرت بالخروج مع الحج الشامي وحفظه من العرب.

ولما كان يوم السابع من ذي الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر، وخرج مولانا الشريف للقاءه تلك الليلة بعد صلاة المغرب بالمعلا، وتصافحا على خيولهما.

ولما كان يوم الثامن من ذي الحجة خرج مولانا الشريف سعد وأخوه مولانا الشريف أحمد للقاءه على جري العادة لبس الخلعة الواردة مع الأمير، إلا أنه ترك عسكر اليمن وطلع من الحجون، وقال مولانا الشريف لبعض جلسائه لما رجع: لما نزلنا من الحجون نظرت بعين الفراسة، فإذا هو قد جمع عسكره إلى العسكر المصري، وأظهر في طي ذلك غدري، وأوقفهم موقف البراز^(١) وكل في يده جزاز، وخلفه الملبس للدروع، والكل [منهم]^(٢) خدوع، فعلمت أنه أمرٌ بئيت ليل، وقدمنا في الحصون من ظهور الخيل، فلم نزل حتى خلاصنا إلى سعة، وأخذنا ناحية مرتفعة، فأرسلنا له السيد حسين بن حسن بن يحيى^(٣) وطلبنا منه الخلعة بعد البناء على مفارقة الأحياء، فأرسل

(١) موقع الغزال بالسيف ونحوه (المعجم الوسيط ٤٩/١).

(٢) قوله: "منهم" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٨٩)، ومنايح الكرم (٣٣٨/٤).

(٣) في منايح الكرم: حسين بن عيسى.

يأمرنا بالوصول إليه لشرب القهوة، وقد أعدّ لنا بساطاً على سهوة، فأرسلت أقول: ما جرت بهذا عادة، وشرب القهوة من غير [هذه]^(١) المادة، فأرسل يقول: إن في هذا تعظيم شأن السلطان، ولكم منا الأمان، وإن لم يكن منكم وصول إلينا، فلا خلع لكم لدينا، فعند ذلك ثبّت عنان فرسي راجعاً، وفي القتال طامعاً، فنادى مناديه: الأمان الأمان. فلما علم الانصراف عن وطاقه والثبات لشقاقه، أرسل بالخلع منشورة، فعلمت أن الأمر شورة، فلبست الخلع أنا وأحمد، ورجعت أشكر الله وأحمد.

ثم ركب مولانا الشريف حاجاً بالقوم وهو محترس^(٢)، وبات بمنى، ثم صعد إلى عرفات، واستمر في منزله بعرفات إلى أن نفر الباشا إلى المزدلفة مع الحملين، فعند ذلك ركب مولانا الشريف إلى الموقف الأعظم، ثم إلى المزدلفة، ثم إلى منى.

ولما كان ثاني يوم النحر الذي فيه ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن ببقاء الشرافة والوصايا على الحجاج والرعايا، تأخر أمين الصرة في وصوله إلى مولانا الشريف عن الوقت المعهود، فأرسل مولانا الشريف يطلبه، فوجده عند الباشا، وبعثوا يطلبونه إلى عنده لإلباسه، فأرسل يعرفهم أن القواعد جرت بإتيانهم إليه، فامتنعوا، فعلم حينئذ القضية^(٣).

(١) في الأصل: هذا. والثبت من خلاصة الكلام (ص: ٩٠)، ومنايح الكرم (٣٣٨/٤).

(٢) في منائح الكرم: متحرز.

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٨٥-٩٠). وانظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (٣٣٤/٤-٣٤١)، وسقط النجوم (٥٢٦/٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٠٤/٢-١٠٦).

ارتحال الشريف سعد ووصوله إلى الديار الرومية سنة ١٠٨٢هـ

وارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وألف، وتوجه إلى تربة، ثم إلى بيشة، وأقام بها، ثم سار عنها إلى جهات عديدة، ثم توجه إلى الديار الرومية وأقام بها، وقابل الدولة العلية، ثم عاد إلى ولاية مكة سنة ألف ومائة وثلاثة - كما سيأتي بيانه -.

وحاصل الأمر: أنه تولى شرافة مكة أربع مرات - سيأتي إن شاء الله تعالى بيانها في محلها - فهذه المرة الأولى.

وكانت مدة ولايته في هذه المرة: ست سنوات إلا أحد عشر يوماً، وقيل: إلا إحدى وعشرين يوماً.

فلما أصبح الناس يوم الثاني عشر من ذي الحجة شاع بين الناس ارتحال مولانا الشريف وأخيه، فاجتمع حسين باشا، وأمين الصرة، وكتاب الديوان، ومحمد جاوش في منزل الشيخ محمد بن سليمان بمعى، واستدعوا جماعة من الأشراف منهم: السيد أحمد بن محمد الحارث، والسيد بشير بن سليمان.

ولاية الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات على

مكة سنة ١٠٨٣هـ

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي غني^(١)،

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ٩٠-٩١)، وخلاصة الأثر (١/٤٣٦-٤٥٠)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٢٢-١٢٣)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٤٣-٢٤٦).

وأظهر الباشا أمراً سلطانياً بتولية المشار إليه شرافة مكة، وألبسوه خلعة الولاية.

وكان بعض من حضر من الأشراف وصلتهم كتب من الوزير الأعظم ومن صاحب مصر بالتوصية والمعونة، وكل ذلك كان برأي الشيخ محمد بن سليمان وتدبيره.

ومن جملة من له كتب مع السادة الأشراف من الوزير الأعظم؛ السيد حمود بن عبدالله بن حسن -المتقدم ذكره-، ولم يحضر معهم، بل لما تولى الشريف بركات خرج من مكة ثم رجع. ولفظ كتابه:

فرع ذؤابة هاشم، وشيخ المحامد والمكارم، السيد حمود نظم الله عقوده، وأباد حسوده، وبعد: فلا يخفاكم أن الكعبة البيت الحرام، ومطاف طواف الإسلام، وهو أول بيت وضع للناس، وأسس على التقوى منه الأساس، وإنه لم يزل في هذه الدولة العثمانية آمناً لأهله من النوائب، وروضاً مخصباً بأحسن الأطايب، إلى أن ظهر من السيد سعد من الأمر الشنيع، ما يشيب عنده الطفل الرضيع، وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة البهية، وأذاقهم كأس المنون روية. فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطاني أمر بعزل السيد سعد عن شرافة مكة وتفويضها إلى الشريف بركات، فيعمل فيها بحسن التصرفات، وتكونوا له عوناً وظهيراً، وناصحاً ونصيراً، وكل ما يتفرع غصنه من دوحة فاطمة الزهراء، وتتصل نسبته إلى مكة المكرمة الغراء، قدونه إلى

طريق الصلاح، وترشدونه إلى معالم النجاح والفلاح، وأنتم على ما تعهدونه من التكريم والتبجيل، والله على ما نقول وكيل.

وأما بقية الكتب فكلها بهذا المضمون إلا أن العبارات مختلفة.

ثم إن مولانا الشريف بركات نزل من منى إلى مكة في موكب عظيم، وجاءه الناس يهنئونه بالملك من السادة والأشراف والأعيان والعربان، وامتدحه الشعراء بقصائد.

ومن جاءه مهنتاً: الشيخ محمد بن أحمد الزرعة، فقرأ عند لقائه:
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ
وَكَفَىٰ بِمَجْهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء: ٥٤-٥٥]. وكان الشريف بركات من
آل إبراهيم بن بركات بن أبي غمي، فعجب الحاضرون، وكذا الشريف بركات
من هذا الاستحضار.

ولما كان يوم الخامس عشر من ذي الحجة نزل مولانا الشريف بركات إلى
الخطيم، واجتمع كبراء العسكر، وقرئ مرسوم يتضمن: عزل الشريف سعد
ابن زيد وتولية الشريف بركات، وألبس مولانا الشريف قفطاناً.

ولما كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة اجتمع مولانا الشريف
وكبير العسكر، [وحسين باشا]^(١) في منزل الشيخ محمد بن سليمان، فأظهر

(١) في الأصل: وكبير العسكر حسين. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٩٢)، ومنايح الكرم
(٣٤٨/٤).

أمراً سلطانياً يتضمن: نظره في الحرمين وإصلاحهما والتصرف في أحوالهما، فأذعن [له]^(١) مولانا الشريف بركات ومكّنه من زمام وفق التصريف، فنشر منشور العسف، وبث جيوش الكبرياء، فنفرت عنه القلوب، وشرع في إظهار المطلوب. وكان مولانا الشريف بركات يحضر درسه في كثير من الأوقات، وكذا شيخ الحرم صاحب جدة.

وفي رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمراً يتضمن: إخراج من كان في الخلاوي الموقوفة ممن له بيت وعيال، فروجع في ذلك، فلم يقبل، وأخذ ما بأيدي الناس من حَبّ السلطان جقمق الوارد إلى مكة، وحَبّ السلطان سليمان الواصل من مصر لأهل مكة، وكذا حَبّ السلطان قايتباي، ومال المصرية، وعمرّ بذلك تكية في محل وقف الدورلي الكائن بأعلى المدعا من جهة سوق الليل، وطبخ فيها شربة للفقراء بالحب المذكور.

وعمرّ الشيخ محمد بن سليمان عدة أوقاف بمكة كانت خربت قد استولت عليها الأيدي، وصرف على الدشيثة^(٢) من كراء جقمق وقايتباي وأموال الحرمين ومن الأوقاف الباقية، وأمر أن تدهن السواري المكتوب فيها إبطال المكوس ليظهر للناس ما فيها من الكتابة، فدهنت، وأمر بترك الدفوف ليلة المولد، ومنع من ذلك أهل الزوايا.

(١) قوله: "له" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٩٢).

(٢) الدشيثة: طعام رقيق يصنع من القمح المدقوق (المعجم الوسيط ٢٨٤/١).

وفي سنة ثلاث وثمانين وألف خرج الشريف بركات بعد خروج الحاج وصحبه محمد جاوش في طلب الشريف سعد وأخيه أحمد، فجاءهم الخبر بخروجه من الطائف، وكان خروج الشريف سعد من الطائف يوم الثامن عشر من المحرم، وتوجه إلى عباسة^(١)، ثم إلى تربة، ودخلا بيشة، فلما [رأى]^(٢) الشريف بركات ومحمد جاوش أنهما أبعدا كراً راجعين ولم يتبعوهما، ونزل مولانا الشريف إلى الطائف، واستمر هناك.

وأما الشريف أحمد بن زيد فإنه فارق أخاه الشريف سعداً من بيشة، وتوجه إلى دويرة بني حسين^(٣)، لمصاهرته إياهم، واستمر مقيماً عندهم إلى أن ورد الحج [فرحل]^(٤) إلى المدينة، ودخلها ليلة دخول الحج المدينة، واجتمع بأمر الحج الشامي، ثم ارتحل من المدينة ثاني ذي الحجة، ونزل ديار حرب

(١) عباسة: قرية في جنوب الطائف، تبعد عن وادي سلامة (٣٥) كيلومتراً، سكناها بنو سعد (معجم معالم الحجاز ٦/٣٤).

(٢) في الأصل: رأهما.

(٣) ديار بني حسين: ذكر ياقوت في معجم البلدان (٥١/٣) تحت عنوان رضوى: ورضوى جبل بالمدينة... وبقره مما يلي البحر فيما بينه وبين ديار جهينة ديار للحسينيين حذرت بيوت الشعر التي يسكنونها نحواً من سبعمائة بيت، وهم بادية مثل الأعراب.

(٤) قوله: "فرحل" زيادة من منائح الكرم (٣٦٣/٤).

على أحمد بن رحمة، واستمر إلى أن رجع الحج الشامي، فلم يتفق له [معه]^(١) مسير، فتوجه في أول سنة أربع وثمانين وألف إلى الفرع، واستمر بها مدة.

ثم لما خرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب رجع إليهم الشريف أحمد وحضر القتال، ثم لما كسرت حرب رجع إلى الفرع، ثم وصل إليه أخوه الشريف سعد^(٢). وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب في أواسط سنة أربع وثمانين وألف، خرج هو وجميع السادة الأشراف والعساكر المصرية والعربان، وكان شيخهم أحمد بن رحمة، فكسرهم واستأصلهم، وأقام في قتلهم نحو ستة أيام، وجيوشه تحمل أدياش حرب إلى بدر، وقطع نخيلهم. وأما جثث القتلى فهي متراكمة على بعضها في كل جبل ووادٍ من تلك الجبال والأودية، مع سبي النساء والأطفال، حتى أبادهم، ومهد تلك الأقطار، وأجرى فيها أحكامه.

وفي سنة خمس وثمانين في سابع رجب كان خروج مولانا الشريف بركات إلى الفرع^(٣) وأقطاره^(٤)؛ لتمرّد أهله عليه وخروجهم عن طاعته، وقيل: لأنه بلغه أن الشريف أحمد بن زيد نزل الفرع واستمال أهله، فسار إليهم مولانا الشريف بركات ومعه السادة الأشراف، ولم يتخلف إلا من وضع عذره،

(١) قوله: "معه" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٩٣)، ومنايح الكرم (٤/٣٦٤).

(٢) انظر الأخبار السابقة في: منايح الكرم (٤/٣٤١، ٣٤٦-٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٢-٣٦٤)، وسمط النجوم (٤/٥٢٧-٥٣١)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٠٧-١٠٩).

(٣) تقدم التعريف به في (٢/١٧٠).

(٤) انظر هذا الخبر في: إتحاف فضلاء الزمن (٢/١١٢).

وخرج معه صاحب بندر جدة [بعساكره]^(١) ومدافعه، فتلقيا على عسفان، وسارا جميعاً، فعادوا إلى طاعته راغبين من غير قتال.

ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد بن زيد، وتحولا إلى وادي النفير من ديار حرب، ثم قصدا المدينة ونزلا الغابة^(٢)، ثم توجهوا قاصدين الأبواب السلطانية متوجهين إلى الشام، فلما وصلوا الشام تلقاهم أهلها وأمرأؤها وكبرأؤها ونقيها، ودخلوا بموكب عظيم، ثم دخلا أدرنة^(٣) في ربيع الأول سنة ست وثمانين، ودخلا إسلامبول في ربيع الثاني من السنة المذكورة، فأنعم مولانا السلطان محمد بن إبراهيم على الشريف سعد بباشوية المعرة^(٤) في حادي عشر جمادى الأولى من السنة المذكورة، وأقام الشريف أحمد بإسلامبول إلى سنة ثلاث وتسعين وألف، فأعطي قصبة تسمى: كليسة، وكان قبل ذلك أرسل مولانا السلطان إلى أخيه الشريف سعد، فورد عليه من المعرة، فأعطاه بلداً هناك تسمى: وزه، قريبة من طرف كليسة، واستمر هناك إلى سنة أربع وتسعين وألف.

(١) في الأصل: بعساكر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٩٤).

(٢) الغابة: مجتمع السيول، غرب أحد (انظر: خلاصة الأثر ١/١٩١).

(٣) أدرنة: مدينة تقع في تركيا في تراقية بأوروبا، ذات أهمية استراتيجية عظيمة، لذلك كان تاريخها عاصفاً، فتحها العثمانيون سنة ١٣٦١ م واتخذوها عاصمة لهم إلى أن فتحت القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص: ٩٨، وتاريخ الدولة العلية "حاشية ص: ١٢٩").

(٤) المعرة: أي معرة النعمان، وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، منها الشاعر المعروف أبو العلاء المعري (معجم البلدان ٥/١٥٦).

ثم في أثناء ذلك^(١) عاد إلى إسلامبول، ثم صارت ولاية الشريف أحمد شرافة مكة، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى^(٢).

وفي سنة خمس وثمانين وألف خرج جماعة من السادة الأشراف مغاضبين لمولانا الشريف بركات يدعون عليه أنه أخذ ما وصل إليهم من الإنعامات السلطانية، فترلوا بوادي مرّ الظهران، فبعث إليهم السيد بشير بن سليمان بن لؤي بن بركات، فما زال بهم حتى رجعوا، ففرّق عليهم الإنعام الواصل بينهم بالسوية، وذلك نحو أربعة آلاف دينار، وألفي إردب حب.

وفي سنة خمس وثمانين أيضاً ورد مرسوم من السلطنة مضمونه: قسمة مدخول مكة أربعة أقسام: الربع لمولانا الشريف بركات، وثلاثة الأرباع للسادة الأشراف على السوية^(٣).

وذكر السنجاري في وقائع سنة ١٠٨٥^(٤): وفي يوم الأربعاء خامس محرم الحرام دعا مولانا الشريف^(٥) بالخواجه يحيى بن عبدالوهاب الميري الحلبي التاجر المشهور بعد صلاة العصر، فدخل وما خرج، ودرج من هناك إلى ما درج.

وكان السبب: انتهاء الرئاسة في ذلك الوقت إليه، وتعويل الدولة الرومية عليه.

(١) قوله: "ثم في أثناء ذلك" مكرر في الأصل.

(٢) انظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (٣٦٥/٤-٣٦٩)، وسمط النجوم (٥٣١/٤-٥٣٢).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٩٠-٩٥).

(٤) منائح الكرم (٤٠٥/٤-٤٠٦).

(٥) في الأصل زيادة: ابن محمد. انظر: منائح الكرم (٤٠٥/٤).

واتفق بعد ثالث يوم من وقعته [ورود]^(١) مركب من السويس إلى جدة، وفيه سردار العسكر^(٢) الإنقشارية المقيمين بمكة، فكتب العسكر إليه بالخبر، فأرسل جاووشه من جدة لاستدراك الرجل، وأعادته مولانا الشريف بكتاب كتبه له.

فاستمر هناك إلى أول صفر، وطلع، فخلع عليه مولانا الشريف وعلى من معه على جري العادة.

وبعد ثلاثة أيام من وصوله اجتمع الإنقشارية بالحرم تحت مدرسة القاضي، وأرسلوا إلى مولانا الشريف من جهة الخواجه يحيى المذكور، فلم يحصلوا على طائل، وتفرقوا من غير نائل.

وفي أوائل ربيع الأول سنة ١٠٨٦^(٣): استأجر الشيخ محمد بن سليمان بيت الغوري الذي بجانب المدرسة الداودية، وغصب أهله على إيجاره، فهدمه وعمره عمارة ملوكية، وزخرفه بأنواع النقوش، وواصل تلك الأماكن إلى باب إبراهيم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرين ربيع الثاني شرع الشيخ محمد المذكور في هدم قبور المعلاة، وبني مقبرة خاصة جعلها أربع جدارات، وفصلها تفصيل الشطرنج، وجعل لها بابين، وهتك بذلك حرمة الأموات. انتهى.

(١) في الأصل: ورد. والتصويب من منائح الكرم (٤/٤٠٥).

(٢) سردار العسكر: أي رئيسهم (انظر مقدمة حمد الجاسر في: البرق اليماني ص: ٧٨).

(٣) منائح الكرم (٤/٤٢١-٤٢٢). وانظر: تحاف فضلاء الزمن (٢/١١٥).

وفي شهر رمضان من سنة ست وثمانين جاء الخبر إلى مكة بموت الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلي وهو مستند الشيخ محمد بن سليمان، فما جاءه خبر أعظم من ذلك، وأصابه عليه من التعب ما لا مزيد عليه، ومن هذا اليوم ظهر الاختلال في أمر الشيخ، وولي الوزارة بعده مصطفى باشا.

وفي سنة ست وثمانين أرسل مولانا الشريف بركات ابنه الشريف [سعيداً]^(١) إلى الأبواب السلطانية، والتمس أن ينعموا على ابنه المذكور بإمارة مكة بعده، وأن يكون وليّ عهده، فأجابته الدولة إلى ذلك، وقابلت ابنه المذكور [بالإجلال]^(٢) والإكرام، ورجع إلى مكة رابع ذي الحجة ومعه خلعة ومرسوم سلطاني يتضمن الإنعام عليه بذلك، فقرأ ذلك المرسوم بالخطيم، وألبس الخلعة المذكورة، وجاء أمر من الوزير الأعظم المتولي، مضمونه: أن الشيخ محمد بن سليمان يرفع يده عن تعارض أمور الحرمين، فأغلق بابه وترك مخالطة الناس، واضطرب أمره، فقصد الطائف ثم نزل منه في شعبان، وتوجه إلى المدينة. قيل: إن ذلك كان بأمر من الوزير الأعظم، وأن الأمر كان أولاً بإخراجه من الحرمين، ثم شُفع فيه فأمر بإخراجه إلى المدينة، فلما وصل المدينة اعتزل الناس إلا من لا بدّ منه.

وفي سنة ثمان وثمانين وألف ورد أمر سلطاني لمولانا الشريف بأن يخرج مع الحج الشامي إلى أن يتعدى به على العرب القاطعين لطريقه، إلى أن يخرج

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٩٦).

(٢) في الأصل: بالإجلال. وهو وهم، والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

عما هو تحت قطر الحجاز، فخرج معهم يوم السابع من المحرم سنة تسع وثمانين وألف ومعه عدة من الأشراف، وأقام [مقامه]^(١) أخاه السيد عمرو ابن محمد.

وفي عاشر ذي القعدة سنة تسعين ورد مرسوم سلطاني مضمونه: الإنعام على مولانا الشريف بعشرة آلاف أحرر في مقابلة خروجه كل سنة مع الحج الشامي، ومع المرسوم خلعة، فلبس الخلعة، وقرئ المرسوم بالخطيم.

وفي ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعين وألف خرج الشريف أحمد بن غالب من مكة مغاضباً لمولانا الشريف بركات، وخرج لخروجه عدة من الأشراف نحو الثلاثين، وسار متوجهاً إلى الأبواب السلطانية شاكياً من مولانا الشريف بركات^(٢).

وفي هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الأعظم في أن الشيخ محمد بن سليمان يعود إلى مكة، فجاء الإذن له بذلك، وأن يكفّ يده عن مخالطة الدولة، فدخل مكة في التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة كثرت الحرامية بمكة، فأوجب إلى أن عسّ الشريف بنفسه ومعه أولاده والأتراك العسكر أصحاب الرتب، فوقعوا ببعض العبيد بعض

(١) في الأصل: معه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٩٧).

(٢) انظر هذا الخبر في: منائح الكرم (٤/٤٧٤)، وسمط النجوم (٤/٥٣٦-٥٣٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٢٣)، وخلاصة الأثر (١/٤٤٦).

الأتراك فقتلوهم^(١).

ثم إن مولانا الشريف ازداد به التعب والهم، فأصبح مريضاً يوم الثلاثاء خامس ربيع الثاني من سنة أربع وتسعين بمرض باطني لا يعلم سببه إلا القهر، فازداد به المرض إلى أن توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة، فصلّي عليه بعد الشروق، ودفن بالقرب من المعلا بجوار الشيخ النسفي بوصاية منه، وُئِي عليه حائط غير مسقف، وأسفت الناس عليه. وكانت مدته: عشر سنين، وأربعة أشهر، وعشرين يوماً^(٢).

قال السنجاري^(٣): وكان وحيد دهره، وإنسان عين عصره، لولا ما اعترض دولته من استيلاء الشيخ محمد بن سليمان.

ورثاه كثير من الشعراء بقصائد، وكان كثير الإحسان، عارفاً بأحوال الزمان.

وفي خلاصة الأثر في ترجمة الشريف بركات^(٤): وحظي عند السلطنة، وكان مقبول الكلمة عندهم معتقداً؛ لما كان يكثره من مداراتهم، وكان كثير الإحسان للأشراف والتعطف بهم، وتقووا في زمنه وقويت شوكتهم، وكثرت أموالهم، وبسبب ذلك بقي كبار الأشراف وصغارهم تحت طوعه، وجمدت

(١) كذا في الأصل. وفي خلاصة الكلام (ص: ٩٨): أنه كثر النهب ووقعت فتنة بين العبيد والأتراك وقتل بعض الأتراك المجاورين فصار الشريف يعس في الليل بنفسه وأولاده.

(٢) انظر: منائح الكرم (٤/٤٧٧-٤٧٨)، وسمط النجوم (٤/٥٣٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٢٤).

(٣) منائح الكرم (٤/٤٧٨، ٤٨٤).

(٤) خلاصة الأثر (١/٤٤٥).

طريقته، وأمنت في زمنه السبل، وربحت التجارة، وانتظم الأمر خصوصاً للحجاج^(١).

ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤

وبعد وفاة الشريف بركات تولى ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نجي^(٢). ألبسه قاضي مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذي بيده، المتضمن كونه ولي عهد أبيه، ولم ينازعه في ذلك أحد من السادة الأشراف.

ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني نزل مولانا الشريف سعيد إلى الحطيم، وحضر الفقهاء وأكابر الدولة، وقرئ مرسومه [الوارد]^(٣) في حياة أبيه، ثم جهز قاصداً إلى الأبواب السلطانية بخبر وفاة والده، [وبطلب]^(٤) صريح الاستمرار، وكتب له على عرضه علماء مكة، فوصل جوابه من صاحب مصر ثاني رجب المبارك من السنة المذكورة، وفيه التعزية في المتوفى، وصحبته خلعة الاستمرار على ما كان عليه والده من إمارة مكة، ثم ورد الأمر السلطاني في الرابع والعشرين من شعبان.

(١) خلاصة الكلام (ص: ٩٦-٩٩).

(٢) انظر ترجمته في: أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٢٣)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٥٣).

(٣) في الأصل: الواردة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٠٠).

(٤) في الأصل: ويطلب. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

وفي الثامن والعشرين ورد من الروم آغا وأخير أنه ورد [صحبة]^(١) مولانا السيد أحمد بن غالب، وأنه معه أمر سلطاني مخاطب به المرحوم الشريف بركات، مضمونه: إرضاء السيد أحمد بن غالب [وإيفاءه جميع]^(٢) معاليمه، والوصاية على السادة الأشراف، وأن لا يحوج مولانا الشريف أحداً منهم إلى الوصول إلى الأبواب، وأن تكون البلد أرباعاً، الربع منها لمولانا الشريف، والثلاثة الأرباع للسادة الأشراف، وأخبر الآغا أن السيد أحمد واصل، وأنه فارقه في الطريق^(٣).

وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقيب وفاة أبيه، فما أظهره. ثم وصل السيد أحمد بن غالب وصار تقسيم الأرباع، فحصل بذلك التشاجر في القسمة والتعب والتشاحن، ووقع في البلاد السرقة والنهب، واختلفوا فيما بينهم، وصارت الرعية بلا راع، ولزم من ذلك أن كل صاحب ربع يكون له كتبة وخدام يجمعون ما هو له، وجمع السيد أحمد بن غالب عسكرياً، وانضم إليه من العبيد كثير، فتعب الشريف سعيد بذلك وأمرهم بترك العسكر، فامتنعوا، وقالوا: إن السوالم سبقت بمثل هذا لصاحب الربع، وشهد بذلك كبار الأشراف.

ثم اشتد البلاء بالسرقة ليلاً ونهاراً، وكُسرت البيوت والدكاكين، وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد خوف القتل والطمع، وصار العبيد لا

(١) في الأصل: صحبته. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٠٠).

(٢) في الأصل: وإبقاؤه وجميع. والتصويب من منائح الكرم (٤/٤٨٨).

(٣) انظر: منائح الكرم (٤/٤٨٦-٤٨٩).

يأتون إلا ثمانية أو عشرة، [وانقلب ليل الناس فهاراً، وكثرت القتلى في الرعية، حتى ضبطت القتلى في رمضان فبلغت تسعة]^(١) أشخاص، فضجت الناس من هذه الأحوال، فأرسل الشريف سعيد إلى الأبواب السلطانية ترجمانه [يذكر]^(٢) فساد مكة، وأنها خربت، وأرسل يطلب عسكرياً لإصلاحها.

وفي مدته كان إخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة، وذلك أنه في شهر شوال سنة خمس وتسعين، ورد أمر سلطاني يتضمن إخراجه من الحرمين، قدم به السيد أحمد بن غالب، وسجل عند قاضي الشرع^(٣)، فلما سجله القاضي أرسل إلى الوزير عثمان حميدان وبعثه مع نائبه إلى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين، ويخبره بورود الأمر السلطاني، فامتنع الشيخ من الخروج، وقال: ليس هذا وقت خروج من البلد، وإذا جاء الحج خرجت مع الحج، فصعب القاضي في خروجه وعدم إبقائه إلى الحج، وطلع بنفسه إلى مولانا الشريف وألح على إخراجه، فأرسل مولانا الشريف سعيد ابن عمه السيد رضوان بن عمرو بن إبراهيم^(٤) والقائد أحمد بن جوهر إلى الشيخ يأمره بالخروج وأنهم يعطونه كل ما يريد، أو أنه يحضر عند القاضي وييدي عذراً، فامتنع، وقال: الأمر السلطاني ورد بأن أخرج، وأنا خارج إذا

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٠٢).

(٢) في الأصل: يذكر. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) كواكي زاده.

(٤) في منائح الكرم: رضوان بن عمرو بن محمد.

جاء الحج، وأما الآن فلا ألقى بيدي إلى التهلكة، وليس في الأمر أن أخرج يوم وصول هذا الأمر وتسجيله، فزادت صعوبة القاضي، وبعث ترجمانه إلى الوزير ليرسل معه عشرة من صارجية^(١) الشريف، وأمرهم أن يأتوا بالشيخ مكرهاً البتة، فجاؤوا إلى باب دار الشيخ وهو في المدرسة التي عند مدرسة الداودية المشهورة بمدرسة ابن سليمان، والباب مغلق، فهمّوا بكسر الباب، والشيخ واقف في الطاقة يستغيث بالناس وينادي بأعلى صوته: يا أهل مكة! يا مسلمين!، أطلب شريعة محمد بن عبدالله، إن أمر السلطان بقتلي فأمضوه، وإن كان ياخراحي فأنا خارج إذا جاء الحج، والازدحام على بابه يجمع بين الخاص والعام، وأهله يضجّون بالبكاء والنحيب، فخرج عند ذلك العلامة الشيخ أحمد بن عبداللطيف البشيشي المصري، وكان مجاوراً بمكة، وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية يقيم فيها ويأخذ معلومها، وطلع إلى القاضي فلم يقبل شفاعته، فرجع من عنده، فرآه الشيخ محمد بن سليمان، فصاح بأعلى صوته مستغيثاً به، فوقف الشيخ وقال له: يا شيخ محمد: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فقال: أنا مطيع لله ورسوله ولأولي الأمر، ولم يأمر السلطان بتخريجي في هذا اليوم، وأنا خارج مع الحج ولست بكافر، وأودع من يسمعي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنا [غير]^(٢) مدافع للشرع، ولست بخارج من داري، فليصنعوا ما يرونه، والعامّة

(١) صارجية أو صارجية: اسم طائفة من الجند (معجم الدولة العثمانية ص: ١١٧).

(٢) قوله: "غير" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٠٣)، ومنايح الكرم (٤/٤٩٥).

عن آخرهم تصرخ بسبّه بأنواع السبّ الشنيع، وجعل هو يسبّ مولانا الشريف سعيداً والمرحوم مولانا الشريف بركات بأنواع السب، وعمّ الجميع القول الفاحش، ثم إن بعض أصحاب الشيخ لحق بمولانا الشريف ثقبه بن قتادة واستغاثه، وأطمعه فيه، فخرج من بيته ودخل من باب رباط الغوري الذي عند باب الوداع، وتسبب في الوصول إلى الشيخ، فدخل عليه وأمنه، وأمر مولانا السيد ثقبه بفتح باب الدار، فلما رآه العسكر ومن معهم وقفوا ورجعوا إلى مولانا الشريف والقاضي، وأخبروهم بأن مولانا السيد ثقبه عند الشيخ، وأنه آمنه، وأرجعهم إلى من أرسلهم، ثم إن السيد ثقبه قال للشيخ: إن كان لا بدّ من خروجك فأخرج أنت وأنا إلى بلدي بخلص، واستمر عندي إلى الحج، فرضي.

ثم إن مولانا السيد ثقبه فرق الناس، وطلع إلى الشريف والقاضي وكلمهما بأنه في جواره، واستأذنهما في بقائه بمكة إلى الحج، [فبقي]^(١) وقد ذلت صعوبته، ولانت سعده، وانقبض انبساطه، [وتطأطأ اشتطاطه]^(٢)، ثم سافر مع الحج. ثم توفي في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين بالشام، ودفن بالصالحية بسفح قاسيون^(٣).

(١) قوله: "فبقي" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) انظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (٤/٤٩٢-٤٩٧، ٥١٠)، ومختصرة في: إتحاف فضلاء

الزمن (١٢٧/٢، ١٢٩).

وكان الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء، وأصله من سوس^(١)، وولد بها سنة ثلاث وثلثين وألف، وأخذ العلم بالمغرب، وصحب أجلاء الشيوخ من أهل المغرب، ولازم أكابر العلماء، ثم رحل فطاف المغرب، ثم رحل إلى المشرق، فدخل مصر، وأخذ عن أكابرها وعلمائها، ثم دخل أرض الحرمين، وأقام [بالمدينة المنورة ملازماً غالب أوقاته للذكر والخلوة عن الناس، ثم وصل مكة المشرفة وأقام]^(٢) بها، وصحب الفضلاء، وأخذوا عنه.

وكان رحمه الله عالماً متفتناً، متسعاً، عديم النظير، فصيح النطق، ذا هبة، وجلالة، وفراصة في إصابة الرأي، وصار له بمكة شهرة، فاعتقده كثير من الناس، ثم رحل إلى الديار الرومية صحبة أخي الوزير مصطفى باشا، وبلغه بواسطة أخيه الوزير من ترقى مراتب العز ما شا، حتى قلّده السلطان والوزير النظر في أمر الحرمين، فرجع وحصل جميع ما تقدم.

وكان له اليد الطولى في المعقول، وعلم الفلك وغيرهما.

وله تآليف كثيرة، منها: حاشية على "التصريح" للشيخ خالد، في علم النحو.

قال السنجاري^(٣): كان دخوله في هذه الدائرة من الخن السائرة، وإلا

(١) سوس: مدينة من أقصى المغرب في الإقليم الثاني، وهي على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلاً، وفي جانبها الشمالي فمر يأتي من الشرق من جبل لمطة (صبح الأعشى ١٦٤/٥-١٦٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٠٣).

(٣) منائح الكرم (٥١٢/٤).

فهذا إمام جليل، ومحقق نبيل، تقصر عن وصفه العبارة، وتحدو بذكره السيارة^(١).

وكان شريف مكة وصاحب جدة لا يقطعان أمراً دونه، وانتهت إليه رئاسة مكة. وبني بمكة رباطاً للفقراء يعرف الآن برباط ابن سليمان، عند باب إبراهيم، يسكنه أهل اليمن، وبني مقبرة بالمعلا تعرف الآن بمقبرة ابن سليمان، فأقام بمكة تلك المدة وأمره نافذ على غلاظة وشدة، إلى أن تبدلت تلك السعودات بالنحوس، وهبط بعد أن كان على الرؤوس، فورد الأمر بإخراجه، إلى آخر ما تقدم، رحمه الله وسامحه.

وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الأشراف، واستمر ذلك إلى سنة خمس وتسعين^(٢).

ولاية الشريف أحمد بن زيد سنة ١٠٩٥

فولي مولانا السلطان الشريف أحمد بن زيد^(٣)، وجاء الخبر إلى مكة في عشرين من ذي القعدة.

وفي تاريخ الرضي: ثم لما جاءت الأخبار إلى مولانا السلطان بما وقع في

(١) السيرة: القافلة (انظر: المعجم الوسيط ٤٦٧/١). ويقصد بذلك الشيخ محمد بن سليمان المغربي.

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٩٩-١٠٥).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر (١٩٠/١-١٩٧) وخلاصة الكلام (ص: ١٠٥-١٠٩)، والأعلام (١/١٢٨)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٢١-١٢٢)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٥٥-٢٥٧).

الحجاز من الخراب والفساد والعناد والنهب - وكان السلطان بأدرنة - طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال، وولاه بعد استقرار رأي رجال دولته على أن الصلاح لا يكون إلا به.

وقد ذكر في خلاصة الأثر كيفية توليته حيث قال^(١): ولم يزل مقيماً بالروم والأحوال تنتقل به، إلى أن [حصل]^(٢) لمكة ما حصل من الاختلاف بين الأشراف، فبلغ ذلك السلطان، فأرسل إلى الشريف أحمد يطلبه، فلما أتاه ودخل، قام إليه وقابله بغاية الإجلال، ووضع كفه بكفه وصافحه من قيام قائلاً: اللهم صل على محمد وآل محمد، وأول خطاب من السلطان قال له: يا شريف أحمد، الحجاز خراب، أريدك تصلحه، فامتثل ذلك، فعند ذلك ألبسه ما كان عليه، ثم جلس السلطان وأمره بالجلوس، وأعاد عليه ما قاله أولاً مرتين، وهو يجيبه بالامتثال والقبول، فحينئذ قال السلطان: إذا آن أوان الشيء أبرزه الله تعالى، ثم أمر الوزير والكتاب أن يكتبوا له ملتمسه، فخرج الشريف وقدم له مركوب من خيل السلطان، ورحل على خيل البريد إلى دمشق، وقد خرج الحاج منها.

قال صاحب الخلاصة^(٣): فدخلت عليه مهناً [له]^(٤) بالشرافة، وأنشدته

هذه الأبيات:

(١) خلاصة الأثر (١/١٩٦).

(٢) قوله: "حصل" زيادة من خلاصة الكلام (١٠٦)، وخلاصة الأثر، الموضع السابق.

(٣) خلاصة الأثر (١/١٩٦).

(٤) قوله: "له" زيادة من خلاصة الأثر، الموضع السابق، وخلاصة الكلام (ص: ١٠٦).

الحقُّ عادَ إلى محلِّه والشَّيءُ مرجعه لأصله
يا طالبا وعد الزما ن به وأعيانا بمطله
حتى تحقِّق أنفه في الناس مفتقر لمثله
والسيف عند الاحتيا ج إليه يعرف فضل نصله
والدهر ينفّر تارة ويعود معتذراً لأهله
لا ريب قد سرّ الوري بفعاله الحسنى وعدله
فالكل شاكر صنعه ولسانهم وصاف فضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام، ثم خرج قاصداً الحاج حتى لحقه بالعلّا^(١)،
ودخل المدينة الشريفة، وتلقاه عسكريها، ولبس الخلعة السلطانية تجاه
الحجرة الشريفة كما لبسها أبوه، ثم دخل مكة سابع ذي الحجة ختام سنة
خمس وتسعين وألف.

وذكر في الخلاصة أيضاً عند ذكر آخر ولاية الشريف سعيد بن بركات
في ضمن ترجمة أبيه^(٢): أن الشريف سعيداً عرض للدولة خراب الحجاز،
وطلب عسكرياً لإصلاحه، وكان هو وعمه عمرو ينتظران الجواب.

فلما كان سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد
إلى أحمد باشا صاحب جدة، وكان بالأبطح ببستان الوزير عثمان حميدان،
واستمر عنده إلى جانب يسير من الليل، ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهباً

(١) العلّا: مدينة حديثة يمر فيها طريق سكة حديد الحجاز في منتصف المسافة بين المدينة وتبوك،
غير بعيدة عن وادي الحجر، وكان واديها قديماً يعرف بوادي القرى، وهي مشهورة بكثرة نخيلها
وجودة ثمرها، تلقى عندها ديار عترة من الشرق، وبلّي من الغرب (معجم معالم الحجاز
١٥٤/٦-١٥٥).

(٢) خلاصة الأثر (١/٤٥٠).

إلى السيد غالب بن زامل، وكان نازلاً بذي طوى^(١)، فلما جاوز الحجون إذا هو برجل على ذلول، فاستخبره من أي العرب؟ فقال: من بني صخر^(٢)، فقال له الشريف سعيد: أمعك كتاب من يحيى بن بركات -وهو أخو الشريف سعيد-، فقال: لا، وكان الشريف يحيى ذهب لملاقة الحج الشامي، فأمر بضربه، وهدده بالقتل، فأقرّ بأنه رسول من الشريف أحمد بن زيد إلى السيد أحمد بن غالب، وأنه قد جاء متولياً إلى مكة، ولحق الحج الشامي بالعلا. ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر^(٣) الشهر إلى بيت عمه السيد عمرو، واستدعى السيد غالب بن زامل، والسيد ناصر بن أحمد الحارث، والسيد عبدالله بن هاشم^(٤) بن محمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نمي، وتشاوروا في إظهار هذا الأمر كيف يكون، فاتفق الأمر على أن يرسلوا إلى السيد مساعد ابن الشريف سعد بن زيد، فأرسلوا له السيد عبدالله بن هاشم، فأتى به، فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى الجماعة مجتمعين جلس معهم، فقال الشريف سعيد: يا سيد مساعد، لم أرسل إليك في هذا الوقت

(١) ذي طوى: وادٍ بأسفل مكة (معجم البلدان ٤/٤٥)، وهو بمحلة جروم معروف إلى الآن، ويستحب الاغتسال فيه للمحرم.

(٢) بنو صخر: من عشائر البدو الكبرى التي كانت تقطن في جهات العلا بالحجاز، نزلت إلى بلاد الكرك والبلقاء وغزة، ثم ما لبثوا أن رجعوا من غزة، واستقروا في البلقاء. ويقال في نسبهم أن جماعة منهم ينتسبون إلى بطن من بطون طيء، وأخرى إلى بطن من بطون جذام وأنهم اندمجوا مع بعضهم بحكم الاسم (صخر) والجوار (انظر: نهاية الأرب للقلقشندي ص: ٣١٣، ومعجم قبائل الحجاز ص: ٢٤٥-٢٤٦، ومعجم قبائل العرب ٢/٦٣٤-٦٣٥).

(٣) في خلاصة الأثر: عشري.

(٤) قوله: "بن هاشم" مكرر في الأصل.

إلا قصدي أودعك أهلي، فإن عمك الشريف أحمد تولى مكة، وأنت تقوم مقامه حتى يصل، وأرسل الشريف سعيد إلى آغاوات العسكر، وقال لهم: إن الأمر للسيد أحمد بن زيد، فاخدموا سيدكم، وخرج الشريف سعيد تلك الليلة إلى الوادي، وأقام به حتى سافر الحج المصري، فذهب معه إلى مصر.

وفي تاريخ السنجاري^(١): أنه في صبح الليلة التي سافر فيها الشريف سعيد انعقد مجلس في المسجد [خلف]^(٢) مقام الحنفي، وحضره سائر الأشراف، وصاحب جدة، والقاضي، والمفتي، والعلماء، ووجوه الناس، وأقيم السيد مساعد بن سعد بن زيد نائباً عن عمه الشريف أحمد بن زيد، ونودي له في البلد، وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وتسعين.

ثم توجه الشريف سعيد بن بركات إلى مصر، وتوفي بها.

وفي ثاني ذي الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لكبار الأشراف مضمونها: التلطف بالرعية، والوصية على البلد إلى حضوره. وخرج الناس إلى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد، فوصل يوم السابع من ذي الحجة، ودخل مكة في موكب أعظم، وكادت الناس أن تقتل من الزحام، وجلس للتهنئة، ومدحته الشعراء بقصائد، وفرح الناس به، وحج بالناس، ثم نشر لواء العدل والإنصاف، فحصل له في القلوب هيبة، وأمنت الطرق،

(١) منائح الكرم (٥٢٩/٤-٥٣٢).

(٢) في الأصل: حلف. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٠٧)، ومنائح الكرم (٥٢٩/٤).

واستقر الناس، واستمر في ولايته إلى سنة تسع وتسعين وألف.

وفي شهر الحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن غالب، فخرج السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضباً في شهر صفر^(١)، وتبعه جماعة من الأشراف، ثم في شهر ربيع الثاني توجه السيد أحمد بن غالب إلى جهة الشام.

وفي أواخر ربيع الثاني مرض مولانا الشريف أحمد بن زيد، وجاءته حمى، واستمر مرضه نحو خمسة عشر يوماً، ثم توفي إلى رحمة الله يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى وقت الضحى، وكنم موته ابن أخيه السيد سعيد بن سعد إلى بعد صلاة الظهر، وكان الشريف سعيد هذا مقرباً عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد، يخصّه بمزيد محبته، لما يرى من نجابته، وربما أمره بالجلوس في ديوان بدايته في مدة توعكه^(٢).

الولاية الأولى للشريف سعيد بن سعد^(٣) سنة ١٠٩٩

فلما توفي مولانا الشريف أحمد جلس مولانا الشريف سعيد في الديوان العام، وبعث إلى الوزير وكبار العسكر فتكلم معهم في المكانة، فأذعنوا له،

(١) انظر هذا الخبر في: إتحاف فضلاء الزمن (١٣٥/٢).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٠٥-١٠٧، ١٠٩). وانظر: منائح الكرم (٤٣/٥-٤٦).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٠٩، ١١٢، ١١٧، ١٢٨، ١٣٦، ١٤٨، ١٦٥،

١٦٧)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٥٧، ١٥٨)، والأعلام (٩٥/٣)، وأمراء مكة المكرمة

في العهد العثماني (ص: ١٢٦-١٢٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٥٧-

٢٥٨، ٢٦٦، ٢٧٧-٢٧٨، ٢٨٣).

وطلعوا إلى قاضي الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء، واتفق رأيهم على إقامة المذكور مقام عمه، وأخذوا الخلعة وطلعوا بها إلى دار السعادة وألبسوه إياها، واستقر الحال على أحسن ما يكون، وأخرجوا الجنازة وقت العصر، فصلّوا عليه، ودفنوه بالمعلا على والده. فكانت مدة دولته: أربع سنين إلا ثلاثة أيام، ومولده سنة اثنتين وخمسين وألف، فعمره سبع وأربعون سنة. وأسف الناس عليه، وحزنوا بموته، وراثه الشعراء بقصائد.

ومولد الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف، وسافر والده من مكة وهو عند مرضعه، وهذه الولاية الأولى من ولاياته شرافة مكة، وفرّق يوم السبت على العسكر جوامكهم^(١)، وزاد من أراد زيادته، وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد ثقبه بن قتادة، وكتب إلى ابن عمه السيد عبدالحسن بن الشريف أحمد بن زيد وإلى أخيه السيد مساعد بن سعد يخبرهم بذلك، وكانا ينيع، فأمرهم بالمقام هناك لحفاظة ما يليهم، وزينت البلد ثلاثة^(٢) أيام.

وفي جمادى الثانية يوم السادس منه ورد قاجي بخبر خلع السلطان محمد بن

(١) الجوامك: جمع جامكية، وهو اصطلاح شائع في العالم الإسلامي في القرون الوسطى المتأخرة، وهي ترادف كلمة راتب، وأصل الكلمة فارسية بمعنى لباس، وكانت الجامكية ملابس خاصة تصرف لأصحاب الوظائف الرسمية، وكانت الجامكية تعتبر جزءاً من الراتب المنتظم. أما بالنسبة لأمراء مكة فإن أول من صرفها منهم هو السيد بركات بن حسن بن عجلان، فكان يصرفها على الأمير الراكز (انظر: هامش صبح الأعشى ٥٢٤/٣، ٤٢/٤-٤٣، وتأصيل ما ورد في تاريخ الجبري من الدخيل ص: ٥٩).

(٢) في منائح الكرم: خمسة.

إبراهيم وتولية أخيه السلطان سليمان بن إبراهيم، ومعه مرسوم باسم الشريف أحمد بن زيد وقفطان، مضمون المرسوم: الإنعام على الشريف أحمد بحماية الحرمين الشريفين على ما كانت عليه أوائله، فحضر الشريف سعيد بالحطيم، والقاضي، والمفتي، وأعيان الناس، وقرؤوا المرسوم، ولبس الشريف سعيد القفطان، وخلع [على الناس]^(١)، ثم جلس في بيته للتهنئة.

وكتب الشريف سعيد عرضاً لصاحب مصر يطلب التقرير له على شرافة مكة، وبلغه أن الفقهاء يتكلمون فيما لا يعينهم، فبعث إليهم أن يلزموا منازلهم ويحفظوا ألسنتهم بعد التهديد لبعضهم من حاكمه القائد أحمد جوهر.

وفي غرة شعبان جاء الخبر بأن السيد أحمد بن غالب اعترض المكاتب والعرض الذي أرسله الشريف سعيد، وأخذه في ينبع ممن كان معه، وكان مرسلاً مع الشيخ محمد المنوفي، ثم كتب الشريف عرضاً آخر عليه خطوط العلماء، وعرفهم بواقعة الحال وما جرى من السيد أحمد بن غالب، وبعثه من جهة الشام، وكان الشريف أحمد بن غالب مقيماً بينبع، وبعث إلى صاحب مصر يطلب ولاية مكة، وبذل لصاحب مصر مالاً، يقال: إنه مائة كيس، وكان بمصر مال يجمع للفقراء من أهل مكة من باقي الحب نحو خمسة وسبعين ألف قرش، فقام إبراهيم بك القاسمي أمير الحاج المصري ويوسف آغا وكيل صاحب مكة، وأعطيا الباشا ذلك من قبل السيد أحمد بن غالب، وقاما في

(١) في الأصل: للناس. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١١٠).

توليته لكتب وردت إليهما منه، وتصالحا على ذلك، وأخذوا بعضاً من المال، واستخرجوا أمراً من الباشا بولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة، فجاء الأمر مع بعض أعوان الباشا، وبعثوا به إلى صاحب جدة ومعه أمر لصاحب جدة في تنفيذ ذلك، وأرسل صاحب مصر إلى أبواب السلطنة بطلب الولاية للشريف أحمد بن غالب.

فلما كان ليلة الرابع عشر من رمضان ورد من صاحب جدة [قاصداً]^(١) إلى قاضي الشرع وأغاة الانكشارية يعرفهم بأن صاحب السعادة صاحب مصر وصلنا منه أمر بأن مكة قد تولاها السيد أحمد بن غالب، وقد بعث إلينا السيد أحمد بعض الأشراف وأنهم واصلون إليكم مع مستلم مولانا الشريف أحمد بن غالب وهو السيد محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن، فطلع مولانا القاضي إلى مولانا الشريف سعيد وأخبره بذلك، فما أجاب إلا بالتصميم على القتال، وأنه لا يسلم مكة بأمر باشوي، وعلى فرض ذلك فكان وصوله إليك هو الواجب لا إلى صاحب جدة.

وفي تاريخ الرضي: أن الشريف سعيداً قال للقاضي: إن كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فليأتوا به، ونحن مطيعون للأمر السلطاني، وإن كان ليس بأمر سلطاني فحكم الباشا على مصر وصعيدها، يعزل فيه ويولي من شاء، وما دون مكة إلا السيف، فقال له القاضي:

(١) في الأصل: قاصداً. والنصوب من خلاصة الكلام (ص: ١١٠).

يا مولانا هذا وزير مصر يعزل ويولّي، فكذبه صريحاً، فقال: يعزل ويولّي مثلك، فلما تعقل القاضي كلامه بعث إلى صاحب جدة يحذّره عاقبة الأمر، فجاء جوابه بأنّا نادينا للسيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان، وأنه طالع إلى مكة مع قائمقام المذكور السيد مساعد، فلما بلغ مولانا الشريف سعيداً ذلك تأهب للقتال، وجمع عبيد ذوي زيد، وكلم العساكر، فظهر له إحجامهم، وبعث نحو عشرين خيلاً من عبيده إلى نحو جدة، فجاء النذير بأن صاحب جدة وصل هو وبعض الأشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب، ونزلوا الركابي بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة، وأن جماعة الشريف سعيد واجهوه، وقالوا له: لا تدخل مكة، فإن الشريف [سعيداً]^(١) غير مسلم للبلد بدون قتال أو أمر سلطاني، فقال لهم: إنه لا بد من دخول مكة، ثم جازوا للشريف سعيد بكتاب ظفروا به من قاضي مكة لصاحب جدة يأمر بالدخول ويخبره بأنه استمال له أغوات العسكر، فحفظ الكتاب وزاد في التحرز، وحفظ الطرقات، وأقام عسكرياً ببابه محافظين، وأقام آخرين في بعض البيوت التي على الطريق، ثم ظهر للشريف سعيد أن شيخ عسكره محمد البغدادي موافق للشريف أحمد بن غالب، وأنه بعث إلى صاحب جدة يأمره بالطلوع، وأنه عازم على تشييط العسكر، فأمر الشريف بقتله، فقتل بعد الاعتراف، وبعث إلى بيته من يثق به من العسكر، فقام عبيده وحموا منزله، فتواقعوا مع العسكر، ثم تكاثرت العسكر عليهم، وكسروا

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٠).

الباب، وقتلوا ثلاثة أعبد بعد جراحات حصلت، ونهب البيت، ولم يصبح له أثر.

ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العمرة، وجاء جماعة من الأشراف للشريف سعيد وأخبروه بأن الأمر قد خرج عنه، وأظهروا له التخلي عنه بالكلية، حتى أخوه وابن عمه، فلما رأى انحلال الأمر وكّل الأمر إلى الله تعالى، وقال: اليوم بعد اليوم، وأودع طوارفه^(١) السيد أحمد بن سعيد بن شنبر، وسار متوجهاً إلى الطائف، فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي ضحى يوم الجمعة ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف في آلاي أعظم من الحجون لباساً خلعة الباشوية ومعه جميع الأشراف، ونزل دار الشريف محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، وجلس للتهنئة، وحقن الدماء، وعزل كثيراً من أهل المناصب، وولى غيرهم^(٢).

ولاية الشريف أحمد بن غالب^(٣) سنة ١٠٩٩

وفي شهر القعدة جاء المرسوم السلطاني مضمونه: أن صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا رفع إلى الأبواب السلطانية، أنه بعد وفاة الشريف

(١) الطارف من المال: المُستحدث، وهو خلاف التالد والتليد (لسان العرب، مادة: طرف).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٠٩-١١٢). وانظر: منائح الكرم (٥/٥٠-٦٢).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١١٢-١٢٤)، والأعلام (١/١٩٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٢٣-١٢٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٥٩)، والمقتطف من تاريخ اليمن (ص: ١٧٢)، والمخلاف السليماني (١/٤٠٣-٤١٩).

أحمد بن زيد يستحق الشرافة الشريف أحمد بن غالب، وأن الأشراف راضون به، فحصل من السلطان الإنعام عليه بذلك، فقرئ المرسوم بالخطيم، ولبس الشريف أحمد القفطان الوارد، وجلس للتهنئة، وزينت البلد ثلاثة أيام.

ولما جاء الحج خرج للقاءه على العادة، وحج بالناس.

وبعد سفر الحج جاء الخبر: أن الشريف سعيداً توجه مع الحج الشامي إلى جهة والده^(١)، وجهاز الشريف أحمد بن غالب قاصداً إلى الروم أوائل سنة ألف ومائة بهدية سنّية، وجاء الجواب بالقبول في شوال مع مرسوم وخلعة، فقرئ المرسوم بالخطيم، وفتحت الكعبة للدعاء على المعتاد، ولبس الخلعة.

وفي سنة واحد ومائة وألف في أوائل الحرم تنافر الشريف أحمد بن غالب مع جماعة من الأشراف ذوي زيد، فخرجوا من مكة مغاضبين له، ولم يبق بمكة منهم إلا السيد عبدالحسن بن الشريف أحمد بن زيد، ووصلوا إلى ينبع، واستمالوا العرب^(٢)، واتفقوا على تولية الشريف محسن بن الحسين بن زيد، ونادوا له بشرافة مكة في ينبع، وأخذوا ستمائة إردب حب كانت هناك للشريف أحمد بن غالب، وكتبوا إلى صاحب مصر يعرفونه بإخراج الشريف أحمد لهم من مكة، وخرج جماعة من الأشراف من ذوي عبدالله وأخذوا

(١) الذي كان يقيم في مركز الدولة العثمانية بعد خروجه من مكة.

(٢) المقصود بهم القبائل البدوية هناك مثل جهينة وحرب وصبح.

القنفذة^(١)، ومنعوا الزالة^(٢)، وانقطع طريق اليمن، وكثر القطّاع في طريق جدة، وكثرت السرقة بمكة، ووقع القتل بها ليلاً ونهاراً.

ثم جاءه الخبر أنه نودي في جدة للشریف محسن بن الحسين بن زيد، فاضطرب حال الشریف^(٣) وفرّق العسكر في المدارس والطرق والشعاب، واضطرب الناس لذلك، ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضراً لصاحب جدة يسألونه عن هذا الأمر، ونزل به السيد عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نغمي ومعه السيد عبدالمحسن بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نغمي ومعهم جماعة من القاضي ومن أصحاب البلكات، فرجعوا وأخبروا بعدم الوفاق، ولم يزل الأمر يتفاقم.

وسبب انقلاب صاحب جدة على الشریف أحمد بن غالب: توليته وزارة جدة لابن حميد القرشي، فإنه ورد جدة وجعل يناقض الباشا في كل أمر، إلى أن تكدر خاطره بعد صفائه، فرجع لغدره بعد وفائه.

ثم جاء الخبر من الطائف بأن السيد حسن بن أحمد بن الحارث نادى في الطائف للشریف محسن بن الحسين بن زيد، وتدانّت الأشراف الذين مع

(١) القنفذة: مدينة صغيرة وميناء على ساحل البحر الأحمر .

تقدم التعريف بها (ص: ٤٠٢).

(٢) الزالة: سبق التعريف بها (ص: ٢٦٥).

(٣) حال الشریف أحمد بن غالب.

السيد أحمد بن سعيد إلى البلد، وأخذوا إبلاً للشریف أحمد بن غالب نحو خمسمائة ناقة من نحو السعدية.

ولم يزل الشریف أحمد في التحرز، وأمر عسكر اليمن بملازمته في الأروقة التي خارج المسجد ليلاً ونهاراً، ثم كتب أهل مكة عرضاً إلى صاحب مصر وإلى أبواب السلطنة، وينهون فيه ما وقع من صاحب جدة، وأكثروا فيه من [التشنيع]^(١) عليه.

وفي سادس رجب عقدوا مجلساً في الحطيم، حضره جماعة من الأشراف، والعلماء، والقاضي، فجعل مولانا الشریف يشكو للقاضي ما وقع من صاحب جدة في حقه، وأنه كان سبب تفرق الكلمة، وتفحل الأشراف عليه، وقد انقطعت السبل، وقد نادى في جدة للشریف محسن بن حسين بن زيد من غير أمر السلطنة، وأن مطلوبي أن تكتبوا لي حجة في تجويز مقاتلته؛ لئلا تنقم عليّ السلطنة. فقال له كبير آغا -سردار العسكر-: يا شریف! نحن محافظون لمكة، ندود عنها العدو ونقاتل، وأما الأشراف فهم بنو عمك، لا ندخل بينكم. وأما الباشا فتسأله عما فعل، فإنه لا يفعل شيئاً من ذاته في بلد السلطان.

فاتفق الأمر على أن يرسلوا إلى صاحب جدة رسولاً من القاضي، وانقضى المجلس عن شناعة ظاهرة، فأرسل القاضي رسولاً إلى صاحب جدة، فعاد بلا مراد.

(١) في الأصل: التشنيع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٣).

وفي هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع إلى جهة الشبيكة^(١)،
[وبعضها]^(٢) إلى جهة المعلا، وبعضها إلى جهة بركة ماجن^(٣) من جهة اليمن،
في كل جهة مدفعان.

وفي ثامن عشر رجب جاء الخبر: أن الشريف محسن بن حسين بن زيد
ومن معه نزلوا الزاهر، وأن السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر في أول
القوم، وأطلق الصنجق سبع مدافع لما نزل الزاهر، فركب من بقي مع
الشريف أحمد من الأشراف وغيرهم، وخرجوا إلى جرول ومعهم يبرق^(٤)
عسكر اليمن. وأخرج إلى جهة المعلا جماعة من العسكر وجماعة إلى جهة
البركة، والشريف أحمد بن غالب في بيته.

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن
زيد جماعة من الأشراف، فدخلوا مكة وقصدوا قاضي الشرع، واستدعوا
رؤوس البلكات، وأظهروا صورة بيوردي^(٥) باشوي، وطلبوا من القاضي
تسجيله، فامتنع، ومضمونه: تولية الشريف محسن، وطلب القاضي نفس

(١) الشبيكة: تقدم التعريف بها (ص: ١٠٠).

(٢) في الأصل: وبعضاً. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنايح الكرم
(١٠٣/٥).

(٣) بركة ماجن: أسفل مكة بدرب اليمن. وهي أحد المنتزهات التي كان يخرج إليها أهل مكة كل
مساء في زمن الصيف، وقد انتشر العمران الآن حتى تعداها (هامش شفاء الغرام ٤١/١).

(٤) يبرق: راية أو علم. وهي إحدى الرتب العثمانية العسكرية، ومعناها حامل العلم أو الراية (المعجم
الوسيط ٥١/١).

(٥) بيوردي أو بيورلدي: أمر صادر من ديوان الصدر الأعظم، أو أمر يصدر من قبل الوالي أو من
شابهه إلى صاحب مصلحة (معجم الدولة العثمانية ص: ٥٢).

اليوردي الباشوي، وثارَت الانكشارية؛ لعدم تنفيذ البيوردي الوارد صورته من الباشا، وهجموا على القاضي، وأعانتهم العامة؛ لما لحقهم من التعب، فهرب القاضي من سطح المدرسة، فلم يجدوه، وهبوا ما وجدوه، وأطلقوا البنادق على المدرسة، وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف، ودخلوا المسجد، ورموا في وسط الحرم^(١)، وتطاردوا ساعة، ودخل بعض العسكر مدرسة المفتي عبدالله أفندي عتافي زاده على أهله وعياله، وأرادوا قتله، ففرَّ منهم واستتر عنهم، ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد، وقتل رجل في المسجد من الهنود، وعزّل السوق^(٢).

ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبدالله بن سعيد، واجتمع بالشريف أحمد بن غالب، ثم خرج من عنده، وأرسل الشريف أحمد [لجماعة]^(٣) الشريف محسن بن حسين يطلب منهم أن يعينوا له رجلاً يودعه أطرافه، فعيّنوا له السيد أحمد بن سعيد، وطلب مهلة عشرين يوماً يتجهّز فيها.

ولما كان ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من رجب، خرج الشريف أحمد بن غالب إلى الحسينية^(٤) قاصداً جهة اليمن. ومدة دولته: سنة كاملة، وتسعة

(١) أي أطلقوا النار في الحرم.

(٢) المقصود بتعزيل السوق: إغلاق المحلات فيه عن البيع والشراء خوفاً من القتال والفوضى.

(٣) في الأصل: بجماعة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٤).

(٤) الحسينية: سبق التعريف بها (٢/ ٣٥٤).

أشهر، وعشرين يوماً^(١).

ولاية الشريف محسن بن الحسين^(٢) سنة ١١٠١هـ

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة في آلاي أعظم، ولبس قفطاناً كان [قد]^(٣) ورد للشريف أحمد بن غالب، فاحتبسه الشريف محسن عنده، وجلس في دار السعادة للتهنئة، وامتدحته الشعراء.

وكانت ولادة الشريف محسن بعد الخمسين وألف. نشأ في كفالة جدّه الشريف زيد بعد انتقال والده بعد الستين، ولم يزل إلى أن سافر إلى الأبواب مع عمّيه^(٤)، ثم انتقل قبلهم إلى مصر، وأقام بها، إلى أن رجع إلى مكة مع عمه الشريف أحمد، ثم خرج هذا المخرج، فرجع وقد كمل بدره وبذخ فخره.

وعاقب بعد دخوله مكة جماعة كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن غالب، فترع مفتاح الكعبة من الشيخ عبدالواحد بن محمد الشيبى، وأعطاه لأخيه الشيخ عبدالله بن محمد الشيبى - وكان أصغر من أخيه الشيخ عبدالواحد -

(١) خلاصة الكلام (ص: ١١٢-١١٤). وانظر ما سبق من الأخبار في: منائح الكرم (٧٠/٥-٧٣)،

٩٥-١٠٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/١٤٤-١٤٥، ١٥٦-١٥٨).

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٥٦)، والأعلام (٢٨٦/٥)، وأمراء مكة المكرمة

في العهد العثماني (ص: ١٢٥-١٢٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٦٠).

(٣) قوله: "قد" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١١٤).

(٤) الشريف أحمد بن زيد والشريف سعد بن زيد.

ومنع مولانا الشريف محسن الشيخ عبدالواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج زمن الحج، وما أخذ منه المفتاح إلا بعد أن عقد عليه مجلساً أحضر فيه القاضي والعلماء، وادّعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد ابن غالب جعلها سكة، وأحضر الصوّاعَ الذين سَكّوها، فسألهم الشريف فقالوا: سككناها بأمر الشريف أحمد، فسألهم: ما الذي سككتموه؟ فقالوا: أسورة وحجول. فقامت العامة فقالت: إنه من ذهب قناديل الكعبة التي مكّنه منها الشيخ عبدالواحد، وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين لذلك المجلس، إلى أن أخذت العامة الشيخ عبدالواحد بالأيدي، فقام الصنّجق وأخذه من أيدي العامة، ودخل به محلاً مختصاً من دار مولانا الشريف، وفرّغ أهل الشيخ عبدالواحد إلى السيد ناصر الحارث، فركب وأتى إلى دار مولانا الشريف، وخرج به إلى داره، ثم إن الصنّجق بعث إلى جدة يطلب الشيخ عبدالله بن محمد الشيبّي - وكان بمجدة -، فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء أن يدعي عند القاضي بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبدالواحد بالخيانة، وأنه أعطى الشريف أحمد بن غالب أربعة قناديل من الكعبة، فادّعى عليه، وأثبت ذلك بشهود - الله أعلم بهم -، فحكم القاضي بعزله عن هذه المكانة التي هي [حجابه]^(١) البيت الشريف، وألبس مولانا الشريف محسن الشيخ عبدالله، وأسلمه المفتاح، وخرج إلى بيته.

(١) في الأصل: حماية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٥).

ثم بعد يومين حضر هو وأخوه عند مولانا الشريف، فأمر كلا منهما بالعمل بحق الأخوة، وأن يكونا شيئاً واحداً، فتصافحا بحضرته، وتعاهدا على ذلك^(١).

وفي تاج تواريخ البشر للحضراوي^(٢) نقلاً عن العصامي^(٣): وكان الشريف أحمد بن غالب قد أحدث سكة بمكة يقال أنه سكّها من قناديل الكعبة الذهب التي أرسلت هدية للكعبة من ملك الهند، فلما تولى الشريف محسن بن حسين، قال الصنjq للقاضي: هذه السكة التي ظهرت في البلاد ما هي إلا غش وفساد في بلد السلطان، فقال الشيخ عبدالواحد الشيبى: والله يا مولانا يحتاج أن تبطلوا هذه السكة، فضجّ الخاص والعام من الناس، ووصفوه بالظلم والفساد، ونسبوا إليه أنه هو الذي أعطى للشريف أحمد بن غالب قناديل الكعبة ليسكّها^(٤)، ويتلف بها المعاملة، ثم يقول: الآن يحتاج أن تبطلوها.

والحال: أن المذكور تقوّلوا عليه بهذه الدعوة التي ليست لها ثبوت، ثم دخل بهم الصنjq على الشريف محسن، وعزل الشيخ عبدالواحد المذكور، ودعى الشيخ عبدالله الشيبى، وأتى له بقفطان بولاية المفتاح، فامتنع أن يلبسه الشيخ عبدالله حتى يكتب له حجة ويستلم المفتاح.

(١) خلاصة الكلام (ص: ١١٤-١١٥). وانظر الأخبار السابقة في: منائح الكرم (١٠٨/٥)،

١١٥-١١٧)، وإنحاف فضلاء الزمن (١٥٨/٢-١٥٩).

(٢) تاج تواريخ البشر (٣٠١/٢-٣٠٢).

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من سمط النجوم.

(٤) في تاج تواريخ البشر: ليسبكها.

وفي ثاني يومه دخل الشيخ عبدالله الشبي والصنjq إلى الشريف محسن، فألبس الشيخ عبدالله بعد صلاة العصر قفطاناً للمنصب المذكور، وركب إلى بيته على فرس الشريف، بين يديه السعاة وأرباب الدرك والعساكر.

وفي مستهل شعبان أرسل الشريف يطلب المفتاح من الشيخ عبدالواحد الشبي وأن يُخلي له بيت وقف السلطان مراد على من بيده المفتاح الكائن بالصفاء، فطلع للشريف فوجد عنده الشيخ عبدالله بن محمد الشبي، فسلمه إلى الشيخ عبدالله بحضرة الشريف، فقال له: يد فرغت في الأخرى، وأنت مثل [ولدي]^(١) عبدالمعطي، فسلم الشيخ عبدالله على يد الشيخ عبدالواحد^(٢)، وطلب منه مهلة في البيت إلى طلوع الطائف، فأمهله، ونزل الشيخ عبدالله إلى ولاية مفتاح البيت الحرام. انتهى.

واستمر عنده المفتاح إلى أوائل محرم سنة ثلاث ومائة وألف، وذلك سنة وخمسة أشهر إلا ثمانية أيام، وهي مدة ولاية الشريف محسن.

فلما ولي الشريف سعيد أعاد المفتاح للشيخ عبدالواحد، ثم طلب الشيخ عبدالواحد أن يكون المفتاح لابنه عبدالمعطي، وأفرغ ذلك له، فأجيب، ثم توفي ابنه عبدالمعطي سنة عشرة، فطلب الشيخ عبدالواحد ثانياً أن يكون لابن ابنه

(١) في الأصل: والدي. والتصويب من تاج تواريخ البشر (٢/٣٠٢).

(٢) أي قبل يده.

الشيخ محمد بن الشيخ عبدالمعطي، فأجيب لذلك، وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه، حتى صار أوحده زمانه وفريد أقرانه، [واستمرت سدانته]^(١) وشهرت بين أهالي مكة وواردها أمانته وديانته إلى أن توفي^(٢).

وفي سابع عشر شوال ورد الآغا بقفطان الاستمرار للشريف، ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الأمراء على المعتاد ولبس الخلعة، وحج بالناس.

وفي يوم النحر ظهرت بمنى كتب بأيدي السادة الأشراف، وأنها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن غالب، من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن، ومضمونه: الإنذار وطلب المواجهة، وأن القصد إليكم عن قريب، فاضطرب الحال بمنى، وحصل للعالم قلق عظيم.

ثم إن مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد التزول من منى، [وتجادلوا]^(٣) في هذا الأمر، فاقتضى رأيهم تعريف صاحب مصر^(٤) بذلك، وأمر صاحب جدة [بتحيين]^(٥) أموال التجار وضبطها بجدة، واشتد الأمر، وكثر القيل والقال، ثم ظهر أن

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١١٥).

(٢) انظر: إتخاف فضلاء الزمن (١٥٩/٢).

(٣) في الأصل: وتجاوبوا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٥)، ومنايح الكرم (١٢٢/٥).

(٤) أحمد باشا.

(٥) في الأصل: بتجهيز. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٥).

ذلك كله مختلق من مكة من بعض الأشراف^(١).

وأما الشريف أحمد بن غالب فإنه توجه إلى صنعاء، فأكرمه إمام صنعاء، وأراد أن يرسل معه جيشاً لتخليص مكة له، ثم مات الإمام وعاقه عوائق، فمكث في اليمن، ثم رجع إلى الركابي، فكانت غيبته في اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر.

وفي أواخر ذي الحجة وقع بيد مولانا الشريف عرض حال إلى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الأشراف، مضمونه: عدم الرضا بالشريف المذكور، فعاتبهم على ذلك ولام.

ثم إن السيد عبدالله بن هاشم خرج مغاضباً مع السيد أحمد بن [سعيد]^(٢) ابن شنبر، وأخذوا الطريق على المارة، وارتفعت الأسعار بسبب ذلك، واشتد الأمر، ونهبت أموال من طريق جدة، ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين في شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف، ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد، واتفقوا على أن المنكسر للسادة الأشراف وقدره أربعة وعشرون ألف قرش يقطع منه الثلث [ويعطيهم الثلث]^(٣)، ويصبرون على الثلث الباقي إلى أن ترد المراكب، وكتبوا بذلك وثيقة، ومأطلمهم في تسليم الثلث إلى أن ورد مكة قاصداً معه قفطان بالاستقرار لمولانا الشريف، ودخل مكة في آلاي أعظم عاشر صفر، وقد نزل مولانا الشريف المسجد، وحضر القاضي، والمفتي،

(١) انظر: منائح الكرم (١٢٢١/٥-١٢٢٢).

(٢) في الأصل: سعد. وقد سبقت على الصواب في عدة مواضع كما أثبتناه.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١١٦). وانظر: منائح الكرم (١٢٢٧/٥).

والفقهاء، والأشراف، وقرئ المرسوم بالخطيم، وألبس مولانا الشريف الخلعة، وقرأ بعده ثمانية أوامر، منها: أن تُعطى السادة الأشراف ما كان لهم من غير زيادة تضر بمولانا الشريف، والتحرز من المخالفة، وأمران من الوزير مخاطباً بهما أصحاب البلكات بالأمر بالطاعة لمولانا الشريف، وأمران من صاحب مصر، أحدهما: بالتعريف بمضمون الأوامر السابقة، والثاني: مخاطباً به أصحاب البلكات بالسمع والطاعة، ولم [تعتن]^(١) السلطنة بغيره مثل ما اعتنت به من هذه المخاطبات^(٢).

وفي أوائل جمادى الثاني تفرقت كلمة الأشراف وخرجوا إلى الطرقات، وأكثروا النهب في طريق جدة وغيرها، وأخذوا ذخيرة للصنjq من جدة، واشتد الحال على الناس، حتى أن الصنjq صار لا يقدر على إيصال الذخيرة من جدة إلى مكة إلا بعسكر ويرق^(٣).

وفي ثالث رجب اجتمع القاضي وسراير العسكر بمولانا الشريف وأسمعوه غليظ القول، بحيث إنهم قالوا له: إن كنت عاجزاً عن إصلاح البلد فعين لهذا المنصب من يقوم به، فكان عذره أن قال لهم: إن الأشراف لا تقاتل بني عمها، وإذا أردتم الخروج بالعسكر المصري فأنا أخرج بهم، فأمرهم القاضي بالخروج ومقاتلة من قاتلهم، فقال كبار العسكر: نحن حفظة لمكة، ليس هذا الأمر مما بعثنا إليه.

(١) في الأصل: تعني.

(٢) انظر: منائح الكرم (١٢٤/٥-١٢٥، ١٢٧-١٢٨).

(٣) انظر: منائح الكرم (١٣١/٥).

ولم يزل الأمر يتفاقم، ولا يطلع أحد من جدة إلا مع عسكر وأشراف تصحبهم من جدة إلى مكة، ثم يرجعون بهم ولا يرد من جدة إلا حَبَّ العسكر، وارتفع السعر.

ثم لما كان أواخر ذي القعدة ورد الخبر بوصول الشريف سعيد بن سعد ابن زيد المدينة متوجهاً إلى مكة، فاخبط العالم، وكثر القيل والقال، ثم ورد الخبر أنه وصل وادي مرّ، وأرسل رجلاً إلى مكة يطلب الدخول، فقال الشريف محسن: لا يدخل مكة إلا بأمر سلطاني إن كان متولياً، ثم وصل الشريف سعيد إلى فح، ثم انتقل إلى ريع أذاخر^(١)، واستمر هناك^(٢).

ودخل شهر ذي الحجة، وحج مولانا الشريف محسن بالناس، ولم يحج الشريف سعيد، واستمر بريع أذاخر إلى أن سافر الحج الشامي والمصري، فخرجت الأشراف عن طاعة مولانا الشريف محسن، وعاد الأمر إلى انقطاع الطريق ونهب الأموال^(٣).

وهلّ شهر الحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الألف ومائة ففرقت العسكر من يد مولانا الشريف، ولم يبقَ معه من يعول عليه، ونُمي إليه أن الشريف

(١) أذاخر: جبل يشرف على الأبطح من الشمال، ويتصل بالحجون من الشرق، ولا زالت هناك ثنية تعرف بثنية أذاخر، منها دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، وريع أذاخر لا زال معروفاً بمكة حتى الآن (معالم مكة التاريخية ص: ٢٢-٢٣، والأزرقي ٢/٢٨٩).

(٢) انظر: منائح الكرم (١٣٣/٥-١٣٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (١٦١/٢).

(٣) انظر: منائح الكرم (١٣٥/٥-١٣٧)، وإتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

[سعيداً]^(١) والسيد عبدالله بن هاشم كل منهما يطلب هذه المتزلة، فطلب من صاحب جدة أن يبعث له عسكرياً يبيتون بالباب، فباتوا ليلة ثالث الحرم، ثم طلع صاحب جدة والقاضي لمولانا الشريف، وتذاكروا في هذا الأمر، فاقضى الحال أن يركب الصنجدق وستمائة من العسكر ليعدوا الشريف سعيداً. فلما وصل سوق المعلا خرج في ساقته السيد مساعد بن سعد، والسيد عبدالمحسن ابن أحمد بن زيد، وجماعة آخرون، واعترضوه عند النسفي، فردّوه مكرهاً، وأخبروه أنه إن جاوز هذا الحدّ قتل، فرجع وبات بذى طوى، ثم سار إلى جدة.

ولما كان يوم السبت سادس محرم نزل مولانا الشريف سعيد إلى المعلا بالدفتردارية، ولاذّ به بعض عسكر الشريف الذين نفروا عنه، واجتمعت عليه العامة، فلما بلغ ذلك عسكر مصر طلّعوا إلى القاضي، فاستدعى القاضي بعض الأشراف وبعض وجوه الناس، وبعثوا إلى الشريف سعيد يسألونه عن هذا الفعل، فقال: مرادي أنزل دار أبي، فمن يمنعني؟

وجاء الخبر إلى مولانا الشريف محسن، فترّل عن شرافة مكة لمولانا السيد مساعد بن سعد، وجاء السيد مساعد إلى القاضي لتسجيل هذا التزول، فجاءهم الخبر أن الشريف سعيداً وصل المسعى، فخرج مولانا الشريف محسن من دار السعادة إلى منزل السيد ثقبه بن قتادة. ولم يزل الشريف سعيد سائراً

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٧).

إلى أن دخل منزل أبيه، والمنادي ينادي بين يديه بأن البلد له، وليس معه أحد غير العامة^(١).

الولاية الثانية للشریف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣

فلما بلغ ذلك أخاه السيد مساعداً نزل عما نزل له به الشریف محسن من المكانة، بحضرة القاضي، والمفتي، وكبار العسكر، فسجل ذلك، وبعث له القاضي بقفطان نيابة عن مولانا السلطان، فلبسه في منزله، وجلس للتهنئة، ومدحته الشعراء، ونودي له في البلد بالزينة سبعة أيام، ولم يخالف أحد من الأشراف، فولي مكة مولانا الشریف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن، وجلس للتهنئة يوم الأحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الألف^(٢).

فكانت مدة ولاية الشریف محسن بن الحسين بن زيد: سنة، وخمسة أشهر إلا ثمانية أيام. وهذه الولاية الثانية للشریف سعيد، وتقدمت الأولى عند موت عمه الشریف أحمد، وكلاهما بغير أمر سلطاني.

وكتبوا إلى الباشا صاحب جدة، فامتنع من النداء له، ثم روجع في ذلك فوافق، ونادى له بجدة سلخ محرم. ثم خرج جماعة من الأشراف مغاضبين للشریف سعيد^(٣).

(١) خلاصة الكلام (ص: ١١٥-١١٧). وانظر: منائح الكرم (١٣٧/٥-١٤٠).

(٢) انظر: منائح الكرم (١٤٠/٥).

(٣) انظر: منائح الكرم (١٤١/٥).

وأما الشريف محسن فإنه توجه إلى المدينة، وأخبرهم أنه خرج من مكة قهراً، وأنه آثر عدم القتال، وأن الشريف سعيد تولاهما من غير رضا الأشراف، فتوقف شيخ الحرم من النداء للشريف سعيد بالمدينة، وأجرى على الشريف محسن ما يقوم به، ثم جاءهم كتاب من مولانا الشريف سعيد ومعه خطوط القاضي والمفتي والعلماء بصورة الواقعة، فنادى له بالمدينة، ودعا له على المنبر يوم الجمعة رابع عشر صفر، وأمر القاضي الشريف محسناً بالخروج من المدينة خوف الفتنة، فخرج عنها، وأرسل الشريف سعيد أخاه السيد دخيل الله بن سعد ومعه ثلاثمائة من العسكر إلى القنفذة لإخراج الأشراف [الذين]^(١) فيها، وجاء الخبر سابع ربيع الثاني أنه التقى معهم وانتصر عليهم، وقتل من الأشراف خمسة، ومن العسكر [كثيراً]^(٢)، وأنه دخل القنفذة بعد هروب من فيها، واختببت الأشراف بمكة لذلك، ثم إن الأشراف الذين أخرجوهم من القنفذة جاؤوا إلى طريق جدة وأخذوا قفلاً^(٣)، فبعث مولانا الشريف سعيد عسكراً يترصدونهم في الطريق^(٤).

وفي ليلة الاثنين [الثاني]^(٥) من جمادى الأولى ورد قفطان ومرسوم من صاحب مصر فأدخلوه في آلاي إلى أن وصل لباب السلام، ودخل الحطيم،

(١) في الأصل: الذي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١١٨).

(٢) في الأصل: كثير. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) أي قافلة (لسان العرب، مادة: قفل).

(٤) انظر: منائح الكرم (١٤٢/٥ - ١٤٤).

(٥) قوله: "الثاني" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١١٨).

ونزل مولانا الشريف سعيد وبعض الأشراف ووجوه أهل مكة، فقري المرسوم، ومضمونه: أنه وصل إلينا واتصل بمسامعنا أن مولانا الشريف محسن ابن الحسين بن زيد نزل عن الشرافة للشريف سعيد، وما أحسن هذا، يد فرغت في أخرى، وأن الواصل إليكم قفطان من جانبنا، وأمر آخر مخاطب به العسكر المحافظون، مضمونه: أن يكونوا تحت أمر مولانا الشريف، والحذر من المخالفة إلى أن يأتي الأمر السلطاني من الأبواب، فلبس مولانا الشريف سعيد القفطان الوارد، وخلع على من يستوجب ذلك في مثل ذلك اليوم، وطلع داره، وجلس للتهنئة^(١).

ولما كان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية ورد سلحدار^(٢) مولانا الشريف سعد بن زيد ومعه صورة أمر مولانا السلطان^(٣) بتفويض أمر الأقطار الحجازية لمولانا الشريف سعد بن زيد، وخلعة سلطانية للشريف سعيد؛ ليكون نائباً عن أبيه الشريف سعد، فترل مولانا الشريف سعيد إلى الحطيم في جمع من الأشراف، وحضر القاضي، والمفتي، وأكابر العساكر، ووجوه الناس، وقرئ الأمر الوارد، ومضمونه: إنه لما بلغنا عجز الشريف محسن عن حفظ الديار المكيّة، أنعمنا على الشريف سعد بولاية مكة والمدينة، وضبط العربان

(١) انظر: منائح الكرم (١٤٤/٥-١٤٥).

(٢) السلحدار: هو الموط يحمل سلاح السلطان، أو الأمير الذي هو في خدمته. وفي وظيفته أيضاً الإشراف على دار السلاح (سلاح خاناه). ولفظ السلحدار مركب من كلمتين، أولاهما عربي ومعناها: آلة القتال، والثانية فارسية ومعناها: ممسك، ويكون المعنى: ممسك السلاح (صبح الأعشى ص: ١٨٢، والقاموس الإسلامي ٤٢٣/٣).

(٣) أحمد خان بن إبراهيم خان (انظر: منائح الكرم ١٤٥/٥-١٤٦).

والأشراف، وحفظ الحجاج، وقلدناه جميع الأقطار الحجازية من غير مراجعة في ذلك، إلى غير ذلك من الوصاية على الفقراء وأصحاب الوظائف. وأمر آخر من صاحب مصر مخاطباً فيه مولانا الشريف سعيداً، وقاضي الشرع، وبلكات العساكر، مضمونه: حكاية الواقع، وأن مولانا السلطان أنعم بشراقة مكة لمولانا الشريف سعد قبل وصول عرضنا إليه، وأنه أقام نائباً عنه بمكة مولانا الشريف سعيداً إلى وقت وصوله، فالله الله بالطاعة وعدم المخالفة. وكتاب ثالث من مولانا الشريف سعد إلى نجله^(١) ذي الشرف المنيف، مضمونه: التعريف بالواقع، وأنه قائم مقامه في الوصاية، إلى غير ذلك^(٢).

ولم تزل الأخبار تتوارد بمجيء مولانا الشريف سعد إلى أن وصل الحج، فجاء معه فدخل مكة ليلاً، وطاف وسعى، ورجع إلى الزاهر، ودخل وقت الضحى في آلاي أكبر من الشبيكة، ولم يزل إلى أن دخل المسجد، وحضر القاضي، والمفتي، والعلماء، والأشراف بالحطيم، ودخل قاجي بالأمر السلطاني، فقروا بالحطيم، ولبس الخلعة السلطانية، وصعد إلى داره للتهنئة، ومدحته الشعراء^(٣).

الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣

وهذه الولاية الثانية لمولانا الشريف سعد. وبين انفصاله من الولاية الأولى وهذه الولاية: إحدى وعشرون سنة، وهي مدة غيبته.

(١) المقصود به: الشريف سعيد.

(٢) انظر: منائح الكرم (١٤٥/٥-١٤٧).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١١٧-١١٩). وانظر: منائح الكرم (١٥١/٥-١٥٢).

وفي سنة خمس ومائة وألف، خرج جماعة من ذوي عبدالله بن حسن بن أبي نمي مغاضبين لمولانا الشريف سعد إلى جهة اليمن، واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة^(١).

وتفاقم الأمر، وشرع أهل الفساد في التلصص والسرقات بمكة، إلى أن أمر مولانا الشريف بعض الأشراف أن يعسّ مع العسكر، ثم أذى الأمر إلى أن يخرج بنفسه في الليل مخفياً ليصادف أحداً من المفسدين^(٢).

وفي تاسع عشر شعبان جاءت كتب من الشريف أحمد بن غالب لبعض الأشراف يطلبون له الإذن بدخول مكة، فامتنع أكابر العسكر^(٣).

ثم جاءت الأخبار بأن الشريف أحمد بن غالب هجم على القنفذة، فدخلها قهراً، ثم جاء الخبر أنه سار متوجهاً إلى مكة، فوصل الليث، ونادى باسمه، وأخذ الزالة من أصحاب الجلاب^(٤).

ولم يزل ينتقل في المنازل إلى أن طرقة وصول إسماعيل باشا من جهة الروم، ومعه محمد باشا صاحب جدة، فاضطرب حاله، ثم كاتب مولانا الشريف سعداً، وذكر له: أنه ليس لي بمكة حاجة، وإنما أنا عابر سبيل، فأذن له بدخول

(١) انظر: منائح الكرم (١٦٥/٥).

(٢) انظر: منائح الكرم (١٦٦/٥-١٦٧).

(٣) انظر: منائح الكرم (١٧٣/٥).

(٤) انظر: منائح الكرم (١٧٥/٥، ١٧٧-١٧٨).

مكة، فجاء وحج، ثم نزل ببلاده الركابي^(١).

وما زال الشريف سعد نافذ الكلمة، حسن الذكر عند الدولة العلية، إلى أن حصل الكدر بينه وبين صاحب جدة محمد باشا، المتولي عليها من قبل السلطنة بأسباب أوجبت المشاحنة والمباغضة، وصدرت منه سعايات في الشريف المذكور عند الدولة العلية، ثم عزل عنها وتوجه إلى الأبواب العثمانية، واجتهد فيما هو بصدد، حتى غير خاطر الدولة عليه، وصممت على عزله، فبعث محمد باشا المذكور وجردة من العسكر ليسير بهم إلى مكة صحبة الحاج الشامي، وعلى الحاج إسماعيل باشا أميراً بعساكره وخيله، وأوصتهما بأن تكون كلمتهما واحدة، ويتعاضدا على عزل الشريف سعد وتولية السيد عبدالله بن هاشم إمارة أقطار الحجاز، فوصلا جميعاً إلى مكة المشرفة، فخرج مولانا الشريف سعد للبس الخلعة على المعتاد، وكان مع إسماعيل باشا عسكر كثير، وضم إليهم العسكر المصري، فلما قرب من موضع الخلعة المعتاد [تقدم]^(٢) جماعة من عسكر إسماعيل باشا يريدون أن يحيطوا بالشريف، فاتسع إلى جهة يساره، فظنت الأشراف حدوث واقعة، فانهمزوا راجعين، وثبت مولانا الشريف، وتواقع أطراف العسكر مع عسكر مولانا الشريف، فلما شعر إسماعيل باشا بهذا بعث [بالقفطان]^(٣)، فلبسه

(١) انظر: منائح الكرم (١٧٩/٥).

(٢) في الأصل: وتقدم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٢٠).

(٣) في الأصل: القفطان. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

مولانا الشريف، ورجع. ووقع بمكة اضطراب وتشويش لأهل البلد، وعزل السوق، ثم بعث [إليهم]^(١) مولانا الشريف بما محصله^(٢): إن كان معكم أمر بعزلي، فأنا طائع للسلطان، فانزلوا فاقرووه بالحرم الشريف، وإن لم يكن الأمر كذلك فأخبروني عن سبب هذه العساكر، وابتعوا لي بالأمر السلطاني الذي يقرأ يوم النحر لأنظر فيه، فلم يعيدوا له جواباً شافياً، فبات ليلة سبع^(٣) سنة ألف ومائة وخمسة^(٤).

ولما كان يوم السبت سابع ذي الحجة طلع أمير الحج، ويوسف آغا شيخ الحرم المدني، وسراير العسكر، وقاضي الشرع، والمفتي إلى بستان حميدان، وكان إسماعيل باشا نازلاً به، فلما أن وصلوا بعثوا إلى مولانا السيد عبدالله بن هاشم بن محمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نجي، وأظهر محمد باشا أمراً سلطانياً فيه: عزل مولانا الشريف سعد، وتولية السيد عبدالله بن هاشم شرافة مكة، فألبسه إسماعيل باشا ققطاناً في المجلس، وأمره بالتزول إلى البلد، فركب ومعه محمد باشا والأمر السلطاني بين أيديهم، والمنادي ينادي بالبلد للشريف عبدالله بن هاشم.

فلما وصلوا المخنطة^(٥) جاءهم الخبر: أن بعض جماعة الشريف سعد سطوا

(١) قوله: "إليهم" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٢٠).

(٢) محصله: أي خلاصة الأمر (لسان العرب، مادة: حصل).

(٣) المقصود ليلة سبع من ذي الحجة.

(٤) انظر: منائح الكرم (٥/١٧٨-١٨٢).

(٥) الحنط: باع الحنطة، والحنطة حرفته. والمقصود: مكان بيع الحنطة، أي البئر. (لسان العرب، مادة: حنط).

في المنادي، وحصل عليهم الرمي، وتحصّن مولانا الشريف سعد في داره وحصر عن الوصول، واستمروا إلى صلاة الظهر، ونزل مولانا الشريف عبدالله بن هاشم بدار الشفاء وبقيت العساكر، وانضمت إليهم العرب والانكشارية، وملكّت جماعة مولانا الشريف جبل أبي قيس^(١)، فانحازوا إلى المسعى، ونهب جماعة الشريف سعد بعض دور الأتراك، وقتل جماعة في المسعى، ونهب رباط الهندية بسوق الليل، وبعض دور مكة.

ولما طال الأمر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ مدفعاً وجاء به إلى باب السدة المسمى بباب العتيق^(٢)، وأراد رميه على بيت الشريف سعد، فأصيب طبعه^(٣) برصاصة مات بها، فنقل المدفع عن ذلك المحل، ورجع به المسعى، وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى، واستمر الحال إلى الليل. فلما رأى مولانا الشريف سعد أن الأمر يطول، رحل ليلاً هو وابنه الشريف سعيد إلى جهة الحسينية، ثم إلى اليمن، وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد، فجمع محمد باشا القاضي المتولي

(١) أبو قيس: الجبل المشرف على الكعبة المشرفة .

سبق التعريف به (ص: ١٦).

(٢) نسبة إلى عبدالرحمن بن عبدالله بن عتيق الحضرمي، وزير الشريف حسن بن أبي نهي، وكان يسكن بجوار باب العتيق، وكان يسمى باب ابن العتيق نسبة له، ثم حرّقه العامة إلى باب العتيق (عن حياته وأعماله، انظر: منائح الكرم حوادث سنة ١٠١٠هـ، والأزرقى ٩٣/٢، وأعلام العلماء ص: ١٣٩).

(٣) الطبعي: المدفعي الذي يقوم بإطلاق قذائف المدفع (التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية ص: ٤٣-٤٥).

والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالخطيم^(١).

ولاية الشريف عبدالله بن هاشم^(٢)

وأظهر الأمر السلطاني ملخصه: أن مولانا السلطان عزل الشريف سعداً عن شرافة مكة؛ لأمر بلغته، وأنه أنعم بها على مولانا الشريف عبدالله بن هاشم بن محمد بن عبدالمطلب بن حسن بن أبي نجي، وألبسه القفطان، وركب من باب السلام، وطاف شوارع مكة والمناادي ينادي بالبلد له، ونهبت العسكر منزل مولانا الشريف سعد، ونحو عشرة بيوت من بيوت ذوي زيد.

ثم إن مولانا الشريف عبدالله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لحمد باشا، وقال له: إن هذا النهب لا نرضاه، واسترد بعض أشياء لا تذكر، [وسلم ذلك]^(٣) لبعض خدم مولانا الشريف سعد، وعد من قتل ذلك اليوم فكان زهاء مائة رجل، ولم يحج أحد من أهل مكة إلا القليل، وأخذ بعض الحجاج في طريق منى، ونهبت عتيبة^(٤) بعرفة من الحاج قبل وصول الأمراء، وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن، ثم بعد الحج خرج جماعة إلى جدة فأخذوا، فاحتاج الأمراء إلى أن تجمع أهل جدة ويترلوا دفعة واحدة، ولم يزل

(١) خلاصة الكلام (ص: ١١٩-١٢١). وانظر: منائح الكرم (١٨٢/٥-١٨٤).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٢١-١٢٤)، وتاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٥٧)، والأعلام (١٤٣/٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٢٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٦٣-٢٦٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٢١).

(٤) عتيبة: إحدى القبائل الكبيرة شرق الحجاز ونجد، كانت ديارها حرة الحجاز شمال مكة على مدركة ورهاط ممتدة شرقاً وجنوباً إلى الطائف، وتمتد اليوم ديار عتيبة من رهاط غرباً إلى قرية العطف شرقاً. (معجم قبائل الحجاز (ص: ٣١٥-٣٦٦)).

الأمر في شدة، وصار [الناس]^(١) يتزلون إلى جدة ببيرق عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف^(٢)، وأخذت قافلة، فانتدب الشريف أحمد بن غالب وهو ببلده الركاني، فأرجع البعض إلى أهله.

وما زال الشريف أحمد بن غالب بالركاني معتزلاً عن شريف مكة، ومولانا الشريف عبدالله بن هاشم كان يحب أن يواليه ليكون معيناً له وليأمن من شره، فلم يزل يتلطف به إلى أن [وافقه]^(٣) على المعاملة، فلزم مولانا الشريف، وطلب من الباشا أن يكتب له حجة بأن دخوله برضا مولانا الشريف وضمانته، أن لا يقع منه ما يضر بالرعية، فكتب له، وضمن مولانا الشريف أنه ما يقع منه خلاف، فدخل مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب سابع صفر، واجتمع بمولانا الشريف عبدالله بن هاشم، ثم اجتمعا مع الباشا، وأرسل الباشا له هدية.

وفي أواسط ربيع الأول جاء خبر بقوة الشريف سعد في بندر القنفذة وأنه أخذ عشورها، وانعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف حضره الباشا، والقاضي، والمفتي، واتفقوا على إرسال عسكر للقنفذة، وطلبوا دراهم من التجار، فامتنعوا، ثم حبسوا، فأخذوا من بعضهم، ثم أطلقوا، ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد بن غالب، مضمونها: أن ما وقع من السلطنة إنما كان لما وصلهم من الأعداء أني قتلت شيخ الحرم

(١) في الأصل: التزل. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١٢١).

(٢) في الأصل زيادة: باشا. وانظر: خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومناح الكرم (٥/١٨٨).

(٣) في الأصل: وافق. والتصويب من خلاصة الكلام ومناح الكرم، الموضعان السابقان.

المدني وبعض الأروام بمكة، ونهبت الحُجرة، وكل ذلك لم يكن. وأنا داخل البلد أطلب شرع الله^(١)، وحجة من القاضي أتوجه بها إلى الأبواب السلطانية، فإياكم والمنع، فإني مقاتل على الدخول من قاتلني، فاستدعى الشريف أحمد آغاوات العسكر وأخبرهم أن الشريف سعداً متعدّ، وعرفوا الباشا بذلك في جدة، فطلع الباشا من جدة ومعه العساكر، وجاء الخبر بأن الشريف سعداً وصل الليث مقبلاً، ففرّق العساكر على جبال مكة، وعمر المدارس، وفرّق المدافع في الطرق.

وفي غرة ربيع الثاني نادى منادي مولانا الشريف عبدالله بن هاشم في البلد بالنفير العام، فاغتمّ الناس لذلك.

وفي ثالث ربيع الثاني وصل السيد أحمد بن حازم بن عبدالله والسيد عنان ابن جازان من عند الشريف سعد، وأخبرا بأن الشريف سعداً في أقوام عظيمة لا تكاد توصف، فاجتمع مولانا الشريف عبدالله بن هاشم ومولانا الشريف أحمد بن غالب عند الباشا من الضحى إلى الظهر، واستدعوا كبار العسكر المصري من السبع بلكات، ثم خرجا من عند الباشا، ثم إن الباشا كتب صورة فتوى كتب عليها المفتي عبدالله عتافي، وأمر العلماء بالكتابة عليها، ومضمون ذلك: جواز قتال الداخل على صاحب مكة، وأن القائم بأمرها مخاطب بذلك، وجميع من بها من أرباب الدولة وذوي القدرة على الدفاع، فكتبوا عليه.

(١) أي القضاء.

وفي ليلة رابع ربيع الثاني تفرقت عساكر مصر، عند كل رئيس منهم جماعة، وباتوا ساهرين إلى الصبح، مخافة أن يدهموا ليلاً، ولم يزالوا كذلك إلى ليلة السابع من ربيع الثاني.

وفي صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلا مكة، فكان أول من قام في هذا الأمر والقتال الشريف أحمد بن غالب، فركب في خيله وسلاحه وجماعته ومن يلوذ به، وأظهر الهمة، وكذا من معه من الأشراف، وطلع بهم المعلا هو ومولانا الشريف عبدالله ابن هاشم.

ثم إن مولانا الشريف سعداً لما وصل إلى المعابدة^(١) عند بستان الوزير عثمان حميدان، رجع مولانا الشريف ومن معه إلى مكة، وانطلقت العربان على جبال مكة والمتارس فذبحوا مَنْ بها، وفرَّ مَنْ فرَّ، واستولوا على المعلا، ثم انطلقوا إلى ما حول البلد من المتارس، وشرع القتل في المعلا في جماعة الشريف أحمد بن غالب والشريف عبدالله بن هاشم إلى أن قتل أغلبهم، وأسعف الله بمطرٍ أبرد ما كان هناك بالمتارس من النار، وفرَّق بين الفريقين، ونزل الشريف عبدالله والشريف أحمد بن غالب من المدعا إلى باب السلام، ودخل الليل. فلما أصبحوا رجع الأمر إلى ما كان من الحرب والقتل، والسيف يعمل،

(١) المعابدة: سبق التعريف به (ص: ٢٠٦).

والعسكر تقتل، وكان ذلك يوم الجمعة، فما جاء وقت الصلاة إلا وقد ملكت العرب جبل أبي قبيس، وعطف جماعة منهم على جباد^(١).

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٢): فلما أصبح يوم الجمعة استولت عرب الشريف سعد على جميع ما في الجبال، مثل القروود ويأجوج ومأجوج، ونزلوا على شعب عامر^(٣) ونهبوه، ونزلوا على أجياد فنهبوه، ونهبوا بيوت الأشراف، فوصل الخبر إلى عبدالله بن هاشم وأحمد بن غالب بأن بيوتكم نُهبت، ففزع السيد أحمد بن سعيد بن شنبر ومعه جمع من الأشراف، فحموا بيوتهم.

وأما العسكر الذين كانوا في الدفتردارية وفي الجينة [فتبعوا]^(٤) معهم البدو، فاقتحموا عليهم جدار المصلى، ودخلوا عليهم وعلى أهل الدفتردارية، وقتلوا غالبهم، وقتلوا من الحافظية ناساً كثيراً، ولا سَلَمَ إلا مَنْ هرب، فلما رأوا أهل السردارية ما وقع بأصحابهم سَلَمُوا وطلبوا الأمان، فأرسل لهم الشريف سعيد منديل الأمان؛ لأنه كان عند قبة أبي طالب واقفاً، والشريف سعد في بستان عثمان حميدان، وجاء مرسل الشريف سعيد فأرسل إلى والده،

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٢١-١٢٤). وانظر: مناحي الكرم (٥/١٨٤-١٩٦).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٩٣-١٩٤).

(٣) شعب عامر: شعب بمكة عليه حي من أشهر أحيائها يجاور شعب علي من الشمال، يصب من الخندمة في الغزة (معجم معالم الحجاز ٥/٦١).

(٤) في الأصل: فعبوا. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (٢/١٩٣).

فأمّتهم، فدخلت خيل الشريف سعد إلى الخريق^(١) فانتشرت فيه وفي شعب عامر، فلما رأى الشريف عبدالله وأحمد بن غالب أن سعداً استولى على مكة، طلعا من القرارة^(٢) على سويقة^(٣) إلى بيت الباشا، وحاولاه أن يركب معهم إلى جدة ويتحصنوا فيها، ويرسلوا يعرفوا السلطان بما صار، فقال: لا أخرج عن بيتي ولو قتلت، فعزم الشريف عبدالله وأحمد بن غالب إلى الشيكة، وجلسا على دكة الشيخ البيتي وصليا العصر على الدكة، ثم رجعا إلى الباشا وحاولاه على الخروج معهما فامتنع. اهـ.

فلما ظهر للسادة الأشراف ما ظهر من تلك الأمور والأحوال العظيمة خرج الشريف عبدالله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب ومن معهم من الأشراف متوجهين من أسفل مكة إلى الركابي بين مكة وجدة، بلد مولانا الشريف

أحمد بن غالب، ونزلا به، ثم ارتحلا إلى الديار الرومية إلى أن توفيا بها، فتوفي الشريف أحمد بن غالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، وتوفي الشريف عبدالله ابن هاشم في السنة المذكورة أيضاً.

(١) الخريق: واد من أودية الحجاز الغورية ذو شعبتين: مسر الشامي ومسر الجنوبي، وتجتمع الشعبتان في مقرن يسمى مقارن مسر، وبعدها يسمى الوادي الخريق إلى أن يدفع في الخبت بطرف وادي قديد من الجنوب (معجم معالم الحجاز ١٢٠/٣).

(٢) القرارة: حي من أحياء مكة في قرارة شمال الحرم في جبل قعيقعان تفصل جبل شيبة شرقاً يصعد إليها من الفلق، كانت تعرف بقرارة جبل شيبة (معجم معالم الحجاز ١٠٥/٧).

(٣) السويقة: سبق التعريف بها (ص: ٤٢١)، هامش (١).

ومدة دولة مولانا الشريف عبدالله بن هاشم: أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان.

وبعد ارتحال الشريف عبدالله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب إلى الركائي، اجتمع ناس من العلماء عند القاضي، وقالوا له: إن كان لهذا الباشا قدرة على دفاع هذا الرجل فليخرج لدفاعه، فإن جلوسه في بيته -وقد استحرّ القتل بعسكره- مضرّ به وبالناس، وإن لم يكن لكم قدرة على دفاعه، فالواجب عليكم درء هذه الفتنة بالنداء للشريف سعد، فاقضى رأي الجماعة حضور شريف من كبار الأشراف، فطلب القاضي حضور السيد أحمد بن سعيد، فامتنع، فبينما هم في المجلس جاء رسول من الباشا يقول: إن الباشا يقول: لا غرض لي في أحد، فإذا جاءكم ناس يريدون عدم القتال وذكروا من يولّون من الأشراف، فأنا تبّع لهم، فقالوا له: أين الأشراف الذين يريدون أن يولّى واحد منهم، فإنك لا تجد الآن أحداً يقدم على هذه المكانة، فالرأي أن تسجلوا للشريف سعد وتنادوا له، وتحمدوا هذه الفتنة، فرجعوا إلى الباشا فأخبروه، فطلب الجماعة الذين عند القاضي، فما وصل إليه منهم إلا أربعة، فلما أدخلوا عليه [حصل لهم خوف كثير، فجعل يعذلنا]^(١) ويقول: نحن قاتلنا على حفظكم بعد أن كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله، فكيف هذا الاختيار

(١) في الأصل: فلما أدخلوا عليه جعل يعذبهم ويقول. والمثبت من خلاصة الكلام (ص:

منكم له اليوم، فقالوا له: أتينا ذنباً وهلكت الناس، فكأنه عرف الحق، [فأمرنا]^(١) بالخروج، وخاف على أبناء جنسه، فأمر بالتسجيل والنداء، فسجل ذلك^(٢).

قال الطبري في الإتحاف^(٣): وسجلوا للشريف سعد، وكتبوا له صورة الحكم صحبة القاضي مرشد، فطلع راكباً والناس حوله للشريف سعيد بن سعد وهو عند قبة أبي طالب، وأشرفوه على الحكم، وطلع بعد ذلك لوالده الشريف سعد في بستان عثمان حميدان، فأمر الشريف بكفّ الرمي والنهب، ونزل المنادي ينادي: أن البلاد بلاد الله، وبلاد السلطان، وبلاد الشريف سعد ابن زيد، ونزل مع المنادي السيد عدنان بن حسن ومعه جملة من العرب، ثم نزل السيد سعيد بن سعد من عند قبة أبي طالب، ونزل إلى السوق، فواجه الشيخ سعيد المنوفي عند سوق الغنم، ومعه رجل من جماعة الباشا المعتبرين يطلبوا منه الأمان ومن الشريف سعد بن زيد، فأمنهم، وأرسلهم إلى الشريف سعد ببستان حميدان، فأعطاهم الأمان، واستمر الشريف سعيد في بيته إلى العشاء، ثم رتب أموره ووزع بعض العرب في دار السعادة، وبعضهم في بيته، وطلع وبات عند والده بالبستان، فأصبحت عسكر مصر طالعين إلى البستان يتلقوا الشريف سعد بالآلاي، فامتنع العرب وقالوا: هؤلاء كانوا بالأمس

(١) في الأصل: فأمر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٢٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٢٤-١٢٥). وانظر: منائح الكرم (١٩٦/٥-٢٠٠).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (١٩٥/٢-١٩٦).

حربية لنا، وتريدوا أن نترل صحبتهم، فقالوا: هذا أمر غير ممكن، لا يصحبك سوانا، فتغلبوا على الشريف، وأمر ولده سعيد والسيد أحمد بن سعيد أن يتزلا في آلاي العسكر، فترلوا ومعهم النوبة التركية والعربية، وفي أثرهم الشريف سعد بالعرب. انتهى.

قال في الخلاصة^(١): نزل الشريف سعد في آلاي ضحى يوم السبت تاسع ربيع الثاني، وقدم العسكر المصرية، وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤوا ذلك الوادي، إلى أن وصلوا سوق المعلا، فعطف بالعسكر على سوق الليل، ولم يزل سائراً إلى أن وصل باب علي، فبعث للعسكر أن يعطفوا من السوق الكبير إلى بيوتهم، فلما انتهى آخرهم تقدم هو بمن معهم من العرب حتى دخل منزله، وامتلاً بهم ذلك الوادي، ثم أمر بهم إلى أجياد فدخلوها، وجعلوا يدخلون شيئاً فشيئاً إلى ثاني يوم، وجلس للتهنئة يوم السبت، وطلع له الناس، ومدحته الشعراء، واستقرت البلد والله الحمد، وبعث إليه الباشا بفرو سمور ألبسه إياه، إلا أن بعض العرب خرج بما نهب من الأموال يبيعها في السوق على رؤوس الأَشهاد، وما أمكن ردّ شيء مما نهبوه، واستمر مولانا الشريف، وكتب للأبواب السلطانية يعتذر لهم مما وقع، فقبلوا عذره، [وجاءه]^(٢) التأيد والتشريفات.

الولاية الثالثة للشريف سعد

وهذه الولاية الثالثة لمولانا الشريف سعد.

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٢٥). وانظر: منائح الكرم (٢٠٠/٥ - ٢٠١).

(٢) في الأصل: وجاء. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

ثم إن مولانا الشريف أمر وزيره الخواجه عثمان حميدان أن يصنع ضيافة للعرب في بستانه في المعابدة، فجعل لهم هناك سماًطاً، حضره مولانا الشريف وابنه، واستمروا هناك إلى العصر، ثم أقام العرب بعد هذا مدة يسيرة، وأذن لهم في الرجوع، فرجعوا شاكرين، وأبقى أناساً منهم بمكة، ثم جاء الخبر من المدينة بامتناعهم من النداء لمولانا الشريف، ثم عند ورود الخلعة له نادوا له، ثم جاءت الأخبار بأن الشريف أحمد بن غالب والشريف عبدالله بن هاشم توجهوا إلى ينبع، وأخذوا منه ألفي أردب حب لأهل مكة، ومائتين لقاضي مكة، وربع صاحب مكة، وجاء الخبر أيضاً بأنهم كتبوا عرضاً لصاحب مصر وبعثوه. ثم إن الشريف جهز جماعة من العسكر المقيمين بمكة وبعثهم إلى جدة ليعزموا إلى ينبع على البحر، وما رأى الباشا في إرسالهم فائدة، فرجعوا.

وفي شهر رمضان ورد من الأبواب السلطانية خلعة لمولانا الشريف ومرسوم، فقرئ المرسوم بالخطيم، ولبس الخلعة، وأمر بالزينة ثلاثة أيام.

وفي سنة سبع ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محسن ابن حسين متولياً على المدينة، واستمر هناك إلى أن توفي^(١).

وفي كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٢٥-١٢٦). وانظر: منائح الكرم (٢٠٣/٥-٢٠٤، ٢١٧).

رحمه الله^(١): وفي سنة سبع ومائة وألف تجهز الشريف سعد بن زيد غازياً أهل نجد، ونزل بلد أشيقر، وحاصر أهلها، وفعل الأفاعيل، وطلب أن يخرج إليه الشيخ حسن بن عبدالله أبا حسين، والشيخ محمد بن أحمد القصير، فخرجا إليه، وحبسهما، وذلك في [أيام]^(٢) من شهور رمضان، فأفتى الشيخ أحمد القصير بالفطر؛ ليحصد الناس زرعهم خوفاً من عدوهم. قاله ابن يوسف في تاريخه. انتهى.

ولم يزل مولانا الشريف سعد متفقاً مع السادة الأشراف متألفاً لهم إلى سنة اثنتي عشر ومائة وألف، فحصل بينه وبين الأشراف ذوي عبدالله منافرة؛ لعدم الوفاء بمعاليمهم، فثار عليه ذوو عبدالله عن آخرهم، وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبدالله، وعزموا على الخروج، ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفاً، فتلافى أمرهم ووعدهم، ونزل إلى جدة، ونزل منهم معه جماعة، وأخذ لهم من التجار دراهم وأعطاهم^(٣).

ثم [ثاروا]^(٤) عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة وأربع عشرة، فطالبوه في معاليمهم، وادّعوا عليه بعدم الوفاء بها، ولم يتم لهم معه حال، فخرجوا مغاضبين له جالين على الشريف، وتوجهوا إلى جهة الطائف، وتعرض بعضهم

(١) عنوان المجد (٢/٤١٢).

(٢) بياض في الأصل قدر كلمة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) انظر: منائح الكرم (٥/٢٦٥).

(٤) في الأصل: ساروا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٢٦).

[لقافلة]^(١) عند خروجهم، وبعض الحمارة^(٢)، فأخذوا الجميع، فأرسل الشريف لمشايخ ذوي عبدالله وعرفهم ما وقع من رفقاتهم، ثم استدنى السيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نجي، وكان في ذلك الوقت شيخ ذوي بركات، ودركه^(٣) بدرب جدة، وجعله في وجهه، فقبل ذلك، فأرسل السيد عبدالكريم لذوي بركات [الذين]^(٤) في الوادي، وأكد عليهم حفظ الدرب، وقال لهم: متى آنستم أحداً من السادة الأشراف الجلوية حولكم قريباً منكم، فأسرعوا في تعريفنا بذلك، ودبرهم على شيء يعرفه^(٥).

وفي أواخر جمادى الثانية اصطلحت الأشراف الجلوية مع مولانا الشريف، وكان الساعي بينهم بالصلح: السيد أحمد بن سعيد بن شنبر، والسيد حسين بن زين العابدين بن عبدالله، وتوجهوا لملاقاته، واتفقوا معه على أن يعطيهم معلوم شهر، ويكونوا أسوة رفقاتهم، وأن ما مضى لا يعاد، واستمر معهم على الاتفاق والمحبة^(٦).

(١) في الأصل: بقافلة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٢٦).

(٢) الحمارة: الحمّار: صاحب الحمّار والعامل عليه (المعجم الوسيط ١/١٩٧). ولعل المقصود: البائع الذي يضع بضاعته على حمار ويتجول بين القرى للبيع.

(٣) دركه: أي جعله مستولاً عن جند الأمن بدرب جدة، لأن الدرك تأتي بمعنى المكان الذي تحد عليه الحراسة المستمرة. ورجال الدرك هم رجال الشرطة لإدراكهم الفارّ والجرم (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص: ١٣٥، والمعجم الوسيط ١/٢٨١).

(٤) في الأصل: الذي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٢٦).

(٥) أي وعدهم بعتاء معين. انظر هذا الخبر في: منائح الكرم (٥/٢٧٤-٢٧٥).

(٦) انظر هذا الخبر في: منائح الكرم (٥/٢٨٠-٢٨١).

وفي سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسّن الشريف سعد أن يعرض للدولة العلية إقامة ولده الشريف سعيد مقامه في شرافة مكة ويترل عنها له، فكتب عرضاً وأرسله إلى الأبواب العلية، فأجيب إلى ذلك، وجاءه الجواب في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع أغاة مخصوص، وأدخلوه مكة بآلاي أعظم، وجلس في الحطيم مولانا الشريف وصاحب جدة والقاضي والمفتي وأعيان الناس، فورد الأغاة إلى الحطيم بالأمر السلطاني والتشريف للبس مولانا الشريف سعيد، وألبس أرباب المناصب على جري العادة، وجلس للتهنئة، ومدحه الشعراء بقصائد^(١).

الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣هـ

ولما كان يوم السبت طلع الأغاة الوارد بالقفطان بخلعة سمور، وكتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد، وألبسه الفرو الوارد عليه من الأبواب زيادة في الإكرام والعناية، وخطب في كتابه بغاية اللطافة. وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد، لكن ما قبلها كان بغير أمر سلطاني.

ولم يزل مولانا الشريف سعيد [ووالده]^(٢) متفقين مع الأشراف إلى سنة خمس عشر ومائة وألف، فتنافر الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٢٦-١٢٨). وانظر: منائح الكرم (٥/٢٧٠).

(٢) في الأصل: وولده. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٢٨).

ابن موسى بن بركات مع مولانا الشريف سعيد لأمر اقتضاه^(١)، فخرج مغاضباً، وخرج لخروجه جماعة من بني عمه آل بركات^(٢).

ثم اتسع الحرق، فخرج جماعة من كبار الأشراف، ومشايخ من آل حسن^(٣)، وآل قتادة^(٤)، وأعظم الأسباب للجميع: المطالبة في المعاليم، وأخذ كل لنفسه أجلّة^(٥)، وتوافق الخارجون وتعاهدوا على اتحاد الكلمة، فقام مولانا الشريف سعد ساعياً في الصلح بينهم وبين ولده، وقام معه في الصلح جماعة من الأشراف، واجتهدوا غاية الاجتهاد، فما أمكن، وتقطعت بسبب ذلك السبل، ونهبت الأموال من طريق جدة وسائر الجهات، فكم من مال أخذوه، وقتيل نبذوه.

(١) التاجر الذي حصل كان بسبب الخلاف على المعلوم.

(٢) آل بركات: قسم كبير من أشراف الحجاز، بعضهم يقيم بمكة، وغالبهم سكان مر الظهران، وهم بنو بركات بن محمد بن أبي غني بن بركات بن بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأبو غني هذا تولى إمارة مكة من سنة ٩٢٣-٩٣٢هـ، وتفرع من ذوي بركات هؤلاء الأشراف ذوو حسين، وذوو إبراهيم، وذوو عمر، وذوو عبدالكريم (معجم قبائل الحجاز ص: ٤٠)، والرحلة اليمانية ص: ١٣٥-١٣٦).

(٣) آل حسن: هم بنو حسن بن محمد أبي غني بن بركات، من أشراف الحجاز، وتفرع من حسن هذا: الأشراف العبادلة، والأشراف ذوو زيد، والشنابرة، وسرور، والحُرث، والمناعمة، وجيزان، وجود الله، وهم منتشرون بين مكة والطائف ومر الظهران ونحلة. عرفوا بالأشراف من عهد أبي غني (معجم قبائل الحجاز ص: ١١٢-١١٣، والرحلة اليمانية ص: ١٣٦).

(٤) آل قتادة: قبيلة من الأشراف حكموا مكة رداً من الزمن، وتفرق كثيرون منهم في الأمصار، وهم بنو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم... وينتهي نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وانتسب إليهم ملوك المغرب اليوم (معجم قبائل الحجاز ص: ٤١٢-٤١٣، وتاريخ مكة للسباعي ص: ٢٢٤-٢٢٥).

(٥) أي مهلة.

ثم إن الشريف سعداً ذهب إليهم بنفسه بوادي مرّ، وضمن لهم وفاء جميع ما اجتمع لهم من المعلوم، وقال لهم: إن ألزمت ولدي بتسليمه الآن يعتذر بالعجز، وحسنّ لهم أخذ البعض، وعيّنهم لهم، وما بقي فأنا كفيل لخلاصه، فرضوا بذلك، وشرطوا عليه شروطاً، منها: [الدفان^(١)] عما وقع في الطريق من النهب والقتل.

ومنها: أنهم يكونون على ما تعاهدوا عليه من غير نقض إبرام منه.

ومنها: [٢] أنه إذا لم يتم ما التزمته لنا تكون يدك مع يدنا، ونكون نحن وأنت عليه. فقبل ذلك، ودخل مكة ومعه جماعة من الأشراف.

ولما عرض الشريف سعد على ولده ما صار بينه وبين بني عمه، امتنع وأبى، وقال: بل أحاسبهم على جميع ما أخذوه من الناس من الأموال، وأحسبه من معاليمهم، فلما بلغهم ذلك رجعوا إلى مرّ الظهران ونفوسهم غير طيبة، بعد أن ألزموا الشريف سعداً أن يعطيهم اليد، وفاءً بالشرط.

ولما قرب شهر الحج واحتاج الناس إلى قضاء شعائر الحج، وضاق الوقت، تصدّى الوزير سليمان باشا صاحب جدة لتسكين هذه الحركة والفتنة الطامة،

(١) الدفان: من الدفن، وهو الستر والموارة. وهنا بمعنى السكوت والتغاضي عما حدث (لسان العرب، مادة: دفن).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٢٩)، ومناجح الكرم (٢٩٢/٥-٢٩٣).

فكاتب السادة الأشراف ووعدهم، وضمن لهم خلاص ما هو لهم في الذمة من المال، وبذل لهم ما وسعته قدرته في الحال، وشرط عليهم حفظ طريق جدة، ففعلوا ما شرط عليهم وأمنوا الطريق، وسارت القوافل، بل صاروا يمشون مع القوافل بأنفسهم إلى أن تدخل مكة ذهاباً وإياباً.

ثم إن سليمان باشا أخبر مولانا الشريف سعيداً بما وقع، وقال له: إني التزمت لهم في ذمتي بخلاصهم، فأجابه بأن ما فعلته هو الصواب.

ثم إن الشريف سعيداً بعث إلى الأشراف - وكانوا نحواً من ثلاثمائة شريف - يسألهم أن يعرضوا معه في خروجه إلى أمراء الحج على جري العادة، فامتنعوا، ولم يعرض منهم أحد، إلا بعض أشراف كانوا في عملته لم يجاوزوا الثلاثين.

ولما أقبل الحج والأمراء تنقلت الأشراف إلى [الحميماء]^(١) بوادي مرّ، فحجّ الناس وهم في غاية الخوف، ولم يحجّ من أهل مكة إلا اليسير، وظنوا أن الأشراف يدخلون مكة والناس بعرفة، فلم يكن ذلك. فلما أن سافر الحج

(١) في الأصل: الحيماء. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٠).

والحميماء (الحميمة): تصغير حمة. وهي الحجارة السوداء. وهي قرية بطن مر من نواحي مكة بين سروعة والبرياء، فيها عين ونخل، وتبعد عن مكة بحوالي (١٤٥ كلم) شمالاً. وكانت توجد بها عين ماء، ثم انقطعت في السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري (انظر: معجم البلدان ٣٠٧/٢، ومعجم معالم الحجاز ٦٦/٣-٦٧، ومعالم مكة التاريخية والأثرية ص: ٨٦).

وأقفر الفج^(١)، أخذ الأشراف في الارتحال من الحميماء، ونزلوا بالزاهر في السابع والعشرين من ذي الحجة، فشرع بهم الشريف سعيد، وأرسل يطلبهم إلى الشرع الشريف، فوكلوا من جانبهم السيد عبدالله بن سعيد بن شنبر، فجاء إلى المحكمة ومعه السيد [عبيدالله]^(٢) بن حسن بن جود الله، وزين العابدين بن إبراهيم بن محمد شهوداً على الوكالة.

وكان الشريف سعيد قد نزل قبلهم إلى المحكمة، وكان قاضي مكة ذلك العام القاضي أحمد البكري، أحد السادة البكرية^(٣) المقيمين بالشام، فادّعى السيد عبدالله بموجب وكالته عن جماعته^(٤) على مولانا الشريف سعيد بأنه منعهم من حقوقهم من مداخل البلد ومخالفاتها^(٥)، ولم يعطهم ما يستحقونه،

(١) أي أقفر الطريق من الحجاج، لأن الفج بمعنى الطريق الواسع البعيد (المعجم الوسيط ٦٧٤/٢).

(٢) في الأصل: عبدالله. والنصوب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٠)، ومنايح الكرم (٢٩٥/٥).

(٣) هو أحمد بن كمال الدين البكري (١٠٤٢-١١١٧هـ) قدم جده محمد بدر الدين من مصر إلى دمشق، وبها استقر. وفي دمشق ولد ونشأ أحمد البكري. وقد تقلد قضاء المدينة المنورة سنة ١١٠٢هـ، وقضاء دمشق سنة ١١٠٤هـ، ثم قضاء مكة سنة ١١١٥هـ. وفي سنة ١١١٧هـ رحل إلى القاهرة وبها توفي (انظر ترجمته في: سلك الدرر ١٤٨/١-١٥١). ويعود أصل السادة البكرية إلى الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه. كان منهم بالديار المصرية جماعة من ولد عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق بن تيم بن مرة (نهاية الأرب للقلقشندي ص: ١٢٠-١٢٢، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٩٩/١).

(٤) الذين هم: السيد عبدالكريم بن يعلى وبنو عمومته من آل بركات.

(٥) المخلاف: وجهه مخالف، وهو الكورة أو الإقليم من البلد، وهو تسمية يمانية (المعجم الوسيط ٢٥٢/١، والمنجد ص: ١٩٠). والمقصود هنا: المناطق الأخرى.

واختص بكل ذلك دونهم، وهم شركاء فيه، وقد مضت قواعدهم من زمن الشريف قتادة بذلك، وأنهم لا يعاملونه إلا [على ذلك]^(١)، فإن بذلك قوام معاشهم. فأنكر ذلك مولانا الشريف سعيد، وقال: ليس لكم حق، وإنما تأخذون من صاحب مكة ما يعطيكم من قبيل صلة الرحم، ومدخول مكة خاص به.

واتسع بينهم المجال بحضرة القاضي والعلماء بما لا يليق بمقامهم، فتأثرت نفوسهم بزيادة، ثم انقضى المجلس على غير خاتمة، ورجع الأشراف إلى جماعتهم بالزاهر بعد أن اجتمعوا بالشريف سعد، وعاتبوه على دعواهم إلى القاضي، فاعتذر وحلف أنه لا علم له بهذا القدر، فقبلوا عذره.

ثم إن الشريف ركب بنفسه وخرج إليهم في الزاهر، وخطأ ابنه في فعله، واستسمحهم وقال: هبوا لأجلي، وسترون ما أفعل في حقكم معه، [وأنا]^(٢) المطالب بجميع ما هو لكم، فقبلوا ذلك. وطلب جماعة منهم يدخلون معه مكة، فدخل معه السيد أحمد بن زين العابدين لاستلام ما قام به لهم، فلما دخل بهم البلد رأوا زنده قد صلد^(٣)، وكان ذلك آخر يوم من شهر ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف^(٤).

(١) في الأصل: بذلك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٠)، ومنايح الكرم (٢٩٦/٥).

(٢) في الأصل: وأن. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنايح الكرم (٢٩٧/٥).

(٣) صلد: صلداً وصلوداً، أي بخل وجهد على ماله. والصلد أيضاً بمعنى الحجر الصلد (انظر: لسان

العرب، مادة: صلد، والمعجم الوسيط ٥٢٠/١) والمقصود: أنه أصبح قوياً أو أصبح مصرأً على رأيه.

(٤) انظر لما تقدم: منائح الكرم (٢٩٧-٢٩١/٥).

ودخل عقب ذلك الحرم من سنة ست عشرة، فرفعت الفتنة رأسها، ووطأت أساسها^(١) يوم الثالث، فانتشر عبيد الأشراف بأعالي تلك الجبال، وشنوا

الغارة، وملكوا تلك الجبال إلى الجبل الطالّ على تربة العيدروس^(٢) بالشبيكة^(٣)، وانهوا إلى أسفل جبل عمر^(٤) من المسفلة، ومن جبل قعيقعان^(٥) إلى الجبل الطالّ على سوقة^(٦)، وأخذ باطنة الشبيكة جماعة من الأشراف حتى انتهوا إلى مقبرة الشبيكة، ووصل جماعة من العبيد إلى جهة المعلا، فملكوا الجبل المطل على الوادي بحيث لا يفوقهم الصاعد من هناك، وبات الأشراف في مضاربهم^(٧).

(١) كناية عن قيام الفتنة بين الشريف سعيد والأشراف.

(٢) العيدروس: عبدالله بن علي بلققيه بن عبدالله العيدروس، كان من العلماء. توفي سنة ١٠٥٠هـ، ودفن في الشبيكة مع ابنه وحده، على خلاف المشهور من آل العيدروس الذين

دفنوا في المعلاة كما ظهر لي من خلال المصادر والمراجع (خلاصة الأثر ٣/٦٢-٦٣).

(٣) الشبيكة: تقدم التعريف بها (ص: ١٠٠).

(٤) جبل عمر: تقدم التعريف به (ص: ٤١٥).

(٥) قعيقعان: سبق التعريف به (ص: ١٠٠).

(٦) وهو جبل جزل. ذكره السباعي وقال: إن طائفة من الجنود تعرف بهذا الاسم كانت تلعب فيه

بالطبل (انظر: السباعي ص: ٤٦٠-٤٦١، ومعالم مكة التاريخية ص: ٦٣-٦٤، ومعجم معالم

الحجاز ٢/١٤٦).

(٧) المقصود: مضاربهم في الزاهر.

فلما رأوا شدة الحركة انتقلوا من الزاهر إلى طوى^(١)، ووقفوا هناك.

وتقدم بعض العبيد فدخلوا بيت عتافي أفندي في الشبيكة -نحو السبعة-، فانحازوا فيه، وجعلوا يضربون من أقبل [عليهم]^(٢).

فتهياً الشريف سعيد للخروج عليهم، وجمع الجند، وترأس المنافذ، وجمع جماعة في دار السنجاري^(٣)، وجماعة في دار الشيخ عبدالله البصري^(٤) في الشبيكة، وجماعة في منائر المسجد من عسكر المصري، ومن عسكر اليمنية.

ثم أحضر بقية عسكر مصر من متفرقة وأسابهية^(٥) وعرب

(١) طوى: معروف اليوم بئر طوى بجوار بين القبة وريع أبي لب، وهي بئر مطوية عليها بناء، وهو الموضع الذي بات فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة فتح مكة (معجم معالم الحجاز ٢٣٦/٥-٢٣٧، ومعالم مكة التاريخية ص: ١٦٨-١٦٩).

(٢) في الأصل: إليهم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣١)، ومنايح الكرم (٣٠٠/٥).

(٣) الشيخ أبو السعود السنجاري، من أبناء عمومة مؤلف كتاب منائح الكرم علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري.

(٤) الشيخ عبدالله بن محمد بن سالم البصري، ولد عام ١٠٤٨هـ. شافعي مكّي، ولد ونشأ بالبصرة، لذا سمي بالبصري، من أئمة الخدثين (انظر: طبقات السادة الحنفية لحمد أمين ورقة ١٢٩، وموائد الفضل للدهلوي ورقة ١٤٥، والمختصر من كتاب نشر النور والزهر ص: ٢٩٠-٢٩٣).

(٥) الأصباهية أو الأسباهية (السباهي): هم بمثابة الفرسان النظاميين في الجيش العثماني (انظر: الدولة العثمانية والشرق العربي لحمد أنيس ص: ٧٩).

[وانقشارية]^(١)، فركب، وركب معه خاصته من الغلمان والوصفان وصارجية^(٢) وسقمان^(٣)، وأرادوا الخروج، فلم يتمكن من ذلك، ووقف بسوق الصغير. ووصل الرمي من جبل عمر إلى محلّ وقوفه، بل أصاب بعض الخيل بعض ذلك الرمي، واستمر إلى ضحوة عالية، وكان من التقدير أنه حضر عند القاضي المفتي وبعض العلماء، وأخذوا من القاضي حكماً حكم به: أنه لا يجوز عزل مَنْ وَلَاهُ السلطان، ويجب على العامة أن يقاتلوا [معه]^(٤) هؤلاء الجماعة، وأمروا منادياً ينادي في شوارع مكة. فاضطربت الناس

(١) في الأصل: وانقشارية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣١)، ومنايح الكرم (٣٠١/٥).

والانقشارية أو الانكشارية: جيش عثماني، تقدم التعريف به في (٦٠٤/٢).

(٢) الصارجية أو الصاريجه: اسم طائفة من الجند (معجم الدولة العثمانية ص: ١١٧).

(٣) سقمان أو سكبان أو سيمان: كلمة من أصل فارسي مكونة من مقطعين (سك) وتعني كلب، و (بان) وتعني حامي. ولقد أطلقت هذه التسمية في الأصل على فرقة المشاة العثمانية قبل إنشاء الانكشارية، وبقيت إلى جانب الانكشارية كفرقة مستقلة بعد إنشائها، ولم توضع تحت سلطة قائد الانكشارية إلا بعد سنة ١٤٥١م (انظر عن هذه الفرقة: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية لحمود شوكت ص: ٥٠-٥١ حاشية (٣)، ومعجم الدولة العثمانية ص: ١٠٧).

(٤) في الأصل: مع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣١)، ومنايح الكرم (٣٠١/٥).

وهو ينادي بالنفير العام حسبما رسم شيخ الإسلام^(١).

فلما بلغ ذلك سليمان باشا صاحب جدة -وهو إذ ذاك بمكة- وجاءه الحكم [وتأمله]^(٢) امثل الأمر وأطاع، وخادع خداعاً، وبعث نحو ثلاثين مدرعاً^(٣) من الترك مع كيخيته^(٤)، فلحقوا بالشريف سعيد. وأخذ محمد بن جمهور العدواني الحكم وطلع به إلى أمير العراق^(٥)، فأعانه بنحو مائتي عسكري، فخرج بهم من ربيع أذاخر، وعطف على الأشراف بالزاهر.

وفرغ بارود الأشراف لطول رميهم، فهمدت الفتنة ساعة، فانتهزها الشريف سعيد من سوق الصغير، وسار بمن معه من عسكر الباشا إلى أن وصل بيت عتافي أفندي الذي فيه العبيد، المعروف ببيت عبد الباقي الشامي.

فلما وصل إلى البيوت المسامطة لذلك البيت صدّه من كان فيه من العبيد

(١) لقب شيخ الإسلام عادة كان يطلق على المفتي الذي كان في القسطنطينية نظراً للمهام الجسيمة التي كانت على عاتقه، وقد اختلف المؤرخون حول تحديد الوقت الذي أطلق فيه هذا اللقب على مفتي العاصمة. فالبعض يرى أنه ظهر في عهد السلطان مراد الثاني، والبعض الآخر يقول: في عهد السلطان سليمان القانوني أو محمد الثاني (انظر عن هذا: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها للشناوي ٣٩٩/١-٤٠٢، ومعجم الدولة العثمانية ص: ١٢٢-١٢٣). وهنا ربما أطلق اللقب مجازاً على قاضي مكة أو ربما ليعطي الأمر أهمية كبرى، أو أن القاضي أمر هذا الأمر بناء على فتاوى سابقة من شيخ الإسلام في مثل هذا الموضوع.

(٢) قوله: "وتأمله" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣١)، ومناح الكرم (٣٠٢/٥).

(٣) أي من لابسِي الدروع.

(٤) علي آغا (انظر: منح الكرم ٣٠٢/٥).

(٥) أي أمير الحج العراقي.

السابق ذكرهم^(١)، فتوقف، وقُتل هناك بـيرق دار الإنقشارية، وعبد من عبيد الشريف، وخرج آخرون من جماعته، وطال وقوفه ثمة، ثم عطف على سويقة على بيت الباشا، وأمر بجرح مدفع، وانتهى به إلى قريب من بيت عبد الباقي الشامي، ورمى به على البيت، ففرَّ مَنْ كان فيه من الأسطحة، وهربوا، فكَرَّ عند ذلك، وحصل من خياله اختلاط بِمَنْ كان هناك من الأشراف حول بيوت الشبيكة، وقُتل عبدٌ [عبد]^(٢) المحسن بن أحمد بن زيد، وصوب فرس السيد مبارك بن زامل، فحوّل عنها وتركها، وأصيب السيد محسن بن حسين ابن عبدالله بن حسن برصاصة في رجله، فتمتعوا بعد ذلك من الاختلاط، وافترقوا عن البلد.

هذا كله والشريف سعد واقف تحت دار السعادة يرتجز^(٣) كالغلام، ثم لحق بولده، وساروا حتى وصلوا جبال أبي لهب^(٤)، فكانوا من الأشراف بعيان وهم وقوف حول مضاربهم، فامتنع الفتيان من القدوم، فأقام الأشراف ثمة ثلاثة أيام، ثم انتقلوا إلى الحميماء، فلحق بهم الشريف سعد ونزل عليه، وشيع

(١) العبيد السبعة الذين دخلوا بيت عتافي أفندي الذي أخذه من عبد الباقي الشامي.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣١)، ومنايح الكرم (٣٠٣/٥).

وعبد المحسن هذا سيصبح فيما بعد شريفاً لمكة.

(٣) الرجز: داء يصيب الإبل ترتعش منه أفخاذها عند قيامها (المعجم الوسيط ٣٣٠/١). والمقصود

أن الشريف سعد أصبح يرتعش من شدة الموقف.

(٤) جبل أبو لهب: هو الجبل الواقع بين ريع أبي لهب وريع الكحل، يشرف على الزاهر غرباً

وذي طوى شرقاً، ويقال: إن قبر أبي لهب قريب من هذا الجبل (معجم معالم الحجاز

٢٦٨/٧).

المشايع منهم، فاستعطى منهم ذلك القدر الذي يطلبونه [بعد]^(١) التزل لهم، فسمحوا به كرامة لجيئه إليهم، والتزم لهم العوض، وأصلح لهم الأمر على أن يأخذوا الآن من الشريف سعيد مشاهرة شهر واحد، وطلب منهم الدخول معه إلى مكة وملاقة الشريف سعيد، فدخل معه كبارهم، فأقاموا بمكة أياماً، فما وقعوا على طائل، فعند ذلك رجعوا إلى الحميماء، إلا أن السيد أحمد بن زين العابدين ومَنْ في عملته، والسيد أحمد بن حازم ومَنْ في عملته، والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومَنْ في عملته، نقضوا ما أبرموه مع القوم، وعزموا على الجلاء بعد أن [أودعوا]^(٢) طوارفهم على عاتقهم.

وأما السيد عبدالمحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبدالكريم بن يعلى فأرادا المقام بمكة، رجاء أن يكون الصلح. فبينما هم في المشاورة إذ جاء الخبر: أن الأشراف أخذت قافلة عظيمة خرجت من جدة، وقتلوا الرجال، ونهبوا الأموال، فاشتد غضب الشريف سعيد ووالده الشريف سعد، وقالوا لِمَنْ كفلهم من بني عمهم: [أعطوا الحق من أنفسكم، فإنكم كفلتهم هؤلاء الجماعة أياماً معدودة، واستردُّوا منهم ما كانوا]^(٣) أعطوهم مما هو لهم، فعسر استيفاءه.

ثم إن السيد عبدالمحسن بن أحمد بن زيد خرج إليهم حيث لم يتم ما أراده

(١) قوله: "بعد" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣١).

(٢) في الأصل: ودعوا. والتصويب من منائح الكرم (٣٠٥/٥).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣٢)، ومنائح الكرم (٣٠٥/٥).

عمه من الصلح مع حدوث أخذهم لهذه القافلة، مع أن معها السيد مبارك بن حمود، خرج معها من جدة، وأودعه إياها الشريف سعيد في كتاب كتبه إليه، ومعه من العسكر الصارجية والسقمان نحو الأربعين فارساً، وكانت قافلة عظيمة موفورة، وفيها من كل الأنواع، وقتل من الصارجية نحو خمسة عشر، وأخذت خيولهم، وبلغت القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم نيفاً وثلاثين، ولم يسلم إلا مَنْ هرب، واستجار بعضهم بالأشراف، فسلم مَنْ كتبت له السلامة بروحه دون ماله، فأخذوا القافلة بالرماح، ونادوا بحَيِّ على الفلاح، وأغلبهم كانوا شُبَّاناً.

فلما أن وصل إليهم الشريف عبدالحسن جعلوا كلمتهم إليه، واعتمدوا في تصريف الأمور إليه، وبايعوه على شرافة مكة وعزل ابن عمه الشريف سعيد، فرضي بعد تأبٍ شديد، ثم ارتحلوا من الحميماء ونزلوا ماءً قريباً من جدة يقال له: غُلَيْل^(١) -مصغراً-، وأرسلوا إلى الوزير سليمان باشا يعرفونه بما اتفقوا عليه، فأمرهم بدخول جدة، فدخلها مولانا الشريف عبدالحسن بن أحمد بن زيد، والسيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى، والسيد أحمد بن هزاع، والسيد عبدالله بن سعيد بن شنبر، وآخرون من الأشراف، وأقام الباقي بالغلِيل، فأرسل الباشا كتاباً للشريف سعيد وإلى والده الشريف سعد، وملخصه: أن

(١) غُلَيْل: واد يسيل من الحرازية، يباري أم السلم من الجنوب، ويجتمع معها في الرغامة بطرف جدة من الشرق، وحيث يدفع غليل في خبت جدة قام حي سمي غليلاً، فهو من أحياء جدة الجنوبية الشرقية (معجم معالم الحجاز ٦/ ٢٥٢-٢٥٣).

السادة الأشراف نزلوا غُلَيْلاً، وقصدهم محاصرة جدة ومنعهم أهلها من الماء، وربما يحصل منهم خلاف على البندر، وليس لنا قدرة على دفعهم، فالقصد أن تخرجوا إليهم، ونحن من عندنا معكم، أو تدفعوا إليهم ما هو لهم ليرجعوا عما فيه من الضرر عليكم وعلينا، ويدخلون تحت الطاعة، وإن كنتم تعجزون عن ذلك فاخرجوا من البلاد، فقد تعيّن لها من يقوم بحفظها، فردّوا له الجواب: ليس لهم عندنا إلا السيف أو يرضون بالحيف.

فلما جاء هذا الجواب استدعى الباشا مولانا الشريف عبدالحسن بن أحمد ابن زيد هو وجماعة^(١) من الأشراف، وحضر قاضي جدة وجماعة من أعيان الناس، فألبسه الوزير فرواً عظيماً، وولّاه شرافة مكة، فخرج من عنده في آلاي عظيم والخلق بين يده من عساكر وغيرها، ومعه الأشراف، إلى أن وصل سبيل محمد جاووش خارج جدة، ووضع عبدالحسن يده على البندر، ورفع يد وزير الشريف سعيد وجميع المباشرين الذين من جهة الشريف سعيد، وأجلس آخرين غيرهم^(٢).

ثم إن الوزير سليمان باشا هياً لمولانا الشريف عبدالحسن كلّ ما يحتاج إليه الملك من نوبة، وصنّجق، وسعاة، وعساكر دبابة، وخيالة^(٣)، وقام بما يكفيهم

(١) هم السادة الأشراف الذين دخلوا جدة معه، وهم: السيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى، والسيد أحمد بن هزاع، والسيد عبدالله بن سعيد بن شنبر، والذي مر ذكرهم آنفاً.

(٢) المقصود هنا أن الشريف عزل الموظفين الذين كانوا في عهد الشريف سعيد وعيّن موظفين من قبله.

(٣) في هذه الفقرة يتبين لنا المكونات التي كانت في الموكب الشريف.

من الملبس والمطعم وغيره، وأخرج لهم الذخيرة الوفرة من كل شيء، وأرسل [كيخيته]^(١) حفيظاً على العساكر، فصرف مولانا الشريف على الأشراف معلوم شهر، وأرسل إلى المدينة لينادي له فيها، فنودي له بها، وخطب باسمه على المنبر النبوي، وكتب إلى قبائل حرب وغيرهم، فأجابوا بالطاعة^(٢).

ثم إن الشريف عبدالمحسن أرسل أخاه عبدالمطلب بن أحمد بن زيد ومعه الأشراف، فنادوا له بالطائف، وجمع الشريف سعيد والشريف سعد جماعة من العلماء ومعهم القاضي والمفتي وقوم آخرون، وتفرق المجلس على [أنهم]^(٣) يكتبون إلى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتاباً، فكتبوه وأغلظوا فيه، إلى أن قالوا: إن بيدنا فتوى المفتي، وحكم بموجبها قاضي الشرع بكفر مَنْ تجرأ على عزل مَنْ ولّاه السلطان على بلد إذا كان بيده أوامر سلطانية، وأنه لا يُعزل إلا بعزل السلطان، وأنه قد جاءنا الخبر بعزلك ومحاسبتك، فكيف لك بالعزل والتولية مع أنك معزول عن منصبك؟!.

ثم أرسلوا هذا الكتاب عند الباشا مع السيد دخيل الله بن حمود ومعه جوخدار^(٤) القاضي، فلما أن وقف الباشا المذكور على ذلك قال: أنا بيدي

(١) في الأصل: كيخته. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٣).

(٢) انظر هذا الخبر مختصراً في: إتحاف فضلاء الزمن (٢/ ٢٣٩).

(٣) في الأصل: أن. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٤).

(٤) الجوخدار: من الحرس الذين كانوا في فرقة الانقشارية، حرس يدعون صاله، ورئيسهم يدعى صاله جوقداري؛ للبه قبة من الجوخ الأخضر. وكانت مهمتهم المحافظة على النظام والأمن في

من السلطان مصطفى بن السلطان أحمد ومن أخيه المتولي بعده أوامر سلطانية أن أعزل وأولّي مَنْ أرى فيه الصلاح لمكة المشرفة.

فلما علم السيد دخيل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة، وعامل الشريف عبدالمحسن من جملة من عامله، وجاء بالجواب جوخدار القاضي بما قاله الوزير المذكور^(١). فاغتاز الشريف سعد وابنه الشريف سعيد، وأرسلا يطلبان من الباشا الإشراف على ما بيده من الأوامر السلطانية^(٢)، فأرسل إليهما: إن كنتما تريدان ذلك، فأرسلا رجلاً من جهة القاضي ومن كلّ بلك من العساكر [رجلاً]^(٣) يشرفون على ما بيدي من الأوامر.

ثم انقطعت بينهم الوسائط، إلى أن رحل مولانا الشريف عبدالمحسن من جدة متوجّهاً إلى مكة، وذلك يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول، ومعه الجموع والأشراف، إلى أن وصل وادي الجموم، فخرج إليهم الشريف سعيد بمن معه من العساكر المكية والمصرية، ونزل بذي طوى^(٤)، وأخذ الشريف سعيد [ما]^(٥) يلي الحجون ومعه عبيده وجماعة من

الأماكن المختلفة في البلاد، مثل الأسواق والخوانيت والمقاهي، إضافة إلى مراقبة أزياء الجند وانضباطهم في أعمالهم (انظر: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية ص: ٩٧).

(١) سليمان باشا.

(٢) أي الاطلاع عليها.

(٣) قوله: "رجلاً" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣٤)، ومناخ الكرم (٣١٣/٥).

(٤) ذي طوى: وادٍ بأسفل مكة (معجم البلدان ٤/٤٥)، وهو بمحلة جروول معروف إلى الآن، ويستحب الاغتسال فيه للمحرم.

(٥) في الأصل: ممّا. والتصويب من خلاصة الكلام ومناخ الكرم، الموضوعان السابقان.

النفعة^(١)، وفرّق على الجبال المطلة على الخصب^(٢) بعض العبيد، وجماعة من اليافع والجبالية.

ولما كان يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول سار الشريف عبدالحسن من الجموم، ونزل صبيحة يوم الخميس بالزاهر، وأمر بحفر آباره، وكان قد طمّها الشريف سعيد.

فلما تلاقى الجمعان، حمل بعض عساكر الشريف عبدالحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد، فأنزلوهم عنه وملكوه، وقُتل فيه بيرقدار العسكر، وعسكري آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الأول، وحصل صواب^(٣) لآخرين.

وأما النفعة مما يلي جانب الشريف سعيد، فجاءهم بادية من جماعة الشريف عبدالحسن، فأثخنوهم قتلاً وجرحاً وضرباً وطرحاً. ولم يزلوا على ذلك إلى الليل، فأرسل الشريف سعيد إلى مشايخ الحارات^(٤)، وأخذ منهم الزرابطين^(٥) التي [يطلقونها]^(٦) ليلة العيد، فرمى بها على الجبال، فأصاب

(١) النفعة: أحد فرعي البطنين من بني سعد من برقا في عتية (قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص: ١٨٧-١٨٩، ومعجم قبائل الحجاز ص: ٥٣١، والرحلة اليمانية ص: ١٣٠-١٣١).

(٢) الخصب: اسم المفعول من الخصباء، والخصب: هو الرمي بالخصى، وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو خيف بني كنانة، وحده من الحجون ذاهباً إلى منى (معجم معالم الحجاز ٤٣/٨).

(٣) أي إصابات في الطرفين.

(٤) أي شيخ الحارة، وهو ما يعرف الآن بالعمدة.

(٥) الزرابطين: نوع من المقرقات.

(٦) في الأصل: يلقونها. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٥)، ومنايح الكرم (٣١٤/٥).

مضرباً فيه عسكر من عساكر سليمان باشا.

ثم أمر باستخراج مدفع كبير كان مدفوناً بدار السعادة، فأخرجوه وساروا به إلى طوى، فطلعوا به إلى قلعة، وحشوه وأطلقوه، فما أفاد إلا الصوت^(١).

ولما كان ليلة الأحد -وهو اليوم الرابع- ظهرت الغلبة للشریف عبد المحسن، وضاق الأمر على الشریف سعيد، فترل ضحوة يوم الأحد المذكور الشيخ سعيد المنوفي، والسيد علي ميرماه، وأنفوا إلى القاضي ما لحق الشریف سعيد، وأمروه بكتابة حجة بالنفير العام، فكتب لهم حجة بذلك، وأمر منادياً ينادي في الشوارع: كل مَنْ لم يأت إلى محكمة القاضي الآن فهو منهوب الدار، مصلوب بلا اعتبار، فاجتمع العالم^(٢) تحت المدرسة السلیمانية بالمسجد الحرام، فقرأ عليهم المنوفي الحجة، وهو مطلق من طاقة المحكمة، ومضمونها: أن الشریف سعيداً قد ولّاه السلطان مصطفى شرافة مكة، وأيده السلطان أحمد، وقد رأيت ما صار عليه من هذا الباشا، فيجب عليكم بذل الطاعة والخروج معه للقتال، ودفع هؤلاء البغاة قطاع الطريق، فبينما هو كذلك إذ صاح بعض الناس الحاضرين: هذا باطل! باطل!، [وأنطقت]^(٣)

(١) أي كان قصير المدى فلم يفعل شيئاً.

(٢) أي الناس.

(٣) في الأصل: وانطقت. وفي خلاصة الكلام: وانطلقت. والتصويب من منائح الكرم (٣١٦/٥).
وانطقت: أي صاحت بطلان ذلك.

العالم بلسان واحد، وكاد أن يُرجم المنوفي والقاضي ومَنْ معه، وفُرَّت العالم من المسجد.

فلما رأى القاضي قيام العامة أمر بالخروج إلى الزاهر للشريف سعيد وإخباره بما وقع، فخرج ومعه المنوفي، والسيد علي ميرماه، وجماعة من العلماء، والمفتي، وأعيان الناس، فلما وصلوا إليه وأخبروه، أنكر الأمر بذلك، وزجر مَنْ سعى في هذا الأمر، وقال: مَنْ أَمركم أن تنادوا في العامة؟!، واتفق الرأي هناك أن يكتبوا كتاباً لكيخية الوزير سليمان باشا، خطاباً من الشريف سعيد وأبيه بأن لهم عليهم دعوى إلى القاضي، فإن لم تجب وتمثل كفرت^(١)، وأرسلوه مع درويش^(٢) كان حاضر المجلس، قال لهم: أنا أصل بهذا الكتاب إليه -بعد أن لم يوافق أحد على إيصاله-. فأوصله ذلك الدرويش إلى الكيخيا المشار إليه، فلما قرأه أشرفه على الشريف عبدالحسن، فكتب الجواب الشريف عبدالحسن إلى الشريف سعيد: نحن إن شاء الله غداً لابدّ لنا من دخول مكة، والكيخيا معنا، وتكون الدعوى عليه بحضورنا، والنصيحة لله ولرسوله، ولك أن تأخذ الحذر لنفسك والخروج من البلاد، وتترك ما لا طائل تحته، فإن أصبح عليك الصباح وأنت في البلاد فقد برئت منك الذمة، وهذا غاية ما لكم علينا، والسلام.

(١) أي خرجت من طاعة الشريف سعيد، لأن طاعة أولي الأمر واجبة.

(٢) درويش: بفتح الدال وكسرها: يقال في تفسير هذا اللفظ عادة أنه مشتق من الفارسية بمعنى الذي يطلب الأبواب، أي الشجاذ، لأن معنى (در): باب، و (ويش) مصدر يعني: التسول. وفي معنى آخر تعني الفقير والمعدم، والناسك (انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٢١٩/٩-٢٢٣، ومعجم الدولة العثمانية ص: ٨٦-٨٩).

فلما جاءهم الكتاب رجعوا إلى الصواب، فأودعوا طوارفهم للسيد عبدالكريم بن محمد بن يعلى، وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادي والعشرين من ربيع الأول، ونزل [الهميجة]^(١) من جهة جعرانة.

وأما أبوه الشريف سعد فدخل مكة وبات في دار السعادة، ثم خرج في الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول، وطلع إلى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة بعد أن أودع طارفه للسيد عبدالكريم ابن محمد بن يعلى^(٢).

دخول الشريف عبدالحسن مكة متولياً إمارتها

ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف عبدالحسن بن أحمد بن زيد^(٣) من أعالي مكة، ومعه بنو عمه، وهم في الدروع الضافية واللامات^(٤) اللامعة الصافية في آلاي أعظم من سائر العساكر المصرية، وجميع العساكر الذين كانوا مع الشريف سعيد، وما انضم إليهم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه.

(١) في الأصل: المهمة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٦).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٢٨-١٣٦). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٢٩٩/٥-٣١٨).

(٣) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٣٦-١٧١)، والأعلام (٤/١٥١)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٦٩-٢٧٠).

(٤) اسم للدرع، وقيل: عدة السلاح من رمح ويضة ومخفر وسيف ونبال. (تاج العروس ٩/٥٣).

ولم يزل سائراً إلى أن دخل المسجد الحرام، وقد بُسط له بساط في الحطيم، وفتح باب الكعبة المشرفة، وحضر القاضي، والمفتي، والعلماء، والخلق كافة، ومن دخل معه من الأشراف، وقرئ عليهم الأوامر السلطانية، وهما أمران؛ أحدهما من السلطان مصطفى، والآخر من السلطان أحمد، مضمومتان: أن سليمان باشا مفوض من قبلنا على الحرمين الشريفين، قائم مقامنا، قد نصبناه بصدد مَنْ رأى فيه صلاحاً للعباد والبلاد، فمن رأى فيه غير ذلك عزله ونفاه، وأقام مَنْ يرى فيه الصلاح، وهذا خطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا، محمياً بحمايتنا.

ثم بعد تمام القراءة للأمرين دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد بن عبدالمعطي الشيبني، والرئيس دعا من أعلى زمزم على العادة المعروفة.

ثم جاء إلى دار السعادة، وجلس للتهنئة، وامتدحته الشعراء بقصائد، وأجازهم، ونادى النادي في شوارع مكة بالزينة، فزينت له مكة ثلاثة أيام، واستمرّ والياً ليوم الأربعاء، فكانت مدة ولايته تسعة أيام، عدد حروف اسمه^(١)، فترل عن الولاية، وقلدها ابن عمّه الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي، فترل إلى المسجد الحرام بالحطيم، وحضر لحضوره وجوه السادة الأشراف، والوزير سليمان باشا، والقاضي، والمفتي، والعلماء، والخطباء، وكبار العساكر، وأهل الإدراك^(٢)،

(١) اسمه عبدالمحسن.

(٢) نلاحظ أن الشريف عندما يريد أمراً ما يجتمع هؤلاء الأشخاص ويتداول معهم الرأي، فكان هؤلاء هم مجلس شورى للشريف.

وعامة الناس^(١).

ذكر نزول مولانا الشريف عبدالحسن للشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى^(٢) عن شرافة مكة

ولما انعقد المجلس، قال مولانا الشريف عبدالحسن: أيها الناس، اشهدوا أي
نزلت عن شرافة مكة إلى الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس
وسماحة، فإنه أهل لذلك.

فأمر حينئذ القاضي^(٣) أن يخاطب السادة الأشراف: هل رضيتم بما رضي
به مولانا الشريف عبدالحسن من ولاية مولانا الشريف عبدالكريم؟!
فقال الجميع: نعم رضينا بما رضيه لنا، وفيه الكفاية والكفاءة.

ثم أمر القاضي أن يسألوا ثانياً: هذا إذعان منكم عن غير كراهة ولا
إجبار، على شرط أن لا تكلفوه ما لا يستطيع؟.

فقالوا: نعم، لا نكلفه ما لا يستطيع، وليس مرادنا إلا الصلاح لبلدنا،
ونحن معه في إصلاح البلد، وما وقع فيه من فساد فعلينا إزالته.

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٣٦-١٣٧). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣١٨/٥-٣٢٤).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٦٦، ١٥٤، ١٤٣، ١٣٧)، والأعلام (٥٦/٤)،
وأمرء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٢٩)، وأمرء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام
(ص: ٢٧١).

(٣) وهو: عيد زاده المكي (انظر خلاصة الكلام ص: ١٣٧، ومنائح الكرم ٣٢٤/٥).

فسجل عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور^(١).

فعند ذلك أشار الوزير سليمان باشا لبعض أتباعه، فأتى بفرو، فألبسه مولانا الشريف عبدالكريم، ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبدالحسن، ومولانا الشريف عبدالكريم، ومعهم الوزير سليمان باشا، ومكثوا بها ساعة، وتعاهدوا ثمة على الصدق فيما بينهم، وخرجوا جميعاً.

فسار الشريف عبدالكريم إلى بيت الشريف بركات بن محمد، وجلس للتهنئة، وخلع على أرباب المناصب، والعساكر، والحشم، ونادى المنادي أيضاً بالزينة ثلاثة أيام، وبعث إلى الطائف فنودي له فيها، وخطب له على المنبر، وأطاعته جميع العرب، وبعث إلى المدينة، ومدحته الشعراء بقصائد، وأجازهم.

وأما الشريف سعيد فإنه توجه إلى جهة المدينة ونزل ببني إبراهيم^(٢)، واستمر بديارهم أياماً حتى اجتمع إليه بعض عرب منهم، ومن جهينة، وآخرون من لفق هناك، فأخذ بندر ينبع، وأنزل فيه ابنه السيد عبدالله بن سعيد، وأقام هو بالجابرية^(٣)، وصار يعطي كل بدوي عشرين أحر وأردين حباً

(١) هو المجلس الذي تنازل فيه الشريف عبدالحسن عن شرافة مكة للشريف عبدالكريم في الخطيم بالمسجد الحرام.

(٢) بنو إبراهيم: بطن من بني مالك من جهينة، كان لهم خطر فيما قبل القرن العاشر الهجري، قال الأمر إلى إخضاعهم، وهدم معقلهم، وديارهم ينبع النخل، ولهم فروع عديدة منها الصراصرة، والمسافرة، والشاطرية وغيرهم (انظر: معجم قبائل الحجاز ص: ١١-١٢، وقلب جزيرة العرب ص: ١٤٥-١٤٦، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢/١).

(٣) الجابرية: من قرى ينبع النخل بمنطقة إمارة المدينة المنورة (المعجم الجغرافي ٣٤١/١، ومعجم معالم الحجاز ١٠٣/٢).

من حب لأهالي مكة وجدة كان هناك من بقية الجراية، وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسله للوكلاء بجدة، واستمر ابنه بينبع، إلى أن جهّز إليه^(١) مولانا الشريف عبدالكريم السيد عبدالله بن محمد بن بركات بن محمد، ومعه بعض الأشراف وعسكر، فترّل بالصفراء، وأرسلوا للشريف سعيد وقالوا له: اخرج من بلاد الشريف. فردّ لهم جواباً غير لائق، فأيقنوا منه الخلاف. فسارت الأشراف بمنّ معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ أهل الفرع بما معه من قومه، ومبارك بن رحمة شيخ حرب بمنّ معه من قومه، إلى وصلوا إلى ينبع البحر، فمانعهم السيد عبدالله بن سعيد، فحاصروه أياماً، ثم عجز، وطلب الأمان فأمنوه، وخرج ليلاً إلى أن لحق بأبيه، وأقام معه بالجابية. وتفرقت عنهم العرب، ولم يبقَ معهم إلا عبيدهم ومنّ يلوذُ بهم، وكانت هذه الواقعة رابع عشر جمادى الأولى. هذا ما كان من أمر الشريف سعيد^(٢).

وأما الشريف سعد: فبعد أن خرج إلى المعابدة، أرسل إلى ابن أخيه الشريف عبدالحسن، وطلب الإقامة بنجد، مكفولاً مكفوفاً معاملاً له^(٣).

ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبدالكريم، بعث إليه فيما طلبه من

(١) في خلاصة الكلام ومنايح الكرم: عليه.

(٢) انظر لما تقدم: منايح الكرم (٣٢٤/٥-٣٢٨).

(٣) طلب الشريف سعد هذا الطلب من ابن أخيه الشريف عبدالحسن، ثم من الشريف عبدالكريم فيما بعد لمعرفتهما بهذه المنطقة، فهو قد دخلها غازياً عام ١١٠٥هـ و ١١٠٧. أي أن يكون عاملاً لها من قبلهم (انظر: عنوان المجد ٤١٢/٢).

الشريف عبدالحسن، فأجابه إلى ذلك، وذلك بعد خروجه من مكة إلى نواحي الشرق.

ثم [بعد]^(١) برهة جمع جماعة من الروقة^(٢) ومخلد^(٣) والنفعة، وقبائل من الأعراب، وأطمعهم بالمال، وأراد أن يدخل بهم الطائف، فصده وكيل الدير السيد عبدالله بن حسين^(٤) بن جود الله وجماعة من الأشراف كانوا بالطائف في عملة الشريف عبدالكريم، وكانوا ينيفون على السبعمائة، مع جملة عبيدهم وحواشيهم من ثقيف^(٥) وبني سعد^(٦) وغيرهم، وتجهّزوا للقائه، فتوجه إلى مكة، وكان الشريف عبدالكريم لما سمع بقدم الشريف سعد خرج إلى المعابدة، واستمر هناك متهيئاً للقائه.

فلما كان ليلة الثلاثاء سادس جمادى الأولى وصل الشريف سعد إلى

- (١) قوله: "بعد" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣٨)، ومنايح الكرم (٣٢٩/٥).
- (٢) الروقة: بضم الراء وسكون الواو: أحد فرعي عتية الرئيسين، وتمتد ديارهم من رهاط شمال مكة آخذة بشرق إلى داخل نجد قرب الرياض (معجم قبائل الحجاز ص: ١٨٤، وقلب جزيرة العرب ص: ١٨٧).
- (٣) مخلد: أحد فروع بلي. إذ أن بلياً تقسم إلى خزام، ومخلد. والمخلد فروع عديدة، وبطون كثيرة، فمن فروعها: الحمر والزبالة، والسحمة، والعراوات، والبركات، والهروف، والقواعين (معجم قبائل الحجاز ص: ٤٧٦).
- (٤) كذا في الأصل وخلاصة الكلام ومنايح الكرم، وقد سبقت: عبيد الله بن حسن.
- (٥) ثقيف: إحدى القبائل الحجازية العريقة، لا زالت في مساكنها القديمة حول الطائف (معجم قبائل الحجاز ص: ٦٦).
- (٦) بنو سعد: قبيلة شريفة الأرومة، تنتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وديارهم من الطائف إلى جهة الجنوب الشرقي، وهم أصحاب غم، وهم حضنة رسول الله ﷺ، وتنقسم بنو سعد اليوم إلى: الثبته، والبطين (معجم قبائل الحجاز ص: ٢١٧-٢١٨، ونهاية الأرب للقلقشندي ص: ٢٩٠، وقلب جزيرة العرب ص: ١٦٣).

الهميجاء ونزل بها - وهي محل على ميل من مكة مما يلي الجعرانة -.

وسار في آخر الليل بمن معه، فما [شعروا به]^(١) إلا وهو قد وصل بيوت المعابدة - مما يلي أذاخر -، فذهب من معه من البدو^(٢) أهل المعابدة، فركب الشريف عبدالكريم بمن عنده، وطلع له عسكر الباشا من ترك ومغاربة^(٣)، ومعهم كيخية سليمان باشا^(٤) وبعض أشراف من آل أبي غني^(٥)، فكّر الشريف سعيد راجعاً إلى أن نزل الخرمانية^(٦) - محل قريب من الهميجاء - ووقعت العسكر في البدو، وعمل السيف فيهم. ولحق بالشريف عبدالكريم السيد بشير بن جازان، ومعه نحو سبعين مقاتلاً من هذيل يقال لهم:

(١) في الأصل: شعر. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١٣٩)، ومنايح الكرم (٣٣١/٥).

(٢) مثل الروقة والنقعة وغيرهم.

(٣) المقصود الجند من الشام ومصر وغيرهم.

(٤) وهو علي آغا التركماني (منايح الكرم ٣٣١/٥).

(٥) أبو غني بن باز بن هاشم بن عبدالله.

(٦) الخرمانية: هي حائط خرمان، وهو من ثنية أذاخر إلى بيوت جعفر العلقمي وبيوت ابن أبي الرزام وماجله قائم إلى اليوم، وكان فيه النخل والزرع حديثاً من الدهر، وكان له عين، ومشروع يرده الناس (الأزرق ٢٢٩/٢)، وقد أصبح اليوم ميداناً واسعاً بين مصب شعب أذاخر الجنوبي والشعبة - شعبة النور - وهو اليوم موقف السيارات إلى الطائف، يشرف عليه من الشرق صفي السباب، وقد نقل موقف السيارات إلى العدل، وأقيم في الخرمانية بناء ضخمة لأمانة العاصمة المقدسة (معجم معالم الحجاز ١١٧/٣).

الصلمان^(١)، ولحق به [أيضاً سليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر، وكان قد ورد هذا اليوم]^(٢) من جدة، وكان قد تفرق عن الشريف عبدالكريم كثير من الأشراف مغاضبين له، ولم [يحصُر]^(٣) هذه الواقعة منهم أحد، واستمر في المقاتلة إلى الساعة الثالثة من النهار، فصُوِّبَت فرس الشريف سعد برصاصة، وصُوِّب السيد [أبو]^(٤) نمي بن باز بن هاشم بن عبدالله برصاصة، فسقط من [على]^(٥) فرسه. وقتل نحو خمسة عشر فرساً من خيل الأشراف، وقتل من قوم الشريف سعد ما ينيف على الثلاثين، وعقر من إبلهم ما ينيف على العشرين، وقتل من جماعة الشريف عبدالكريم نحو سبعة أو ثمانية، وامتزجت الدماء من الخرمانية إلى رأس الشعبة من ريع أذاخر، دماء الناس والخيول والإبل.

وفي الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد، فولّوا هاربين، فحمل عليهم الشريف عبدالكريم بمن معه حملة واحدة، وصاروا يقتلون فيهم، وصاروا هاربين، وخرج من عامّة الرعية أكثر من عامّة المخاربين، وهم يصيحون برفع الصوت ويكبرون عليهم.

(١) من صُليم. ويقال لهم: الصلمان، وهم فرع كبير ذو فروع عديدة من قُليت من هذيل، تركّز دياره في نخلة اليمانية وما حولها كحنين وسولة وما جاورها (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٦٨).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٣٩)، ومنايح الكرم (٣٣٢/٥).

(٣) في الأصل: يحضروا. والتصويب من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضعان السابقان.

(٤) في الأصل: أبي. والتصويب من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضعان السابقان.

(٥) قوله: "على" زيادة من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضعان السابقان.

وكانت مقتلة عظيمة ومصيبة مهولة، ولم يزالوا يقتلون فيهم إلى أن أوصلوهم الهميجاء، فكمن الشريف سعد ببستان هناك فيه ابنته الشريفة سعدية^(١) بنت سعد بن زيد، فوقف إليه السيد عبدالكريم من جانب، والسيد عبدالحسن من جانب، ووقف لوقوفهما من معهما من الأشراف والعرب، إلا أنهم رموا الرصاص على نفس البستان، وكادوا يصيرون الشريف [سعداً]^(٢)، فخرج من الجانب الآخر، وتبعه مَنْ سلم من القتل، ورجع الشريف عبدالحسن من الهميجاء.

وأما الشريف عبدالكريم فلحق بالشريف سعد وَمَنْ معه مِنَ الأتراك والعسكر، وجدّوا إلى أن وصلوا بستان سليمي^(٣)، وهم يتخنون القتل وينهبون ما قدروا على فبه من الإبل والخيول، وقتل بين سليمي والهميجاء أكثر مما بين الهميجاء وأذاخر، فصاح الشريف سعد وطلب الأمان، ودخل على السيد محمد بن عبدالله بن حسين بن عبدالله، فأدخله، وطلبه أن يأخذ له مهلة عشرة أيام، ويقيم ببستان سليمي، فكَلَّم فيه الشريف عبدالكريم في ذلك، فامتنع، وأبى إلا أن يسير من وقته من حيث جاء وإلا فلا أدعه أبداً.

فرجع الشريف محمد بن عبدالله وأخبره بما قاله الشريف عبدالكريم، فسار

(١) كان للشريف سعد بن زيد ابتان عرفتا بالقوى والصلاح، وهما الشريفة سعدية، والشريفة عينا (هامش منائح الكرم ٣٣٣/٥).

(٢) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٣٩).

(٣) بستان سليمي يقع شمال شرق الهميجاء (هامش منائح الكرم ٣٣٤/٥).

مارةً ببستان سليمي، وبات بالزيماء^(١)، وتفرّق مَنْ بقي معه من العربان، فرجع الشريف عبدالكريم عند ذلك إلى مضاربه بالمحصب، وبات هناك، ودخل صبيحة يوم الأربعاء ثامن الشهر في آلاي أعظم بجميع عساكر مصر وعساكر الباشا، إلى أن وصل منزله، وجلس للتهنئة، وامتدحه الأدباء.

ثم إن الشريف سعد لما وصل إلى كلاخ^(٢) تيامن عن طريق عَفَّار^(٣) إلى الليث^(٤)، ثم إلى القوس^(٥)، ونادى في بني علي^(٦) وبني

(١) الزَّيْمَة - الزيماء -: قرية قريبة من سولة بوادي نخلة اليمانية، تشتهر بكثرة بساتينها، على بعد ٤٥ كيلاً على طريق الطائف مكة القديم (انظر: معجم البلدان ١٦٥/٣، ومعجم معالم الحجاز ١٥٠/٤، ومعالم مكة ص: ١٢٤).

(٢) كلاخ: قرية وسط وادي كلاخ، وهو وادٍ كثير القرى جنوب الطائف على مسافة ٤٦ كيلاً، وهي تابعة للنقعة وغيرهم من عتية (معجم معالم الحجاز ٢٢٤/٧، والمعجم الجغرافي ١٢١٩/٣). وقال ياقوت الحموي (٤٧٤/٤): كلاخ: موضع قرب عكاظ.

(٣) عفار: موضع بين مكة والطائف (انظر: معجم البلدان ١٣١/٤، ومعجم معالم الحجاز ١١٩/٦).

(٤) الليث: وادٍ وبلدة في الجنوب الغربي من الحجاز، يأخذ وادي الليث من السراة الواقعة جنوب الطائف على قرابة سبعين كيلاً فيدفع غرباً بين وادي يللم شماله والشاقة السامية جنوبه، وهو وادٍ فحل كثير القرى والزرع، يمر على ١٥٠ كيلاً تقريباً جنوب مكة. أما بلدة الليث فهي على مصب ذلك الوادي في البحر جنوب جدة بحوالي ٢٠٠ كيل (معجم معالم الحجاز ٢٦٩/٧-٢٧٠).

(٥) أي قوس الغزيري. وبالبحث عنه لم أجد تعريفاً للاسم كاملاً، إنما وجدت القوز فقط، حيث ذكر حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (١١٩٣/٣) أن القوز قرية من قرى الليث، وهذا ربما يكون الموقع.

(٦) بنو علي: بطن من بني دوس من زهران (معجم قبائل الحجاز ص: ٣٤٦).

عُمَرَ^(١)، وبقية قبائل زهران^(٢) وغامد^(٣)، وأطعمهم في أخذ القنفذة وما فيها من الأموال، فأجابوه، فأخذوا القنفذة.

فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل إليهم عسكرياً من عسكر الوزير سليمان باشا من طريق البحر، وأمرَ عليهم مملوكاً^(٤) للشريف أحمد بن زيد، فوصلوا القنفذة، وحاصروا أولئك القوم، فخرجوا منها ونزلوا بمداسة^(٥) علو دَوْقَة^(٦)، واجتمع إليهم كثير من العربان، حتى بلغوا ثلاثة آلاف، ومعه خمسة

(١) بنو عمر: بطن من بني سفيان من ثقيف، لهم شفا يعرف باسمهم جنوب الطائف على ٣٠ كلم (معجم قبائل الحجاز ص: ٣٥٠).

(٢) زهران: بطن من الأزد كان ولا زال يسكن السراة التي كانت تعرف بسراة الأزد، وتعتبر من القبائل الرئيسية الشهيرة في جنوب الحجاز، وتقع ديارها جنوب الطائف على (١٩٠) كيلاً، يحدها شمالاً بنو مالك، وشمالاً شرقياً بلحارث، وشرقاً وجنوباً شرقياً غامد، وجنوباً غربياً زيد (من حرب) والأشراف ذوو حسن بن عجلان، وغرباً الساحل وبعض ديار الأشراف ذوو حسن (معجم قبائل الحجاز ص: ١٩٩).

(٣) غامد: هم بنو غامد بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر. كانت ديارهم من القديم مجاورة لديار زهران، وتقع ديار غامد اليوم في السراة على (٢١٥) كيلاً جنوب الطائف، وتميل بطون عديدة منها إلى قمامة، ولها قرى وأودية زراعية هناك. وتنقسم غامد إلى: حاضرة وبادية. فالحاضرة هم سكان مدن: الباحة، وبلجرشي، والظفير، ومن البادية: رفاعة، والزهران، والحلة، وآل طالب، والقنازعة، وفرع من بني كبير، والمجاهجة، وآل سُلَم، والزوايع (معجم قبائل الحجاز ص: ٣٧٧).

(٤) هو إيواز آغا (مناخ الكرم ٣٣٩/٥).

(٥) مداسة: ذكرها حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (١٢٩٢/٣) باسم: مدسة، وهي من قرى إضم بمنطقة الليث.

(٦) دوقه: واد على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا قمامة، بينه وبين يلملم ثلاثة أيام، وهو من أودية القنفذة المأهولة، وفيه قرية بهذا الاسم وتقع جنوب الليث (معجم البلدان ٤٨٥/٢)، ومعجم معالم الحجاز ٢٤٠/٣.

أشراف، فخرج الشريف عبدالكريم من مكة لملاقاتهم وحرهم ومعه الشريف عبدالحسن، وكثير من الأشراف والعساكر، وكان قد أرسل قبله جماعة من الأشراف وغيرهم مدداً لمن كان هناك، وأمرهم بالتؤدة إلى أن يصلهم، فكان من قدر الله أن وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله، واشتد القتال، وكادوا أن يهربوا لكثرة من مع الشريف سعد من العرب، ثم هبت عليهم ريح النصر، فانكسرت قبائل الشريف سعد، وطلب الشريف سعد منهم الذمة ثلاثة أيام، فسمحوا له بذلك بشرط أن يرحل ويدخل الحجاز، فلم يرد لهم جواباً، وكان ذلك بمداسة.

فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة، لم يشعروا إلا وقد دههم^(١) بعد أن أفسدت قبائله قبائلهم، فلما ظهر للأشراف ذلك انحاز بعضهم إلى قوم الشريف سعد. وأما جماعة الشريف عبدالكريم فترفعوا وعادوا إلى دَوْقَة، فلما بلغوا دَوْقَة وجدوا بها الشريف عبدالكريم، فتقوّوا به، ورجعوا إلى قتال الشريف سعد، فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه، ولم يبق معه أحد، فقصد الشريف سعد أرض غامد، وليس معه إلا ثلاثة أو أربعة من الخيل، ومثلها من الركاب، فأقام الشريف عبدالكريم بالقنفذة، وجهاز أخاه الشريف حامداً إلى الطائف ومعه مائتان خوفاً من أن الشريف [سعداً]^(٢) يقصد الطائف، فلما دنا من الطائف بلغه أن الشريف سعداً سبقه إليه،

(١) دههم: أغشوههم فجأة (لسان العرب، مادة: دهم).

(٢) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٠).

[ودخل]^(١) الطائف ومعه نحو ألف وثلثمائة من غامد وزهران، وذلك لستَ وعشرين خلت من رمضان، ونادى فيه لنفسه، وخرج متوجهاً إلى مكة، والتفّ على من معه كثير من العربان وغيرهم، حتى صاروا أمماً كثيرة.

وأما السيد حامد فدخل الطائف ونادى فيه لأخيه الشريف عبدالكريم.

ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضراً حضره القاضي والمفتي والعلماء، والسادة الأشراف، وأكابر العساكر عند مقام الحنفي في الثامن والعشرين من رمضان، وقال لهم الباشا: إن الشريف سعداً جمع جموعاً وقصده مكة وأخذها بالغلبة، والحال: أنه نزل عنها لولده الشريف سعيد سابقاً؛ لادّعائه العجز عن القيام بها، وإنا عزلنا ابنه الشريف [سعيداً]^(٢) لعدم رضا بني عمه [به]^(٣)، حيث قطع معاشهم، ووقع بذلك فساد الطرق، وقتل العالم، ونهب الأموال، وتولّد من ذلك ما شاهده العالم من القحط^(٤) والغلاء، ووضعنا محل الشريف ابن عمه الشريف عبدالمحسن، ثم إنه نزل عن طيب نفس وانشراح صدر للشريف عبدالكريم؛ لما رأى فيه من الصلاح، وقد صلحت معه العباد والبلاد، وأمنت الطرق، وعاش الناس، فقال كلٌّ من في المجلس: نعم، لا يصلح لها إلا هو.

(١) في الأصل: ووصل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٠)، ومنايع الكرم (٣٤١/٥).

(٢) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤١).

(٣) قوله: "به" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنايع الكرم (٣٤٣/٥).

(٤) كما حدث في عام ١١١٥ هـ.

ثم قال: أعرضنا على الأبواب بعد رضاء أهل الحلّ والعقد، ثم نسأل الحاضرين عن الحكم في هذا المتغلب، فقالوا: على عسكر السلطان وعونة الإسلام دفعه وقتاله. فحكم القاضي بذلك، وكتب بموجب ذلك حجة، فأجاب جميع العساكر بالسمع والطاعة والخروج لدفع هذا المتغلب.

فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا سلاحهم، وباتوا ليلة الثلاثين مظهرين الاستعداد للمقاتلة، ونزلوا في المتارس، فلما أقبل الشريف سعد بقومه نزلوا عن متارسهم بغير قتال، والله أعلم بحقيقة الحال.

وبلغنا أن الشريف [سعداً]^(١) لما رجع إلى غامد وزهران جاءه بعض الرمالين^(٢)، فقال له: إني أرى لك أنك تلي أمر مكة، ولا بد لك من دخولها، ولكن إن أمضيت مجداً في السير هذا، فإنك تملكها ما دام الشريف عبدالكريم بأرض اليمن.

فعند ذلك جدّد العزم، وسار مجداً في ليله ونهاره، قاطعاً للجبال^(٣) والرمال برجله؛ لعدم سلوك الخيل مركوبة في تلك الأماكن، فما راع الناس صبح الثلاثين من رمضان إلا وهو بالأبطح^(٤).

(١) في الأصل: سعد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤١).

(٢) الرمالون: من يتعاطى علم الرمل، وهو علم يبحث فيه عن المجهولات (المعجم الوسيط ٣٧٤/١).

(٣) لأن هذه المنطقة جبلية وعرة، فيها سلسلة جبال السراة.

(٤) الأبطح: تقدم التعريف به.

وكان مولانا الشريف عبدالكريم بأرض اليمن، ولم يكن بمكة من الأشراف إلا شُرذمة قليلة، وكان قائمقام الشريف عبدالكريم بمكة السيد محمد بن عمرو بن محمد بن بركات، فتَهِياً بِمَنْ معه من الأشراف، واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا وَمَنْ تَلَفَّقَ معهم، فأطلعوهم على جبال المعلا المتصلة بالمعابدة، وجعلوا عسكر مصر الإنقشارية على جبل أبي قبيس، وركب هو ومن معه من الأشراف وتبطنوا^(١) وادي إبراهيم^(٢) المعروف بالخرِيق^(٣)، ومعه بعض العسكر، ورموا بالرصاص إلى أن تكاثر عليهم العربان، وانتشروا في الجبال كالجراد.

ونزلت العساكر من مراكزهم، فملكها حينئذ جماعة الشريف سعد، وصار رميهم بالرصاص يصل إلى محل وقوف الأشراف بالخرِيق.

(١) أي: نزلوا إلى بطن الوادي متحصنين به.

(٢) وادي إبراهيم: هو الوادي الذي يقع فيه البيت الحرام، منابعه من ثبير غيناء وثبير النصع وجبل الطارقي وحراء، ثم يدفع غرباً ماراً بين الحجون والحنادم، ثم بالمسجد الحرام، ثم بالمسفلة حتى يدفع في وادي عرنة شمالاً (معجم معالم الحجاز ٢٩/١).

(٣) الخريق: هذا أحد المواضع المسماه بالخرِيق، وهناك خريق العشر، وخرِيق الموالي.

فلما وصل الشريف سعد بستان الأزمرلي علمت الأشراف أن لا قدرة لهم عليه، فخرجوا من مكة، ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة.

وتغلبت البادية التي مع الشريف سعد على النهب من كل جهة، فنهبت البيوت، وأخذوا ما وجدوا من نقود، وقوت، وماعز، وهان من متاع وأثاث، وأراعوا الذكور والإناث، فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه، وكم من حرّة شريفة هتكت، وكاسية سلبت، وحامل أسقطت، فما زالوا ينهبون الرفيع والوضيع، ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل، فمن الناس من مات فجأة، ومنهم من مرض، ومنهم من اختبل^(١).

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٢): ونادى الشريف سعد في مكة لنفسه، ونزلت عربه ونهبت مكة جميعها في ساعة رملية، حتى بيوت الأشراف، فهذا النهب أول من سنّه بمكة الشريف سعد، وتبعه الملوك الذين بعده، وقد كان قديماً تحصل الخرائب بين الأشراف والسوق عامر، والأبواب مفتحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم نادى مناديه بالكف عن النهب. انتهى.

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٣٧-١٤٢). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣٢٤/٥-٣٤٧). وانظرها

مختصرة في: إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٤٤-٢٤٩).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٤٩).

فلما حلَّ الشريف سعد دار السعادة أرسل إلى سليمان باشا بالأمان لئسكنَّ الشأن، غير أنه لم يأمنه، فجمع الباشا جميع جنده عند بابه، وملاً المدافع، وفرّق بعض العسكر في البيوت حوله أياماً عديدة، والشريف سعد يأمره بترك ذلك [ويقول له: أنت آمن على نفسك ومالك، فقال: ليس إلى ترك هذا سبيل، والله حسبنا ونعم الوكيل]^(١)، [ثم أرسل]^(٢) إليه يقول له: أنت من الوزراء وأرباب الدولة، فلا بأس أن [تلبسني]^(٣) خلعة^(٤) الشريف لتأمن العباد والبلاد، ويطيع الحاضر والباد، فلم يجبه إلى مطلوبه معتمداً على استعداد.

فلما أيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس في الحرم الشريف حضره القاضي، والمفتي، وجماعة من العلماء، وبني عمه، فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه، وقال: اعلّموا أيها الناس أي كنت نزلت عن شرافة مكة لولدي سعيد، فلما لم يصلح لها عزله [بنو]^(٥) عمه، وولّوا ابن عمه عبدالمحسن، ثم إنه نزل عنها للشريف عبدالكريم، فالتصمت منه إقامة أودي^(٦)، فأبى بعد الرضا

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٤٢)، ومنايح الكرم (٣٤٨/٥).

(٢) في الأصل: وأرسل. والتصويب من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: تلبس. والتصويب من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضعان السابقان.

(٤) لبس الخلعة هنا كناية عن الاعتراف الرسمي بشرافته.

(٥) في الأصل: بني. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٢).

(٦) المقصود هنا أن الشريف عبدالحسن لم يولي الشريف سعد ما أراد من توليته ولاية نجد.

بذلك، فوثبت عليها الآن^(١)، فهل ترون أي أحق بها وأهل لها؟ فقال الجميع: نعم. فقال: اذهبوا إلى سليمان باشا وألزموه أن يُلبسني خلعة التشريف، لتقرّ العباد والبلاد.

فذهبوا إليه، فقال: أمر سهل، لكن على شرط أن يكتب حجة شرعية تتضمن: أن الشريف سعيداً قد أفسد البلاد وأضرّ بالعباد، وأن ذلك [سبب]^(٢) قيام بني عمه عليه، وعزلهم له، وأنهم ولّوا عبدالحسن برضاهم، وأنه نزل عنها بطيب نفسه للشريف عبدالكريم برضاه ورضى بني عمه الأشراف؛ لكونه أحق بهذه الشرافة، وأصلح لها، وأنه خرج لإصلاح بعض الطرقات، فتغلب عليها الشريف سعد بسبب غيبتة، ودخل مكة. فأفهم ذلك إلى الشريف سعد، فعبّجّل ياذنه بكتابة ذلك، فكتب بذلك حجة، وأرسل له الباشا قفطاناً ألبسه إياه بعد أخذ الحجة، فنادى مناديه في شوارع مكة سادس [عشر]^(٣) شوال بالأمان والاطمئنان، وأن البلاد بلاد السلطان وبلاد الشريف سعد^(٤).

الولاية الرابعة للشريف سعد

وهذه الولاية الرابعة، ومدتها ثمانية عشر يوماً.

وثاني يوم النداء -سابع عشر شوال- جاء الخبر أن الشريف عبدالكريم

(١) المقصود بذلك أخذ الشرافة.

(٢) في الأصل: بسبب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٢)، ومنايح الكرم (٣٤٩/٥).

(٣) قوله: "عشر" زيادة من منايح الكرم، الموضع السابق.

(٤) خلاصة الكلام (ص: ١٤٢). وانظر: منايح الكرم (٣٤٧/٥-٣٤٩).

في الحسينية قافلاً من اليمن، ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة وحرب، واستمر هناك إلى الظهر، وانتقل منها إلى المفجر^(١)، فقاومته هذيل، وقوموا شرار الحرب، وكانوا مع الشريف سعد، جمعهم له السيد أحمد بن جازان معونة له، فحمل عليهم جماعة من عتيبة^(٢) وحرب^(٣) الذين كانوا مع الشريف عبدالكريم، فأثخنوا فيهم الجراح، وطردوهم عن موافقهم.

وأما الشريف سعد فإنه لما بلغه انتقال الشريف^(٤) ومسيره بمن معه إلى

(١) المفجر: سمي مفجراً، لما فجر فيه وسفك فيه من الدماء وانتهك من حرمة الحرم (الأزرقى ١٠٦/١). والمفاجر في مكة ثلاثة: المفجر الغربي: فجّ يفصل بين جبال مكة وجبل ثور جنوب مكة، يأخذه طريق كُدي إلى منى وعرفات.

والمفجر الأوسط: فجّ تخرج فيه من المحصب بصدر مكة إلى جهات جنوب منى في حي العزيرة "حوض البقر" سابقاً.

والمفجر الشرقي: فجّ في طرف مزدلفة من الشمال، يفصل بين ثبير النصح وثبير الأثيرة، يخرجك إلى وادي أفاعية وجبل حراء. والمقصود هنا المفجر الأوسط (معجم معالم الحجاز ٢١٨/٨).

(٢) عُتَيْبَة: تقدم التعريف بها (ص: ٤٨١).

(٣) حرب: قبيلة يمانية النسب حجازية الوطن، تنسب إلى حرب بن سعد بن سعد بن خولان، ديارهم تمتد من القنفذة في جنوب مكة إلى حدود العراق. وتنقسم قبيلة حرب اليوم إلى فرعين عظيمين هما: بنو سالم، ومسروح (معجم قبائل الحجاز ص: ١٠٧-١٠٨).

(٤) الشريف عبد الكريم.

المفجر، خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بمن معه من الأشراف مكملون [اللبسة بالدروع]^(١)، وهم خمسة وأربعون، ومعه من بقي ممن كان معه من العرب، وصعد بمن معه إلى أعلى مكة، ونزل المنحنى.

وأما الشريف عبدالكريم ومن معه من الأشراف والعرب، فإنهم بعد هزيمة هذيل شَمروا عن ساعد الجدّ، ودخلوا جميعاً سائرين إلى أن وصلوا الخصب، فانصبّ عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالخصب، فلم يبالوا بذلك، إلى أن شارفوا الشريف سعداً ومن معه، فوقع القتال، ووقعت مطاعنة من الأشراف في بعضهم البعض، فضربت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت به على الأرض، ونودي عليه، فدخل على السيد عبدالعزیز بن محمد بن حمود، فأكبّ عليه ومنعه من الطعن، ويقال: إنه طعن ثلاث طعنات، فأركبه على فرسه، وحضنه، ومضى به إلى العابدية^(٢)، ووقع انكسار شنيع بقبائله، وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم، وحصل قتل في جماعته، وهرب مَنْ هرب، منهم ابن جمهور العدواني.

ودخل الشريف عبدالكريم والشريف عبدالاحسن مكة بين المغرب والعشاء، [ونزلاً]^(٣) على سليمان باشا، وتلاهم مَنْ معهم من الأشراف وسيوفهم شاهرة في أيديهم، ورماحهم مشرعة على أكفاهم،

(١) في الأصل: ألبسة الدروع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٣)، ومنايح الكرم (٣٥٠/٥).

(٢) العابدية: عين مشهورة كانت تتبع من وادي نعمان ثم تسقي أرضاً خصبة على التقاء عرنة بنعمان. وفي سنة ١٣٩٩هـ ضربت إبر ارتوازية (طلمبات أعماق) في وادي نعمان فجف ماء العين وتوقفت عن الجريان (معجم معالم الحجاز ٩٩/١٠).

(٣) في الأصل وخلاصة الكلام: ونزل. والتصويب من منايح الكرم (٣٥١/٥).

إلى أن دخلوا بيوتهم، ثم نودي في تلك الليلة بالأمان، وأن البلاد بلاد الشريف عبدالكريم^(١).

الولاية الثانية للشريف عبدالكريم

وهذه الولاية الثانية للشريف عبدالكريم، وإن كان الشريف سعداً أخذها بالغلبة.

وحال نزوله بيت الباشا، أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء وإقامة الصلاة، فامتلأ الرئيس ذلك، فأقيمت الصلاة، ثم بعد الصلاة رجع إلى المحصب ومعه تلك البادية، وبات تلك الليلة هناك، ودخل في الصبح ثامن عشر شوال في آلاي عظيم، وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما فرّوا هارين دخلوا دار السعادة، وجماعة دخلوا دار جوهر آغا وغيره من البيوت، وجماعة في جبل أبي قبيس بزاوية الشيخ بابقي والبيوت التي حوله، فأقاموا يومهم وليلتهم محاصرين إلى الضحوة الكبرى. ثم أرسل الباشا مدافع وعسكراً، ورموا بالمدافع إلى الأماكن التي فيها أولئك المحاصرون، فكسرت الأبواب، فدخل العسكر وقتلوا من كان هناك، وربطوا جماعة وذهبوا بهم إلى بيت الباشا، فقتلوا هناك، واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يبق إلا من توارى، ثم تبعوا من كانوا في جبل أبي قبيس فقتلوهم، حتى وصلوا بالقتلى إلى

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٤٢-١٤٣). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣٤٩/٥-٣٥١).

الصفاء، وكانوا نحو الستمائة، وكان يوم سخط، وكل محل من مكة تجد فيه القتلى. قيل: إن عدة القتلى في ذلك اليوم ألف ومائتا رجل، حتى عجز الناس عن موارقهم، وصاروا يحملونهم على [العجلات]^(١) ويرمونهم من [رواشن]^(٢) دار السعادة وأسطحتها إلى الأرض، فيجرونهم جرّ الرمم، ويلقونهم في العجلات، ويحفرون لهم حفراً، ويلقونهم فيها، وجمعت الرؤوس في حوش الشريف، وحملت في الخيش^(٣)، وبني منها رضم على خارجة سبيل السلطان مراد في المعلا ليعتبر المارّ بهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

واستمر الشريف سعد بالعابدية مريضاً، حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد خامس ذي القعدة سنة ست عشرة ومائة وألف، وغسل، وصلى عليه الشيخ عبدالقادر المفتي الصديقي [بوصاية]^(٤) وعهد منه إليه، وطلع في جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الأشراف، ودفن في قبة الشريف أبي طالب عند والده الشريف زيد^(٥).

(١) في الأصل: العجلان. وكذا وردت في الموضع التالي، والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٤).

(٢) في الأصل: رواشين. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومناح الكرم (٣٥٣/٥).

(٣) الخيش: ثياب تتخذ من مُشاقة الكتان ومن أردنه (المعجم الوسيط ٢٦٥/١).

(٤) في الأصل: بوصايته. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٤)، ومناح الكرم (٣٥٤/٥).

(٥) انظر: مناخ الكرم (٣٥١/٥-٣٥٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢٥٢/٢)، وقد ازيلت هذه القبة.

وقد تبين لك أن ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات؛ فالمرة الأولى مدته فيها: ست سنوات إلا إحدى وعشرين يوماً، والثانية: سنتان، والثالثة: سبع سنين، وسبعة أشهر، واثنان عشرة يوماً، والرابعة: ثمانية عشر يوماً. فمدة الولايات الأربع: خمس عشر سنة، وسبعة أشهر، وتسعة أيام، وولادته سنة اثنتين وخمسين وألف، فيكون عمره: أربعاً وستين سنة.

وفي هذه الفتنة قبل وصول الشريف عبدالكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات والجهات، وصارت الناس تؤخذ من المعلاة والشبيكة والمسفلة، وقلَّ أن تجد أحداً يمشي منفرداً وحده فيها^(١)؛ لكثرة العربان وانتشارهم، وكثر القتل والنهب سيما^(٢) جهة المعابدة.

وفي اليوم الحادي والعشرين من شوال ورد إلى الشريف عبدالحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبدالله بن بركات يخبر: أن الشريف سعيداً قدم من الجابرية إلى ينبع، ومعه من لفائف العرب جماعة يريد أخذ البندر، لما بلغه أن أباه دخل مكة، فخرجنا له ورددناه، فرجع إلى الجابرية وأقام بها.

وبعد استقرار الشريف عبدالكريم بمكة كتبت عروض منه ومن سليمان باشا عليها خطوط العلماء والأشراف بشرح ما قد صار، فلما وصلت إلى مصر أخروها بمصر؛ لتواطئ بين أيوب بك أمير الحج المصري وبين الشريف

(١) في هذه العبارة بين المؤلف سوء الأحوال الأمنية في مكة المكرمة.

(٢) أي لا سيما من جهة المعابدة لوجود الأعراب من عتية وغيرهم فيها.

سعيد؛ لما كان في نفس أيوب بك^(١) من صاحب جدة، وكتبوا من مصر عروضاً غيرها، وأرسلوها إلى الأبواب السلطانية، مضمونها: أن صاحب جدة^(٢) عزل الشريف سعيداً وولى الشريف عبدالكريم من غير جناية.

فلما وصلت إلى الأبواب السلطانية أمر الوزير الأعظم^(٣) صاحب مصر أن يجهز عسكرياً تجريدة ليرجعوا الشريف سعيداً إلى مكانته، ويكون باشا التجريدة أيوب بك.

فلما جاءهم الأوامر السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بك أمير الحج المصري وإيواز بك على إرسال التجريدة إلى مكة إعانة للشريف سعيد، فكان الأمر كذلك، ثم بعد ذلك أطلقوا الوارد بعروض الشريف عبدالكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة، فوصل بها إلى الأبواب، فأراد الوزير كتمها، فمما خبرها إلى السلطان أحمد^(٤)، فأمر بإحضارها، فقرئت بين يديه، فاستدرك الأمر، وكتب إلى سليمان باشا صاحب جدة بأن ينظر فيما هو الأصلح للحرمين، وفوض إليه الأمر أن يولي^(٥) مَنْ فيه الإصلاح، فجهّز صاحب مصر التجريدة وجعل إيواز بك باشا [التجريدة]^(٦)، وأيوب بك أمير

(١) لما في نفسه من ميل إلى تعيين الشريف سعيد على شرافة مكة.

(٢) الوزير سليمان باشا (منايح الكرم ٣٥٧/٥).

(٣) وكان الوزير محمد رامي باشا (تاريخ الدول الإسلامية لأحمد زيني دحلان ص: ١٠٧).

(٤) السلطان أحمد خان بن السلطان محمد الرابع.

(٥) في الأصل زيادة: فيه. انظر: خلاصة الكلام (ص: ١٤٥)، ومنايح الكرم (٣٥٨/٥).

(٦) في الأصل: التجريدة. وهو تصحيف.

الحج المصري، وعجلوا بخروجهم، وباعوا حبّ السلطان^(١) المعين لأهالي مكة، واستعانوا بثمنه على ما أرادوه، فورد إيواز بك بالتجريدة إلى ينبع في ذي القعدة، وسألوا عن الشريف، فأخبروا أنه بالجابرية، فبعثوا إليه واستدعوه، فاعتذر إليهم بعدم وجود لوازم المهمة العلية مما يحتاج إليه في هذه القضية، فبعثوا إليه بما يليق بمقامه من جهازه، وخدمه، وطعامه، فأقبل إلى إيواز بك فخلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبتته مع محمود آغا -أحد أغوات السلطان أحمد- ونادى له ينبع.

ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة ورد مكة سبعة أنفار من [غزى]^(٢) مصر، ودخلوا إلى قاضي مكة ويدهم كتب من إيواز بك أمير التجريدة ومن الشريف سعيد، وفيها خطاب لقاضي مكة وللسرادير، ومضمونها: أن السلطنة أنعمت على الشريف سعيد بشرافة مكة، فأنتم أطيعوا الله والرسول والسلطان، وإياكم والمخالفة، وقد ألبسناه قفطان الشرافة الذي ورد به محمود آغا صحبتنا -وهو أحد أغوات السلطان أحمد-، وهو وارد صحبتنا، ووقع هذا حال ورودنا ينبع ثالث شهر ذي القعدة. فوقع بمكة بموجب هذا الشأن رجّة عظيمة.

فلما بلغ ذلك الشريف عبدالكريم، أرسل إليهم، وسامهم القتل،

(١) السلطان سليمان بن سليم (منايح الكرم ٣٥٨/٥).

(٢) قوله: "غزى" زيادة من منايح الكرم (٣٥٩/٥)، وفي خلاصة الكلام: غز. وهم الأتراك المقيمين بمصر.

وحبسهم إلى الظهر، ثم أطلقهم، ثم شاع ما ينافي ذلك، وأن القفاطين إنما أرسلت باسم الشريف عبدالكريم، وأن هذا الأمر مزيف، وسببه قيام أيوب بك أمير الحج المصري مع الشريف سعيد لغرض في نفسه.

ثم جعل الشريف عبدالكريم محضراً في المسجد، جمع فيه القاضي، والمفتي، والعلماء، والأشراف، وكبار العسكر، واجتمع معهم كثير من الناس، فقال الشريف عبدالكريم: اعلموا أنني دخلت مكة وقد حلّ بها ما حلّ من الغلاء وانقطاع الطريق، وهذا كله سببه الشريف سعيد وحكامه. فقال الناس: صدقت. ثم قال: هل تشهدون أنني ظللت البلاد، وأرحت العباد، وأمنت الناس بعد أن وُلّيت؟ قالوا: نعم. ثم قال: هل حدث مني من المظالم ما يوجب رفعها عنها؟! قالوا: حاشا لله. قال: هل ترضون بولايتي عليكم، أو ترضون بولاية الشريف سعيد؟ قالوا: لا نرضى إلا بك.

قال: هؤلاء الأتراك يريدون تولية سعيد وعزلي. فقالت العامة: باطل، باطل، عن لسان واحد.

ثم إن الأشراف الحاضرين وقع منهم تهديد للقاضي ولمن حضر من العساكر المصرية، وقالوا: لا نسلم لما جاء به إيواز بك ولو كان معه أمر سلطاني بولاية الشريف سعيد، فنحن لا نعصي أمر السلطان، غير أن السلطان لا يرضى علينا الخلاف، ولا يوَلّي علينا إلا مَنْ نرضاه.

فسجّل القاضي صورة ما وقع في هذا المجلس، وكتب به حجة، ووضعت خطوط الأشراف والعلماء والسرادير عليها، وبعثوا بها إلى إيواز بك، فأجاب:

أن صحبتنا أغاة من أغوات السلطان معه أمر سلطاني ناص: بأن شريف مكة لا يكون إلا سعيداً، وليس لنا قصد إلا الإصلاح، ولم نؤمر إلا به، فإذا وصلنا نحن والشريف سعيد إليكم أشرفناكم على ما أمرنا به، ويحصل هناك الاتفاق إن شاء الله تعالى، فأعاد إليه الشريف عبدالكريم والسادة الأشراف: أن دخول الشريف سعيد غير صلاح، وإنما يجلس في موضعه إلى أن يفرغ الناس من الحج، ثم ندعوه إلى مكة وننظر الأمر، فقال إيواز بك: لا بد من دخوله صحبتنا.

فأرسل إليه الشريف عبدالكريم والأشراف يقولون: إذا دخلتم به فما عندنا إلا السيف، فاجهدوا ونجهد، فعند ذلك تخلف إيواز بك بمن معه من العسكر التجريدة، وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصري بالجموم من وادي مرّ، وصمم الشريف عبدالكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو يقاتلهم، فخرج رابع ذي الحجة إلى بئر طوى في عبيده، وتلاحقته [بنو]^(١) عمه الأشراف، فما غربت الشمس إلا وقد اجتمع عنده نحو ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم، وأصبح ذلك الوادي وهو بحر غاصّ بالبوادي، واستمر إلى سادس ذي الحجة.

ومن الغريب أنه ورد ثاني ذي الحجة على سليمان باشا وهو بجدة أمر

(١) في الأصل: بني. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٦)، ومناخ الكرم (٥/٣٦٢).

سلطاني من البحر مضمونه: إبقاؤه على جدة وزيادة سواكن^(١)، وأنا أبقيناك على ما في يدك من تفويض أمر [الحرمين]^(٢)، والأمر إليك في ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية، ولمن يرضاه أهل الحلّ والعقد ويرون فيه الصلاح، وعزل مَنْ ثبت فسادُه.

فبعث سليمان باشا للشريف عبدالكريم يخبره بذلك، فارتاضت نفسه عند ذلك، وعلم أن الله ناظر إليه، فألبس القاصد، ودقّ الزير، وأظهر السرور، واستفاض [الخبر]^(٣) عند القاصي والداني، ففرح الناس بهذا الأمر.

ثم إن سليمان باشا خرج من جدة، ونزل طوى مع مولانا الشريف عبدالكريم ثالث ذي الحجة.

ثم لما كان خامس الشهر دعى سليمان باشا بالقاضي، والمفتي، وبعض العلماء، وأكابر العسكر المصرية الذين بمكة ما عدا عسكر [الإنقشارية]^(٤)،

(١) ورثت الدولة العثمانية ممتلكات الدولة المملوكية في كل من مصر والحجاز واليمن، ثم أخذت في التوسع في الساحل الغربي للبحر الأحمر، حيث سيطرت على مصوع وسواكن، وأطلقت على هذه المنطقة اسم ولاية الحبش، رغم أن الحبشة لم تدخل تحت سيطرة الدولة العثمانية. لكن أطلق هذا الاسم لأنه المخرج لبلاد الحبشة، ووضعت هذه الولاية تحت إشراف والي جدة، وكان يحكمها عن طريق أحد الأغوات حتى عام ١٨٦٥هـ - (نوال ششة - جدة في مطلع القرن العاشر الهجري ص: ٩٠-٩١، محمد ثابت الفندي وآخرون - دائرة المعارف الإسلامية ٣٢٢/١٢-٣٢٣).

(٢) في الأصل وخلاصة الكلام: الحرب. والمثبت من منائح الكرم (٣٦٣/٥).

(٣) قوله: "الخبر" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٤٧)، ومنائح الكرم (٣٦٣/٥).

(٤) في الأصل. الإنقشارية. وكذا وردت في جميع المواضع التالية، والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٧).

فإنهم لم يحضروا، واجتمع الجميع بطوى عند الشريف عبدالكريم والوزير سليمان باشا، وتشاوروا في هذا الأمر، واتفقوا على أنهم يرسلون لإيواز بك ومن معهم ويعذلونهم^(١) عما في نفوسهم، ويحذرونهم فتكة بني حسن الأشراف، ويعرفونهم بما جمعوا من العرب^(٢)، وأن هذا أمر يترتب عليه إبطال الوقوف بعرفة وأداء المناسك، والسلطان لا يرضى بذلك، فإن كان معكم أمر^(٣) فابعثوا به إلينا، ونحن مطيعون لأمر السلطان، فكتبوا ذلك كله، وبعث القاضي بالكتاب مع جوخداره وبعض البلكات، فلما قرؤوه اضطربوا وشارفوا الانقياد إليه، إلا أنه كان من قضاء الله وقدره أن سليمان باشا نزل إلى القاضي بالمحكمة سادس ذي الحجة قبل ورود الجواب إليه من إيواز بك، وأراد أن يجمع وجوه الناس عند القاضي ويظهر أمره الذي بيده ليشهد عليه الناس، وليشهد الناس باستحقاق الشريف عبد الكريم، وأن عزله الشريف سعيد وقع في محله.

فلما اجتمع الناس بالمحكمة ثارت الإنقشارية على الباشا والقاضي والعلماء، وربما شهرت السيوف في المسجد، فهرب الناس ولم يبقَ إلا الباشا وحده عند القاضي، فأخرج القاضي صورة أمر قرئ بحضرة الباشا والعسكر الإنقشارية، مضمونه: أنا قد ولينا الشريف سعيداً مكة، [وردناه]^(٤) إليها

(١) العذل: اللوم والتقريع (انظر: لسان العرب، مادة: عذل).

(٢) القبائل السابق ذكرهم من عتية وحرب وغيرهم.

(٣) أي أمراً سلطانياً.

(٤) في الأصل: وردنا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٧)، ومنايح الكرم (٥/٣٦٥).

بعد عزلكم، فأنتم أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم.

فبرد سليمان باشا عما أراد، فقال له الأتراك: اذهب أنت والقاضي وجماعة من العلماء إلى الشريف عبد الكريم بطوى، وأمره بالخروج من بلد السلطان، وإلا فأنتم الخصماء، فذهب سليمان باشا والقاضي وجماعة من العلماء إلى الشريف عبد الكريم بطوى، فسألوه أن يحقن الدماء ويقيم شعار الحج بخروجه من البلد لله ورسوله.

فجمع البوادي والأشراف، وأخبرهم بما جاء فيه القاضي والوزير والعلماء، فأطاعوه بعد تأبُّ من الأشراف، فرحل بمن معه يوم السادس من ذي الحجة إلى الركابي، وبعث إلى الشريف سعيد وإلى إيواز بك وإلى أيوب بك أمير الحج المصري: أن ادخلوا، فإني أخرت اللقاء إلى بعد الحج، فنودي للشريف سعيد بالوادي^(١)، وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحارث.

وبمجرد خروج الشريف عبد الكريم تقطعت الطرق، وحصل النهب في طريق جدة، وذهبت جملة أموال للناس، وكذلك طريق اليمن، وحصر عن الحج خلق كثير.

ثم إن الشريف عبد الكريم ركب من الركابي، وواجه بيرام باشا أمير الحج الشامي، ومعه جماعة من الأشراف، فاجتمع به في وادي الجموم ثامن شهر ذي

(١) وادي طوى، وهو أحد أودية مكة المشهورة، تقدم التعريف به (ص: ٥٠٨).

الحجة، وصار منهم من [التدابير]^(١) ما تولّد منه النافع الكثير - كما ستراه إن شاء الله -.

وأما الشريف سعيد فإنه دخل مكة يوم السابع^(٢) من ذي الحجة، ودخل معه أمير الحاج المصري أيوب بك وأمير التجريدة إيواز بك، مع التجريدة وسائر عساكر الحج المصري، ومعه نحو أربعين من الأشراف لم يكونوا مع الشريف عبدالكريم في عملته.

وكان دخوله من الشبيكة^(٣) إلى المسجد هو ومن معه، وقد فرّش له بساط^(٤) في الحطيم، وفتحت الكعبة الشريفة، وقرئت له الأوامر على من حضر من الأعيان، ثم خرج إلى منزله الذي بسويقة^(٥).

الولاية الرابعة للشريف سعيد في سادس ذي الحجة سنة ١١١٦هـ

وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد.

(١) في الأصل: التدبير. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٨)، ومنايح الكرم (٣٦٦/٥).

(٢) في منائح الكرم: ولم يدخل مكة إلا يوم التاسع.

(٣) الشبيكة: تقدم التعريف بها.

(٤) البساط: كل ما يسط، وهو ضرب من الفرش ينسج من الصوف ونحوه (المعجم الوسيط ٥٦/١).

(٥) خلاصة الكلام (ص: ١٤٣-١٤٨). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣٥٥/٥-٣٦٦).

والسويقة: بالتصغير موضع مشهور كان على قم شعب قعيقعان.

تقدم التعريف بها (ص: ٤٢١).

وفي ليلة التاسع من ذي الحجة دخل أمير الحج الشامي بيرام باشا، وأراد أن يؤخر القفطان إلى منى، فامتنع الشريف سعيد من تأخيرها، فبعث به إليه، وألبسه في منزله، ثم خرج إلى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا، [ومرّ بمنى]^(١) ولم يَبْثُ بها، ووقف الناس، وكانت الحجة بالجمعة، وحصل للناس الأمان، ولم يحجّ [أحد]^(٢) من أهل مكة إلا القليل، وارتفعت الأسعار بعرفة حتى إن بعضهم اشترى كبشاً بعشرة أحرار.

وفي الخامس عشر من ذي الحجة نزل الشريف عبد الكريم ومنّ معه من الأشراف بوادي التنعيم، وبعثوا إلى الأمير بيرام باشا أمير الحج الشامي، فبعث إليهم الخيام والصواوين^(٣).

واستمر الشريف عبد الكريم بالتنعيم أياماً، حتى ركب إليه بيرام باشا في بعض ليالي الحج، فاستمرّ عنده إلى نصف الليل أو قرب الفجر، ورجع عنه.

وفي مدة إقامة الشريف عبد الكريم بالتنعيم هو ومنّ معه لم يحصل منهم أذى للناس، يطرقهم الطارق آمناً، ويسير إلى مكة آمناً، ولم تزل الرسل بينه وبين إيواز بك وبيرام باشا أمير الحج الشامي.

ثم ارتحلت الأشراف إلى [اليفاع]^(٤) من أعلى الجموم، وشاع في العامة

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٤٨)، ومنايح الكرم (٣٦٦/٥).

(٢) في الأصل: أحداً. والتصويب من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضعان السابقان.

(٣) الصواوين: الخيام الكبيرة (هامش منايح الكرم ٣٦٨/٥).

(٤) في الأصل: البقاع. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٨)، ومنايح الكرم (٣٦٨/٥).

واليفاع: عين جارية بأسفل وادي الهدة، عندها يفترق سيل الهدة إلى شامية ابن حمادى والقعرة، تبعد عن مكة (٥٦) كيلاً شمال مكة (معجم معالم الحجاز ٢٦/١٠).

أثم يريدون أخذ الحج المصري، وقتل أيوب بك، فدخله من الخوف ما أخره عن السفر في معتاده عقب التزل من منى بيومين أو ثلاثة، فقامت عليه الحجاج لشدة ما لحقهم من الغلاء، وعدم الوجدان لما يريدونه، فخرج تاسع عشر ذي الحجة، وكان سبب إقدامه على السفر - بعدما حصل له من الخوف - أن السيد ناصر الحارث وجماعة من كبار الأشراف خرجوا إلى الشريف عبدالكريم ومن معه من الأشراف وسائسهم، وضمنوا لهم الصلح، وتواطؤوا معهم على حالة، وتكافلوا على ما يصلح الفريقين، وأخذوا منهم عهداً على عدم تعرضهم للحج، فخرج الأمير مسافراً، ووصل سالماً، إلا أنه وقع نهب في أطراف الحج المصري^(١).

وهل محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة وسبع عشرة: [وفي]^(٢) سادسه دخل مولانا الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد مكة، ومعه جماعة من الأشراف، طمعاً فيما جرى بينهم وبين السيد ناصر الحارث من العهد المتقدم، فترلوا على مولانا الشريف سعيد بداره التي بسوق الليل، ولم يتخلف إلا ذوو بركات، فإن الشريف عبدالكريم أفهمهم أنه يريد التوجه إلى الشام بمن معه من ذوي بركات، ثم عنَّ له أن يتزل الحميماء، ثم ارتحل عنها إلى محل يقال له: دغيم^(٣) ومعه من البدو ما لا يُحصى، ولم يزل إلى أن نزلت عليه قبائل حرب

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٤٨-١٤٩). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣٦٦/٥-٣٦٩).

(٢) في الأصل: في. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٤٩).

(٣) دغم أو دُغيم: هو خليج في البحر الأحمر عليه نخل وزرع جنوب مصب وادي الحمض، بينه وبين أملج، سكانه جهينة. (معجم معالم الحجاز ٢٢٤/٣).

بجملتهم، وقالوا: لا نفارقك حتى تموت أو نموت.

فبلغ ذلك الشريف سعيداً، واشتد عليه الأمر، فجمع كبار الأشراف وأطلعهم على ما بلغه من قوة الشريف عبد الكريم، ووصول حرب إليه، وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه إليهم، فما أجابه منهم أحد إلى ذلك - هذا فعل من معه في عملته.

وأما بقية الأشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبد الكريم فطلبوا منه ما هو لهم، فأخذ في جمع دراهم لهم، وأعطاهم مما لهم شيئاً يساوي الثلث.

ثم تجهز وخرج إلى طوى، فأقام بها أياماً، إلى أن لحقه الأشراف الذين في عملته، ثم سار مريداً^(١) الشريف عبد الكريم، وأودع البلاد السيد [أحمد]^(٢) ابن حازم، وبعث إلى هذيل، فأقبلوا عليه. فلما وصلوا منى هبوا ما وجدوه من أموال الناس، فلما دخلوا مكة عاثوا فيها بالسرقة والنهب.

فلما شارف الشريف سعيد زحف إليه الشريف عبد الكريم بمن معه، فركب إليه جماعة من الأشراف يصدونهم عن الملاقاة، وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى ننظر في أمرنا معه ومعك، فأجابهم إلى ذلك، فرجعوا للشريف سعيد وأخبروه بأن الشريف عبد الكريم مقاتلك بعد أن خرجت إليه، فإن لم تصلحه

(١) في الأصل زيادة: إلى. انظر: خلاصة الكلام (ص: ١٤٩).

(٢) في الأصل: بلاد. وهو خطأ. والثبت من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومناح الكرم (٣٧١/٥).

وإلا فلا بعد هذا إلا الملاقاة، وقد أخذنا لك مهلة ثلاثة أيام.

فجلسوا معه مجلساً وتشاوروا بينهم، فرأوا أن يجعلوا له كل شهر ألف شريفٍ أحمر، وأن يقيم حيث شاء غير مكة، إلى أن تأتيه أجوبة كتبه من الأبواب، فرضي الشريف سعيد بذلك، فرجعوا إلى الشريف عبدالكريم وأخبروه، فقال: إنه ينقض هذا القول بلا شك، فأعطوه العهود أنه إن نقض هذا نقضوا عملته، وعاملوا الشريف عبدالكريم، ويكونون وياه يداً واحدة. فأخذ عليهم العهود.

ثم رجعوا إلى الشريف سعيد وأخبروه بذلك، فقال له ذلك، ثم قال: مُروه فليرتحل من محله، لتعلم الناس من البادية والأتراك أنا اصطلحنا، فضمنوا له ذلك، وكفل جماعة هذا وجماعة هذا، وبعثوا إلى الشريف عبدالكريم بذلك، فارتحل من محله إلى محل يقال له: شَعْثَاء^(١) قريباً من جدة، فبقي بها مدة والشريف سعيد بساقفة جدة لتسليك طريق جدة، فتارة تؤمن الطرقات وتارة تخاف، واستمر الحال نحو أربعين يوماً.

ثم إن الشريف [سعيداً]^(٢) حدثته نفسه بالترول إلى جدة ومقابلة سليمان باشا، فمنعه من دخولها، ومنع جماعة من الأشراف بعثهم الشريف سعيد إلى جدة، فدخل منهم السيد محمد بن [عبدالكريم]^(٣) بعد جهد جهيد، وحاول

(١) شعثاء: عين للخمّران من حرب في صدر وادي القوّلاء على (٣) أكيال من عُسفان، ماؤها ديج والليل يخرها دائماً (معجم معالم الحجاز ٦٨/٥).

(٢) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٠).

(٣) ما بين المعكوفين بياض في الأصل قدر كلمتين، والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١٥٠)، ومناخ الكرم (٣٧٣/٥).

الباشا أن يأخذ له من التجار شيئاً للشريف سعيد ليستعين به، فما وافقه [لا قرصاً ولا على الزالة]^(١)، وأمرهم بالرجوع، وأن لا يدخلوا جدة لخوف أن يؤذوا أهلها.

فتقرر عند الشريف سعيد أن سليمان باشا يده مع يد الشريف عبد الكريم وجماعته، فأرسل إلى ابن عمه الشريف عبدالحسن -وكان بالحسنية- وأخبره، وطلب منه أن [يأتيه]^(٢) بجدة، فأتاه، فتوصل به إلى أن يترل إلى الباشا ويأخذ له شيئاً من المال يستعين به، أو يحيله على [الزالة]^(٣)، فأبى. ثم التمس منه أن يركب معه لملاقاة سليمان باشا فقال له: وكيف نقاتل أحد وزراء السلطان ولم يوافقهم]^(٤).

ثم إنه بعث إلى إيواز بك صاري العسكر الحج المصري وإلى الإنقشارية وسائر البلكات [يشكو]^(٥) من سليمان باشا، ويستدعيهم إلى قتاله، فلم يوافقوه، وبقي في حيرة عظيمة مقللاً من المال والرجال، ففارقه مَنْ معه من الأشراف لذلك، ولما تقدم لهم مع الشريف عبدالكريم من العهود والوفاء

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٥٠)، ومنايح الكرم (٣٧٤/٥).

(٢) في الأصل: يأتي. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: الزالة. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومنايح الكرم (٣٧٤/٥).

(٥) في الأصل: ليشكو. والتصويب من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضعان السابقان.

والمفارقة له، فذهبوا إلى الشريف عبد الكريم.

فلما تكاملت الأشراف عند الشريف عبد الكريم، انتقل من شعشاء ناوياً أن يصبح الشريف سعيداً ويأخذه، فلما استحسن بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن أن يرجع إلى مكة، فأودعه عزبته، وسرى من ليلته فأصبح مكة وذلك تاسع شهر ربيع الثاني^(١).

ولما وصل إلى مكة أطلق المنادي في شوارعها وطرقاتها على أرحام كل من كان من الأشراف مع الشريف عبد الكريم، مثل ذوي شنبر^(٢)، وذوي جازان^(٣)، وذوي بركات^(٤)، وذوي ثقبه وغيرهم، ورجاهم: أن لا يبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة، ومن بات منهم فهو مصلوب، وبيته منهوب.

فحصل عند طوارف السادة الأشراف من الخوف ما أوجب أنهم

(١) من سنة ١١١٧هـ.

(٢) ذوو شنبر: هم بنو شنبر بن الحسن بن أبي غني الثاني، وهم متفرقون في المدن الحجازية، وجلّ باديتهم في سعي جنوب مكة، ومنهم هناك: ذوو عمر، وذوو شنبر، وذوو عبدالله، والغوث (ذوو غيث)، والدخيلة (ذوو دخيل الله)، والسلامين، ومنهم قرب الحوية بالطائف فخذ يسمى: الطوالب (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٥١-٢٥٢).

(٣) ذوو جازان: فرع من الأشراف بني حسن بن أبي غني، موزعون في سكانهم في مكة وشمال الهدى بين مكة والطائف والبحيدي شرق مكة، وهم بنو جازان بن محمد بن بركات بن أبي غني (معجم قبائل الحجاز ص: ٩٦-٩٧).

(٤) ذوو بركات: هم الأشراف أولاد بركات بن أبي غني، جميعهم يسكنون مكة المكرمة ووادي فاطمة -مر الظهران- (انظر: قبائل الطائف وأشراف الحجاز ص: ٤٠-٤٢).

[يأوون]^(١) بيوت ساداتهم داخلين عليهم مما يخاف، فركب إليه السيد حسن ابن غالب والسيد أحمد بن حازم ولا موه على هذا النداء، وقالوا له: هذا لا يكون، فإنه يتأتى منه سالفه بيننا، أن كل من خرج من البلد تنهب طوارفه [ويقتل]^(٢)، وهذا أمر لا يمكن الوفاق عليه؛ لكونه مضراً بالعالم، فرجع المنادي عند العصر ينادي بخلاف النداء الأول، [وأن]^(٣) النداء الأول مرجوع عنه، وعليهم الأمان.

ثم إنه ثاني عشر الشهر^(٤) بعث الشريف سعيد المفتي وجماعة من السبع بلكات إلى الشريف عبد الكريم ومن [معه]^(٥) يطلبهم إلى الشرع، فركب الجماعة المذكورون إلى الشريف عبد الكريم، والتمسوا منه ذلك، فقال: سمعاً وطاعة. وبعث جماعة من كبار الأشراف منهم الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد، وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر، وأحمد بن هزاع، وزين العابدين بن إبراهيم بن محمد بن بركات، وعبد الله بن حسن، وغيرهم، فدخلوا مكة ونزلوا

(١) في الأصل: يأووا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٠)، ومناح الكرم (٣٧٥/٥).

(٢) في الأصل: وتقتل. والتصويب من خلاصة الكلام ومناح الكرم، الموضعان السابقان.

(٣) في الأصل: أن. والتصويب من خلاصة الكلام ومناح الكرم، الموضعان السابقان.

(٤) ثاني عشر ربيع الثاني.

(٥) في الأصل: معهم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥١)، ومناح الكرم (٣٧٥/٥).

على إيواز بك، فأخذوا إيواز بك معهم، ووصلوا إلى القاضي، واستدعوا الشريف [سعيداً]^(١)، فترل ومعه السيد أحمد بن حازم، فصارت بينهم وبين الشريف سعيد مقالة أنتجت زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق، ثم انصرفوا والقلوب مشحونة، والنفوس مغبونة غير مأمونة، فانصرفوا على غير صفاء، والأشراف يطالبونه بالوفاء.

ثم إن الشريف سعيداً اجتمع بالشريف عبدالحسن، واتفقوا على أن يعطيهم ثلث المنكسر، وعلى أن يسمحوا له في الثلث، ويصبروا عليه في الثلث الباقي، فوافقت الأشراف على ذلك، ورأوا أن هذا عين الصلاح، فعملوا مجلساً لذلك الأمر في مجلس السيد علي بن أحمد بن باز بأجناد ليلة التاسع عشر^(٢) من ربيع الثاني، فبينما هم كذلك عند السحر جاءهم الخبر أن الشريف عبدالكريم وصل طوى هو ومن معه من الأشراف.

فلما بلغ ذلك الشريف سعيداً أرسل إليهم مرسولاً لبيت السيد علي ابن أحمد يقول لهم: ما هذا بيني وبينكم، وهذا عين الغدر. فاعتذروا له بعدم علمهم بذلك، ونحن نخرج إليه ونرده، فانصرف الكل، وخرجوا من طريق المسفلة، وخرجوا على الطندباوي^(٣) مما يلي الشبيكة، وأرادوا أن ينفذوا على طوى.

(١) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥١).

(٢) في منائح الكرم: ليلة الجمعة السادس - أو السابع - عشر.

(٣) الطندباوي: حي من أحياء مكة المشهورة، وبه أحد شوارعها الرئيسية، والمعروف بشارع المنصور.

وأما الشريف عبدالكريم فإنه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل، ووجد بعض مضارب، وبها عسكر وعبيد للشريف سعيد، فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا منازلهم، فنهبها العبيد وما فيها، فبينما هم بطوى إذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشيخ محمود^(١)، فتلاقيا، فانهزم الشريف عبدالكريم، وامتنع إلى جبال أبي لهب، ثم كرَّ بمن معه من الأشراف وغيرهم من جماعته على الشريف سعيد، فانهزمت قومه، ووقع فيهم القتل، فقتل نحو الستين من جماعته.

ولما وصل الشريف عبد الكريم الطنبداوي، وجد الشريف عبدالمحسن بن أحمد ومعه الأشراف السابق ذكرهم، فلم يعرج عليهم، وسار خلف الشريف سعيد بمن معه من الأشراف، حتى أوصله إلى دار السعادة من السوق الصغير، وكان معه نحو أربعين شريفاً، فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج من المعلا وترك البلد، فإنها أخذت، فلم يلتفت إليهم، وعطف على سويقة، وجاء بيت سردار الإنقشارية واستغاث بهم، فأجابوه، وخرجوا معه، ودخلوا معه من المسجد على بيت إيواز بك وعنده عسكر العرب وبقية البلكات، فطلب

(١) قبة الشيخ محمود مجرول.

منهم الخروج معه، فامتنعوا، فصاحوا على إيواز بك وقالوا له: إنك موالس^(١)، ثم خرجوا من باب إبراهيم على سوق الصغير، فرموا الشريف عبدالكريم بالرصاص، فظن أن جميع الأتراك خرجوا، فترفع عنهم حتى خرج من الشبيكة، وقد فرق قومه على الجبال، فأشار إليهم بالتزول، فترلوا هاربين من طريق الزاهر، ولحق به الشريف سعيد إلى الزاهر، فتناظروا هناك، وأخذ كل من صاحبه مهلة على قواعدهم.

ثم رجع الشريف سعيد إلى داره، ورجع الشريف عبدالكريم إلى دغيم، وأقام هناك إلى أن وردت إلى سليمان باشا الأخبار السارة بجدة ضمن [كتب]^(٢) من صاحب مصر، ومن بعض الصناجق ومضمونها: أنه ورد إلى مصر المحروسة في السابع والعشرين من جمادى الأولى محمد باش جاووش ومعه أربعة أوامر سلطانية:

أحدها: بعزل أيوب بك عن إمارة الحج، لما تحققنا ما حصل منه من الفساد، وتولية غيطاس بك إمارة الحج.

(١) أي مخادع ومداهن، لأن الموالسة من ولس، وهو الخداع والخيانة (انظر: لسان العرب، مادة: ولس، والمعجم الوسيط ١٠٥٦/٢).

(٢) في الأصل: كتاب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٢)، ومناخ الكرم (٣٧٩/٥).

والثاني: بعزل الشريف سعيد، وأنعمنا على الشريف عبدالكريم بشرافة مكة، وأن أمره برز سنة ألف ومائة وسبعة عشر.

والثالث: أنا ولينا إيواز باشا جدة، ومرادنا وصول سليمان باشا إلى حضرتنا.

والرابع: أنا أنعمنا على الشريف سعيد بسكنى مصر، وأقطعناه بعض فدادين، ورتبنا له كفايته من المصرف كل يوم.

ولم تزل الأخبار تقوى مع الواردين في المراكب المصرية، وتنتشر في الناس وعند الأتراك، والشريف سعيد [غير^(١)] معترف بذلك، وكثر القيل والقال، واستمر الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادي [إلى^(٢)] أن بلغهم أن الشريف سعيد أغرى أغاوات الإنقشارية على إيواز بك؛ لاثامه [له^(٣)] أن له يداً مع الشريف عبدالكريم، وصالوا عليه غفلة، وحصروه في بيته، وأفهموا الشريف سعيداً أن إيواز بك ورد إليه غرة جمادى الثانية ركائب من بدو عترة، بعثهم إليه بيرم باشا من طريق الشام يخبره أن السلطنة وصلت إلينا منهم أخبار بأنهم أنعموا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة.

فلما وردت هذه الأخبار وعلم به الشريف عبدالكريم حمى الطرق وأمر بكفّ الأشراف الذين معه عن النهب.

(١) قوله: "غير" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٥٢)، ومنايح الكرم (٥/٣٨٠).

(٢) قوله: "إلى" زيادة من خلاصة الكلام ومنايح الكرم، الموضوعان السابقان.

(٣) قوله: "له" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

ولما تحقّق سليمان باشا أمسك على ما بيده من مال البندر حتى يتعيّن صاحب الشرافة، فكان هذا سبب تغيير الشريف سعيد على إيواز بك، مع كونه في الأصل هو السبب في تأييد شرافته ودخوله مكة، فحصره في منزله، ونهب أثاثاً كان له في دار السعادة، واضطرب الأمر بمكة، وأبطلت خمس صلوات بالمسجد الحرام بموجب القتال في جوف المسجد^(١).

وفي الإتحاف^(٢): وتعطل المسجد عن الأذان ثلاثة أيام. انتهى.

وانحازت الستة بلكات إلى إيواز بك، ولم يخرج عن طاعته إلا الإنقشارية، ثم أجمع الإنقشارية على الهجوم عليه في بيته وقتله ونهبه، فحملوا أسلحتهم ونزلوا المسجد، وأرسلوا إلى الشريف سعيد وأخبروه، فترّل بنفسه إلى القاضي بجميع عسكره وعبيده، وأرسل إلى العرب من هذيل وغيرهم، وأمرهم أن يقفوا على أبواب الحرم، فلما خرج القاضي قالوا له: إن لنا دعوى على إيواز، فأحضره لنا نتدعى على يدك، فبعث إليه القاضي، فأعاد الرسول وهو يقول: أنا بعيني أشاهد الفتنة من منزلي، وأعاين اجتماع العسكر، وأمر الشرع مطاع، وغاية الأمر أمهلونا هذا اليوم لنلا تكبير الفتنة إذا جئت في ذلك المكان، فإذا تفرقت العساكر حضرت أنا وخصمي عند القاضي ويحكم بما أراده الله تعالى.

فعرض القاضي مقالته على الشريف سعيد والحاضرين من العسكر الإنقشارية، فلم يقبلوا ذلك، إلا أن الشريف سعيد أصرف جنده، وبقيت

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٤٩-١٥٣). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣٧١/٥-٣٨١).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (٢/٢٦٧).

الإنقشارية على حالهم، وأرسلوا رسولاً آخر إلى إيواز بك، فقال لهم: ما دامت الإنقشارية موجودة عندكم فالعذر واضح، وليس لي قصد إلا حقن الدماء بيننا وبينهم، ولي قدرة على مكافأهم، ولكن ما في المهلة بأس، فإن الأمر ما يحمل قتل المسلمين. فحصل للشريف سعيد أنفة من هذا القول لعدم نفاذ مراده، فأظهر للقاضي غلاظة، وقامت الغوغاء من الإنقشارية في المحكمة، وارتفعت الأصوات، وقالوا: هذا عصى الشرع، فاكتب حجة بعصيانه. فامتنع القاضي، فهجموا عليه يريدون قتله، فهرب مَنْ كان هناك من العلماء، ولحقوا القاضي ولزّوه^(١) بالأيايدي، ورمى بعض الناس في جوف المحكمة بالبندق إرهاباً له، فلما رأى ذلك كتب لهم حجة بما في نفوسهم. فعند ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة، وأمر الإنقشارية بالهجوم على إيواز بك في بيته، فسار يبرقهم من ممشى باب السلام على يسار المنبر قاصدين بيت إيواز بك.

فلما وصلوا إلى مقام المالكية بادر غلمانه إلى البنادق، وكمنوا خلف عواميد^(٢) المسجد مما يلي بيت مولاهم.

فلما أقبلوا طلع في وجوههم الرصاص، فولّوا هاربين إلى أن دخلوا باب الزيادة، واجتمعوا في زيادته وما حولها من البيوت والمدارس، ولم يزل الحصار بينهم.

وأما الشريف سعيد فسلط على إيواز بك عسكره وعبيده وبدوه من

(١) لزّه: شده وألصقه (المعجم الوسيط ٢/٨٢٣).

(٢) المقصود أعمدة المسجد.

جهة عقد بشير، فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات إلى تلك الدور فترسوها هناك، ومنعوا ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص.

واستمر الرمي من البيوت والمدارس في جوف المسجد من الفريقين، وإيواز بك ومن معه من البلكات محصورون في البيت.

ولم يزل الأمر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى في البيوت وخارجها، وفي المسجد، وسطح المسجد، وما بين الأروقة، وعزل السوق، وأظلم الجو من دخان البارود، وبقي الأمر على هذا إلى اليوم الثاني، فالتمس الشريف من إيواز بك الصلح، وبعث إلى القاضي يأمره بإرسال جماعة من العلماء إلى إيواز بك يلتمس منه الكف، فبعث إليه أن ذلك لا يكون إلا إن كفَّ هو وجماعته.

واتفق الأمر على إرسال جماعة من رؤوس البلكات حضروا عند القاضي، فأمرهم القاضي بالسعي في الصلح، فسعوا في ذلك بعد التأني الأعظم، وهمدت الفتنة بعد أن هب لإيواز بك ما يساوي مائة كيس من القروش والأمتعة، وغير ذلك.

وفي اليوم الثاني جمع القاضي بين إيواز بك والشريف سعيد عنده، وأبان إيواز بك حجته، وذكر ما أخذ عليه، فقال الشريف: أردّ كلّ ما قدرت عليه مما هو لك، وما لم أجده أعطيك ثمنه. وقاما من عند القاضي وذهب كل إلى بيته -والله أعلم بما في نفوسهم-.

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر أغاة القفطان، وصحبته الأمر السلطاني شرافة مكة للشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى،

وأنه وصل إلى جدة، وأن الوزير [سليمان]^(١) باشا أرسل القفطان للشريف عبدالكريم وألبسه إياه، ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر.

فلما وصل هذا الخبر للشريف سعيد أجاب: بأن البلاد للسلطان، ونحن خدم له، فإن كان الأمر صحيحاً فأنا مطيع الأمر، وإن كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف.

وكتب كتاباً لسليمان باشا عليه خطوط من معه من الأشراف وخطوط العلماء، وأعيان الناس، مضمونه: أن الشريف سعيداً متولّ بأمرٍ سلطاني، ولا يعزل إلا بمثله. وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك بن حمود بن عبدالله بن حسن، فتوجه إلى الباشا، ورجع بالجواب إلى الشريف يوم الجمعة ثاني شعبان، وذكر له أن الشريف عبد الكريم وجميع من معه من السادة الأشراف وأغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة.

ثم أعقبه الخبر أنهم نزلوا وادي مرّ، فأرسل إليهم الشريف ليلة الأحد رابع شعبان سليمان جاووش الإنقشارية، ومعه جاووش المتفرقة، وجاووش الجاووشية، ومعهم السيد جار الله بن صامل إلى الوادي بخطاب إلى الشريف عبدالكريم وأغاة القفطان، مضمونه: [أن]^(٢) يشرفوهم على الأمر السلطاني ليحيطوا به علماً.

فحين وصلوا وسمع أغاة القفطان أحمد آغا كلام سليمان جاووش زجره

(١) في الأصل: سليماناً. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٤).

(٢) قوله: "أن" زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق، ومناخ الكرم (٣٨٥/٥).

بالسبِّ واللعن. ومن جملة ما قال له: لولا أنك رسول لقطعت رأسك.

فرجعوا إلى الشريف سعيد، وكانوا وهم ذاهبون إلى الوادي واجههم خمسة من الأشراف متوجهون إلى مكة، ومعهم واحد من خدم أحمد آغا حامل القفطان، ومعهم صورة الأمر السلطاني، وهم لا يعرفون حقيقة حالهم، فأتى الجميع ونزلوا على إيواز بك، فأخذهم وتوجّه بهم إلى قاضي الشرع، وسجلوا صورة الأمر في المحكمة، فلما بلغ الشريف سعيداً ذلك أرسل إلى إيواز بك يلومه على هذا الفعل، ويخطئه في نزول هؤلاء الأشراف عنده، فأجابه إيواز بك: أن الأمر السلطاني قد تحققناه، وأن البلاد صارت للشريف عبدالكريم، وأما هؤلاء الأشراف فإنهم يعرفون قواعدهم، وهم يردون عن أنفسهم الجواب.

فأرسل إليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد، وكرّر عليهم الرسل بذلك، فجلسوا عند الصنّجق إيواز بك ذلك اليوم، وجعل لهم [الغداء]^(١)، ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان إلى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع، والثلاثة ذهبوا إلى السيد عبدالمعين بن محمد بن حمود وقالوا له: يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه في البلد إلى أن يصل.

فلما تحقّق الشريف سعيد حقيقة الحال، جمع عسكره وعريه، وأفهمهم أن نيّته الحرب، وأرسل عربان هذيل وعتيبة إلى جهة أبي هب وبساتين العمرة،

(١) في الأصل: الغداء. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٤)، ومنايح الكرم (٣٨٦/٥).

وأمر صاحب الزير أن يدق، وأظهر حركة المقاومة.

فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم، ومن جملتهم سليمان آغا جاوش الإنقشارية، وكان يعتمد عليه في الصدق والخدمة، فأخبره بجميع ما صار عليهم في الوادي وما وقع من أغاة القفطان، وأن الأمر السلطاني صحيح ليس فيه شك، ولا يختلف فيه أحد، ففي ذلك الوقت أخرج نساءه ودبشهم من البيت، وأرسل الجميع عند كريمته الشريفة سعدية.

فلما كان قرب التذكير^(١) ركب هو ومن معه من السادة الأشراف وأتباعه، وتوجهوا إلى العابدية، فجاء السيد ظافر بن محمد ومعه شريف آخر إلى الأمير إيواز بك، وأرسل معهما بعض مماليكه وعسكره، ونادوا في ذلك الوقت في شوارع مكة: البلاد بلاد الله، وبلاد السلطان مولانا أحمد خان، وبلاد مولانا الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى، وعسّوا^(٢) البلد بقية تلك الليلة، وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية^(٣).

(١) أي قبل موعد صلاة الفجر كالعادة التي كانت جارية سابقاً قبل صلاة الفجر، ولا تزال جارية في كثير من بلاد المسلمين.

(٢) أي طافوا البلاد بالليل لتحسس الأخبار، لأن العسّ: الطواف بالليل من أجل الحراسة (لسان العرب، مادة: عسّ).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٥٣-١٥٥). وانظر لما تقدم: منائح الكرم (٣٨٨-٣٨١/٥).

دخول الشريف عبدالكريم مكة متولياً إمارتها سنة ١١١٧هـ.

(وهي الولاية الثالثة له)

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم، دخل مولانا الشريف عبدالكريم متولياً مكة المشرفة بآلاي أعظم، ومعه السادة الأشراف، وسائر عساكر مصر، وعسكر الوزير سليمان باشا، وأغاة القفطان^(١)، إلى أن دخلوا المسجد الحرام، وفتحت الكعبة، وقرئ الأمر السلطاني، وألبس الآغا مولانا الشريف عبدالكريم القفطان السلطاني، ثم توجه إلى داره السعيدة وجلس للتهنئة، ومدحه الأدباء، وهنئوه بالقصائد الفائقة، ونودي له في البلد وبالزينة سبعة أيام^(٢).

وفي يوم الخميس ثامن شعبان أرسلوا الأمر الوارد للشريف سعيد جهة الشرفية^(٣) وقرؤوه عليه، ومضمونه: أئنا قد عزلناك، وولينا الشريف عبد الكريم، وهيناً لك ما يكفيك بمصر، كل يوم ألف ديواني، وجميع ما تنفقه من مكة إلى مصر الخروسة، وما تحتاج إليه تعطاه من خزينتنا. فلما فهم

(١) وهو أحمد آغا باش جاوش (خلاصة الكلام ص: ١٥٥، ومنايح الكرم ٣٨٨/٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٥٥-١٥٦). وانظر: منايح الكرم (٣٨٨/٥-٣٩٠).

(٣) في منايح الكرم: الشرقية. والشرقية: حي بالطائف بين وادي العقيق ووادي وج، يعتبر من أكبر أحياء الطائف (معجم معالم الحجاز ٤١/٥).

والشرقية: عين في وادي ضيم، كانت للشريف سليمان باشا الكريمي قائم مقام مكة في عهد الحسين بن علي، وضم: وادٍ لهذيل يسيل من جبال الفرع وشعار، من سراة طود جنوب غربي الحجاز الطائف، فيه مزارع، ويبعد عن مكة حوالي ٤١ كيلاً جنوباً (معجم معالم الحجاز ٤٠/٥، ٢١٢-٢١٣).

مضمون الأمر ما استحسن ذلك، وتوجه إلى جهة اليمن هو ومن معه^(١).

وفي ثاني عشر^(٢) شعبان عقد مولانا الشريف عبدالكريم مجلساً جمع فيه السادة الأشراف، وسليمان باشا، وشيخ الحرم إيواز بك، وقاضي الشرع، والمفتي، والعلماء، وأغاة القفطان، وأغوات العسكر، وكثيراً من الناس، فلما اجتمعوا تكلم مولانا الشريف مع السادة الأشراف، وشرط عليهم شروطاً فقال: يا رفاق قد شاهدتم ما وقع من التعب والشقاق وعدم الوفاق، حتى آل الأمر إلى الحرب والقتال، وتعبنا نحن والرعايا، وعمّت الفتنة، وأصيب فيها الغني والفقير، وذهب بسببها الأموال والرجال، ومضى على هذا الحال زمن، والكل منكم قد تحقق ما صار، وشاهده بالعيان، والموجب لهذا الشقاق كله زيادة المعاليم^(٣) الخارجة عن المعتاد التي عجز عن تحصيلها العباد والبلاد، فكل ملك يتولى يحصل بينكم وبينه التعب والمشقة بسبب المعلوم. فالقصد منكم أن تنظروا في مدخول البلاد وتوزعوه أرباعاً، فثلاثة أرباعه تكون بينكم، والرابع لي ولجماعتي وعسكري ومهمات البلد، وإن كان فيكم من يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذي كان في زمن الشريف سعيد والقيام به فليقدم، وأنا أنزل له عن الشرافة وأكون كواحد منكم. وطلب منهم الجواب، فانتدب السيد محمد بن أحمد شيخ ذوي عبدالله وقال: قد سمعتم ما

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٥٦). وانظر: منائح الكرم (٣٩٠/٥-٣٩١).

(٢) في منائح الكرم: ثاني عشرين.

(٣) معظم الخلافات التي بين الأشراف كانت بسبب كيفية تقسيم الأموال المخصصة لهم من الدولة، وكذلك الخلاف على الحكم.

قاله الشريف لكم، فأجيبوه بما في نفوسكم، فأجابوا جميعاً بقولهم: رضينا بذلك، فسجل القاضي ما سمعه من رضاهم في المجلس، وكتب عليهم بموجبه حجة شرعية^(١).

وفي النصف من شوال وردت أخبار من اليمن بأن الشريف سعيداً وصل القنفذة، وتعرض لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها، وأنه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل، وقصده يدخل بهم مكة، فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع في جمع القبائل، وأرسل إليهم بعض الأشراف يأتيه بهم، فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير، ثم ذهب بنفسه عند القاضي وجمع المفتين وبعض العلماء، وأغاوات العسكر، وقال لهم: تحيطون علماً أن الشريف سعيداً جمع أشقياء العرب المفسدين البغاة، وقصده يدخل بهم مكة بلاد السلطان ويحاربنا، فما تقولون؟ فأجابوا جميعاً: نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وأمر السلطان، وليس فينا من يخرج عن الأمر، فقال لهم الشريف: إن قصدي إقامة أحد إخواني بمكة، فتكونوا جميعاً تحت طاعته، فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد، وتجتهدوا في محافظة العباد والبلاد، وأنا خارج لمقابلته خارج البلد، فأجابوا جميعاً: نحن في خدمتك وتحت أمرك وأمر السلطان، ثم طلب منهم جماعة يمشون معه من العسكر، فأعطوه مطلوبة^(٢).

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٥٦-١٥٧). ومنايح الكرم (٣٩٢/٥-٣٩٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٥٧-١٥٨). وانظر: منايح الكرم (٣٩٦/٥-٣٩٨).

وفي عاشر ذي القعدة برز الشريف عبد الكريم بعسكره عند بركة ماجن، وخرج إليه جميع العربان الذين تجمعوا، وخرج أيضاً الوزير سليمان باشا بعسكره، ثم توجهوا إلى الحسينية، وجاءهم الخبر أن الشريف سعيداً ومن معه نزلوا الشرفية، ثم انتقل إلى أن وصل العابدية، فأرسل إليه الشريف عبد الكريم السيد دخيل الله بن حمود وعرفه أن هذا الفعل ليس بصواب، وأن مجيئك بمؤلاء القوم - كلاب الحجاز - ما ترضى به السلطنة^(١)، والأولى أن تحقن دماء المسلمين، وترجع بهم من حيث جئت، فما التفتَ لهذا الكلام؛ لأن قومه كانوا في غاية الكثرة، فاغترّ بهم، فرجع السيد دخيل الله وأخبر الشريف عبد الكريم بما سمعه من الشريف سعيد، فالتقى الجمعان ووقع الرمي بينهم ساعة، ثم رمت المدافع التي مع الشريف عبد الكريم، فارتجت العربان الذين كانوا مع الشريف سعيد من صوتها ورجعوا القهقري، وتحصنوا برؤوس الجبال، وركضت عليهم خيل الشريف عبد الكريم والباشا، فانهزموا، وركب خلفهم الشريف عبد الكريم بعسكره إلى أن نزل جهة مسجد غمرة^(٢)، ونزل الباشا بعسكره بعرفة، وباتوا تلك الليلة، ولما أصبحوا شرعوا في الحرب، ووقع بينهم الرمي بالبندق من بُعد.

(١) أي الدولة العثمانية.

(٢) مسجد غمرة: -يقال له: مسجد إبراهيم الخليل أو مسجد عرفة-: جاء في أخبار مكة للأزرقي (٢/٧٠، ١٩٠): أن أول من جمع بالحاج صلاة الظهر والعصر بعرفة هو إبراهيم عليه السلام في (مسجد إبراهيم) ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة، وهذا المسجد يعرف بمسجد (غمرة) وغمرة جبل تراه غرب المسجد بينهما بطن غمرة، وهو معروف أيضاً في عهد الأزرقي، وبعضهم يسمي المسجد بالمكان فيقول: (مسجد عرفة)، والأزرقي سماه: مسجد إبراهيم خليل الرحمن.

وفي هذا اليوم وصل الأمير إيواز بك بعسكره من جدة، وحضر الحرب، فوقعت مقتلة عظيمة، فانهزم الشريف سعيد ومن معه، وتركوا ما وصلوا به من جمال، ومال، وبقر، وغنم، وحمير، وغير ذلك من الذخائر، فغنمه من كان مع الشريف عبدالكريم، وصار الناس يأتون بالكسب إلى مكة فوجاً بعد فوج، ووصل البشير إلى مكة، فحصل به السرور، ودق الزير.

وفي ثاني يومه وصل الشريف عبدالكريم إلى مكة، ومعه الباشا، وإيواز بك، والعساكر، وكل من كان معهم، ودخلوا في آلاي أعظم، وجلس الشريف في داره للتهنئة، ومدحه الشعراء بقصائد، وحمد الناس فعله، حيث خرج لهم خارج مكة، فوقع الحرب بعيداً عن البلد والناس آمنة مطمئنة، والأسواق عامرة، وجماعة المسجد قائمة، فجزاه الله خيراً.

ثم بلغ الشريف عبد الكريم أن الشريف سعيداً دخل الطائف، فأرسل خلفه بعض إخوانه مع عرب ثقيف، فخرج من الطائف، ودخل موسم هذه السنة والناس في أمن وأمان^(١).

وفي أواخر صفر سنة ألف ومائة وثمانية عشر وردت الأخبار بأن الشريف [سعيداً]^(٢) جمع جموعاً من العرب يريد بهم مكة، فشرع الشريف عبدالكريم يتهيأ للقاءه، وجمع جموعاً وبرز له بالأبطح أوائل ربيع الأول، وبعد عيد المولد

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٥٨). وانظر: منائح الكرم (٣٩٨/٥ - ٤٠٢، ٤١٤).

(٢) في الأصل: سعيد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٥٨).

توجه بمن معه لملاقاة الشريف سعيد، ونزل الشرفية، فجاءه الخبر أن الشريف سعيداً دخل الطائف ثامن عشر ربيع، وأن قومه أربعمائة، فتوجه إليهم الشريف عبدالكريم فبرز إليه الشريف سعيد جهة المليساء^(١)، ووقع القتال بينهم، فانهزم الشريف سعيد، وتوجه إلى جهة لية^(٢)، فمشى خلفه إلى الجال^(٣)، ثم رجع إلى الطائف، وجاء البشير إلى مكة، واستمر الشريف عبدالكريم بالطائف في المشاة^(٤) بماليكه وعساكره إلى شهر رجب^(٥).

وفي شهر صفر سنة ألف ومائة وتسعة عشر^(٦) جاء خبر لمولانا الشريف أن الشريف سعيداً وصل إلى الحسينية، ونزل على الشريف مبارك بن أحمد بن

(١) المليساء: حصن بالطائف (القاموس المحيط ص: ٧٤٢)، وهي الآن قرية، وفيها بيوت وحولها بساتين وآبار (إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص: ٨٦).

(٢) لية: واد من نواحي الطائف، مرّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف، وأمر وهو به أن يهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان. وهو واد فحل من أودية الحجاز الشرقية، يمر جنوب الطائف على ١٥ كيلاً، وهو مشهور بزراعة الرمان، ورمانه من أجود أنواع الرمان (معجم البلدان ٣٠/٥، معجم معالم الحجاز ٢٧٢/٧-٢٧٣، وإهداء اللطائف ص: ٩٠).

(٣) الجال: واد كبير في الشرق من الطائف، به قرى للأشراف ذوي سرور تعرف بالجال نسبة إلى الوادي (معجم معالم الحجاز ١٠٨/٢، والمعجم الجغرافي ٣٤٤/١).

(٤) هي المشاة: من وادي وج جنوب الطائف، مشهورة بجودة الرمان، وكانت للمشاة عين جارية يضرب بها المثل في تدفق المياه والغزارة، فأجريت لسقي الطائف، وهي للأشراف ذوي غالب، وكانت تعتبر من قرى الطائف. أما اليوم فهي حي من أحياء الطائف (معجم معالم الحجاز ٢٢/٨، والمعجم الجغرافي ١٢٥٧/٣).

(٥) خلاصة الكلام (ص: ١٥٨-١٥٩). وانظر: منائح الكرم (٤١٨/٥-٤٢٠).

(٦) في منائح الكرم وخلاصة الكلام: سنة ١٢٢٠.

زيد، فأراد الشريف عبدالكريم أن يركب إليه بعسكره، فأرسل الشريف سعيد يطلب مهلة خمسة عشر يوماً، فأعطاه المهلة، وبعد تمامها توجه إلى اليمن، وكان جماعة من الأشراف تنافروا مع الشريف عبدالكريم فخرجوا مغاضبين، وانضموا إلى الشريف سعيد، وصادفوا حمولاً من البُني^(١) واصله من اليمن، فأخذوها، فأرسل خلفهم جماعة من الأشراف والعسكر، ثم لحقهم بنفسه، فلما قربوا منهم دفنوا بعض البن، وأطلقوا في بعضه النار، وأخذوا البعض، وأودعوا البعض، وتركوا البعض الذي عجزوا عنه، وفرّ بعضهم إلى المخواة^(٢)، وبعضهم إلى ديرة بني سليم^(٣)، فلما جاء جماعة الشريف أخرجوا ما دفنوه وأخذوا ما وجدوه ورجعوا^(٤).

وفي أواخر شهر جمادى الآخرة جاءت الأخبار بأن الشريف سعيداً جمع جموعاً وقصده مكة، ثم في رجب جاء الخبر بأنه دخل بجموعه دوقه، فأخذ الشريف عبدالكريم يتجهّز للقاءه، وأرسل في طلب القبائل، فجاء كثير منهم، فتوجه بهم الشريف عبدالكريم مع العساكر إلى الحسينية في شعبان، فلما بلغ

(١) البن: هناك ارتباط تاريخي وثيق بين اليمن والبن، ويرجع لليمن فضل تسميته العلمية بالبن العربي واكتشافه كمكيف، ثم فضل زراعته كمحصول بستانى والعناية به، وانتشاره في بقية أنحاء العالم العربي، ثم إلى أوروبا وآسيا (الموسوعة اليمنية ١٦٨/١-١٦٩).

(٢) المخواة: هي بلدة أهلها زهران وبني عُمر، وتتبع إدارياً إمارة الباحة، وتبعد عن بلدة المضيلف (٥٥) كيلاً شرقاً، وهي قاعدة غامد وزهران في دائرة فروع وادي الأحسية (بين مكة واليمن ص: ٣٣٢).

(٣) أي ديار بني سليم. وهم بطن من زهران القبيلة المعروفة (انظر: معجم قبائل الحجاز ص: ٢٢٦).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ١٦٠-١٦١). وانظر: منائح الكرم (٤٥١/٥-٤٥٣)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٥/٢).

قوم الشريف سعيد أن الشريف عبد الكريم خرج لهم في قوة عظيمة تفرقوا عنه بعد أن وصلوا إلى العابدية^(١)، ثم سعت الأشراف بينهم وأخذوا له مهلة، وجعلوا في كل شهر له ثلثمائة أحر، وشرطوا عليه أن يسكن بيشة، فوافق على ذلك.

وبعد أيام أرسل له الشريف عبد الكريم يقول له: ارحل على الشرط الواقع، فاعتذر وتوقف، فانتقض ذلك المعين، ولم يتم.

واستمر الشريف سعيد في العابدية إلى دخول رمضان، فصام هناك، ثم توجه إلى اليمن ثاني شهر ذي القعدة، وتعرض لقافلة جهة الليث فأخذها^(٢).

وفي هذه السنة عزل إيواز بك من جدة، وتولى محمد باشا، وتولى إمارة الحج الشامي نصوح باشا، ولما جاء الحج خرج الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة، وحج بالناس، وتوجهت الحجوج بالسلامة^(٣).

ودخلت سنة ألف ومائة وإحدى وعشرين

وفي شوال من سنة إحدى وعشرين جاء إلى الشريف مكتوب من الصدر الأعظم مضمونه: أن نصوحاً باشا أرسل إلينا مكتوباً يشكو منكم نوع تقصير

(١) عين مشهورة كانت تتبع من وادي نعمان ثم تسقي أرضاً خصبة على النقاء عرنة بنعمان. وفي سنة ١٣٩٩هـ ضربت إير ارتوازية (طلميات أعماق) في وادي نعمان فجف ماء العين وتوقفت عن الجريان، معجم معالم الحجاز (٩٩/١٠).

(٢) انظر: إنحاف فضلاء الزمن (٣٠٦/٢).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٦١). وانظر: منائح الكرم (٤٥٦/٥-٤٦٦).

وعدم ملاطفة، فاستغربنا ذلك منه لعلمنا بحسن سيرتكم وصفاء طويتكم،
والمأمول أن تزيلوا ما هناك على فرض وقوعه، وتبدلوا بحسن الملاطفة
والمؤانسة كما هو المعروف في صدق محبتكم وخلوص مودتكم.

وشاع بين الناس أن نصوحاً باشا عرض في الشريف عبدالكريم يشكو
منه، وأنه برز إليه أمر بالتفويض، فحزم الشريف أمره وجمع العربان، واعتد
لمدافعتهم، فلما جاء الحج خرج لملاقاته على المعتاد، ولبس الخلعة، وحج بالناس
على المعتاد، ولم يحصل شيء، والله الحمد. ورجعت الحجوج^(١).

ودخلت سنة ألف ومائة واثنين وعشرين

وفي آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الأشراف من ذوي مسعود،
وذوي عمرو، وذوي عبدالله، وذوي جازان، والتموا على الشريف
سعيد، وتعرضوا ثلاثة من الجلاب الواصلة من اليمن، ثم جمعوا جموعاً وقصدوا
مكة مع الشريف سعيد، فتجهز الشريف لملاقاتهم، والتقوا في شهر ذي القعدة
عند المفجر، ووقع بينهم قتال عظيم، ثم انهزموا، ورجع الشريف عبدالكريم
إلى مكة، وتوسط بعض الأشراف فأصلح بعض المغاضين، وأدخلهم
في الطاعة، ووصل الحج فخرج لملاقاته، ولبس الخلعة على المعتاد،

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٦٢). وانظر: منائح الكرم (٤٧٩/٥ - ٤٨٠، ٤٨٣).

وحج بالناس في أمن وأمان^(١)، إلا أنه حصل بين الشريف عبد الكريم ونصوح باشا منافرة^(٢)، وارتحل نصوح باشا إلى المدينة، وجاءت أخبار بأن عربان حرب جمعوا جموعاً كثيرة وقعدوا له في جبال الخيف، فأرسل جماعة من عسكره يكشفون له خبرهم، فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال، وقتل غالب العسكر الذين أرسلهم، فاشتد عليه الكرب، ثم دفع لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيساً، فأرسل مبارك بن مضيان إلى العرب وفرق عليهم الدراهم، وتعاهد معهم على الكف عن القتال، وأرسل للبasha: حال ما يصلك مرسومي ارحل بالحج؛ لأن العرب جمعهم عندي، وفرقت عليهم الدراهم، فعند ذلك رحل البasha بخزنته وصحبته أكابر الحج وأتباع الدولة، وتأخر كثير من الحجاج، وكان بعض العرب -وهم عوف- استقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك من الدراهم؛ لكثرتهم، فحصل بينهم وبينه موافقة، ثم نكثوا عليه، ولحقوا الحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن آخرهم، وحصل بذلك غاية المصيبة على المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحصل للشريف عبد الكريم والمسلمين غاية الغم لما بلغهم الخبر، وأرسل مبارك بن مضيان يقبح فعله وتهذده.

(١) انظر: منائح الكرم (٤٨٩/٥ - ٤٩٠، ٤٩٤، ٤٩٧ - ٤٩٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٩ - ٣٠٨/٢).

(٢) انظر الخلاف الذي حصل بين الشريف عبد الكريم والأمير نصوح باشا في: منائح الكرم (٤٩٨/٥)، وإتحاف فضلاء الزمن (٣٠٩/٢)، وتاريخ مكة للسباعي (ص: ٤١٢).

وأما نصوح باشا فإنه لما وصل المدينة طلب من أهل المدينة محضراً مضمونه: أن جميع ما صار على الحجاج من نهب وتعب فكله بأمر من الشريف عبدالكريم، فما وافقوه على ذلك، وقالوا: ما عندنا علم بذلك، فكيف نكتب شيئاً ما شهدناه، فلما أيس من ذلك تكلم في شيخ الحرم، ورزبه ونسبه إلى الولس^(١) مع الشريف عبدالكريم وحرب، وجمع أكابر الحجاج وقاضي المدينة المتوجه صحبته وأمين الصرة، وكتب حجة مضمونها: أن الشريف عبدالكريم أرسل إخوانه إلى عرب حرب، وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحجاج، وأنا رأينا إخوان الشريف بأعيننا يقاتلون مع عرب حرب، وكتب فيها جميع ما أراد، ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب من عنده ما أراد، وأرسل الجميع صحبة الحجة إلى الدولة من أثناء الطريق، وأرسل صحبتهم كيخيته، وكان ذلك كله في شهر محرم الحرام افتتاح ثلاث وعشرين ومائة وألف^(٢).

وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطة العلية أمرت بتوجيه شرافة مكة للشريف سعيد، وورد إليهم صورة الأمر الصادر من الدولة العلية، ومعه كتب من نصوح باشا لشيخ الحرم^(٣)، وللقاضي، والأغوات الأسباهية، وأغاة القلعة، ومضمون الجميع: أن البلاد صارت للشريف سعيد، وأمرهم بالنداء له

(١) الولس: الخيانة والخديعة (القاموس المحيط ص: ٧٤٨).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٦٢-١٦٣). وانظر: منائح الكرم (٥/٤٨٩-٥٠٥).

(٣) شيخ الحرم أيوب آغا (منائح الكرم ٥/٥١٧).

في المدينة، فتوقف شيخ الحرم، ثم تغلب عليه بعض أهالي المدينة والقاضي بواسطة بعض الناس، ونادوا للشريف سعيد يوم الاثنين تاسع عشر شوال، وزينوا المدينة، وأرسلوا صورة الأمر لإسماعيل باشا متولي جدة، وطلبوا منه أن ينادي في جدة، فامتنع من النداء خوفاً على البلد والطريق، لئلا يقع خلل بموجب ذلك^(١).

وفي تاسع شهر ذي القعدة وصل جماعة من الطائف، وأخبروا أن الشريف سعيداً وصل قرب الطائف ومعه قوم، فأمر الشريف عبدالكريم عسكره الجبالية والسقمانية أن يبرزوا إلى المعابدة^(٢)، ثم بعدهم يومين برز هو إلى الأبطح ببقية عسكره وعسكر مصر والسادة الأشراف ونزل في مخيمه، وأرسل من يأتيه بخبر الشريف سعيد وقومه الذين معه، ثم جاء الخبر أنه وصل إلى شداد، فأمر بدق الزير^(٣)، واجتمع الأشراف والعسكر وتوجه بهم إلى عرفة في الثاني والعشرين من ذي القعدة، فوجد الشريف سعيد [نازلاً]^(٤) بها، فبات كل منهما.

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٦٢-١٦٣). وانظر: منائح الكرم (٥/٥١٧-٥١٨)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٦٠-٣٦١).

(٢) المعابدة: حي من مكة، وهو ما يعرف بالأبطح، والبنيان اليوم في الأبطح وجانيه كل ذلك المعابدة، وهو يشمل أحياء كثيرة منها: الخانسة والجعفرية والجميزة (معجم معالم الحجاز ٨/١٩٠).

(٣) كناية عن قرع طبول الحرب.

(٤) في الأصل: نازل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٦٤)، ومنائح الكرم (٥/٥٢٠).

وعند الصباح وقع الرمي بين الفريقين بالبندق، واستمر الحرب إلى آخر النهار.

ثم إن الأشراف دخلوا بينهم بالكف عن الحرب يومين، فانتقل الشريف سعيد إلى الشريعة^(١) -بلاد ذوي جازان-، والشريف عبدالكريم جلس مقابلاً له، بينهما مسافة ساعة، فركب الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد إلى الشريف سعيد وقال له: يا سيدي طلبنا الكف عن الحرب بينكما يومين، وقد مضت، والآن قصدي أن تكون الأجلة إلى ثالث عشر ذي الحجة، فإن كان الأمر السلطاني جاء لك فتكون هذه المدة لك، ويخرج الشريف عبد الكريم من مكة، فتم الأمر بينهم على هذا. فركب الشريف عبدالكريم بمن معه ورجع إلى مكة، ونزل في بستان الوزير عثمان حميدان، واستمر في البستان من ظهر يوم الثلاثاء إلى يوم الخميس.

وفيه طلع إليه جميع العساكر إلا الإنقشارية والمتفرقة، فإنهم تأخروا عن الطلوع، وطلع أيضاً السادة الأشراف لقصد نزوله بالآلاي على جري العادة، وكان بعض الأشراف في مدة الأجلة نزل إلى البلد بصورة فرمان^(٢) الوارد للشريف سعيد، وبيت الأمر ليلاً مع الإنقشارية والمتفرقة والقاضي، فعند

(١) الشريعة: يقصد بها الشرائع، لأنها على لفظ جمع شريعة، وهي عين بوادي حنين على مسافة ٢٨ كيلاً من مكة المكرمة (معجم معالم الحجاز ٣٠/٥).

(٢) فرمان: كلمة فارسية الأصل، معناها: الأمر، وكانت تستعمل في الدولة العثمانية للأوامر السلطانية أو ما يسمى اليوم بالمراسيم الملكية (هامش تاريخ الدولة العلية ص: ١٩).

خروج العسكر للآلاي اجتمعوا عند القاضي وسجلوا صورة الأمر الوارد، واجتمع خلق في المحكمة، ووقع القيل والقال، فحصل من ذلك ضجة، وأرسلوا النادي ينادي في البلد للشريف سعيد، ومع النادي شريف من الأشراف.

وأما الشريف عبد الكريم فما عنده علم بجميع ذلك، واجتمع عنده السادة الأشراف والعساكر الذين خرجوا لملاقاته، فركب وركبوا معه، وساروا من بستان الوزير عثمان حميدان إلى أن وصلوا إلى [الدرويشية]^(١)، فلقية السيد ظافر بن محمد هناك، وأخبره بالواقع، وأن النادي وصل إلى سوق المعلاة، وأن بعض الأماكن مترسة، فأخذ الشريف يفكر في عاقبة هذا الأمر، فتأخت عنده السادة الأشراف وقالوا: لا بدّ من الدخول إلى البلاد، فمنعهم الشريف عبد الكريم من ذلك، وقال: نخشى على الرعية تذهب بسبب ذلك، ويهلك القوي والضعيف، وعذري منكم يا رفاقي ما سمعتم، وأما مكة فقد أعطيتها حقها وذيت^(٢) عنها، ودفعت من أراد دخولها، وجميع ما وقع فيها من ولس [ومحاورة]^(٣)، إنما كانت في وجه جماعة من آل أبي غني، والرأي أن [ترجعوا]^(٤) شفقة على العباد والبلاد. ثم مشى إلى الحجون إلى أن وصل

(١) في الأصل: الدرويشية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٦٤).

(٢) الذب: بمعنى الدفع والمنع (لسان العرب، مادة: ذب).

(٣) في الأصل: ومحاورة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٦٥)، ومنايح الكرم (٥/٥٢٣).

والمحاورة: من خاوزه: أي ساسه وقهره (لسان العرب، مادة: خوز).

(٤) في الأصل: ترفعوا. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٦٥)، ومنايح الكرم (٥/٥٢٣).

طوى، فوقف هناك الشريف، ثم تناخت الأشراف أيضاً، وعزموا على دخول البلد من الشبيكة، فمنعهم أيضاً، ثم استدنى السيد عبدالمعين بن محمد بن حمود، وأودعه طارفته ورجاله وجميع ما يتعلق كما هو عادتهم، وتوجه إلى الوادي^(١) بمن معه من الأشراف والأتباع ما عدا العسكر الجبالية، فإنهم خدمة كل متول.

وأما الشريف سعيد؛ فإنه لما نودي له في البلاد وجاءه الخبر بأن الأمر قد تمّ له وسجل عند القاضي، أقبل فوصل إلى المعابدة عصر يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة، ونزل بالآلاي والعسكر والأشراف، ونزل إلى دار السعادة عند غروب الشمس، وأصبح يوم الجمعة فطلع إليه الناس وسلموا عليه، وهنؤوه، ونودي له وبالأمان في شوارع مكة، وبالزينة سبعة أيام^(٢).

وفي خامس ذي الحجة وصل كنيخة نصوح باشا ومعه الأمر السلطاني، فانعقد مجلس بالحطيم حسب المعتاد، وقرئ المرسوم على جري العادة، ولبس الشريف سعيد القفطان الوارد، ثم حجّ بالناس على جري العادة، ولم يحصل شيء من المخالفات، والله الحمد^(٣).

(١) وادي مر الظهران.

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٦٤-١٦٥). وانظر: منائح الكرم (٥/٥١٨-٥٢٤)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٦١-٣٦٤).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٦٥). وانظر: منائح الكرم (٥/٥٢٦-٥٢٧)، وإتحاف فضلاء الزمن (٢/٣٧٠).

الولاية الخامسة للشريف سعيد سنة ١١٢٣

وهذه الولاية الخامسة للشريف سعيد، واستمر في هذه الولاية إلى أن توفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف، وإن حصل من الشريف عبدالكريم بعد هذا حركات فهي غير منتجة بشيء، ونزل الشريف عبدالكريم بالحميماء، ثم سافر إلى جهة حرب، ومكث مدة طويلة، ثم سافر إلى مصر، واستمر بها إلى أن توفي إلى رحمة الله بالطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، وولايته كانت على مكة ثلاث مرات. وجملة مدة الولايات الثلاث: ست سنوات وعشرة أشهر.

وأما مولانا الشريف سعيد فولايته شرافة مكة كانت خمس مرات، ومدتها: عشر سنين وسبعة أشهر^(١).

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٢): وفي اليوم السابع والعشرين من رمضان أراد الشريف سعيد أن يُخرج الشيخ محمد بن أحمد بن عقيلة من مكة، وسببه: أنه كان مختصاً بذوي بركات، فبلغ ذلك الشريف، وأهمم يجتمع عنده بعض الناس منهم، ويخوضون في أمر الدول، فطلع الشريف بشير بن مبارك والسيد شبير بن مبارك إلى الشريف سعيد مستشفعين في أمر الشيخ محمد عقيلة، فأبقاه بمكة.

وفي ثامن عشر ربيع الثاني^(٣) - سنة ثمان وعشرين ومائة وألف - أمر

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٦٥-١٦٧).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ١٩٧).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ١٩٩-٢٠٠).

الشريف سعيد أن يبنى له عند جبل ثقبه بيوت عشاش، فبنيت، فتحول من البستان إليها، وكان هذا إشارة حكيمة محمد البحرين، لأن الناس كانت في [أطراف]^(١) مرض، وفي أيام وبار النخل، وما هو إلا تخيل من الشريف، وأهله أنكروا منه هذا التطير والوحشة من الناس، فقالوا له: لا بأس أن تنظر لنفسك، فأمر السيد رجب المغربي أن يفتش له على أحد من أهل المعرفة، وجيء له برجل من أهل مصر، فشرح له الشريف حاله، فقال المصري: أحضروا لي عبداً غشيماً، فأحضروه له، فكتب له على جبينه، فصرع العبد وصار يرتعش كالسعة، ثم بعد ذلك سكن من ذلك الارتعاش، فسأله المصري: ما سبب مولانا الشريف؟ فقال له العبد: إنه مسحور، ودفن سحره بالبستان، وقال: الساحر له عبدالكريم التكروري الذي ساكن في زاوية الجنيد، فقال له: السحر في أي موضع في البستان؟ فقال: في مكان كذا وكذا، فجاءوا وحضروا بذلك المكان فوجدوا لوح رصاص مكتوب ومعه أوراق وإبر وشعر، فأمر الشريف الحاكم بشير القفاص والقائد زايد^(٢) وزيره أن يركبوا ويقبضوا على التكروري، فوجدوا عنده أبو زيد السيد محمد [من ذوي عمرو]^(٣) يرجعون [في]^(٤) ذوي بركات، فتحقق أن الأمر من ذوي بركات، وركبوه على حمار وطلعوا به إلى الشريف سعيد، فقال له الشريف:

(١) في الأصل: أطرف. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).

(٢) في إتحاف فضلاء الزمن: زياد.

(٣) في الأصل: بن عمرو. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).

(٤) في الأصل: من. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

أخبرني بالصدق، وما عليك خلاف، فأقرّ وأخبر الشريف بالملزم له، وأنه أعطاني مائة أحر [وأوعده]^(١) بمثلها، فأمر الشريف عليه بالجوخدارية، فأخذوه وخرجوا به من جهة منزل الشريف، وقطعوه ضرباً بالسيف، فسأل عبدالله والده عمّن أقرّ عليهم التكروي، فأبى أن يخبره.

وفي ثاني يوم ذهبوا بيته فوجدوا عنده ثلاث جماجم آدمية، وخمسة كفوف آدمية، وصرة كبيرة [أظافر]^(٢) بني آدم، وشعور من كل صنف؛ أحر، وأسود، وأبيض، وأشخاص مصورة.

وفاة الشريف سعيد:

وفي الرابع عشر من محرم ركب الشريف سعيد بعد العصر وطلع إلى بستانه بالمعابدة، وكان هذا آخر ركوبه في موكب عظيم، وكان عليه فرو ناقة، فلما وصل البستان فسح القرو وكان عرقاناً فأصابه الهواء، فأنزلوه إلى البيت محمولاً.

وفي العشرين من محرم توفي إلى رحمة الله تعالى. انتهى^(٣).

قال في خلاصة الكلام^(٤): ولما توفي الشريف سعيد في الحادي والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف كان له كثير من الأولاد،

(١) في الأصل: وأودعه. وانظر: إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).

(٢) في الأصل: أظافر. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٠).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ١٦٧-١٦٨).

وكان أكبرهم الشريف عبدالله - بكسر الدال وترقيق اللام. ذكره السيد دحلان في تاريخ الدول الإسلامية^(١)، وجرى اصطلاح بعض الكتاب على كتابة عبد إله بن سعيد، وكان غائباً في نواحي الخبت، فطلبه والده لما اشتد مرضه، فجاء وحضر وفاة والده، ثم جمع الأجناد والعساكر، وفرق جانباً

في البيوت وجانباً في المناثر، حفظاً للبلاد ودرءاً للفساد، فأراد الأشراف كافة أن تكون شرافة مكة للشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد؛ لأنه في ذلك الوقت كان كبير الأشراف ورئيسهم، فامتنع الشريف عبدالمحسن من قبول الولاية، واستحسن أن تكون للشريف عبدالله بن سعيد المتوفى، ولم تخرج بقية الأشراف عن رأيه، فترل بنفسه إلى المسجد الحرام لملاطفة الباشا، والعساكر، والأروام، وقبض الخلعة من أيديهم، وربما وضعوا الخلعة على مناكبه يريدون توليته، فطرحها عن أكتافه، فأخذها وزفها إلى الشريف عبدالله بن سعيد، وألبسه إياها في داره، ونودي له في البلاد.

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٢): وقد عقب الشريف سعيد نحو عشرة ذكور، ومثلهم إناث. وأكبر الذكور: السيد عبدالله، وأخوه محمد، وعلي، ومساعد، ومسعود، ومضر. وأكبر الإناث: الشريفة عنبرة. انتهى.

(١) تاريخ الدول الإسلامية (ص: ١٥٨).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠١).

ولاية الشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٢٩هـ

وكانت ولاية الشريف عبدالله بن سعيد^(١) يوم الحادي والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين، وسلك في أول ولايته سبيل العدل والاستقامة، واتفق مع الأشراف، ثم تغير حاله، وحصل بينه وبين الأشراف اختلاف كثير، حتى خرج كثير منهم من مكة مغاضباً له، وانجلوا إلى اليمن، وعجز الشريف عبدالمحسن عن الإصلاح بينهم وبين الشريف عبدالله بن سعيد، وخرجوا عن طوعه، ولم يزل أمر الشريف عبدالله بن سعيد في انحلال إلى غرة شهر جمادى الأولى سنة ألف ومائة وثلاثين، فكان عزله في هذا التاريخ. فكانت مدة ولايته: سنة، وثلاثة أشهر، وعشرة أيام. وهذه ولايته الأولى، وستأتي الثانية إن شاء الله تعالى.

ولما تحقق الشريف عبدالله عزله باتفاق الأشراف، سار إلى جهة اليمن، ثم إن الأشراف أجمعوا على أن الولاية لا تكون إلا للشريف عبدالمحسن بن أحمد ابن زيد، وهو ممتنع من قبولها، فطلبوا منه أن يولي أخاه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، فامتنع الشريف عبدالمحسن أيضاً من تولية أخيه، فأراد جماعة من الأشراف ولاية الشريف يحيى بن بركات، وامتنع من ذلك جماعة آخرون.

ثم اجتمع الأشراف عند الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد وقالوا له:

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٦٨، ١٨٠، ١٨٣)، والأعلام (٩٠/٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٢٩-١٣٠)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٨٣-٢٨٥، ٢٩٣-٢٩٦).

رضينا من توليه علينا وتختاره، فاستحسن حسم المادة وإيضاح الجادة بولاية الشريف علي بن سعيد أخي الشريف عبدالله بن سعيد، وقد كان الشريف علي المذكور يريد الارتحال والالحوق بأخيه الشريف عبدالله لما رأى كثيراً من الأشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات، ولم يخطر بباله أن الولاية تكون له، ولا تحدث بذلك، وإنما استحسن ذلك الشريف عبدالمحسن بن أحمد ابن زيد قطعاً للتزاع^(١).

ولاية الشريف علي بن سعيد سنة ١١٣٠

وكانت ولاية الشريف علي بن سعيد^(٢) لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ألف ومائة وثلاثين، وكتب الأشراف والعلماء وأعيان الناس محضراً للدولة العلية باستحسان ولاية الشريف علي بن سعيد، وجاءته المراسم السلطانية بالتأييد في شوال من السنة المذكورة.

وفي هذه المدة حصل بينه وبين الأشراف اختلاف كثير، واضطربت البلاد، وكثر الفساد، وصار النهب في أطراف مكة وبالليل في مكة أيضاً، وعظمت صولة العربان بنواحي مكة، واستمر ذلك إلى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة.

وفي هذا الشهر خرج السادة الأشراف برمتهم إلى الوادي ونواحيه لقطع

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٦٨).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٦٩)، والأعلام (٢٩١/٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣٠-١٣١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٨٥).

معاليهم وعوائدهم المقررة زمن أبيه وجده، ولم يبق بمكة أحد منهم، واستمروا بالوادي إلى قدوم الحج الشامي، ولم يقع منهم خلاف في تلك الأطراف. فلما وصل الحج الشامي رفعوا أمرهم إلى أميره رجب باشا، وأخبروه بأنهم يريدون عزل الشريف علي بن سعيد وولاية الشريف يحيى بن بركات أو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، فسألهم الوزير رجب باشا عن كبير الأشراف الذي يرجع إليه أمرهم، فأخبروه بأنه الشريف عبدالحسن بن أحمد بن زيد، إلا أنه لم يحضر معهم؛ لتوعدك مزاجه، وهو مقيم بالحسنية، والشريف يحيى بن بركات كان مقيماً بمكة، لم يحضر مع الأشراف بالوادي، فكتب الوزير رجب باشا كتاباً للشريف عبدالحسن بن أحمد بن زيد يستشيره فيمن يختاره لولاية مكة، وأرسل الكتاب مع جماعة من الأشراف ومعهم أخوه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد، والأمر لم يكن محزوماً إلا عليه، فحين وصلوا رحاب الشريف عبدالحسن وأسلموه كتاب الوزير صارت بينهم مراجعات طويلة، ملخصها: أنه نكب عن تولية أخيه، واعتذر بأمور عظام، منها: أنه سيؤول تعب هذا الأمر إليه، ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له: هل بعد الولاية إلا انتظار العزل؟ فإذا صار العزل غدوت مطروداً في جميع الطرق والمسالك، وأجمع السادة الأشراف على إبعادك عن عشيرتك وبلادك، فهل أحرزت من شرافتك غير عداوتك لرفاقتك؟ وأخيب فيما أومله فيك وأرجوه [وفيما]^(١) أحكمته من جميع الوجوه من أنك ستكون الجامع لأهلي وعيالي إذا

(١) في الأصل: فيما. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٦٩).

كسفت شمسي وغاب هلالني؟ وهل بعد اجتهادي في حلب الدر [بفيك]^(١) تضع أمني فيك؟ فمل عن ذلك واقتدي بي، وسر على هنجي وتهذيبي. ثم شرع يجول مع السادة الأشراف فيمن يصلح لهم ويبلغهم من السعادة أملهم، فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات، فكتب الشريف عبدالحسن كتاباً للوزير رجب باشا يعرفه بذلك، وكتب كتاباً للشريف يحيى بن بركات بمكة يعرفه بأن الاتفاق قد صار عليك، وأمره بالمسير إلى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا، والشريف يحيى بن بركات كان أبوه الشريف بركات تولى شرافة مكة، ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات، ثم عزل [وأعيد الشريف أحمد بن زيد - كما تقدم-]^(٢)، فرحل الشريف سعيد إلى مصر، وأخوه الشريف يحيى إلى الشام، ثم رجع إلى مكة سنة ألف ومائة وثمان عشرة، وجاور فيها. ولم يزل معاضداً للشريف عبدالكريم إلى أن عزل بالشريف سعيد، فلزم داره واشتغل بالعبادة، وحضور صلاة الجماعة، ولم يزل على ذلك إلى وقوع هذه الحادثة، فاتفق الأشراف على ولايته شرافة مكة^(٣).

(١) في الأصل: فيك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٦٩).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٧٠).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٦٩-١٧٠).

ولاية الشريف يحيى بن بركات^(١) سنة ١١٣٠هـ

فلما جاء كتاب الشريف عبدالمحسن بن أحمد للشريف يحيى بن بركات يأمره بالمسير إلى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا ليوليه شرافة مكة، امثل الأمر، وكان مجيء الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف بالبيت، فسار ووصل الوادي قبل ارتفاع الشمس في رابعة النهار، فوجد الأشراف في انتظاره، فأفاض عليه الوزير رجب باشا خلعة الشرافة، وكان ذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ألف ومائة وثلاثين، ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع، وخرج الشريف علي بن سعيد من البلاد، وسار من غير حرب ولا حصار.

وكانت مدة دولته: سبعة أشهر، وأربعة أيام، ولم تعد له ولاية مكة إلى أن توفي سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف^(٢).

قال الطبري في الإتحاف^(٣): وفي عشرين محرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف نزل الشريف يحيى إلى المطاف، فرأى دماً في المطاف، فأمر بغسله، ونسب السيد أحمد نائب الحرم إلى التقصير، وأرسل إلى سردار الإنقشارية، لأن السيد أحمد مكتوب معهم وأمره أن يجبس، ثم إنه عزله عن منصبه.

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٧٠-١٧٧)، والأعلام (١٣٩/٨)، والجداول المرضية (ص: ١٥٩-١٦٠)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣١-١٣٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٨٧، ٢٩١).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٧٠).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٠٧-٢٠٨).

وفي ليلة هلال ربيع الأول - من السنة المذكورة - عقد القاضي تاج الدين القلعي للشریف يحيى بن بركات على الشريفة روضة^(١) بنت السيد أحمد بن هزاع، وكان المهر خمسمائة أحر، ثلثمائة مقدماً ومائتين مؤخرًا، وثلاثة جوارى، وعبد، ودخل عليها ليلة الاثنين.

ولقد أخبرني من أثقُ به أن الشریف يحيى ليلة دخلته خرج على العبيد نصف الليل، وطلب جواده فركب، فقليل: ياسيدي أنت الليلة عريس، وإلى أين تتوجه؟ فقال: خطر بيالي السراق يقولون: الليلة يحيى عريس، وينفلتوا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فدار العسس إلى الصبح، فالشریف يحيى مدة ولايته ما غفل عن العسس، كان الليل كله يدور على مكة بطرفيها من المعابدة^(٢) إلى الشبيكة وقدامه مشعلين، فإذا قارب الفجر دخل المسجد، واستمر فيه حتى تطلع الشمس واقفاً تحت باب الكعبة يقرأ في كتاب له أدعية، ويميل إلى الفقراء والمساكين، وكانت أيامه مكة بغاية الأمن رخية. انتهى.

واستمر الشریف يحيى بن بركات في ولايته إلى يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر رجب سنة ألف ومائة واثنين وثلاثين^(٣).

عزل الشریف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢هـ

ف عزل عنها بالشریف مبارك بن أحمد بن زيد. فكانت مدة ولاية الشریف

(١) في إتحاف فضلاء الزمن: روضة.

(٢) المعابدة: حي من مكة، تقدم التعريف به آنفاً.

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٧٠).

يحيى بن بركات: سنة، وسبعة أشهر، ويوماً واحداً. وهذه ولايته الأولى، وستأتي الثانية.

وسبب عزله: أن الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد توفي في الحرم سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف، فحصل بعد وفاته اختلال كثير واختلاف بين الأشراف؛ لأن الشريف عبدالمحسن بعد نزوله عن الشرافة للشريف عبدالكريم ابن محمد بن يعلى إلى حين وفاته كان مرجعاً لجميع الأشراف، لا يتولى ملك ولا يعزل آخر إلا برأيه، ولا يستمر إلا إذا كان تحت أمره وفيه.

فلما توفي الشريف عبدالمحسن تفرقت كلمة السادة واختلفت آراؤهم، وكان الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مع الشريف يحيى بن بركات في أول الأمر بالألفة والمحبة واتحاد الكلمة، إلى أن رمي بينهما بسهم التفريق، وصار كل واحد منهما عن صاحبه في فريق — ولذلك أسباب يطول الكلام بذكرها، فخرج الشريف مبارك مغاضباً إلى داره بالحسينية، فتوسط بينهما بعض الأشراف، فلم يلتئم الحال، ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتحج عن بلاده جرياً على قاعدة آبائه وأجداده، فأخذ منه مهلة سبعة أيام، ثم سار إلى الطائف ونواحي الحجاز، فلحق به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبدالمحسن بن أحمد بن زيد في جملة من الأموال والخيول والرجال، ومعه جماعة من أعظم السادة الأشراف بعد المعاهدة بينهم على إيقاع الخلاف، وجمع السيد أحمد بن عبدالمحسن وعمه الشريف مبارك بن أحمد جموعاً من القبائل، وعزموا على مقاومة من بالطائف من الأشراف والأجناد وأتباع الشريف يحيى بن بركات،

فوقعت بينهم حروب، ثم دخلوا الطائف وكثرت أتباعهم من عتبية وثقيف، وقصدوا مكة، فخرج لهم الشريف يحيى بن بركات بمن معه من الجند، والتقى الجيشان بعرفة يوم الأربعاء لسبع خلون من رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف، واقتلوا قتلاً شديداً، قُتل فيه خلق كثير من الفريقين، ثم انهزم الشريف يحيى بن بركات، وتوجه إلى الوادي، ثم منه إلى الروم قاصداً الاعتبار السلطانية^(١).

دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد^(٢) مكة متولياً

عليها سنة ١١٣٢هـ

فدخل الشريف مبارك البلد الحرام، ونادى في الناس بالأمان، وبسط العدل والأمان، ودخل تحت طاعته ملكان [شريفاً]^(٣) المقدار قد وليا شرافة مكة قبله، وهما الشريف عبدالله بن سعيد وأخوه الشريف علي بن سعيد، وكانا في اليمن، فاستدعاهما لديه، فلما وصلا إليه تلقاهما بالقبول والإكرام، وطلب منهما المعاهدة، ففعلا له ذلك، وسلكا معه أحسن المسالك، واستمرا على ذلك إلى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، فحدثت بينه وبين

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٧٠-١٧١).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٧٩، ١٧١)، والأعلام (٢٦٩/٥)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣٦-١٣٧)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٨٨-٢٩٠، ٢٩٢-٢٩٣).

(٣) في الأصل: شريفي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧١).

الشريف عبدالله مقتضيات الفساد، ولمعت بينهما بروق النوى والبعاد، وتواترت النقول لدى الشريف مبارك بفساده، وثبت عنده أنه يحوم حول منصبه وبلاده، فعزم على إرجاعه إلى اليمن، فأمضى عزمه وأخرجه إلى الليث، وما فعل ذلك إلا لأنه تحقق أن الشريف عبدالله يريد إتمام مطالبه بملاقاة أمراء الحجوج وأعيان الدولة العثمانية، فصار الشريف عبدالله ينتقل تارة عند ذوي جازان بالبجدي^(١)، وتارة بوادي مَرّ، وتارة بنواحي الطائف، وأما أخوه الشريف علي فبقي على حاله بمكة لم يقع منه خلاف، ثم ثارت فتنة بمكة بين الأشراف وبين شريف مكة الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراتهم، ورفع غالب مقرراتهم، فخرج عن طوعه لذلك جماعة تفرقوا في الطرق والمسالك، وكان ابتداء ذلك في رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، ثم اجتمعوا بأسرهم في الوادي، واستقر رأيهم على أن تكون الشرافة للسيد أحمد ابن عبدالمحسن بن أحمد بن زيد، وأن يعزلوا عمه الشريف مباركاً، وجاءهم الشريف عبدالله بن سعيد المتقدم ذكره، وانضم إليهم، وكذلك لحقهم أخوه الشريف علي بن سعيد، إلا أنهما لم يتعرضا لأمر الشرافة، وأقاموا مدة من الأيام وآراؤهم تنتقض، وتارة تكون بغاية الإبرام، ولم يزل هذا حالهم إلى أن نفدت أموالهم، وقلّت لديهم الأقوات، وانحصرت عليهم جميع الطرقات، وهم ينتظرون خروج الشريف مبارك إليهم وصولته عليهم، فيأخذونه في طرفة عين

(١) البجدي: هو صدر وادي عرنة إذا دخل بين كبك في الجنوب وجبلي لبن في الشمال، فيه قرية تعرف بهذا الاسم تقع جنوب الشرائع (معجم معالم الحجاز ١/١٧٧-١٧٨).

ويرمونه بالبعد والبين، وهو مقيم في مكة بلاده، متحصن بعسكره وأجناده، وأصاب الناس في مكة شدة وبلاء يفطر الأكباد، وكذا الشريف مبارك أصابته شدة حتى آل الأمر إلى بيع آلات ملكه^(١).

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٢): والناس في هذه المدة في كرب شديد وشدة من اختلاف الأحوال، وانقطاع القوافل عن مكة؛ لقلة الغيث وانقطاع السبل، وأدم الناس الزيت والسمن، وباقي الأقوات تارة توجد وتارة لا توجد. والله در القائل:

الحكم يجري بأمر الله والقدر وليس ينجيك منها شدة
فسلم الأمر للرب اللطيف فكم من شدة فرجت في لحة البصر

قال في خلاصة الكلام^(٣): ثم عزم الأشراف الذين في الوادي على حرب الشريف مبارك وقتاله، واجتمع معهم كثير من القبائل، فجاءوا وضربوا خباءهم بالزاهر، فخرج إليهم الشريف مبارك بمن معه، ووقع القتال بينهم في اليوم الرابع والعشرين من شوال، وصارت بينهم معركة خطبها عظيم، وهولها جسيم، أصيب فيها أشخاص من الأشراف وغيرهم، وكانت الغلبة للشريف مبارك عليهم، فطلبوا منه الأمان على أن يمكثوا ثلاثة أيام في ذلك المكان، ثم يرحلون ويبعدون، فأبى، وقال: لا بد من الرحيل والإبعاد، فرجعوا من يومهم إلى واديهم، ثم توسط بينهم بعض كبار الأشراف بالصلح، فكان أول من وفي

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٧١-١٧٢).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢١٤-٢١٥).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٧٢-١٧٥).

للمسألة والإصلاح الشريف عبدالله بن سعيد، ثم اجتهد هو وبقية الأشراف، ورفع ما كان بينهم من الخلاف، وضمن لهم جميع حقوقهم، وأدى إليهم ما ترتب عليه الحال في مشاهرتهم، فدخل مكة زعيمهم السيد أحمد بن عبدالمحسن صحبة الشريف عبدالله المذكور، ورتبوا الأحوال لجماعتهم، وجأؤوا متتابعين، وهذه المرة الثانية لدخول الشريف عبدالله بن سعيد وأخيه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد. ولم يزل الشريف مبارك في شرافة مكة إلى ست من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، فانتزعها منه الشريف يحيى بن بركات بولاية من السلطنة السنية، فكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف. وهذه الولاية الأولى، وستأتي الثانية إن شاء الله تعالى.

وسبب انتزاع الشريف يحيى الولاية من الشريف مبارك: أن الشريف يحيى لما هزم في رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف، توجه - كما تقدم - للديار الرومية، ولم يزل يجتهد حتى اجتمع بالسلطان أحمد بن محمد بن [إبراهيم]^(١) يوماً كاملاً إلا قليلاً، وصار بينهما حديث طويل، فأنعى عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين، وصدر الأمر بتوجهه مع الحج الشامي ومعه الوزير علي باشا كناهيلي متولياً بندر جدة، وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى، ومعهم أيضاً أمير الحج الشامي علي باشا المشهور بابن المقتول، فجاء الجميع في عسكر جرّار ودخلوا مكة لست خلون من ذي الحجة، وخرج

(١) في الأصل: إبراهيم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٤).

منها الشريف مبارك وجماعته، وأقاموا بأطراف الطائف بموضع يسمى: [جرجة]^(١)، بعد وادي لية^(٢) قريباً من بلاد ثُمالة^(٣)، وكان في جرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف فترلوا به.

وفي الإتحاف للطبري^(٤): وفي أول ليلة الأحد مستهل شهر ذي الحجة بين المغرب والعشاء ترحل عن مكة الشريف مبارك، وأودع الديرة حامد بن محمد ابن يعلى، وتوجه إلى محل في شمال الحسينية يقال له: [المنصة]^(٥)، ونادى حامد من ساعته في مكة أن البلاد بلاد الله، والسلطان أحمد، وبلاد يحيى بن بركات، وفي وجه حامد بن محمد بن يعلى. فحصل للناس السرور التام؛ لأن القلوب من خوف القلب كانت مرتاعة.

(١) في الأصل هنا: جرجية. وفي السطر التالي: جرجية، وبعد عدة أسطر: جرجية. والمثبت في المواضع الثلاثة من خلاصة الكلام (ص: ١٧٤).

(٢) وادي لية: واد من نواحي الطائف.

تقدم التعريف به.

(٣) ثُمالة: واد عظيم منسوب لقبيلة ثُمالة القديمة، يأخذ مياه شفا بني سفيان فيتجه شرقاً، ثم يعطف شمالاً، فيدفع مع عَمَّان في شبحاط، ثم في لية من الجنوب (معجم معالم الحجاز ٨٥/٢-٨٦).

(٤) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٢٦).

(٥) في الأصل: النص. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٢٦).

وأرسل الشريف يحيى بن بركات بمكاتيب من قديد إلى جميع مشايخ الأشراف وأغاوات العسكر والعربان بالأمان، وأنكم على القواعد والقوانين السالفة التي عليها الملوك المتقدمين، وزينوا مكة خمسة أيام.

وليلة خمس في الحجة بعد نصف الليل دخل الشريف يحيى في جردة من الخيل والركاب، وطاف وسعى، وصلى الصبح مع الجماعة، ثم عاد بعد الفجر إلى الزاهر، وفي يومه اختلع خلعتة [الواردة]^(١) مع الشامي، وعاد على طريق الشبيكة والحمل الشامي بين يديه، والباشتين عن يمينه وشماله. انتهى.

الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة [١١٣٤هـ]^(٢)

ولما ورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رقبته ورأفته بالأشراف كما كان في الولاية الأولى، بل تولى الأمور بشدة وغلاظة، فلم يزل حال الأشراف معه في نهاية الاضطراب مع نفور الأعراب.

والحال: أن الشريف مبارك وذويه آل زيد بن محسن مقيمون بأطراف الطائف ونواحيه، فقضى الشريف يحيى الحج، وكذا صاحبه الوزير علي باشا كتهيلي.

(١) في الأصل: الوارد. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٢٦).

(٢) في الأصل: ١١٣٣. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٥).

ثم توجهها في آخر محرم سنة خمس وثلاثين ومائة وألف إلى الطائف على طريق نخلة بالخيول والعساكر، وسارا سيراً عنيفاً حتى وصلا الطائف، وأقاما به يوماً واحداً، ثم توجهها إلى جرجة ليلاً بدلالة لبعض شيوخ ثقيف، وصباحهم تحت الحصن المذكور، واستولت العساكر على أدباشهم^(١)، ولم يسلم منهم إلا أشخاص، وكادوا يذهبون قتلى، لولا حفظ الله تعالى وعنايته بهم، وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص، وذهب جميع ما معهم، ورجع الشريف يحيى وعلي باشا إلى الطائف، ثم إلى مكة.

ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعاً من بادية بجيلة وناصرية^(٢) وبني سعد وثقيف، فاجتمع معه نحو الألف، وأقبل بهم على الشريف يحيى وصاحبه، فخرجوا لملاقاته إلى عرفة، ووقع بينهم قتال شديد، ففي أول الأمر حملت الخيل على الشريف مبارك ومن معه فكسرت، والبادية الذين معه انحصروا في الجبل المسمى: بالخطبة، ووقع منه قتال [أهال]^(٣) الأتراك، وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه البلكات السبعة بعساكرهم، بل ومن ينتمي إليهم من سكان مكة من أبناء الروم، ومصر، والمغاربة، وعساكر بندر جدة، فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره، وقتل جمٌ غفير

(١) الدَّبَش: أثاث البيت وسقط المتاع (المعجم الوسيط ١/٢٧٠).

(٢) ناصرة: إحدى الفروع الرئيسية الثلاثة لقبيلة بلحارث القاطنة جنوب الطائف، وتنقسم ناصرة إلى ثلاثة فروع رئيسية: الحسكان، والشعيث، والموسى، وديارهم تجاور ديار بني سعد من الجنوب، وهي أدنى بلاد بلحارث إلى الطائف (معجم قبائل الحجاز ص: ٥٢٥).

(٣) في الأصل: أهالي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٦).

من الأتراك وغيرهم، ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم أبداً، فأعطوهم الأمان، [وبذلك]^(١) سلم بقية الأتراك من القتل، ونزل البادية من الجبل، وتوجهوا إلى الطائف آمينين مطمئنين، فكانت الهزيمة في هذه الواقعة على الشريف مبارك، ورجع إلى الطائف^(٢).

وفي إتحاف فضلاء الزمن^(٣): وفي ثاني عشر جمادى الثاني وصل مورك بأن الشريف مبارك في لية، وأنه جمع جمعاً كثيفاً وقصده مكة، وغالب أهل الطائف لما بلغهم جموعه [المنجكة]^(٤) أقبلوا إلى مكة.

وفي التاسع عشر كان الشريف والباشا متزهرين بالمعلا، فورد عليهم مورك من وكيل الطائف عبدالله بن أحمد من ذوي عبدالله بأن الشريف مبارك وصل الطائف، ونادى بها لنفسه، وأن جميع عساكر يافع واليمن حشروا في بيت من بيوت الطائف من الظهر إلى المغرب، ثم إن الشريف مبارك كبس البلد. أما عسكر اليمن فعاملوه، وأما عسكر يافع فطلبوا منه يوماً وليلة، فأعطاهم، وحصرهم البدو من كل جانب، وأرسل إليهم الشريف: إما تعاملوني أو أحرق عليكم البيت، فعاملوه، ما عدا من هرب منهم نحو عشرين رجلاً.

وفي عشرين شهره جمع الباشا العساكر المصرية وقال: أنا أريد البروز إلى

(١) في الأصل: بذلك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٦).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٧٥-١٧٦).

(٣) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٢-٢٣٤).

(٤) في الأصل: المنجكة. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٢).

هذا الرجل المخالف لأمر السلطان، فقالوا له: نحن معك في كل شأن، فقال: إن أنا متّ فقد وليت كيخيتي من بعدي، وإن متّ أنا وكيخيتي فأوليت خازنداري، فدعوا له بالبقاء وعلو الارتقاء، فقال لهم: هَيَّؤُوا معنا إلى البروز إلى أرض عرفة، فأجابوا بالسمع والطاعة.

وفي هذا اليوم [برز]^(١) الباشا إلى جهة الأبطح مخيمه وآلة الحرب من مدافع وقنابل وزرابطين^(٢) من حديد [اصطنعها]^(٣) وركبها على عجل، تُحشى بالبارود والرصاص.

وفي هذا اليوم أرسل الشريف واستصرخ جميع عربان الطاعة، فأجابوه ووردوا عليه.

وفي يوم الاثنين ورد من الطائف وكيل الشريف، وحاكمه، وجميع الخدم، ومعهم محمد بن عبدالكريم ومن معه من العسكر، وأخبروا بدخول الشريف مبارك الطائف، ونادى لنفسه.

وفي يوم الثلاثاء برز الشريف وبنو عمه والعساكر المصرية وعساكره إلى الأبطح في آلاي عظيم كالبحر يطفح.

وفي يوم الخميس برز الباشا إلى الأبطح، ثم بعد صلاة العصر نادوا بنفير عام، وأن من [لا]^(٤) يخرج للقتال فهو منهوب مسلوب، وعلى عتبة بيته

(١) في الأصل: أبرز. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٣).

(٢) الزرابطين: نوع من المفرقات.

(٣) في الأصل: اصطفها. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٣).

(٤) في الأصل: لم. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

مصلوب، ثم أعادوا المناداة بعد المغرب بأن كل من يأكل جامكية السلطان يبرز معنا، ورجعوا عن ذلك النفير العام، ففرح المسلمون وانفرج ما كان.

وفي يوم الجمعة بعد العصر ترحل الشريف والباشا بجميع الجند من الأبطح إلى نحو عرفة، ونزلوا بمسجد غمرة، فلم يجدوا المبارك أثر، ولا وقعوا له على خبر.

وفي ثامن عشرين جمادى الثاني وصلت قبائل الشريف مبارك إلى عرفة وعلوا تلك الجبال، وحمي بين الفريقين سوق القتال، وعلا الكرب، واشتدّ التّزال إلى ضحى النهار، وهم يترامون بالبنادق محاصرون فوق تلك الشواهد، وإن الشريف مبارك ترك طائفة يتشاغلون بالرمي، وأخذ باقي الجيش ونزل بهم على وادي المغمس^(١) من وراء جبال عرفات يريد الدخول إلى مكة، وترك أولئك القوم مع جماعة الشريف يحيى، وكانت طوائف مبارك ثلاثة آلاف وسبعمئة غير التابعين، وهم: ناصرة، وبجيلة، وبني سعد، وثقيف، وشمالة، والنفعة، وزهير^(٢)، وآل خالد، والقرح^(٣)،

(١) المغمس: هو: السهل الفسيح الواسع الذي يبدأ من أرض الصفاح والشرائع العليا (حُتَيْن) إلى سهل عرفات، بل إن سهل عرفات كله ما هو إلا امتداد لأرض المغمس. ويقع في وسط أرض المغمس وادي غُرنة. وشَقَّ الآن طريق مزَقَّت يصل بين عرفات وبين طريق الطائف على السيل، طوله حوالي (١٥) كلم، إذا سلكنه تكون قد توسطت أرض المغمس.

(٢) زهير: بطن من هذيل اليمن، من هذيل، تتركز سكناه حول وادي نعمان وإلى الجنوب (معجم قبائل الحجاز ص: ٢٠١).

(٣) القرّح: بطن كبير من المسودة من هذيل، يسكن جبال راية وعروان إلى مشارف يلملم الشمالية، وديارهم آخر ديار هذيل في الجنوب، فهم من هذيل اليمن (معجم قبائل الحجاز ص: ٤١٦).

ودعد^(١)، والشلاوين.

فلما أخذ مبارك ذلك الطريق جاء إلى يحيى والباشا بذلك نذير، فصاحوا بالعسكر، واقتسموا قسمين على طريقين، فالشريف أخذ مقفى الجبل، والباشا إلى وجه الوادي نزل، وثبت الحرب إلى قريب الظهر، فالشريف مبارك لما أن رأى أن الحال تلاشى، وأن النصر مع الشريف يحيى والباشا، توجه من حيث أقبل، ولسان حاله يقول:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساءً ويوم نُسَرَّ
[جور]^(٢) الزمان فكن فما بعد صبرك إلا الظفر

وأما البوادي فهتفوا باسم الشريف والباشا، وطلبوا الأمان، ولولا [تأمينهما لهم]^(٣) لما نجا منهم إنسان، فما فرّ من تلك القواضب والسمر إلا طويل العمر.

وبالحقيقة أن ذلك اليوم كان لعلّي باشا، ظهرت منه شجاعة باهرة، وثبات في الحرب، وحملات قاهرة، فتارة يكون ببطن الوادي، وتارة فوق الجبل مع الأعادي، وتارة ميمنة، وتارة ميسرة، وتارة في القلب، وهو بروحه يفادي، والرصاص يتساقط من يمينه ويساره، والشريف يناديه وهو لا يلتفت لمقاله، بل مشغول بما هو فيه، فظهرت الفشلة^(٤) في قوم مبارك، فقتل من

(١) دعد: بطن من جميل من هذيل، مسكنه صدور ملكان وضمير ورهجان (معجم قبائل الحجاز ص: ١٥٦).

(٢) في الأصل: بجور. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٣٣).

(٣) في الأصل: تأنيهما. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن، الموضع السابق.

(٤) في إتحاف فضلاء الزمن: الفشيلة.

جماعتهم جمع غفير؛ لأنهم ولّوا، وصارت العساكر تضرب فيهم مولى، فلهذا كثر فيهم الفشل، وقتل من جماعة الشريف يحيى والباشا نحو خمسين.

وفي يوم الجمعة ثالث رجب جاء الخبر بأن الشريف مبارك بالطائف، وأنه نزل بيت الحميدي. انتهى.

قال في خلاصة الكلام^(١): ثم خرج الشريف مبارك من الطائف بسبب عسكر [وجهه]^(٢) إليه الشريف يحيى، وبقي في أطراف الطائف إلى شهر رمضان من السنة المذكورة^(٣)، ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل الشريف يحيى، وهو السيد محمد بن الشريف عبد الكريم بن يعلى، واستمر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية، وكان بالطائف زعيم الأشراف ورئيسهم السيد محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نجي، وهو جدّ سيدنا الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن، فتولى الأمر وذَبَّ عن الرعية، وأرسل كتباً مع ولده السيد عون للشريف يحيى بن بركات ولعلي باشا يعرفهما بذلك، فأرسل يطلبانه، فوصل إلى مكة واجتمع بهما معاً، ثم بعلي باشا بمفرده، وتواطأ على أن يكتب للشريف مبارك كتاباً بالملاطفة، ويعدانه بشرافة مكة بعد الحج، وأن يرسل له مبلغاً من الدراهم يستعين به ويفرقه على من كان عنده من البوادي، ويستقرّ بالطائف آمناً لا يتعرض [لشيء]^(٤) من

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٧٦-١٧٧).

(٢) في الأصل: وجهه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٦).

(٣) سنة ١١٣٥ هـ.

(٤) في الأصل: بشيء. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٦).

الأحكام، وتعهد السيد محسن للبasha بأنه ما يخالف ما تأمره به، وأنا أمشي إليه بنفسي لأجل ذلك، وفي ضمن ذلك تنطفئ الفتنة إن شاء الله تعالى، وتنطفئ نائرة الأشراف القائمين على الشريف يحيى، لكن لا بد من تسليم شيء لهم، فحاضوا في ذلك، واستقر الأمر على تسليم علوفة شهر للأشراف نقداً، ثم سلم ذلك إليهم علي باشا من خزانته، ثم توجه السيد محسن إلى الطائف، ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الأشراف، وأعطى الشريف مباركاً كتابه من البasha والمبلغ الذي له، وأنزله عما كان عليه، وأعطى الأشراف الذين معه علوفة شهر نقداً، وتفرقت البوادي، واستقرت الأحوال، وأمنت البلاد، ومشت فيها أحكام الشريف يحيى بن بركات، ثم عاد السيد محسن إلى مكة ومعه جماعة من الأشراف، وجماعة من عيون خدم الشريف مبارك لقضاء بعض أغراضهم، فوجدوا علياً باشا قد توجه إلى جدة، فلحقوه بجدة، فأكرم السيد [محسناً]^(١) ومن معه بما لم يعهد مثله، وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتنال الأمر في كل ما أمر به، فسرّ بذلك، وتشكر من السيد محسن فيما فعله، فرجع السيد محسن إلى مكة، وحدث لعللي باشا مرض طال به إلى ذي القعدة، ثم توفي بجدة، واستقر في منصبه بعده كيخيته إسماعيل باشا، وكانت الأشراف في نهاية الاضطراب مع الشريف؛ لقطعه مقرراتهم المعروفة، والشريف مبارك ابن أحمد قد تحرك بالطائف لجمع البادية والمسير إلى مكة بعد وفاة علي

(١) في الأصل: محسن. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٧٦).

باشا المذكور، ولم تزل الحال كذلك إلى أن وصل الوزير عثمان باشا المعروف بأبي طوق أمير الحج الشامي.

ذكر نزول الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات

سنة ١١٣٥هـ

وكان في مكة أعيان الدولة، فتواطؤوا على أن الشريف يحيى يتزل عن الشرافة لولده الشريف بركات^(١)، ويصير هو شيخ الحرم المكي، فإذا فعل ذلك ذهبت حقوق الأشراف القديمة، ويقوم لهم الشريف بركات بما ينفعهم حالاً.

وفي هذه السنة -أي سنة ألف ومائة وخمس وثلاثين- صار فيها حوادث جمة، ومخاصمات وغارات بين الشريف يحيى والسادة الأشراف وبين عبيدهم، وعساكر الوزير المذكور^(٢) وعساكر الشريف يحيى، وكانت سنة مرتجة، ولم يزل الحال كذلك إلى شهر ذي الحجة.

وفيها كان نزوله عن الشرافة لولده الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل آخر السنة المذكورة -أعني سنة خمس وثلاثين بعد المائة والألف- حتى ظهر الخلاف في جميع الأطراف لأسباب اقتضت ذلك:

(١) انظر ترجمته في: خلاصة الكلام (ص: ١٧٨-١٧٩)، والجداول المرضية (ص: ١٦٠)، والأعلام

(٤٩/٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣٥-١٣٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر

عصور الإسلام (ص: ٢٩١).

(٢) الوزير عثمان باشا.

أحدها: موت الوزير علي باشا.

وثانيها: تحرك الشريف مبارك بالطائف وأطرافه لموت الوزير المذكور، وانحرام ما كان بينه [وبينه]^(١) من الوعد.

وثالثها: عجز الشريف يحيى عن إيفاء السادة الأشراف حقوقهم.

فلما وصلت الحجوج الشامية والمصرية وغيرهما صعد بهم الشريف يحيى إلى عرفات، فكانت الأشراف برمتهم في ناحية عنه لم يخالطوه، وأوصلوا شكاياتهم إلى أعيان الدولة الواصلين في ذلك العام، ومن جملتهم أمير الحج الشامي الوزير عثمان باشا أبو طوق، فاستقر الرأي بينه وبين الشريف يحيى وأعيان الدولة أن يتزل الشريف يحيى عن الشرافة لولده الشريف بركات، فبهذا التزل تنهدم حقوق الأشراف المنكسرة عنده، وتصلح الأحوال، ويدخلهم الشريف بركات بحسب جهده، ففعل ذلك الشريف يحيى، ونزل لابنه الشريف بركات في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف.

فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية: سنة كاملة إلا ثلاثة أيام. والأولى: سنة، وسبعة أشهر، ويوماً، الجميع: سنتان، وسبعة أشهر إلا يومين.

فزاد الاضطراب لما عرف السادة الأشراف أنها حيلة على إذهاب حقوقهم، واستولى على الشريف بركات أبوه وعمه السيد عبدالله بن بركات،

(١) ما بين المعكوفين بياض في الأصل قدر كلمة، والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ١٧٧).

فلا يرد ولا يصدر إلا عن رأيهما، وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبد الله ابن حسين بن حسن بن أبي نمي منابذات ومخاصمات عند بعض الأمور، فأراد الشريف بركات بن الشريف يحيى إزالتها، فلم يمكنه ذلك لإطاعته لهما، فبنى السيد محسن بن عبد الله على الفراق، وكذا جملة من السادة الأشراف، وأجمعوا على الإرسال للشريف مبارك بن أحمد ليصل بمن معه من الأشراف والبادية، وعزموا على مقاتلة الشريف بركات وإخراجه من البلاد، فلما أزمع رأيهم على ذلك فارقوه على مقتضى قواعدهم، وبرزوا إلى خارج البلاد، ورحلوا يوم السادس من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف، وتلاقوا هم والشريف مبارك في عرفات يوم عاشر الشهر المذكور.

وفي أثناء هذه المدة لم تزل المكاتب بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره، وكان في أطراف اليمن، ولم يزل يتقرب إلى أطراف مكة إلى أن اجتمع بالسادة الأشراف والشريف مبارك، ثم وصلوا جميعاً إلى أعالي مكة، وخرج لمقاتلتهم الشريف بركات بن الشريف يحيى ومعه والده بعساكرهم، وإسماعيل باشا صاحب جدة بعساكره، بحيث إنهم بلغوا ثلاثة أمثال الشريف مبارك ومن معه، وثار الحرب بينهم بأعلى مكة عند المنحنى يوم الأربعاء الثاني عشر من محرم، وحمي الوطيس، واشتد الحال في القتال إلى خامس ساعة من النهار، فحملت السادة الأشراف حملة واحدة على الشريف بركات ومن معه، وهزموهم هزيمة شنيعة، وقتلوا فيهم قتلاً عظيماً لم

يسمع مثله، حتى امتلأت أعالي مكة من القتلى، وولّوا مدبرين، ثم جاء السيد محسن بن عبدالله وأمن العساكر اليمنية، ونزل بهم إلى مكة لاحقاً بهم الشريف مبارك حتى أوصلهم إليه في داره العامرة، وتوجه الشريف بركات ووالده إلى وادي مرّ بأجلة وكفلاء على قانونهم المعتاد^(١).

وفي الإتحاف^(٢): وفي رابع محرم جاء الخبر إلى الشريف بركات بأن الشريف مبارك برز من الطائف إلى موضع يقال له: بستان معشر^(٣)، فجعل محضراً وأخبر عسكر مصر وطلبهم الخروج معه، فأجابوا، وأرسل إلى جدة يطلب إسماعيل باشا.

وفي سادس محرم أمر الشريف على جميع مشايخ هذيل وحبسهم، وقال: نحن نبرز إلى محاربة الشريف مبارك، فإن وجدنا جماعتكم معهم حذفنا رؤوسكم، وإن لم [نجدهم]^(٤) معهم نفككم.

وفي ثامن محرم جاء الخبر بأن الشريف مبارك وصل الشريعة ومعه نحو ألف وخمسمائة مقاتل.

وفي تاسع محرم أصبح الباشا من جدة، وفي هذه المدة جميع السادة الأشراف جلوا على الشريف وأخذوا أجلة خمسة أيام.

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٧٧-١٧٩).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١-٢٤٢).

(٣) في إتحاف فضلاء الزمن: معشي.

(٤) في الأصل: نجد. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١).

وفي يوم الاثنين برز الشريف بركات إلى جهة الأبطح لدفع الشريف مبارك ومعه نحو ألفين من يافع، ويمنة، وبدو، وبعد ساعة لحقهم الباشا [ونزل]^(١) بالأبطح ما عدا عسكر مصر، فرتبهم على ثلاث فرق: فرقة بأعلى مكة، وفرقة بأسفلها، وفرقة في جوف البلد، ولم يخرج مع الشريف أحد من الأشراف سوى والده، وعمه عبدالله، وذويه، وجميع الأشراف غضاباً، وبعضهم خرج إلى الشريف مبارك وعامله، وبعضهم ارتفع إلى العابدية، وبعضهم على الخروج.

وفي هذا اليوم وردت سبور^(٢) الشريف بركات وأخبروا أن جميع الذين مع الشريف مبارك من هذيل قد ذهبوا بعد أن سمعوا بحبس مشايخهم، وأنهم نازلون بالخطم.

وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشر محرم أقبل الشريف عبدالله ومن معه من البدو من قبل جبل النور، وكبسوا على جماعة الشريف بركات.

وعند الفجر وصل الشريف مبارك ومن معه وعلوا الجبال الشامخات، وتراموا بالرصاص نحو ثلاث ساعات. ثم إن الشريف مبارك وعبدالله ومن معهم وجميع الأشراف حملوا حملة رجل واحد، وداروا بجماعة الشريف بركات والباشا دوران السور بجميع الأطراف، ومكنوا من صدورهم الرماح، وحطوا فيهم الصارم البتار، وقتلوا من الأتراك نحو ثلثمائة، وصوبوا نحو الخمسين،

(١) قوله: "ونزل" زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١).

(٢) أي عيونه، لأن معنى السير استخراج الأمر (لسان العرب، مادة: سبر).

وسلبوهم أجمعين، وتركوهم صرعى في خريق المنحنى كاخرفان، رزقاً للطير والوحش والغربان.

وأما يافع واليمن فانحاش نحوهم السيد عبدالله بن سعيد ومحسن بن عبدالله وحماهم من الطوارق، فلما رأى الشريف بركات تغلب القوم رجع من حيث جاء هو ووالده الشريف يحيى وإسماعيل باشا، أخذوا على الفلق على سويقة، ودخل الباشا [إلى] ^(١) بيته وصك بابه وتترس خوفاً من أذاهم.

وأما الشريف بركات ووالده الشريف يحيى والحاكم فقصدوا الوادي. انتهى ما في الإتحاف.

ثم توجه الشريف يحيى إلى الشام وتوفي بها، وكذا ابنه بركات. فكانت ولاية الشريف بركات بن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوماً ^(٢).

الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦هـ

ونادى المنادي بمكة للشريف مبارك، وبالأمن والأمان. وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك، وأمنت العباد، ودخل صحبته الشريف عبدالله ^(٣).

(١) في الأصل: على. والنصوب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤١).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٧٩).

(٣) المرجع السابق.

قال الطبري في الإتحاف^(١): وفي ليلة الخميس خامس صفر سنة ست وثلاثين ومائة وألف توجه إلى الأبواب على طريق الشام بعروض الشريف مبارك لطلب التأيد له من السلطنة العلية مولانا القاضي أحمد بن القاضي عيسى المرشدي.

وفي عشرين صفر جعل الشريف محضراً للبasha والعساكر المصرية، وقال لهم: إني مرتحل قاصداً المدينة المنورة، وأقمتُ وكيلاً عني في البلد السيد حامد ابن محمد بن يعلى - وكان حاضراً في المحضر، وأشار إليه الشريف-، ثم قال: قصدي أن تكونوا أنتم وإياه عصابة واحدة، فأجابوه بالطاعة، وانفضّ المجلس على ذلك.

وفي هذه المدة وُشي للشريف أن السيد عبدالله بن سعيد أرسل بعروض إلى الأبواب العالية بخفية يطلب المكانة لنفسه مع عبد لشاهين الموّال، وصحبته رجل يقال له: الصعاق، فلما أحسن الشريف مبارك بذلك أمر بنهب بيت الصعاق، وأرسل السيد عون بن محسن بن عبدالله في طلب الرجل والعبد، فأدرك الرجل، وفات العبد ولم يحصل، وصحبته العروض، وأنكر الصعاق ذلك، ودخل على محسن بن عبدالله؛ لأنّ الحلّ والربط في بيت الشريف له لخصوصية بينهما، وادعى الصعاق: إني لست بمرسول، وإنما لي جمال ضلّت فتبعتها، وقبل الشريف دخل محسن، وأعاد له بعض دبشه، والباقي ضاع، وأرسل الشريف مبارك للشريف عبدالله أن يترحل معه إلى المدينة،

(١) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٣-٢٤٦).

فامتنع، وقال: إن أعطيتني ستة آلاف أحر ترحلت معك، فتزايد في الكلام، فقال له: أنت ترسل بعرض تطلب المكانة لنفسك؟، قال له: نعم كان ذلك، ما دخلت مكة أنت بسيفك، بل دخلناها نحن وإياك، فأنت أعرض وأنا أعرض، والبلد للسلطان، فمن أَراده السلطان ولآه، وقد كان الشريف مبارك والباشا إسماعيل نفى بعض عسكره، فذهبوا وخدموا عبدالله بن سعيد، وصار إذا ركب انتشروا قدامه مثل الجراد، وهو والشريف مبارك في الظاهر متحابين، وفي الباطن متنافسين، وامتنع عبدالله من الخروج معه.

وفي ثالث عشر صفر بعد صلاة الظهر ودّع الشريف وترحل نحو حدة^(١)، ونزل في الدور، والعساكر تقدمت إلى حدة، وترحل الصبح إلى نحو جدة، ونزل بغليل^(٢).

وفي يوم الخميس سادس عشر صفر وصل السيد عون بن محسن إلى مكة؛ لأنه توجه في طلب عبد شاهين المتقدم ذكره، وأخذ بساقته إلى المدينة، فلم يقف له على أثر.

وفي ليلة المولد دخل الشريف مبارك بعمره، وطاف وسعى، وذهب إلى طوى، ثم دخل في الصبح بجردة من الخيل والدبابة، وطلع إلى داره، ودخل

(١) حدة: تقدم التعريف بها.

(٢) غليل: تقدم التعريف به.

جميع العساكر صحبته، إلا أن البيارق ما دخلت، طلّعوا بها إلى الأبطح تحت جبل النور؛ لأن نيته باقية على السفر.

وفي ثامن عشر مولد أول^(١) أخذ السيد أحمد بن محمد بن يعلى وصحبته جماعة من الأشراف والعييد والبادية من طريق جدة نحو ستين حمل من حب، وأرز، وعدس، وغير ذلك، ثم تفرقت القافلة، وهرب كل على رأسه، ورجع بعضهم نحو أربعين حملاً إلى غليل، فرجع الأشراف وأخذوهم ثانياً.

وفي سادس عشرينه أخذت حمول من درب جدة، ففزع لها الشريف، ثم إنه أقام ببئر شمسي لحفظ الدرب، وأرسل يطلب عسكره، فخرجوا إليه أرسالاً.

وفي الحقيقة أن والي مكة يحب الدعاء له؛ لأن الأشراف يغلبوه للقواعد التي لهم عليه، بل وماله في زماننا قدرة؛ لأنهم كثروا وتقوّوا بالمال والرجال، ولا عاد يرضيهم معلوم الشريف لوسع بايكتهم، فكل ما تولى واحداً اختلفوا عليه إذا قصر عليهم في المعلوم، ومدخول البلد لم يَفِ بمطلوبهم، فالله يكون في عون صاحب مكة، فما عاد في أخذ ملك مكة راحة.

وفي ثامن عشرين مولد أول خرجت قافلة من جدة نحو مائتين وثمانين حمل، فلما كانت بالقرب من غليل خرج عليهم أحمد بن محمد بن يعلى وصحبته جمع من بني عمه من آل بركات ومعه طائفة من عتبية، فنهبوا القافلة

(١) أي: شهر ربيع الأول.

جميعها، فما بلغ الشريف إلا وقد بعدوا، فلم يتبعهم الشريف، وإنما بعض عساكره قاوموه ساعة، ثم نجوا إلى الوادي.

وفي مستهل ربيع الثاني طلع الباشا العساكر المصرية إلى عند القاضي لأنه قتل واحد من العسكر في هذه القافلة، وأخذوا لهم بعض أحمال، فشكوا أخذ أموالهم وقطع الطريق، فسمع بهم الوزير عبدالقادر والحاكم، وطلعا إلى المحكمة وقالوا: ما هذا الجمع؟ فقال لهم القاضي: أموال الناس أخذت وأنتم مهملون حفظ [الطريق]^(١)، فهذه عليهم الوزير، وقال: نحن نرسل للشريف كتاباً وننتظر الجواب، وتفرق المجلس على ذلك، وأرسلوا للشريف مكتوباً، فأرسل يقول: أنا ما قصدت في الطريق إلا لأجل حفظ أموالهم وأموال الناس، ولكن معوقتي فقد الخيل، ولا يخلوا الباشا وعسكر مصر من حالين: إما يفزعوا على خيلهم إذا طلبتهم أو يرسلون لي بخيل، فاجتمعوا وتشاوروا وأرسلوا له بعض الخيل.

وفي ثاني عشر مولد ثاني خرجت من جدة قافلة، وهي نحو مائة وأربعين حمل، وهو حبّ أهل المدينة؛ لأن بعضهم أمر ببيع حبّه، وبعضهم قال: أريده حبّاً، وحملوه جهالتهم حرب، فاعترضهم نحو ثمانين مردوفة، [واستأقت القافلة جميعها، ثم لحق بهم السيد أحمد بن محمد بن يعلى في مائة مردوفة]^(٢) وقتلوا ناساً من القافلة، وجرحوا بعضهم، وكان ذلك الأخذ بينه وبين جدة مسافة

(١) في الأصل: الشريف. والمثبت من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٤).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٥).

من الظهر إلى العصر مشي، وعاد الجمالة إلى جدة ومعهم ناس كانوا بالقافلة، منهم شاه بندر جدة عاري معصوب، ففزع الشريف ولم يدركهم.

وفي ثاني عشرين مولد ثاني^(١) أخذت قافلة من طريق اليمن، عدى عليها أولاد لؤي ومعهم بعض عرب، وأخذوا نحو ألف رأس من الغنم، وخمسمائة من البقر، وسمن، وحَبّ، وغير ذلك، وأصبح أهلها يلتمسون الصدقة بمكة.

وفي ثامن جمادى الأولى أخذ السيد محمد بن عبد الكريم قافلة حَبّ من جدة ونحو اثنا عشر حملاً، ولم يفزع لها أحد، ومع تفاقم الأمر عزّت الأقوات. أما السمن فلا له أثر، وصارت الناس تستعمل السِّلِيط^(٢).

وفي يوم تاسع جمادى الأول عقد الشريف مبارك بن أحمد محضراً، وجمع فيه الأتراك وقال لهم: هذه بلد السلطان، وأنتم والباشا وكلاء السلطان على هذه البلد، وأنا رجل أخذتها بالسيف، وهذه البلد شاغرة، وطريق جدة واقف، فالمطلوب أن أقسم الدرب بيني وبينكم نصفين، أنتم والباشا تأتون بالقافلة من جدة إلى حدة، وأنا أوصلها من حدة إلى مكة، فأعطوا اليد على ذلك، وأرسلوا الباشا وعسكر مصر الذين بجدة يدعوهم.

وفي يوم الثلاثاء وصل الجواب بأن هذه ليست عادة، ونحن نتبع القواعد.

(١) أي شهر ربيع الثاني.

(٢) السِّلِيط: كل دُهنٍ عصر من حَبّ (المعجم الوسيط ١/٤٤٣).

وفي هذا اليوم أرسل الشريف مبارك بعض عسكره ليأتون بقافلة نحو الركابي جاءت من جدة وعوقها الخوف، واقتضى الحال أن لا تمضي قافلة وتعود إلا بعسكر. انتهى.

وفي خلاصة الكلام^(١): بعث الشريف عبدالله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند انهزام الشريف بركات عرضاً إلى الدولة العلية بمساعدة أغاوات العسكر المقيمين بمكة، مضمون العرض: شكايات من الشريف مبارك بن أحمد، وأنه قتل جميع الأتراك، وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات، ولا ذب عنهم وسلمهم من القتل، إلا الشريف عبدالله بن سعيد، فوصل هذا العرض إلى الدولة، فما كان جوابه إلا عزل الشريف مبارك وتوجيه إمارة مكة للشريف عبدالله بن سعيد.

فلما كان اليوم الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة بتوجيه الأمر للشريف عبدالله بن سعيد، وصادف ذلك ما هم فيه من الاختلال. انتهى.

وفي الإتحاف^(٢): وفي رابع عشر جمادى الآخر وصل عبد السيد

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٧٩).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٧).

أسعد^(١) مفتي المدينة المنورة، ونزل على عبدالله بن سعيد ومعه حجة من قاضي المدينة، وأرسل عبدالله إلى كبار الأشراف وأغاوات عسكر مصر، وأشرفهم على الحجة التي جاء بها العبد من قاضي المدينة، ومضمونها: أن عبد شاهين الموَال وصل إلى المدينة ومعه صورة الأمر بولاية مكة لعبدالله بن سعيد، فاطلعا عليه نحن وأهل المدينة وحكمنا له بموجب أمره، وناديناه له في البلد، تعتمدون ذلك، وعن قريب هو عندهم، فسلموا الأشراف والأغاوات لذلك، وكان لأغاة الإنقشارية دين عند مبارك بن أحمد، فالتزم له به الشريف عبدالله بن سعيد يسلمه له من عنده.

وفي خامس عشر جمادى الثاني اتفقوا أن عبدالله يتزل إلى المحكمة ويشرف ما بيده على القاضي، ويرسل لسردار عسكر مصر، ففعل عبدالله ذلك، ونزل إلى المحكمة، وأشرف ما بيده على القاضي، وأرسلوا إلى الأشراف والأغاوات الذين باثت معهم الخبر، فقرأ عليهم القاضي الحجة، وأرسلوا إلى الشريف مبارك ليحضر، فامتنع، وأرسل نائباً عنه السيد محسن بن عبدالله، فأشرفوه على الحجة، فسلم ذلك، وخرج ليخبر الشريف مبارك بذلك، فخلع القاضي على الشريف عبدالله بن سعيد وولاه مكة المشرفة. انتهى.

وفي الخلاصة^(٢): ولما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الثانية نزل

(١) السيد محمد أسعد: ولد بالمدينة المنورة سنة ١٠٨٨ هـ، وكان عالماً فاضلاً، تولى إفتاء المدينة المنورة مدة. توفي بالمدينة سنة ١١٤٣ هـ (تراجم أعيان المدينة المنورة ص: ٤١، مؤلف مجهول).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٧٩-١٨٠).

الشريف عبدالله بن سعيد إلى محكمة الشرع عند قاضي مكة المشرفة، وحضر أيضاً السيد محسن بن عبدالله بن حسين، وجميع أغاوات العساكر المصرية، وأشرفوا القاضي على الكتب التي جاءت من المدينة، وطلبوا من القاضي عزل الشريف مبارك، وتولية الشريف عبدالله بن سعيد، فتوقف القاضي في عزل الشريف مبارك، إذ ليس له مسوغ شرعي يستند إليه، فتغلب عليه الأتراك مع إلزام السيد محسن بأن البلاد قد خربت، والطرقات تقطعت، والناس قد هلكوا، وقالوا له: أنت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الأمور للشريف عبدالله بن سعيد لهذه المكاتب الواردة من المدينة من شيخ الإسلام بالمدينة وغيره، فهذه الأشياء توجب العزل، فحث السيد محسن حضرة القاضي على العزل، فقال القاضي: نخشى وقوع فتنة وقتال بمكة المشرفة، فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك، وأنه لم يقع إن شاء الله ما يكدّر على المسلمين، غير أنكم أحضروا الملبوس ولا تفيضوه على الشريف عبدالله بن سعيد إلا إذا دخلت بيت الشريف مبارك، ففعلوا حسب ما أمرهم، فذهب السيد محسن وحذر العساكر اليمنية من الحركة، وأخبرهم أن الشريف عبدالله قد لبس خلعة الشرافة عند القاضي، وها هو قد أقبل، ثم دخل بيت الشريف مبارك.

الولاية الثانية للشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٢٦، وخروج الشريف

مبارك من مكة

فعلى مقدار ذلك ألبس القاضي الشريف عبدالله، وخرج من المحكمة

على جهة سويقة، ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحس بالخبر، وتحرك للقتال، فثبطه وأرخصى كفله عند ذلك، وأخبره أن الأمر قد تم، وأن الحركة ليست بنافعة، فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية، وخرج من بيته وتوجه إلى بركة ماجن يريد الحسينية، وأقام بها مدة، ثم توجه إلى اليمن.

ومدة ولايته هذه: خمسة أشهر، والأولى: سنتان ونصف، الجميع: ثلاث سنين إلا شهراً واحداً تقريباً.

واستمر باليمن إلى أن توفي سنة ألف ومائة وأربعين، فتولى الشريف عبدالله بن سعيد، وتمّ الأمر له، وهذه الولاية الثانية للشريف عبدالله بن سعيد، وكان جلوسه هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين^(١).

قال في الإتحاف^(٢): وطلع إلى داره الذي بناها في جبل أبي قيس، وجلس فيها للتهنئة إلى بعد العصر، حتى تحول الشريف مبارك من

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٨٠).

(٢) إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٧-٢٥٢).

دار السعادة، ومن الموافقة العجيبة هؤلاء يقشعوا وهؤلاء يفرشوا، ونادى المنادي أن البلاد بلاد الله، وبلاد السلطان أحمد، وبلاد عبدالله بن سعيد، وصحبة المنادي علي بن سعيد وجملة من العساكر خوفاً عليه من الأضداد، وانتقل إلى دار السعادة.

وقد أرّخ ولايته هذه الشيخ أحمد بن خالد بقوله:

زماناً بلينا فيه بالنهب والغلا فمَنَّ الله علينا بالأمن والسخا
بفرطٍ سرور قلت فيه أماناً بعبدالله يحمد [الرخا]^(١)

وفي ثامن عشر شعبان جاءت البشائر من ينبع إلى الشريف عبدالله بدخول القفطان، وخرج لملاقاته ثلاثون عسكري من يافع.

ثم في آخر شعبان وصل أغاة القفطان وصحبته القفطان، وبرزت إليه العسكر المصرية، ونزل الشريف إلى المسجد، وقرئت مراسيمه، ولبس القفطان، وألبس أرباب المناصب على العادة، وطلع إلى داره، وجلس للتهنئة، ونادوا بالزينة ثلاث ليال.

وفي عشرين من شعبان سنة ألف ومائة وست وثلاثين كان عقد نكاح الشريف عبدالله بن سعيد على بنت عمه الشريفة صالحة بنت مساعد بن سعد، وكان العاقد مولانا الشيخ عبدالقادر المفتي، وأمهرها الشريف عبدالله ألف شريف مغربي، وأربعة عبيد، وثمانية جوار، وأربعة حبوش صغار، وأربعة سودان، ودفع لها صيغة كاملة، وكان عقداً حافلاً بالأعيان والأشراف، وألبس الشيخ عبدالقادر فرواً قاقم^(٢).

(١) في الأصل: والرخا. والتصويب من إتحاف فضلاء الزمن (ورقة ٢٤٨).

(٢) القاقم أو القاقوم: أنواع من نبات عرس (الموسوعة العربية ص: ١٣٦٢).

وفي رابع عشرين شوال عقد الشريف عبدالله مجلساً بالقاضي والأغوات المصرية، وقال لهم الشريف: أريد منكم أن تكتبوا للبasha كتاباً على أن يقرضني ثلاثين كيساً، ويرهن البندر تحت يده حتى يخلص، فوافقوه، وكتبوا للبasha كتاباً ووضعوا خطوطهم عليه.

وفي غرة ذي القعدة وصل جواب البasha الذي كتبه عسكر مصر والقاضي بالامتناع من تسليم ذلك للشريف، وقال: هذا مال السلطنة، وليس لي فيه شيء.

وفي شهر ذي القعدة تمت عمارة بيت الشريف عبدالله الذي بناه في جبل أبي قبيس، وصنع فيه متارس، وسماه: بيت النار، ولم يسكنه أحد، وإنما هو مصكوك^(١) أعد للحصار.

وفي ثالث عشرين ذي القعدة طلع كبار الأشراف إلى القاضي وشكوا عليه تقصير الشريف عبدالله في معاليمهم، ثم نزلوا من عنده وقصدوا سردار الإنقشارية، وحضرهم باقي البلكات وشكوا حالهم، وقالوا: نريد منكم إما أن تأمروا هذا الرجل يعطينا ما هو لنا أو يوسع من بلدنا، وإلا تكونوا معنا عليه، فقالوا: حتى نطلعه على هذا الخبر ونرى جوابه، فذهب أغوات البلكات أولاً إلى القاضي واجتمعوا به، ونزلوا من عند القاضي، وطلعوا إلى الشريف عبدالله وأخبروه بشكاية الأشراف، فأجاب: بأني مقصر في حق الأشراف، وتقصيري ليس باختيار، وإنما لم يكن في اليد شيء، وإنما في هذه الليلة أرهن جميع ما

(١) أي مغلق.

عندي عند السيد سعيد بن سليمان، وفي غد أصرف لهم ما وقع عليه الاتفاق، فخرجوا من عنده على ذلك، وجأؤوا إلى بيت السيد محسن بن عبدالله؛ لأنهم مجتمعون هناك، وقالوا له بخطاب الشريف لهم، فقال لهم الأشراف: وإذا لم يرضينا غداً؟ قالوا: نكن معكم عليه، ولكن نريد منكم أن ترسلوا لجماعتكم الذين بالوادي أن لا يتعرضوا للطريق، فأجابوا إلى ذلك، وأرسل الأشراف السيد هزاع بن أحمد بن هزاع بأننا قد ذمنا القافلة منكم، وأنتم لا تعرضوا الطريق، وأقبلوا علينا حالاً، لأننا قد اتفقنا مع عسكر السلطان على ما صار بيننا، فأقبل الأشراف من الوادي ومعهم بادية متسلحون بالعدة، ونزلوا بالمسفلة، واجتمع بعضهم ببعض، وأمروا عبيدهم أن يخربوا، وهم أيضاً لبسوا الدروع وتهيؤوا للقتال، فلما بلغ الشريف عبدالله أمر العساكر بالخرابة والعبيد كذلك، ودق الزير، وأخرج البيارق. ثم إن الأشراف أخرجوا مبارك بن صامل بن بشير^(١) بن فضل ومسعود بن حراز إلى أغاة القفطان يشكون هذا الحال عليه، ويسألونه إنجاز الوعد الماضي بالأمس، أن يسلم لهم ما هو لهم، فأجاب أن الشريف يدعي العجز لعدم المدخول عن وفاء مطلوبهم، والمقصود: إما أنكم تصبرون عليه ثلاثة أيام، أو أنكم تحاسبوه على ما دخل من جدة وغيرها، فإن بقي لكم شيء بعد الذي وصلكم نأمره بتسليمه، فأجابوا: لا نرضى إلا بالتسليم ما وقع عليه الوعد، وإلا نقاتله، وطال اللجاج.

ثم إن أغاة القفطان قال لهم: أنا أجتهد إن شاء الله تعالى في تمام حالكم،

(١) في إتخاف فضلاء الزمن: شبير.

وخرجوا من عنده، فأرسل إلى الشريف عبدالله وألزمه في تحصيل ما هو لهم، فتعذر على الشريف ذلك، ثم حضر رهوناً عديدة نحو عشرة آلاف أهر، وأعرضها على سعيد بن سليمان بوجاهة القفطنجي، فأجاب إلى رهنها بستة آلاف، فتعذر على الشريف عبدالله تحصيل ما بقي، ومضى النهار على ذلك والشريف عبدالله يدق زير الحرب، وعسكره وبدوه يبيتون على باب، والأشراف بالمسفلة، وجياد، وسوق الصغير، وتشوشت خواطر الناس، وعزّلت الأسواق، وصككت البيوت ذلك النهار، وأصبحوا يوم الثلاثاء كذلك -وهو يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة- والشرّ بينهم متطاير الشرار، والخصام يجمع بين الأخيار والأشرار، وقد ترّسوا بيت يحيى ابن بركات، ومدرسة النخلة، وغالب بيوت السوق الصغير، وبيوت المسفلة، وجياد، ودقوا زير الحرب، وأقبلت خيلهم على بيت عبدالله، فلما رأى الشريف عبدالله ذلك أمر العسكر والعبيد أن ترمي بالرصاص على الأشراف، فتراموا.

ثم إن الشريف أمرهم على من في النخلة، فرموهم بالرصاص إلى أن خرجوا بعد أن قتلوا جماعة منهم، وترّسوها العسكر، وكذلك جاء بريق من عسكر مصر بطلب الشريف لهم وطلعوهم في القصر الذي فوق باب إبراهيم، والبيوت التي حوالية، وزحفت جماعة عبدالله على الأشراف، فرموهم بنحو أربعين مدفعاً، وصار الرمي بينهم إلى الظهر، وإنما الترك تسلطوا وفتحوا خلوة في باب الشرشورة فدخلوا منها، وحصلوا طاقة مقابلة لبيت يحيى بن بركات

في وجه الأشراف، فصاحوا عليهم بشعارهم: الله الله، ورموهم بطلق، فلما أحسَّ الأشراف بالأترك علموا أنهم باقون، فخشوا على أنفسهم، فقفوا وارتفعوا إلى بئر طوى، وركب الشريف خلفهم إلى الشبيكة، وعاد.

ثم إن سعيد بن سليمان وزيد بن أحمد أخذوا لهم أجلة ثلاثة أيام على عادتهم من صاحب مكة، فأعطاهم، ونزلوا بطوى.

وبعد العصر أطلق الشريف مناديه بالأمان والاطمئنان، وبسط السوق على عادته، وركب الشريف عبدالله -يوم السادس والعشرين من ذي القعدة- إلى الأشراف في طوى وفاوضهم، وألان لهم الكلام، وكان من بعض قوله لهم: أن الأخيار بعد الحرب يصطلحون، وقال لهم: أنا أعوضكم، فأعاد عليه الكلام السيد عبدالمعين بن محمد بن حمود وقال له: على إيش جئنا هنا، وما الذي أتيت به إلينا من حقوقنا؟ فقال الشريف: يواجهني منكم جماعة بعد العصر، وأنا أتفق معهم على ما يرضي الجميع، وركب وعاد من عندهم وقت صلاة العصر، ولم يحصل بينهم وفاق، فترحل بعضهم إلى الوادي، وبعضهم إلى الطائف. انتهى.

قال في خلاصة الكلام بعد ذكر هذه الواقعة^(١): وأما الأترك فهم في بيوتهم حافظون أيديهم على الفريقين، إلا أنهم في آخر الأمر جنحوا إلى إعانة

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٨١-١٨٣).

الشريف عبدالله بن سعيد بعد أن كان بينهم وبين السادة الأشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة، فرفضوا تلك العهود السابقة، فلما أعانوه حصل له النصر، فأخرج الذين قاموه من القصور مكسورين، بعد أن قتل من الفريقين بعض أشخاص، فتوجهوا جميعاً إلى طوى، فأقاموا ثلاثة أيام لقضاء مآربهم ونجاح أغراضهم، ثم ساروا إلى وادي مَرَّ قاصدين ملاقة الوزير عثمان باشا أبي طوق أمير الحج الشامي ليعرضوا عليه حقائق أحوالهم؛ لأنه كان أميراً على الحج سنتين - هذه والتي قبلها-. فلما جاء الحج اجتمعوا به وشكوا ما حلَّ بهم إليه، فقابلهم بالإجلال والإكرام، ووعدهم بقضاء مطالبهم، فلما وصل إلى مكة واجتمع بالشريف عبدالله أخبره باجتماع السادة الأشراف به وشكايتهم إليه، وأفهمه بما وعدهم به، فأخبره الشريف عبدالله بمقدار ما يطالبون به من الدراهم، ومقدار ما يصل إليه من الخصولات التي لا تفي بما يطالبون به، واستمال الوزير المذكور حتى صار في جانبه، ثم اتفق الشريف مع الوزير المذكور على تنقيص معاليمهم وعلى توزيعها على قدر الخصولات، وكتبوا بذلك دفترًا ينطوي على العشر من مشاهراتهم المعروفة ومقرراتهم المألوفة، وأمرهم الباشا بالختم عليه ليرجع عند الاختلاف إليه، وتلطف بهم، ودفع لهم شيئاً من مقرراتهم حتى تفرق أولئك السادة الأشراف في سائر الأطراف، وعاقب الشريف عبدالله بعض أهالي مكة ممن كانت له يد مع أولئك السادة الأشراف.

فمن جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد بن الشيخ

عبدالمعطي الشيبى، وطوّقه الأدهم^(١)، وأثبت عليه الذنب المقتضى ذلك، وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال، فسَلَّمه ودفعه إليه، وحقن بذلك دمه، وفي أثناء الاعتقال عزله عن المنصب، ونقله إلى ابن عمه، وبعد الفكك من الاعتقال أمره بملازمة بيته.

ومن جملة ذلك أيضاً: أنه أغار على شيخ الحديث في عصره العلامة الشيخ سالم بن الشيخ عبدالله البصري، وألزمه بمبلغ جسيم من المال بمسوغ سقيم، وأفهمه بأن الأمر به حضرة الوزير، ومنعه من الوصول إليه وبثّ الشكوى إليه، ولم يزل يكرر عليه الرسل في دفع المبلغ الذي طلبه منه، حتى باع عزيز ديبشه وكتبه، وسلم جميع ذلك.

وعدا على رجل من علماء الأروام يدعى بصالح أفندي، وجهه إلى ناحية القنفذة، وصرّح له بأنه ورد أمر بنفيه من الدولة العلية، وقد كان سابقاً من جملة أعضاده ومن أعظم أنصاره وأنجاده، وهكذا كانت صفة الرجلين الأولين معه، فرجع عليهم في جميع أفعالهم وأذاقهم مرارة نكاله.

ومن جملة ذلك: أنه أبرز دفترًا ينطوي على أسماء التجار سكان مكة وجدة والواردين من جميع الأقطار بتوزيع مال خطير، وجعل المتولي لجمعه حضرة الوزير، فكانت هذه السنة من أقسى الأعوام على سكان بلد الله الحرام.

(١) الأدهم: القيد (المعجم الوسيط ١/٣٠٠).

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة وألف والحال مستمر في الشدة إلى دخول شهر ذي القعدة، فوصل والياً على جذة الوزير أبو بكر باشا، ثم وصل إلى مكة ومنع الشريف^(١) عبدالله عن بعض تلك الأشياء.

واستمرت ولاية الشريف عبدالله إلى خامس عشر شهر ذي القعدة الحرام ختام سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين، فكانت مدة هذه الولاية الثانية: سبع سنوات، وخمسة أشهر، وعشرة أيام، [والأولى كانت مدتها: سنة، وثلاثة أشهر، وعشرة أيام]^(٢)، فمجموع مدة الولايتين: ثمان سنين، وثمانية أشهر، وعشرون يوماً.

فانتقل إلى رحمة الله بعد أن مرض أياماً، وكان انتقاله في التاريخ المذكور، ودفن بأسفل مكة بوصية منه في موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن إبراهيم ابن أدهم^(٣)، وبُني عليه بناء^(٤) وتابوت، وكان ابنه محمد غائباً في أطراف اليمن، أرسله والده لحفظ تلك الأطراف مع جمع من العساكر والأشراف، فاستمر هناك إلى أن دعي بعد وفاة والده لشرافة مكة، وكانت وفاة والده في آخر النهار بمثل كان له بطوى خارج البلاد، فأخفى موته إلى آخر الليل، وتولى الأمر والتدبير إخوة المتوفى وهم: السيد مسعود بن سعيد، والسيد مضر

(١) قوله: "الشريف" مكرر في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٨٣).

(٣) قبر الشيخ محمود: مكان في جرد بمكة دفن فيه الشيخ محمود بن إبراهيم بن أدهم، وقد أحيط،

وهو اليوم مهجور لكنه معروف مشهور (معجم معالم الحجاز ٤٧/٨).

(٤) وقد هدم ذلك إذ لا يصح البناء على القبور.

ابن سعيد، والسيد مساعد بن سعيد، وغيرهم من بقية الإخوة، لكن كان المتقدم على الجميع السيد مسعود بن سعيد؛ لأنه كان أكبرهم، فضبطوا البلاد، وتدخلوا مع القاضي والعسكر المصرية وبعض السادة الأشراف بدفع جانب من المال، على أن يكون المتولي بعد وفاة الشريف عبدالله بن سعيد ابنه الشريف محمد؛ لكونه أكبر من أخيه السيد ثقة.

ولاية الشريف محمد بن عبدالله بن سعيد^(١) سنة ١١٤٣هـ

فاجتمعوا عند القاضي ليلاً، وسجلوا ذلك، ونادوا باسم الشريف محمد استقلالاً، وباسم أخيه السيد ثقة وكالةً وحفظاً، فما أصبح الصبح إلا وقد استتبت أحوالهم، واستقرت البلاد، وأمنت العباد، وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن، فوصل في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، ولبس الملبوس بحضرة الأعيان والعساكر، ودُعي له على المنابر، وكان عمره نحو العشرين سنة، ثم أقبلت الحجوج السلطانية، ولبس الشريف محمد الخلع العثمانية.

ثم لم يزل الاتفاق جارياً بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن المسالك، إلى أن رمى الله بينه وبين عمه بسهم التفريق، وتوحش قلب

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ١٨٤، ١٨٨، ١٩٦)، والجدائل المرضية (ص: ١٦٠)، والأعلام (٢٤١/٦)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣٧-١٣٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٩٦-٢٩٧، ٢٩٩).

كل منهما من الآخر، ثم جرت بينهما منافرات ومنابذات نشأ منها دعاوٍ ومرافعات، ونفرت قلوب السادة الأشراف منه، وانصرفت وجوههم عنه، وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود، وجعلوا يتسللون من مكة إلى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم، ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقاً بهم مدركاً لمأموله بسبيهم، وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمجرد التهيب والتخويف، واستقلوا بالطائف ونواحيه، وطلبوا مَنْ حوله من عربانه وبواديه، [وصرَّح]^(١) منادي عمه الشريف مسعود باسمه، ودخلت العربان تحت حكمه، وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة خمس ومائة وألف.

وقد تقدم أن عمه الشريف مسعود هو الذي أجلسه في منصب الشرافة بعد موت أبيه، ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها، وصار هو المدبّر لجميع الأمور، فحسده بعض ذويه، وشرع يرمي الفتن بينه وبين ابن أخيه، فصارت بينهما مهاجرة ومباينة ومباعدة، فمن حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة [صار عمّه]^(٢) يستميل له كبار السادة الأشراف، فمال إليه من كل فخذ جانب، وصاروا معه بغاية الائتلاف إلى أن اجتمعوا بالطائف

(١) في الأصل: وصرخ. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٨٦).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٨٦).

- كما تقدم-، [واستمالوا]^(١) قبائل ثقيف وغيرهم، واستمروا بالطائف إلى رابع شهر جمادى الأولى، ثم نزلوا إلى مكة المشرفة على طريق الثنية، وأرسلوا قومهم من عقبة كرا، وسبب ذلك: أنهم لما أطالوا الإقامة بالطائف -وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم- استبطأ قدومهم عليه بمن معهم، وكان مستعداً لهم بعساكره، فنهض إليهم بعساكره وخيوله، وصعد على طريق يَعرَج^(٢)، فلما وصل إلى قَرْن المنازل^(٣) أقام به ذلك اليوم للاستراحة، وهم إذ ذاك بالطائف لم ينتقلوا منه، فبلغهم وصوله إلى قرن، فتأهبوا لملاقاته يومهم ذلك، فلما جلس وتأخر في قرن ولم يصلهم، استحسنوا أن يعقبوه ويتوجهوا إلى مكة، وجعلوا له أشياء [تفهمه]^(٤) أنهم مازالوا ماكثين في الطائف مستعدين له، وذلك أنهم أبقوا إشعال النار، وضربوا الطبول بالطائف وحواليه، وسروا ليلتهم على طريق الثنية، فما جاءه الخبر بأخدارهم إلا ضحى اليوم الثاني، وهم في اليوم الثاني قد وصلوا قمامة وسبقوه إلى عرفة، فرجع القهقري بنهاية التعب ومزيد النصب، إلا أنه حال بينهم وبين قومهم النازلين على عقبة كرا^(٥)، ثم

(١) في الأصل: واستمال. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) يمرج: واد من روافد نعمان، يسيل بين كرا جنوباً وتفتقان شمالاً، ثم يجتمع مع وادي الكر عند القرين مكوناً مع أودية أخرى صدور نعمان (معجم معالم الحجاز ٢٥/١٠-٢٦).

(٣) قرن المنازل: جبل مطل بعرفات، وهو ميقات أهل اليمن والطائف (معجم معالم الحجاز ١١٨/٧).

(٤) في الأصل: تفهم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٨٦).

(٥) كرا: هو ذلك الجبل الضخم الذي يصعده الطريق بين مكة والطائف. تقدم التعريف به.

لما وصل قصدهم إلى موضعهم الذي وقفوا فيه للمقاتلة، وهو جبل الحَظْم^(١) الكائن على يسار الصاعد إلى عرفات، وعنده صارت الوقعة بين الفريقين، ثم انجلت في مدة طرفة عين، وكانت تلك الوقعة من [أشدَّ]^(٢) الوقعات وأعظمها فتكاً؛ لأنه لم يباشر القتال فيها إلا الأشراف بأنفسهم.

وأما القبائل فقد حال بينهم وبينهم، فوجَّه الأشراف وجوه الخيل إلى العساكر ولم يعملوا إلا بالرماح والسيوف البواتر، والرصاص عليهم من أجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر، والأشراف لا يتجاوزون المائة، ولم يزالوا كذلك حتى هزموا الشريف [محمدًا]^(٣) ومن معه، ودفعوه عن تلك الممالك، وتوجه مهزوماً إلى ناحية الحسينية، وانحازت عساكره وطبوله إلى الشريف مسعود، وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الأولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف^(٤).

(١) جبل الحظم: جبل أخشب فيه بياض، مستطيل على شكل عرف، يكنع في وادي عرنة من الشمال الغربي، يسيل غربه وادي السقيا، وبسفحه الجنوبي قرية للرياشي (بطن من هذيل) وبلادهم هناك الهمدانية (معجم معالم الحجاز ١٣٧/٣).

(٢) في الأصل: أشهر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٨٧).

(٣) في الأصل: محمد. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٤) خلاصة الكلام (ص: ١٨٤-١٨٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (٦-٩).

ولاية الشريف مسعود بن سعيد^(١) سنة ١١٤٥هـ (وهي

الولاية الأولى له)

فكانت مدة ولاية الشريف محمد: سنة، وخمسة أشهر، واثنى عشر يوماً.

ثم إن الشريف [محمد^(٢)] أقام بالحسنية أياماً داخلاً على بعض الأشراف على قوانينهم المعتادة، ثم توجه تلقاء اليمن، ولم يزل في مسيره إلى أن اتصل بالمخواة^(٣)، ثم تنكب ذروة سراة بجيلة، ثم رجع إلى الطائف، فتلقته قبائل ثقيف، وقابلوه بالتعظيم والتشريف، وعرضوا أنفسهم عليه، فاستخدم بهم ونال مقصده الأسنى بسببهم، فبلغ حضرة الشريف مسعود صاحب مكة وصول الشريف محمد إلى الطائف، وأن قبائل ثقيف قائمون لنصرته، فنهض وأقبل عليه بمن معه من الجنود، وتلاقيا بوادي المشاة بالقرب من الطائف في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ألف ومائة وخمس وأربعين، فانحاز الشريف محمد وثقيف إلى [جبال^(٤)] هناك شاهقة، بحيث لم يكن للخييل بها مجال؛ لوعارة تلك الجبال، فتواتر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص، حتى لم

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ١٨٧-١٩٥)، والأعلام (٢١٨/٧)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٣٨-١٣٩)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٢٩٩، ٣٠١-٣٠٢).

(٢) في الأصل: محمد. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٨٧).

(٣) المخواة: بفتح الميم وإسكان الحاء المعجمة وفتح الواو بعدها ألف وهاء: بلدة ذات قرى كثيرة بتهامة زهران، وهي تابعة لإمارة الباحة الآن (المعجم الجغرافي ١٢٨٧/٣، وهامش تاريخ مكة للسباعي ص: ٤٢٦).

(٤) في الأصل: جبل. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٨٨).

يكن لهم غير التسليم^(١) مناص، فأنهزم^(٢).

الولاية الثانية للشريف محمد بن عبدالله بن سعيد

سنة ١١٤٥هـ

واستقل الشريف محمد بالشرافة، وتوجه الشريف مسعود بعد أن أخذ الأجلة على المعتاد، وتوجه الشريف محمد إلى مكة، فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياماً، وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية، ثم استمر الشريف محمد على ولايته، إلى أن وقعت حادثة غريبة تولد منها مفسد وأمر عجيبة، فكانت سبباً لرجوع الشرافة للشريف مسعود، وذلك أنه في عشرين ربيع الأول سنة ست وأربعين ومائة وألف طلع سردار الإنقشارية المقيمين بمكة حسين آغا إلى بستان بأعلى مكة متزهاً بأهله وأولاده وخدمه وبعض أجناده، فحصل من بعض جماعته فتكة في بعض العساكر اليمنية خدام مولانا الشريف محمد، فلما سمعت العساكر اليمنية بما أصاب صاحبهم جاؤوا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين آغا المذكور، وبادروه برمي الرصاص، وأذاقوا جماعته حر السلاح، وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفراش، وغير ذلك، وقتلوا له عبداً وخادماً وحصانين جيدين، فبلغ مولانا الشريف محمداً ما صار، فركب فوراً ليمنع العساكر، ويحرز ما بقي من الأثاث.

(١) في الأصل زيادة: لهم. انظر: خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٨٧-١٨٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٩-١٠).

فلما وصل إلى الموضع قام السردار من محله فرحاً بمجيء مولانا الشريف، وفتح الطاقة ليخاطبه منها، فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر عاش بعدها ساعة، ثم مات، ودفن هو وخادماه في يوم واحد، فتوَلَّد من قتله فتى عظيمة، ومتاعب على الخلق جسيمة، وذلك أن العساكر المصرية تعصبت وتحزبت، واستدعوا من كان منهم بيندر جدة، فصاروا جمعاً عظيماً، وتفرَّقوا في بيوت سويقة وغيرها مما قاربها، وسدّوا منافذ الأزقة، واخترعوا متارس في تلك الدور، فأرسل إليهم مولانا الشريف محمد من يكفهم عن ذلك، فأجابوا بأجوبة سقيمة، وأصدروا أرقاماً إلى مصر فيها الإخبار بقضيتهم، وأن ذلك إنما كان عن أمر الشريف محمد قاصداً به إذهابهم وتدميرهم، واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور، وليس لهم قدرة على الإقدام على الشريف وقتاله، وهو مستقر في داره لم يزل يعاملهم باللطف، وأرسلوا في أثناء تحزيمهم إلى الشريف مسعود، وكان مقيماً بخليص، وأرسلوا له شيئاً من المال [ليستعين]^(١) به على جمع الرجال، فقبض المال، ثم رحل إلى وادي

(١) في الأصل: يستعين. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٨٩).

مرّ، وشرع يتألف الأشراف ويجمع البادية من الأطراف، فوصل إلى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة صدرت منهم إليه، وهيّا مجلساً فيه القاضي، ومشايخ الإسلام، وأهل الحلّ والإبرام من أكابر الأروام، بعد أن حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على إصلاح الأمر، ثم خاض مع الحاضرين في تلك القضية، واتفقوا على أن كلاً من العساكر يكفّ يده إلى أن يصل الجواب من السلطنة العلية، وكتب بذلك صكاً.

ثم في اليوم الثاني أمر العساكر المصرية بالترول إلى جدة، ونزل هو بعدهم، فلما وصلت العساكر إلى جدة أرسلوا شيئاً من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادي مرّ، وأظهروا التغلب على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف، واستقلوا بالبندر وأحكامه، وشرعوا يشدون الذخائر إلى الشريف مسعود المرة بعد المرة، ويرسلون إليه الدراهم الصرّة بعد الصرّة، إلى أن استقامت أحواله وقويت آماله، فرحل من موضعه ونزل على الحديبية^(١)، وبرز شريف مكة إلى طوى، وجعل فيها حصوناً ومتارس، وأكثرُ السادة الأشراف مال إلى الشريف مسعود لكثرة ما عنده من النقود، وعزم العساكر المصرية على الرجوع إلى مكة بناء على أنهم

(١) الحديبية: موضع مشهور في طريق جده القديم، يعرف اليوم بالشميسي، وقد تقدم التعريف به.

عساكر السلطان لحفظ البلد الحرام، وأخبروا أنهم إذا ثارت الحرب بين الشريف محمد وبين الشريف مسعود يشبون أيضاً نار الحرب من داخل البلاد إذا أقبل الشريف مسعود بمن معه من الأجناد، ففطن الشريف محمد لما أضمره، فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك، فلما بلغهم ذلك وهم في أثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديبية، ثم رحلوا ونزلوا قريباً من مكة.

ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين، واستمرت إلى الزوال من ذلك النهار، ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم، فرجع العساكر إلى بندر جدة، ونزل هو ومن معه من الأشراف خارج جدة، ثم شرعوا في تدبير آخر، وطلبوا من الوزير أبي بكر باشا أن يلبس الشريف [مسعوداً]^(١) ويوليهِ إمارة مكة، فامتنع، وقال: كيف أفعل ذلك وأنتم ذهبتُم لقتال الشريف محمد، فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة بسبيكم، وإنما يكون هذا في المستقبل إن شاء الله تعالى، لأني قد أرسلت إلى الدولة العلية ما حصل في هذه القضية، فأرجوا أن يصل الأمر السلطاني ناطقاً باسم الشريف مسعود، فامتنع الشريف مسعود من قبول الكلام، وخرج مضمرّاً تجديد القتال.

(١) في الأصل: مسعود. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٩٠).

وأما الشريف محمد فإنه لما بلغه نزولهم إلى جدة أرسل بعض الأشراف الذين كانوا عنده بمكاتبات لصاحب جدة ومكاتبات لبعض الأشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود يعرض عليهم مقرراتهم وعلائقهم على المعتاد، ثم نزل الشريف محمد بنفسه إلى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها، فقابله الباشا بالإجلال والإكرام، وسلم للأشراف جميع ما قرّ عليه الحال، ووسط بعض الأشراف^(١) أن يصلح الحال مع الشريف مسعود، [وتسليم]^(٢) ألف أحر علوفة شهر، فقبل ذلك منهم في الظاهر، وهو مصرّ على ما عزم عليه، وكان نازلاً بقرب جدة، ثم سرى بليل على خيل وركاب ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، وقصد الطائف، [وأخرج]^(٣) من فيه من أجناد الشريف محمد، ونهب بيت أغاة العسكر، فلما بلغ الشريف محمداً دخوله الطائف توجه من جدة إلى مكة، ثم عيّن من عسكره جماعة، وجعل عليهم أميراً من السادة الأشراف، وأرسلهم إلى الطائف، فلما صعدوا عقبة يعرج [بلغهم أن الشريف مسعوداً في غاية القوة، فتحصّنوا في حصن العبيدة برأس عقبة يعرج]^(٤)، واستمروا هناك مدة طويلة لا يقدرّون عليه؛ لانحياز ثقيف وغيرهم من العرب إليه، ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال، والشريف محمد مقيم بمكة، ثم أقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزل بأعالي مكة المشرفة، فخرج إليه الشريف محمد بعساكره اليمينية، وتقاتلا صبح اليوم السابع من رمضان من السنة المذكورة، واستمر القتال

(١) قوله: "ووسط بعض الأشراف" مكرر في الأصل.

(٢) في الأصل: ويسلم. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٩٠).

(٣) في الأصل: وخرج. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

بينهم ساعة من النهار، ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد وأجناده، فهزموهم، ودخل الشريف مسعود مكة، وتوجه الشريف محمد إلى الحسينية^(١).

الولاية الثانية للشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٦هـ

فكانت مدة ولايته الثانية: سنة، وثمانية عشر يوماً، وهذه الولاية الثانية للشريف مسعود.

وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ألف ومائة وست وأربعين، فأمن البلاد والعباد، وانتظمت دولته^(٢).

ثم بعد استقرار أمره حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي غني زعيم الأشراف في ذلك الوقت ورئيسهم، فتوجه السيد محسن إلى الأبواب السلطانية صحبة الوزير سليمان باشا ابن العظم أمير الحج الشامي، ووعدته بأن يتم له الأمر بشرافة مكة، فلما حطّ رحله بالشام عرض لمزاجه بعض الآلام، ولم يزل يتزايد به ذلك الألم حتى توفي رحمه الله بالشام سنة سبع وأربعين ومائة وألف، في السادس والعشرين من صفر من السنة المذكورة، ودفن بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات رحمهما الله تعالى.

وأعقب من الأولاد: السيد عوناً، والسيد أحمد، والسيد حسناً، والسيد عبدالله.

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٨٨-١٩٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ١٠-١٣).

(٢) انظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ١٣).

وأما الشريف محمد بعد انهزامه فإنه صار ينتقل في أماكن كثيرة، إلى أن صار مستقره بخليص سنة ألف ومائة وإحدى وخمسين، وحصل له تعب شديد، ووعدته قبائل حرب بالقيام معه والنصرة له، ولم يقع منهم شيء من ذلك، ثم اجتمع بأمر الحج الشامي الوزير سليمان باشا، وحاوله هو وكبار حرب أن يوليّه الشرافة، فامتنع الوزير المذكور. ثم لما وصل إلى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود بالصلح، حتى أصلح بينهما على شروط، وأخذ من كل منهما وثائق وعهوداً، وجاء الشريف محمد إلى مكة، فقابلته عمّه مسعود بالإعزاز والإكرام، وتقرير كل ما له ولجميع الخدم، واستمرّا على الأخوة والصفاء، فمرض الشريف مسعود في أواخر ربيع الأول سنة ١١٦٥ أياماً قلائل، ثم توفي يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني من العام المذكور^(١).

ولاية الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد^(٢)

سنة ١١٦٥ هـ

فولي شرافة مكة أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد، وألبسه والي جدة وقاضي الشرع الشريف، ونودي باسمه في البلاد، وأقبلت لمبايعته السادة الأشراف والعرب من سائر الأطراف، ولم يتأخر عن بيعته إلا

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥).

(٢) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٠)، والجداول المرضية (ص: ١٦١)،

والأعلام (٢١٢/٧)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٤٠-١٤٤)، وأمراء مكة

المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٣١٥-٣١٧، ٣١٩-٣٢٠).

السادة الأشراف من آل بركات، فإنهم عاملوا خفية ابن أخيه الشريف محمد ابن عبدالله بن سعيد، وتجمعوا بوادي مَرّ، ولم يكن معهم الشريف محمد المذكور، ولم يظن مولانا الشريف مساعد أن لهم يداً مع الشريف محمد؛ لأنه أول من حضر المبايعه، ولم تكن منه منازعه، فما زال يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم لا يجيئون إلى سؤاله.

ثم بعد ذلك أرسل إليهم جماعة من الأشراف لطلب الصلح، ومعهم ابن أخيه الشريف محمد المذكور، فلما وصلوا إلى الوادي أظهروا أمرهم في معاملتهم الشريف محمداً، وأظهر هو نفسه أيضاً في ذلك، فرجع بقية المراسيل وأخبروا مولانا الشريف بما شاهدوه، فحصل بمكة اضطراب كثير، وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبدالله بن سعيد إلى الطائف يجمع له القبائل، فتوجه فوجد الشريف محمداً قد نزل بالسيل^(١) ومعه قبائل عتيبة، فتوجه بها إلى الطائف فملكه بعد حرب يسير، وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور.

فلما ملك الشريف محمد الطائف نادى باسمه في البلاد، وأقبل عليه كثير من العربان، وبعد عشرة أيام توجه بمن معه إلى مكة، وترس بهم في موضع

(١) السيل: واد من روافد الضيق من روافد لية، فيه زراعة ومياه لبني عُمر من تقيف جنوب الطائف (معجم معالم الحجاز ٢٦٨/٤).

يقال له: دُقْم الوَبْر^(١)، فخرج له عمه مولانا الشريف مساعد، واقتتلا قتالاً شديداً، ثم انهزم الشريف محمد، ونهبت خزانته، ورجع إلى الطائف، وذلك خامس رجب سنة خمس وستين ومائة وألف، ثم جمع كثيراً من العربان وجاء بهم إلى مكة في ثاني شعبان، وخرج له عمّه، والتقى ليلاً في تلك المواضع، الشريف مساعد مقابلاً للموضع الذي فيه الشريف محمد، بحيث إنه يرى كل منهما نار الآخر، ونار الشريف محمد تشتعل على رؤوس الجبال، فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح، فرحل الشريف محمد بمن معه في نصف الليل وقصد مكة، والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع، فلما أصبح بلغه أن ابن أخيه قد انثنى وتحصن بجبال المحصب^(٢) والمنحنى، فوجه خلفه طلائع خيله السوابق، وارتحل، وما زال ينقل ويخب حتى التقى الجمعان بوادي المنحنى، فوقع الحرب بينهما، واستمر ساعتين، ثم انهزم الشريف محمد ومن معه، وتفرقت عنه تلك البوادي، وتوسط السيد عبدالله الفعر بينهما بالصلح، وأصلح بينهما على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الأشراف، وحصل الوفاء بذلك، فدخل مكة في النصف من شعبان، وهدمت تلك الفتنة^(٣).

(١) دقم الوبر: النهاية الشرقية لجبل منى اليماني، يكنع في سيل محسر (معجم معالم الحجاز ٣/٢٢٩).

(٢) المحصب: اسم المفعول من الحصباء، والحصب: هو الرمي بالحصى، وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو خيف بني كنانة، وحده من الحجون ذاهباً إلى منى (معجم معالم الحجاز ٨/٤٣).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ١٩٥-١٩٦). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٤١-٤٣).

وفي موسم هذه السنة توجه السيد عبدالله الفعر بعروض [من]^(١) مولانا الشريف للدولة العلية، ورجع في سنة ست وستين بقضاء كل مطلوب مولانا الشريف مساعد.

ثم إن الشريف محمد بن عبدالله بن سعيد توجه لزيارة^(٢) النبي ﷺ في سنة تسع وستين، ثم قصد الرجوع إلى مكة، فتوفي وهو راجع عند ثنية عسفان^(٣)، فنقلوه إلى مكة، [وغسلوه وكفّنوه وصلّوا عليه]^(٤) ودفنوه على ضريح والده قبالة الشيخ محمود، وعمره اثنان وأربعون سنة.

ثم بعد وفاته صفا الوقت لمولانا الشريف مساعد، وانقادت له الأمور إلى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، فحصل تنافر بينه وبين السيد عبدالله الفعر، فلما جاء الحج [الشامي وكان أميراً عليه عبدالله باشا شتجي، وأمير الحج]^(٥) المصري وأميرهم كشكش حسين بك، فدخل عليه السيد عبدالله الفعر، وحسن له أن يلبس السيد مبارك بن محمد بن عبدالله بن سعيد، وبذل له شيئاً

(١) قوله: "من" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٩٦).

(٢) الزيارة إنما هي لمسجده صلى الله عليه وسلم للحديث الصحيح: "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد".

(٣) ثنية عسفان: عقبة منسوبة لعسفان، وعسفان بلدة تاريخية عامرة شمالي مكة على الطريق إلى المدينة، تبعد عن مكة ثمانين كيلاً، ويشرف عليها من جميع نواحيها حرار سود، وتفرع منها الطرق إلى جدة وإلى مكة وإلى المدينة، وثبتها بعدها بخمسة كيلومترات في طريق الحرار التي تقع شمالي عسفان، وتسمى الثنية بشية غزال (على طريق الهجرة ص: ١٩-٢٧).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٩٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٤٤).

جزيلاً من عروض ومال، فوافقه على ذلك، ووافق على ذلك جماعة من السادة الأشراف والسرادرة المصرية، فأتموا الأمر بالخفية، والشريف مساعد لا علم له بشيء من ذلك، إلى أن حج الناس.

فلما كان الحادي والعشرون من ذي الحجة ألبسوا الشريف مباركاً المذكور عند القاضي بغير فرمان سلطاني ولا أمر باشوي، وفرّق العساكر على أسطحة الحرم والمناثر، واتخذوا جميع المناثر حصوناً ومتارس، وترس البيوت المطللة على دار السعادة منزل مولانا الشريف مساعد، فبينما هو نائم في داره لم يشعر إلا ورمي الرصاص كالطر، فسأل أرباب دولته عن ذلك، فأخبروه بما صار، فعند ذلك استدعى العساكر والرجال، وبذل لهم الكثير من المال، فقامت الحرب بينهم على ساق، واستمر الحرب ذلك اليوم بما طال، وما زال الحرب بين الفريقين في الليل إلى الصبح، فأخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جانباً من العسكر ونزل بهم من أسفل مكة، وطلع الحاكم عبد^(١) النبي بأهل الحارات من كل ناحية وسكة، حتى ظهرت الصولة والغلبة لمولانا الشريف مساعد عليهم، فعند ذلك طلب السيد مبارك الذمة، وأخذ الأمان له وللصنjq ككشكش، وكان قد أخذت ذخيرته ونفائس

(١) لاتصح التسمية بذلك.

أمواله، ثم بعد إعطائهم الأمان توجه السيد مبارك إلى وادي مرّ الظهران،
والتمس الصنّجق من مولانا الشريف مساعد أن يرجع له ما ذهب ليرتحل
بالحج، فأمر أن يرجع له ما يلقونه بأيدي الناس، فجمع ما وجده شاهراً ظاهراً
كالخيّام والقرب والخف والحافر، فأخذ ما تحصل له وارتحل.

ثم إن السيد مبارك أقام بالوادي أياماً، فدخل بينهما بالصلح السيد عبدالله
بن سعيد والسيد سليمان بن يحيى، وتّمّما له كل ما طلب من مولانا الشريف
في غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين ومائة وألف.

وفي ليلة النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك، فقبض عليه
وسجنه إلى تمام السنة، وتوفي ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة.

ولما أقبل الحج الشامي في العام المذكور وكان الأمير عليه الوزير عبدالله
باشا الآتي في العام الذي قبله، عزم على عزل مولانا الشريف بحيلة دبّرها،
وذلك أنه بعد تمام الحج نزل بالمحصب، [وعقد مجلساً للنظر في أحوال عين
زيدة، وطلب مولانا الشريف للحضور في ذلك المجلس]^(١)، وحضر فيه
القاضي وأمرء الحجوج. فلما فاض الحديث بينهم في أمر العين، أغلظ الباشا
المذكور في المقال على مولانا الشريف قائلاً: أنت أعطشت أهل هذه البلدة

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة
(ص: ٤٧).

الحمية، وأجريت العين [لسقيا]^(١) العابدية، مع أن هذه المقالة إفكة أفك، وعين زبيدة لا تركب هناك، وقد كذب عليه من قال له ذلك، فأجابه مولانا الشريف: بأن ذلك غير صحيح، فلم يقبل منه ذلك^(٢).

ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢هـ.

فأمر بالقبض على مولانا الشريف، وألبس أخاه السيد جعفر بن سعيد^(٣) وولاه شرافة مكة.

فلما جاء الخبر للناس حصل اضطراب في مكة، ووقع الجري في الأسواق. فلما بلغ الباشا ذلك الاضطراب ركب من فوره هو وجميع أمراء الحج والقاضي ووالي جدة، ونزل المسجد، وأبرز فرماناً مضمونه: أن الدولة فوّضت له الأمر، والنظر في شأن الحرمين، وتولية من يرى فيه الصلاح، ثم نادى باسم الشريف جعفر في شوارع البلاد، وأمر بالدعاء له في المنبر والمقام، وأطلق الشريف مساعد بوجاهة أخيه الشريف جعفر، فتوجه الشريف مساعد إلى العابدية^(٤).

(١) في الأصل: لسقاية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٩٨)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٤٧).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٩٦-١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (٤٣-٤٧).

(٣) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ١٩٨)، والأعلام (١٢٤/٢)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٤٥)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٣١٨).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (٤٧-٤٨).

ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة لأخيه الشريف مساعد

ابن سعيد سنة ١١٧٣هـ

فلما توجهت الحجيج حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر أن يتقلد الشرافة الشريف مساعد ويعود كما كان، ويبدل لأخيه الشريف جعفر شيئاً من الدراهم والنقود، [فرضي بذلك]^(١)، وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، فرجع إلى شرافته، وتوجه الشريف جعفر إلى الطائف فاشترى بساتين.

ولم يزل يتره فيها مع الاتفاق بينه وبين أخيه، إلى أن توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين^(٢).

وفي سنة أربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد بن سعيد، وسببه: أن وزير مولانا الشريف -وهو محمد الشامي- أذنب عبد من عبيده، فذهب لمولانا السيد أحمد بن سعيد متوجهاً عليه أن يستسمح له سيده، فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاده لبيت سيده، وطلب منه السماح لذلك العبد، فقبل توجهه في ظاهر الأمر وسمح، وبعد خروج مولانا السيد أحمد بن سعيد فتك بالعبد وضربه بالسياط وقيده، فهرب العبد مقيداً إلى بيت مولانا السيد أحمد بن سعيد وأخبره بما جرى بعد خروجه، فأهمل الأمر لأخيه مولانا الشريف مساعد، فلم يلتفت لمقاله،

(١) في الأصل: فرض لذلك. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٩٨).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ١٩٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٤٨).

ولم يتكلم مع وزيره بشيء لأنه كان مقرباً لديه، فغضب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه إلى شكايته من وزيره، فتوجه إلى وادي نعمان^(١) وجمع شيئاً من العربان، فجاء الخبر لمولانا الشريف مساعد، فجمع هو أيضاً وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه، وكان السيد أحمد بن سعيد جاء بمن معه ونزل في التنعيم^(٢)، فالتقى الجمعان، واقتتلوا عند الجبال التي حول أبي لهب، ووقعت بينهما ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين، وأسفر الأمر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد، فاهزم وهبت خزائنه، ثم طلب ذمة من أخيه وارتحل [لوادي]^(٣) مرّاً، ومكث هناك أياماً، حتى دخل جماعة من كبار الأشراف بينهما بالصلح، فرجع واصطالح مع أخيه، وأنزله المنزل الذي يرضيه^(٤).

(١) وادي نعمان: وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال كرا وعفار وما حولها، حيث تتكون له هناك روافد عظيمة عديدة مثل: الضيقة، والكر، ويعرج، والشرأ، وتسمى صدور نعمان. وينحدر غرباً فيمر جنوب عرفات عن قرب، ثم يجتمع بعرة فيطلق عليه اسم عرة، يمر بين جبلي كُساب وحبشي جنوب مكة على أحد عشر كيلاً، ويكون هناك حدود الحرم الشريف. وسكانه فوق عرفة هذيل، وأسفله لقريش، ومعظم المزارع للأشراف الحسينيين (معجم معالم الحجاز ٦٩/٩).

(٢) التنعيم: موضع بمكة في الحل، تقدم التعريف به.

(٣) في الأصل: بوادي. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ١٩٩)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٥٠).

(٤) خلاصة الكلام (ص: ١٩٨-١٩٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٤٩-٥٠).

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا الشريف مساعد وبين الشريف أحمد بن الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى منافرة تولد منها خراب كبير، فرحل السيد أحمد بن عبدالكريم إلى الوادي، واجتمع عليه آل بركات، وأجمع رأيهم على تولية السيد عبدالله بن حسين بن يحيى بن بركات لشرافة مكة، فوافقهم على ذلك، وجمع ما أمكنه من الرجال، وبذل ما قدر عليه من المال، وبنو أمرهم على أنهم يأخذون قبل ذلك بنذر جدة ويستولون على ما فيها من الأموال، فتوجهوا بمن معهم من الجموع وأحاطوا بسور جدة من كل جهة، فتحصن أهلها ورموهم بالمدافع والقلل، فلم يجدوا لهم خلاصاً، فقبلوا في العشش التي هي خارج البلد بعد أن تفرق كثير من جمعهم، فرموهم من جدة

بنشاشيب جعلوا الكبريت الموقد في رؤوسها كالرياش، فاحترقت تلك العشش، فلم يقر لهم قرار، فرجع الشريف عبدالله بن حسين إلى الوادي، ثم توجه إلى مصر، وطلب من صاحب مصر الإعانة له على بلوغ المأمول، وكان صاحب مصر إذ ذاك علي بك قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها، وأخرج الوزير المتولي أمرها من الدولة، وصار الحل والعقد بيده، حتى أنه بعد هذه المدة أرسل جيوشاً ملك بها الشام، كما هو مذكور في تاريخ مصر للعلامة الجبرتي^(١).

فلما جاء السيد عبدالله بن حسين لعللي بك مستنجداً به أجابه لمرامه،

(١) انظر: تاريخ الجبرتي (١/٣٦٣-٣٦٤).

وأوصى به أمير الحاج المصري، وكان الأمير المذكور مملوكاً لعللي بك يسمى: محمداً أبا الذهب، وأكد عليه أن يسعفه بمراده، ويجتهد في تمكينه بغاية اجتهاده حتى يجلسه على كرسي الشرافة، فجاءت الأخبار لمولانا الشريف مساعد، فأخذ في أسباب الاحتراس غايتها.

فلما وصل الحج المصري إلى الوادي توجه إلى مكة، وترك الشريف عبدالله بن حسين يجمع له كثيراً من البوادي، فوصل الحج إلى مكة، وخرج الشريف مساعد للبس الخلعة الواردة مع الحج المصري، فألبسه إياها على العادة الجارية، ولم يظهر أمير الحج المصري شيئاً مما في نفسه، فلما أتم الناس حجهم بالأمن والاطمئنان، اتفق مولانا الشريف مع أمير الحج الشامي -وهو عثمان باشا الصادق، وكان محباً لمولانا الشريف- على تقديم سفر الحج المصري، وإخراجه من مكة قبل أوانه، لما علموا مقصده مع الشريف عبدالله بن حسين، فأمره بالخروج والسفر يوم الثامن عشر من ذي الحجة قبل أن يتم مراده، [وحيث لم يعهد ذلك حصل اضطراب وضجة، فامتل الأمر وارتحل قبل أن يتم مراده]^(١)، وارتحل بعده بثمانية أيام الحج الشامي.

فلما بلغ الشريف عبدالله بن حسين خروج الحج المصري حصل له غيظ وحنق، فبذل المال، واجتهد في جمع الرجال، ودق زير الحرب، واجتمع عليه

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٥٢).

كثير من القبائل والأشراف ما عدا آل حسن، وكذلك الشريف مساعد جمع من الرجال أضعاف ما جمعه الشريف عبدالله بن حسين مع ما عنده من العساكر والرجال، فأقبل الشريف عبدالله بن حسين بمن معه من البوادي، وخيم بالجبال التي حول الزاهر، فخرج الشريف مساعد بمن معه لقتاله، ومكّن كثيراً من جنوده بجبال المعابدة والمعلا، ووقع القتال بين الفريقين في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، واشتد الأمر، وسالت الدماء، وكانت ملحمة عظيمة، ثم أسفرت هذه المعركة عن انهزام السيد عبدالله بن حسين، فتوجه إلى الوادي وطلب ذمة، فأعطىها على المعتاد، ثم توجه إلى مصر قاصداً عزيزها علي بك، فشكى إليه ما قاساه من الأهوال، فأمدّه بالرجال والأموال، وجهّز معه مملوكه محمد بك أبا الذهب ومعه جردة عظيمة فيها صنجان، وثلاثة آلاف من العسكر، وثلاثون مدفعاً، وجعل الذخائر والأثقال تباريهم في ثلاثة مراكب في البحر، وأكد عليهم أن يمكنوا الشريف عبدالله بن حسين من سيادته، ويخرجوا الشريف مساعد من دار سعادته، فقدر الله أنه حصل للشريف مساعد توعك، ومرض من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل إليه الخبر، وتوفاه الله تعالى قبل وصوله.

وكانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر الحرم سنة أربع

وثمانين ومائة وألف. وكانت مدة ولايته: تسع عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر.

وأعقب أولاداً كراماً، منهم: مولانا الشريف سرور، والسيد مسعود، والسيد عبدالعزيز، والسيد عبدالمعين، والشريف غالب، والسيد محمد، والسيد لؤي. وكان قبل وفاته عقد البيعة لأخيه مولانا الشريف عبدالله بن سعيد^(١).

ذكر ولاية الشريف عبدالله بن سعيد^(٢) سنة ١١٨٤هـ

فبعد وفاة مولانا الشريف مساعد ولي شرافة مكة أخوه الشريف عبدالله المذكور، وألبسه قاضي الشرع الشريف، ونودي له في البلاد، فنازعه في الأمر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال: أنا لها، أنا لها، فترل له عن الشرافة وقلده إياها، وعاش بعد ذلك ست سنوات، وتوفي.

وأعقب أولاداً كراماً، منهم: السيد فهيد -والد السيد عبدالله بن فهيد المشهور-. ومنهم: السيد مساعد، والسيد عامر، والسيد علي، والسيد عبدالعزيز، والسيد دخيل الله المشهور بالعواجي^(٣).

(١) خلاصة الكلام (ص: ١٩٩-٢٠١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٥٠-٥٦).

(٢) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ٢٠١)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٣٢٠).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٢٠١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٥٥).

ذكر ولاية الشريف أحمد بن سعيد^(١) سنة ١١٨٤هـ

فولي شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها، ووصل إلى ينبع الجردة بالعسكر المصرية لقتال المرحوم الشريف مساعد - وكان أميرها أبو الذهب محمد بك - ليُجلس الشريف عبدالله بن حسين^(٢) على كرسي الشرافة، فلما وصل ينبع قاتله وزير الشريف الذي كان بها، وهو درويش آغا، ثم عجز، فأخذوها، وقتلوا الوزير المذكور، ونهبوا البلد، وكان الشريف عبدالله بن حسين قد تقدم قبل الجردة إلى الوادي، وجمع جموعاً من العربان ومن أطاعه من الأشراف، وشاع أمر الجردة بمكة، فأرسل الشريف أحمد بن سعيد حريم آل زيد إلى الطائف، وأقام بمكة بمن عنده من العسكر، وأرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلي من الدرهم والدينار، فاجتمع عنده نزر يسير، ثم تفرق أكثرهم.

وفي اليوم الرابع عشر^(٣) وصلت الجردة إلى الوادي، فأرسل الشريف أحمد المفتي علي بن عبدالقادر الصديقي والسيد عبدالله الفعر إلى الوادي لكشف هذا الخبر، [فأناخوا على أبي الذهب بوادي مَرّ، وخاطبوه في هذا

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ٢٠١-٢١٥)، والأعلام (١/ ١٣١)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٤٥-١٤٦)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٣٢٤، ٣٢٠-٣٢٥).

(٢) في الأصل زيادة: بن. وهو خطأ. انظر: خلاصة الكلام (ص: ٢٠٢).

(٣) شهر ربيع الأول. (خلاصة الكلام ص: ٢٠٣).

الأمر^(١)، فأروه لا يرضى إلا بجلوس الشريف عبدالله بن حسين على كرسي الشرافة، فأرسلوا خادماً يخبر الشريف بما شاهدوه، ثم رجعوا.

وفي يوم السادس عشر من ربيع الأول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالزاهر، وصف المدافع تجاه بئر طوى، فخرج الشريف أحمد بمن معه من العسكر والرجال، ولم يتجاوز المصانع التي في الريع، وهو للقضاء والقدر مسلّم ومطيع، وظهر له أنه لا فائدة في اللقاء والحرب، فأودع السيد حامد بن حسين أخا الشريف عبدالله بن حسين أحرافه وأطرافه، تابعاً في ذلك أسلافه، وطلب منهم الأمان، وأخلى لهم الديار وبان، فدخل مكة، ثم توجه إلى المعابدة، ثم إلى الطائف^(٢).

ولاية الشريف عبدالله بن حسين البركاتي^(٣) سنة ١١٨٤هـ

وفي يوم الجمعة ثمانية عشر من ربيع الأول دخل أبو الذهب إلى مكة، وملأت جنوده كل ناحية وسكة، ونزل بدار الملك والسيادة المسماة بدار السعادة، وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوماً، وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرافة مولانا الشريف عبدالله بن حسين بن يحيى بن

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٥٨-٥٩).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠١-٢٠٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٥٧-٥٩).

(٣) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ٢٠٣-٢٠٥)، والأعلام (٨٠/٤)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٤٦-١٤٨)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٣٢٢-٣٢٣).

بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نغمي، وحسين والد عبدالله بن حسين ينسب إليه السادة الأشراف من ذوي بركات المشهورون الآن بذوي حسين^(١)، وقد بارك الله في أولاده حتى صار منهم العدد الكثير، فإنهم يفوقون على بقية أفخاذ ذوي بركات - هذا كلام السيد أحمد دحلان في خلاصته^(٢) - مع أن المدة الآن بيننا وبين جدهم حسين المذكور نحو مائة سنة.

ولما تولى الشريف عبدالله بن حسين سكن بدار آبائه الكرام المسماة بدار الهناء، ونودي في البلاد باسمه، وألبس أرباب المناصب، وأجرى كل ما كان معتاداً، وامتدحه الشعراء، ومات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طيلة، - أحد أعيان تجار جدة -، وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة، فجاء بيت المال عثمان البوشي بنقد جزيل وقال له: قد مات أحد أعيان التجار، وأخذنا من ماله هذا المقدار، فزجره عن أخذ شيء من أمواله، وقال: كيف تأخذها مع وجود أهله وأطفاله، أما سمعت قول رب العزة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنَا ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ثم أمره أن يعيد المال إلى أهله بعد أن وبّخه ولامه على فعله.

وما اتفق له أنه كان راكباً ذات يوم، فطعنه رجل من الدراويش المساكين

(١) ذوو حسين: فرع من الأشراف يسكن وادي مر الظهران وبعضهم في مكة، وهم بنو الشريف حسين بن بركات بن أبي نغمي (معجم قبائل الحجاز ص: ١١٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٣).

في فخذة الأيمن بسكين، وكان هذا الدرويش مجذوباً غائباً^(١) عن الوجود، ويعتقد الناس فيه خيراً، فأراد قتله جميع الخدم، فلما تحقق الشريف حاله سمح عنه عفةً وكرماً.

وعلى كل حال؛ فقد كان مولانا الشريف عبدالله بن حسين حسن الخلق، عربيّ [الطباع]^(٢)، وله فضل في البرية شاع، لكن أبو الذهب الذي جاء بالجردة صدر منه ومن أتباعه أنواع الجور والإجحاف، فمن ذلك: أنه سجن مفتي مكة الشيخ علي ابن المفتي عبدالقادر الصديقي، ولم يخلصه حتى أخذ منه عشرين ألف ريال، وأخذ من التجار أموالاً كثيرةً بالظلم والاعتساف، ونهب دار المرحوم الشريف مساعد التي كانت في سفح جباد، ثم أخرج من بقي من آل زيد من مكة، ووقع حريق في دار السعادة فظن بعض الناس أنه بأمره، لكن تبين أن الأمر ليس كذلك؛ لأنه كان ساكناً في تلك الدار واحترق في النار بعض ممتلكاته، وذهب كثير من ماله، حتى صاروا يخرجون أدبашه^(٣) بأعظم مشقة.

ومن الظلم الذي حصل من أتباعه: أنهم في مدة إقامتهم بمكة لم يسلم من أذيتهم أحد، ولم يزالوا يجورون على الناس في الأسواق. هذا ما كان من أمر الجردة.

وأما الشريف أحمد بن سعيد فإنه لما طلع الطائف قصد وادي لية، وجمع

(١) لبعض الصوفية اعتقادات خاطئة في الدراويش المجذوبين، ليس لها مستند شرعي.

(٢) في الأصل: الطبع. والمثبت من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٤)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٦٠).

(٣) الدبش: أثاث البيت وسقط المتاع (المعجم الوسيط ١/ ٢٧٠).

بعض العربان وقصد الطائف، فهرب منه وكيل الشريف عبدالله بن حسين، وهو أخوه السيد عبدالكريم بن حسين، فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لستّ بقين من شهر ربيع الأول، ونودي باسمه في البلاد، فأرسل الشريف عبدالله بن حسين إلى الطائف السيد أحمد بن عبدالكريم بن يعلى فأفسد على الشريف أحمد كثيراً من الرجال، وأرسل للشريف عبدالله بن حسين يطلب منه جانباً من عساكر الأتراك، فاتفق مع أبي الذهب على إرسال حسن بك شبكة، ومعه جملة من الغزّ على الخيل السوايق، ومعه نحو الثمانين من السادة الأشراف، ونحو المائتين من العسكر، وأمر عليهم السيد حامد بن حسين، فلما بلغ الشريف أحمد هذا الخبر ولّى مسرعاً.

وفي اليوم الثاني والعشرين من ربيع الثاني قصد الشريف أحمد مكة من طريق كرا، وقد جمع جماعة من بني سعد وثقيف، وأناخ بعرفة، فخرج له الشريف عبدالله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر، واقتتلوا معه يوماً كاملاً، وكانت جنودهم تزيد على جنوده بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك فقد ظهر عزمهم مراراً، ثم صنعوا له دسيسة ومكيدة، وذلك أنه جاء جماعة من عسكر ينبع ونكسوا أعلامهم وقالوا: نحن معك ومنك وإليك، فأطلعهم معه على الجبل الذي كان فيه، فلما أن تمكنوا قاتلوه، وأقبلت عليه جنود أبي الذهب من كل محل، فطلب الأمان وقد أجهده ومن معه الجوع، وتحقق عند أبي الذهب ذلك، فأرسل إليهم شيئاً قليلاً من الطعام، فقبله منه الشريف أحمد، وأهدى إليه كحيلة^(١) من خيله الجياد، فقبلها أبو الذهب، ثم

(١) الكحيلة من الخيل: البيضاء السوداء العينين (المعجم الوسيط ٧٧٨/٢).

توجه الشريف أحمد إلى الليث، ورجع الشريف عبدالله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر إلى مكة، ثم ارتحل إلى مصر في عشرين من جمادى الأولى، وأبقى حسن آغا شبكة، وجعله والياً على جدة، وأبقى عنده شيئاً من العسكر.

فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبي الذهب من مكة شمر عن ساعد الجدة لأخذ الثأر، وجمع العربان من كل مكان، وجمع له السيد ثقبه بن عبدالمحسن الشنبري عرباناً من ثقيف، وأقبلوا على مكة، ونزلوا بعرفة في الحادي عشر من جمادى الثانية، وأجمع رأيهم أن يجعلوا القوم شطرين، شطراً من طريق المسفلة، وشطراً من أعلى مكة، فخرج لقتالهم الشريف عبدالله بن حسين ومعه حسن شبكة، فالتقوا مع القوم عند المنحنى، فاقتتلوا أربع ساعات، وأقبل العربان الذين من أسفل مكة، وشنوا الغارات، فأسفرت هذه الملحمة عن انهزام الشريف عبدالله بن حسين، وقتل من جماعته جم غفير، وقتل من البادية الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف، ومنهم رابع -شيخ بني ثقيف-، وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد، لأنه لما قتل رابع شقّ قتله على قومه، فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبدالله بن حسين، ثم إنه طلب ذمة، وتوجه إلى الوادي ومعه الصنجق [حسن] ^(١) شبكة ^(٢).

(١) قوله: "حسن" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٣-٢٠٥). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٥٩-٦٥).

الولاية الثانية للشریف أحمد بن سعید سنة ١١٨٤هـ

ودخل مكة الشریف أحمد بن سعید. فكانت مدة الشریف عبدالله بن حسين: شهرين، وثلاثة وعشرين يوماً.

ومنذ دخل الشریف أحمد أمر بحرق دار آل بركات؛ لاعتقاده أنهم الآمرون بحرق دار السعادة، ونهب الناس جميع ما في دار آل بركات، ونهبوا الدور التي للرجال المقربين عندهم من أرحام وأتباع، ونادى المنادي في شوارع مكة باسم الشریف أحمد بن سعید.

ولما توجه حسن شبكة إلى الوادي توجه منه إلى جدة ودخلها، فأرسل [له]^(١) الشریف أحمد يأمره بالخروج، فأبى وامتنع، فوجه إليه من الأشراف والبوادي والعساكر ما يتوف على أربعة آلاف، ثم وصل إلى مكة السيد عبدالله بن مسعود [ومعه]^(٢) من قبائل اليمن جرود لم يلحق بهم الحرب السابق، فتوجه بهم إلى جدة ولحق الأولين، وتحقق عندهم أن الصنجق مصمم على القتال، فأغلق أبواب البلاد وترسها، وأخرج المدافع الكبار على الكدوة، وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعسّ إلى الرغامة^(٣)، ثم تعود صباحاً

(١) قوله: "له" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٥).

(٢) في الأصل: ومن معه. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٦٥).

(٣) الرغامة: هي تلك الأرض الرملية التي تدعها يمينك وأنت تخرج من جدة إلى مكة. سبق التعريف بها.

إلى جدة بالسلامة، فوصلت السرية إلى جدة بليل، وأقاموا على موضع يقال له: غليل^(١)، وأرسلوا كتاباً من الشريف أحمد إلى كتحدا العسكر [ليفسد]^(٢) من معه من العسكر في البندر، وجعلوا له شيئاً من المال، فسعى في نقض تلك المباني، وتواطأ معهم أن يهجموا من الباب اليماني، فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السرية، وملكوا جدة في غاية جمادى الآخرة بعد أن قتلوا جملة من الأتراك وأخرجوهم من البلدة، ولم يبق في أيديهم غير القلعة، فترسوها بناء على أنها تصونهم، فاجتمعت عساكر الشريف حولها، فتحقق الصنجق أن القلعة لا تصونه ولا تنفعه، فخرج من الباب الصغير الذي في مؤخر القلعة، وخاض بخيله في الماء، وتوجه بمن معه إلى رابغ، وتبعه الشريف عبدالله بن حسين، وشاع عند الناس أنهم يريدون تملك المدينة، وبلغ الخبر أهل المدينة، فتحصنوا واستعدوا مصممين على القتال، ثم تبين أنهم لم يريدوا المدينة، بل توجهوا إلى مصر، ولم يزل الشريف عبدالله بن حسين مقيماً بمصر القاهرة، متعجباً في حكمة الله الباهرة، وكيف مضى عليه هذا كله في أقل أيام، تولى الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام، ثم توجه إلى أرض الروم ومكث فيها إلى أن توفي رحمه الله تعالى، لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا إلى جدة

(١) غَلِيل: واد يسيل من الحجازية، يباري أم السلم من الجنوب، ويجمع معها في الرغبة بطرف جدة من الشرق، وحيث يدفع غليل في خبت جدة قام حي سمي غليلاً، فهو من أحياء جدة الجنوبية الشرقية (معجم معالم الحجاز ٦/٢٥٢-٢٥٣).

(٢) في الأصل: ليفرر. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٥)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٦٦).

وملكوها في هذه الواقعة فهبوا غالب دور أعيانها الكبار، والحواصل التي فيها أموال التجار، وتركوا البندر خراباً بعد العمار، وكان في جدة من الأقوات شيء كثير، فأنّج هذا حصول غلاء بمكة وجدة وبقية الأطراف، واشتد الكرب على المسلمين، حتى أن البادية كانوا في مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح، واستمر الأمر هكذا إلى آخر السنة^(١).

ثم انحلت العقدة في سنة خمس وثمانين، ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها؛ لما نالهم من الجوع في مدة الغلاء، حتى أنه اتفق أنه أخرج إلى السوق خمسمائة أردب في يوم واحد، فلم يأت عليها الضحى إلا ولم يبق منها شيء.

وفي هذا العام كثر قطاع الطريق، وتورد كل جبار وزنديق.

وفي سنة خمس وثمانين منع إمام اليمن جميع التجار من إرسال شيء من البنّ لهذه الأقطار بسبب ما أحدث من زيادة العشور، فقلّ على الشريف المدخول، فأرسل السيد عبدالله الفعر إلى اليمن لاستعطاف الإمام، لستّ بقين من شهر الصيام، ورجع في شهر الحجة مخبراً ومبشراً بأن الإمام أطلق للتجار إرسال البنّ. ولما وصل وجد الشريف سروراً قد جلس على كرسي الشرافة، فبارك له وهنأه، وكان السبب في تملك الشريف سرور كرسي الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد: أن الشريف أحمد في شهر شوال

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٥-٢٠٦). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٦٥-٦٨).

من سنة خمس وثمانين ومائة وألف أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة وتوجيهها للوزير حسين بن إبراهيم الشامي، فوجهه إلى البندر المذكور ومعه السيد سليمان بن يحيى وجانباً من العسكر، وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل، ووضعه في الأغلال والسلاسل، وكان الشريف سرور حين صدور هذا الأمر من عمه حاضراً في مجلسه، ولم يجعل الشريف أحمد هذا الأمر مكتوماً، فتوَلَّد من عدم كتمان هذه الأمور كثير من الشرور، فخرج الشريف سرور من المجلس وركب ناقته وتوجه إلى جدة، فوصل إليها قبل أن يصلوا إليها، ونزل عند الوزير يوسف قابل وأخبره بالأمور التي قصدوها وعوَّلوا عليها، فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد لقبض الوزير يوسف قابل منعهم الشريف

سرور، وقال: أنا له مجير، وطال بينهم وبينه النزاع، ثم حصل الاتفاق أن يتوجهوا جميعاً إلى مكة لملاقاة الشريف أحمد، ويكون النظر إليه في أنه يهين يوسف قابل أو يكرمه، فخرجوا جميعاً من البلد، فلما كانوا في أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف قابل عنهم شمالاً، وصمم على قتال عمه وانتزاع الإمارة منه، مستعيناً على ذلك بأموال يوسف قابل كما وعده بذلك.

والليالي من الزمان حبالى مثقلات تلدن كل [عجيب]^(١)

(١) في الأصل: عجية. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٧)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٦٩).

فما أصبح الصباح عليهما إلا وهما على وادي مرّ، وأرسل لعمه الكتاب، فأرسل إليه عمه يراوده على الصلح، فلم يرَضَ إلا بالقتال، فلما علم عمه عدم الرضا استهون أمره، ولم يذَرِ ما يجري به القضاء، وإنما استهون أمره؛ لأن الشريف سروراً كان صغير السن في ذلك الوقت، كان عمره ثمان عشرة سنة، ورحم الله القاتل:

لا تحقرن صغيراً في تقلّبه إن الذبابة تدمي مقلة الأسد

ثم إن الشريف سروراً أرسل لقبيلة عتيبة وواعدوها على موضع يقال له: السيل، وسار من الوادي جنح الليل، واجتمع عليه بعض الأشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجال، فتوجه بهم إلى العابدية، وجاءه بعض عتيبة الذين وعدهم بالسيل، فلم يزد جميع ما اجتمع عنده على الثلاثمائة، فتوجه بهم إلى المنحني، فخرج له عمه مع من عنده من العسكر ومعه الخيل الجياد وسمر القنا، ف وقعت ملحمة بين الفريقين، وأسفر الأمر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين، ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد، وانفرط عقد ملكه وتبدّد، وزالت عنه الدنيا وولّت، وهذا حالها أينما [حلت] ^(١)، فطلب الشريف أحمد من ابن أخيه ذمة على حسب القواعد بين السادة الكرام، وتوجه نحو نعمان ^(٢).

(١) في الأصل: رحلت. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٧)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٦-٢٠٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٦٨-٧٠).

ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد^(١) سنة ١١٨٦هـ

فدخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد. وكان دخوله يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف، ونودي باسمه في شوارع مكة، وأمنت البلاد والعباد^(٢).

وفي كتاب أشرف مكة وأمرائها^(٣): أرّخ عام ولاية الشريف سرور بعض الفضلاء، فقال:

سرور ملأ كل قلب سروراً

١١٨٦ سنة ٤١٧ ١٣٢ ٥٠ ١٧ ٤٦٦

وأرّخ أيضاً ولايته مولانا السيد شيخ الجفري بقوله: خليفة الله.

٦٦ ١١٢٠

انتهى.

(الوقعة الثانية بين الشريف سرور وعمه الشريف

أحمد بن سعيد)

ولما تمّ له عشرون يوماً من ولايته أقبل عليه عمه في غاية من القوة، فخرج لقتاله بما لديه من خيل وعسكر وخدم، ووقع القتال بينهما عند بركة

(١) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ٢٠٧-٢٢٤)، والأعلام (٨١/٣)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٤٨-١٤٩)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٣٢٦-٣٣٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧٠).

(٣) تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧١).

السلم^(١)، فأنهزم الشريف أحمد، وتفرّق جيشه وتبدّد، فأخذ ذمة عشرة أيام ورجع إلى موضعه الأول، وأقام. وهذه الوقعة الثانية من الوقائع التي كانت بينهما، وكانت في رابع ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف.

ولما كان اليوم الثامن من ذي الحجة أراد الشريف سرور الصعود إلى عرفة، فامتنع جميع العسكر من الصعود معه، يزعمون أن لهم عند عمه سبع جوامك، ويقولون له: إن أسلمتنا إياها توجهنّا معك، فالتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها، والنصف الآخر عندما ترجع الحجيج وتعود، وأعطاهم رهوناً مثمناً، فامتنعوا من ذلك تعصباً وعناداً، فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه ونزر من عشيرته وذويه، ومعه ركب أهل المدينة، وحج بالناس.

ولما نزل [الناس]^(٢) من الحج اجتمع كثير من السادة الأشراف، وقصدوا مصطفى باشا أمير الحج الشامي، وطلبوا منه أن يعزل الشريف سرور ويعيد عمه كما كان، فامتنع، وقال: لا يمكن هذا إلا بفرمان من السلطان.

ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التي امتنعت من الصعود إلى الحج مع الشريف [سرور]^(٣) إلى الشريف أحمد، وطلبت منه أن يصل إليهم ويقومون

(١) بركة السلم: تقع بحرم مكة مما يلي منى وعرفة، لا يعرف من أنشأها. جدّدها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة سنة ٧٤٥هـ (انظر: شفاء الغرام ١/٦٢١، وإتحاف الوري ٣/٢٢٨-٢٢٩).

(٢) قوله: "الناس" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٨).

(٣) في الأصل: سعود. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

بحمايته وإرجاعه إلى كرسي الشرافة، فدخل البلد مخفياً، وتوارى في بيته، ولم يشعر به أحد.

فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذي الحجة قبل الصلاة، والشريف سرور غافل لم يعلم شيء مما صنعوه، لم يفتن إلا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبي قبيس ينصب كالطر، فسأل عن ذلك فأخبروه بأن عمه قد وصل إلى داره، والعسكر قائمون معه لأخذ ثأره، فاستلحق من بقي عنده من القبائل الذين عرضوا عليه في أيام الثمان، وشر عن ساعد الجد، ثم خرج عبد والده مثقال آغا، وطلب من إبراهيم بك أمير الحج المصري أن يمدّه بالعساكر، فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال، لكن ليس للخيال في ميدان الرصاص من خلف الجدار مجال، واستمر الحرب بقية اليوم والليلة^(١).

(الوقعة الثالثة)

وفي صبيحة يوم السبت دقّ بابه زير الحرب، واشتدّ القتال والضرب، وعاد ثانياً مثقال آغا إلى الصنجد لطلب الرصاص والبارود، فأعطاه ست صناديق من الفشك^(٢) وجانباً من الرجال، فحملت القوم على القوم، فما ظفر

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧١-٧٢).

(٢) أي: الذخيرة.

جماعة الشريف أحمد بشيء مما يريدون. فلما ظهرت الغلبة عليهم واشتدّ الحصار، طلبوا الأمان، وأخذ الشريف أحمد ذمة، وبات ليلته في المعابدة، ثم خرج.

وأما العسكر فأمر مولانا الشريف سرور بإخراجهم من البلد، وأن لا يبيت فيها منهم أحد إلا عسكر اليمن، فإنهم كفّوا أيديهم عن القتال، فخرج العسكر منكسي الأعلام مفرّقين بين يَمَنٍ وشام، وهذه الوقعة الثالثة للشريف أحمد مع الشريف سرور.

وفي سنة سبع وثمانين خرج كثير من الأشراف منافرين لمولانا الشريف سرور، وتفرقوا في كل الجهات، ومنعوا السبل، وقطعوا الطرقات^(١).

(الوقعة الرابعة)

وفي شهر ربيع الأول أقبل على مكة الشريف أحمد بن سعيد، فجمع له مولانا الشريف سرور الجموع، وحصل بينهما القتال، ففي أول الأمر حصلت هزيمة للشريف سرور، وطلب ذمة، ثم حمل بنفسه حملة أيّ حملة، فانهزم الشريف أحمد وأخذ ذمة، ثم توجه إلى المعدن، وهذه الوقعة الرابعة بينهما، ثم رجع الشريف أحمد في ربيع الثاني، وملك الطائف بغير قتال^(٢).

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٨-٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٢-٧٣).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٣-٧٤).

(الوقعة الخامسة)

ثم قصد مكة، فخرج له الشريف سرور بعيده ومن عنده من العسكر، وحصل القتال بينهما في المعابدة، فانهزم الشريف أحمد، وتوجه إلى خليص، وهذه الوقعة الخامسة^(١).

(الوقعة السادسة)

ثم في شهر شعبان وصل السيد عبدالله الفعر إلى الطائف، واتفق مع السيد سليمان بن يحيى أن السيد عبدالله الفعر يخرج دراهم من عنده لجمع عربان يدعواهم لطلب مكة للشريف أحمد بن سعيد وهو في خليص، فبلغه الخبر، فتوجه للطائف، فامتنع السيد عبدالله الفعر من إخراج الدراهم، ثم نزل الشريف أحمد إلى نعمان، فبلغ الشريف سرور وصوله، فخرج له، فذهب إلى موضع هذيل يقال له: [ضَجَّة]^(٢)، فلحقه وأثار عليه الحرب، فارتفع إلى جبال شامخة رأى فيها حصانته، فرجع الشريف سرور إلى مكة، وهذه الوقعة السادسة، وكانت في رمضان^(٣).

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧٤).

(٢) في الأصل: ضبحة. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٠٩)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧٤).

وضَجَّة: شعب يسيل على علي من الشرق في وادي رهجان ثم إلى نعمان. أهله بنو إياس وبطون صغيرة أخرى من هذيل، كني كعب وبني زياد (معجم معالم الحجاز ١٩٣/٥).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٩). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧٤).

(الوقعة السابعة)

ثم توجه الشريف أحمد إلى الهدا وجمع عرباناً، وأخذ الطائف بغير قتال، وأخذ من أهله جملة من الأموال، وتوجه قاصداً مكة بمن معه من البادية، فخرج لقتاله الشريف سرور، وحصل بينهما قتال شديد، ثم انهزم الشريف أحمد، وسار خلفه الشريف سرور من المعابدة إلى الحسينية، وذلك في سابع شوال، فأدركه ثمة، وسلب عبيده وخيله وعساكره وتركه، فمكث بالحسينية ستة أيام، وأراد التوجه إلى اليمن، فبلغ ذلك الشريف سروراً، فبادره وأخذ جميع ما عنده من العبيد، وما أبقى له شيئاً، فتوجه الشريف أحمد إلى وادي مرّ، ثم إلى خليص، ثم إلى المدينة، وأقام بها إلى الحرم، ثم توجه إلى خليص.

وفي أواخر جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف سرور قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه إلى الطائف بقصد إخراج السيد عبدالله الفعر [أو يقاتله]^(١) إن لم يرتحل، ودخل السيد عبدالله الفعر في حصن حصين له بالطائف، ثم توسّط بينهما جماعة من الأشراف وأتمّوا الصلح، وعاد الشريف إلى مكة في رجب^(٢).

(١) في الأصل: ويقاتله. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢١٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢٠٩-٢١٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧٤-٧٦).

(الوقعة الثامنة)

وفي شهر رمضان بلغ الشريف [سروراً]^(١) أن السيد عبدالله الفعر نقض الصلح، واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجمعا قبائل، وأقبلا على الطائف، فاستعدّ لقتالهم وكيل الشريف بالطائف، وجمع لهم جنداً فنكصا على أعقابهما، وهذه ينبغي أن تجعل ثامنة للوقعات، وإن لم يحصل فيها قتال^(٢).

(الوقعة التاسعة)

ثم رجعا وهجما على الطائف في الثالث عشر من شوال وقت الفجر، [وكان معهما السيد عبدالله بن مسعود]^(٣)، وكان وكيل الشريف بالمشاة، فترل وحصل بينهم وبينه قتال شديد، فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف، فولّوا هاربين، ثم توجه السيد عبدالله الفعر إلى خليص [لملاقاة أمير الحج الشامي، فوجده قد زلف عنه وما أمكن مقابلته]^(٤)، وارتفع إلى الحرة، فبلغ خبره الشريف [سروراً]^(٥)، فأرسل سرية من الخيل والركاب، ووكل عليها السيد ناصر بن مستور، من

(١) في الأصل: سرور. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢١٠).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢١٠). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٦-٧٧).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١١). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٧٧).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام، الموضع السابق. وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: سرور. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

آل بركات، وأمره بقبض السيد عبدالله الفعر أينما حلّ، فأدركته الخيل في طرف الحرة، فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله، [فأمر الشريف سرور بحبسهما في القنفذة، ثم أمر بإطلاق السيد بركات بن جود الله]^(١)، وبقي السيد عبدالله الفعر مسجوناً هناك ستة أشهر، ثم أرسل الشريف سرور يطلبه. فلما كان في أثناء الطريق أرسل الأمير فرحان من اللحية^(٢) سفينة وعسكرياً، فأطلقوا السيد عبدالله الفعر وأتوا به إلى اللحية، فأكرمه الأمير فرحان. فلما بلغ الشريف سروراً هذا الخبر أزعجه، ثم أرسل للإمام اليمن يقول له: إن هذا الفعل يورث بيننا حقداً وضغناً، فأرسل الإمام للأمير فرحان يأمره أن يرسل السيد عبدالله الفعر لصاحب مكة، وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر بإطلاقه، وأنه يرسل من يقبضه من الأمير فرحان، فأرسل عبد أبيه الوزير بشير، فأخذه منه وسجنه في القنفذة حتى مضى عليه حول، ثم أمر بنقله إلى ينبع، فسجن في ينبع مضيّقاً عليه إلى أن مات. وقيل: إنه قتل في السجن خنقاً، والله أعلم^(٣).

(١) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١١). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧٧).

(٢) اللحية: بلدة قمامية على ساحل البحر الأحمر شمالي الحديدة. تقدم التعريف بها.

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٢١٠-٢١١). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٧٧-٧٨).

(الوقعة العاشرة)

وفي أوائل سنة تسعين جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل، وجمع كثيراً منهم، ونزل بهم وادي نعمان، فأرسل الشريف سرور سرية، فلما أحسَّ بهم الشريف أحمد ولَّى هارباً، فتبعوه، ووقع القتال بينهم وبين هذيل، ثم قتل من هذيل ثلاثة وصوب خمسة، فرجعت السرية، وبقي الشريف أحمد عند هذيل مدة، وهذه الوقعة العاشرة^(١).

(الوقعة الحادية عشرة)

ثم نزل الشريف أحمد بن سعيد بهم ثانياً إلى نعمان، فركب الشريف سرور بنفسه إلى العابدية وجمع معه كثيراً من الأشراف والقبائل، وأقام بها أياماً، وتفرقت قبائل الشريف أحمد، ورجع إلى جبال هذيل، وهذه الحادية عشرة من الوقائع، وإن لم يقع فيها قتال^(٢).

(الوقعة الثانية عشرة)

وفي سنة إحدى وتسعين ومائة وألف اجتمع مع الشريف أحمد بن سعيد كثير من العربان في جبال هذيل، ونزلوا إلى وادي نعمان، وخرج الشريف سرور إلى المعابدة بما لديه من العساكر والرجال، وأقام بها أياماً حتى تفرق قوم الشريف أحمد، وهذه الوقعة الثانية عشرة، وإن لم يقع فيها قتال.

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢١١).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢١١-٢١٢).

وفي ثالث رمضان بلغ الشريف سروراً أن جماعة من الأشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقه من المعدن، وأقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة بمن يجتمع معهم، وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبدالله بن سعيد، والسيد عبدالكريم بن عبدالعين الحمودي، والسيد عبدالله بن مسعود ابن سعيد، والسيد مسعود العواجي، وابنه، فلما نزلوا بوادي نعمان أرسل لهم سرية من الخيل، فلما أدركتهم هربوا إلى الجبال، إلا السيد مسعود العواجي، وابنه، والسيد عبدالله بن مسعود، فقبضوا عليهم، فحبسهم مدة ثم أطلقهم، فسافر العواجي إلى مصر.

وأما السيد بركات والسيد عبدالكريم فتوجها إلى اليمن، ثم بعد مدة اصطلحوا مع الشريف، ورجعوا إلى مكة^(١).

(الوقعة الثالثة عشرة)

وفي آخر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين جاء الخبر أن الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن إلى جبال هذيل، واجتمع معه خلق كثير، فخرج الشريف سرور بعسكره ورجاله إلى الزاهر، ثم إن هذيلاً تفرقت عن الشريف أحمد، فمكث بأطراف نعمان، ثم انتقل إلى الشية، ثم توجه إلى [جهة]^(٢) الشام، فتبعه الشريف رجاء أن يدركه، ففات عليه، وتوجه إلى

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢١٢). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٨١-٨٢).

(٢) قوله: "جهة" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١٣)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٨٥).

المدينة فأكرمه أهلها، وهذه الواقعة الثالثة عشرة، وإن لم يقع فيها قتال^(١).

(الواقعة الرابعة عشرة)

ولما جاء وقت إقبال الحجج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامي، فأبى، فخرج من المدينة في أثره وأنه يريد خليص، فجهز الشريف سرور سرية وأمر عليها السيد ناصر بن مستور، وأكد عليه أن يتربص الشريف أحمد ويقبض عليه، فأدركته السرية على حين غفلة، فحملت عليه الخيل، فلما أحسّ بهم ركب فرسه وفرّ، وقتل من السرية فرس وعبد، فرجعت السرية، وغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور، واتهمه أنه قصّر في القبض على الشريف أحمد، وهذه الواقعة الرابعة عشرة^(٢).

(الواقعة الخامسة عشرة)

من الوقائع التي جرت بين الشريف سرور والشريف أحمد بن سعيد -وهي آخرها-: أنه في سنة ثلاث وتسعين في شهر جمادى الأولى بلغ الشريف سروراً أن الشريف أحمد مقيم برهاط^(٣)، وهو موضع بينه وبين مكة

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢١٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٨٥).

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢١٤). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٨٦).

(٣) رهاط: واد هو صخر وادي غران، ووادي غران يمر شمال عسفان على (٨٥) كيلاً من مكة شمالاً، وكان من ديار هذيل. أما اليوم فهو مشترك بين الروقة من عتيبة، ومُعبد من حرب. وهو واد كثير العيون والنخل، يبعد عن مكة قرابة (١٥٠) كيلاً (معجم المعالم الجغرافية للبلاد ص: ١٤٤).

ثلاثة أيام، فركب الشريف سرور بنفسه في قوة عظيمة، فلم يفتن الشريف أحمد إلا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب، فلم يتمكن من الفرار، وقد جرت عليه الأقدار، فاستسلم للقضاء، فقبض عليه وعلى ولديه، وتشتت عبيده وأصدقائه، فأركبه خلف واحد وأمر بحفظه، وأسرع السير، ونزل به إلى بندر جدة، ثم أركبه في سفينة في البحر وأمر بحبسه في ينبع، وحبس معه ولديه السيد راجحاً والسيد حسناً، وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والحن، فمكث الشريف أحمد محبوساً في ينبع مدة، ثم نقله إلى حبس جدة^(١).

وما زال محبوساً إلى أن توفي في عشرين من ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف، وكان أحد ولديه مات في السجن وأطلق الآخر، وبعد أن قبض الشريف سرور [على الشريف]^(٢) أحمد بن سعيد تتبع كثيراً من العتاة وقطاع الطريق، وعاقبهم بأشدّ العقوبات، وصار يتجسس بالليل والنهار على السراق والمفسدين، وكان يعسّ في الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشاء إلى الصبح، يفعل هذا كل ليلة، فحصل منه إرهاب لكل جبار عنيد، وأنف من أفعاله الذين كانوا يعتدون، واشتأزت نفوسهم من منعهم مما يألفون. فاتفق جماعة على أنهم يترقبون الفرصة لقتله، واعتقدوا أنهم يتمكنون من ذلك في الليل حين يخرج يعسّ وليس معه إلا قليل من الخدم، بأن يجلسوا

(١) انظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٨٨).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١٥).

له في بعض الأزقة والطرق، وكان مع هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبد المجيد ابن سعيد بن علي، فتمّ عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره، وقال له: إنه اتفق على قتلك سبعة من ذوي زيد ومعهم ما ينوف على الخمسين من ناس ملفقين، وزعموا أنهم يقتلونك في ليلة حالكة الجلباب، ويولي مكانتك السيد [دباب]^(١)، وأن سالم بن علي بن عبدالله هو الوزير، وقد فرقوا المناصب على الكبير والصغير، وأن السيد مسعود العواجي هو الذي يتقدمهم بالقتل، ويناجيك قبل، فلم يصدّقه في الحديث الذي رواه، فأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم، ولم يزل عنده حتى أزهرت النجوم، فأرسل من يكشف له الخبر، فعاد الرسول وأخبر بأنه وجد المذكورين في الأزقة والأسواق حاملين السلاح، فثبت عنده صحة الخبر، ونادى في إمساكهم من غير إمهال، فأمسكوا بعضاً منهم وهرب البعض، فممن أمسكوا: السيد مسعود العواجي، وابنه السيد مساعد، والسيد محمد^(٢) عمار^(٣) بن الشريف عبدالله بن سعيد، وسالم بن علي، ومحمد بن جابر^(٤) المخرج، ونحو العشرين من العبيد، فحبسهم

(١) في الأصل: دياب. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢١٥)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٩٠).

(٢) في الأصل زيادة: بن. وانظر: خلاصة الكلام وتاريخ أمراء وأشراف مكة، الموضعان السابقان.

(٣) في تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٩٠): محمد عامر.

(٤) في تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٩٠): محمد بن جار الله.

نحو شهر، ثم أخرجهم وقرّهم، فاعترفوا بما اتفقوا عليه، فأمر بقتل أربعة^(١) من العبيد، وقطع يد السيد مسعود، وأمر على سالم بن علي أن يصلب على عود، وأرسل الباقيين إلى جدة، ثم سافرهم إلى الهند مع المراكب الهندية.

وأما البعض الذي هرب ففيهم السيد دباب، وأولاد عبدالله بن مسعود، فأقاموا ببدر، ثم سافروا مع الحج، فمنهم من مات بمصر، ومنهم من مات بالروم^(٢).

وفي موسم ثلاث وتسعين ومائة وألف أرسل مولاي محمد سلطان الغرب ابنته ليزوجها، وأرسل معها أخويها وأموالاً عظيمة، أهداها للشریف سرور، وصدقة للأشراف والسادة وأهل مكة، فتزوج بنت سلطان الغرب بعد أن دعا للعقد جملة من السادة الأشراف والمفاقي والعلماء، وباشر العقد له مولانا الشيخ المفقي عبد الملك القلعي. انتهى^(٣).

وذكر العلامة الجبرتي في تاريخه^(٤) في ذكر الشريف سرور: أنه تولى الأحكام وعمره نحو إحدى عشرة سنة، وكانت مدة ولايته قريباً من أربع عشرة سنة، وساس الأحكام أحسن سياسة، وسار فيها بعدالة ورئاسة، وأمن تلك الأقطار أمناً لا مزيد عليه، ومات وفي محبسه نيف وأربعمئة من العربان

(١) في خلاصة الكلام (ص: ٢١٥): فأمر بقطع أربعة. وفي تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٩٠): فأمر بقطع يد أربعة.

(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢١٤-٢١٥). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٨٨-٩١).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٢١٦). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٩٣).

(٤) تاريخ الجبرتي (٢/٦٨-٦٩).

الرهائن. وكان لا يغفل لحظة عن النظر [والتدبير]^(١) في مملكته، ويباشر الأمور بنفسه، ويتكر ويعسّ ويتفقد جميع الأمور الكلية والجزئية، ولا ينام الليل قط، فيدور ثلثي الليل، ويطوف حول الكعبة الثلث الأخير.

ولم يزل يتنفل ويطوف حتى يصلي الصبح، ثم يتوجه إلى داره فينام إلى الضحوة، ثم يجلس للنظر في الأحكام ولا [تأخذه]^(٢) في الله لومة لائم، ويقىم الحدود ولو على أقرب الناس إليه، فعمّرت تلك النواحي، وأمنت السبل، وخافته العربان وأولاد الحرام، فكان المسافر يسير بمفرده ليلاً في خفارته. وبالجملة: فكانت أفعاله حميدة، وأيامه سعيدة. انتهى.

ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤

وفي سنة أربع وتسعين عزم مولانا الشريف على زيارة النبي ﷺ^(٣) بأهله، فتجهّز، وخرج من مكة في أحسن نظام، كان معه من الجمال ثلاثة آلاف وخمسمائة، ومن العربان خمسة آلاف، ومن مراجله ألفان، وخمسمائة من السادة الأشراف، ومن الخيل مائتان وخمسون، وصرف على هذا الجند مبالغ جزيلة من المال، وتوجه من مكة ليلة الأربعاء في اليوم الحادي عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور.

(١) في الأصل: والتدبر. والتصويب من تاريخ الجبري (٦٨/٢).

(٢) في الأصل: يأخذه. والتصويب من تاريخ الجبري (٦٩/٢).

(٣) الزيارة المستحبة إنما هي لمسجده ﷺ للحديث الصحيح: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

ولما وصل إلى بدر تلقاه أهله برحب الصدر، وعرضوا عليه، وقدموا له الهدايا، ثم وسوس لهم الشيطان فادّعوا أن لهم عوائد على الملوك إذا مرت بهم، وقوانين، وادّعوا أنه أخذ عليهم من الصنّجق معلوم ثلاث سنين، فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام، فلم يقبلوا، فثار الحرب بينهم من كل الجهات، واستمر ثلاث ساعات، فانتصر [عليهم]^(١)، وقتل منهم أربعة عشر نفرًا، وفرّ من بقي، فدخل بعض شيوخهم بين الفريقين بالصلح، وأعطاهم مولانا الشريف سرور أربعة عشر ألف قرش وأعطوه ربائط، فأخذ منهم أربعين رجلاً رهائن، ولما وصل إلى الحمراء^(٢) بلغه أن ولد نصار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنه، فأرسل خلفه من أتى به، فوضعه هو والرهائن كلهم في الحديد، وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد، ودخل المدينة في اليوم التاسع من رجب، فخرج أهلها وقابلوه، ودخل بموكب وأناخ بالمناخة^(٣)، وسكن هو وأهله بها، ثم توجه لزيارة القبر الشريف، ونثر يومها من الذهب والفضة الكثير، حتى التقط من ذلك الكبير والصغير.

وأما رهائن حرب فشدد عليهم غاية التشديد، فلما بلغ قومهم ذلك قطعوا الطريق.

(١) قوله: "عليهم" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢١٦)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٩٧).
 (٢) الحمراء: قرية بوادي الصفراء، كانت تقوم على عين فاندثرت، وباندثارها اندثرت القرية وتخرّبت مبانيها، وتبعد عن المدينة (١٢١) كيلاً جنوباً، وعن الواسطة (الصفراء) سبعة أكيال شمالاً شرقياً (معجم معالم الحجاز ٥٧/٣-٥٨).

(٣) المناخة: حي في المدينة المنورة له سوق عامرة، غرب المسجد النبوي الشريف، قام مكان مناخة الجمال في عهدها، وكان سوق بني قينقاع، ثم صار سوق المدينة معظمها (معجم معالم الحجاز ٢٧٠/٨).

ولما جاء الزوار من مكة على عادة زيارتهم في رجب منعوهم من الوصول، فرجعوا إلى مكة من غير زيارة، ثم بلغ الشريف أن حرباً قَصْدُهُم الوصول إلى المدينة لمحاربتة، فاستعدّ لهم، وطرح عليهم العيون، وصارت خيله كل ليلة تخرج خارج المدينة ليقبضوا على من يجدونه منهم، فوجدوا ليلة نجاباً خارجاً من المدينة ومعه كتب من الكواخي لقبائل حرب يحثوهم على الإقدام عليهم بصدد الحرب، على أنّا نقاتله من داخل البلد، وأنتم من الخارج. فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكواخي^(١) وقرأها عليهم، فأنكروها، وقالوا: إنّها مُزَوَّرَةٌ عليهم، فقال لهم: إن كنتم صادقين فأعطوني القلعة حتى يتّضح لي الحال، فامتنعوا، فأعاقهم عنده، وأرسل شيخ الحرم لأهل القلعة يطلبها منهم لتكون تحت يده يحصنها بمن يختاره، فوجدهم قد ترسوها بالرجال، وتعذّروا من إعطائها لشيخ الحرم، وتعذّروا بأنّا رمينا عند سيدنا بالزور والبُهتان، ولا نسلمها ما لم تأتينا منه بالأمان^(٢).

ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة

فلما رجع وأخبر بالخبر أعطاهم الأمان، وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظها، فلم يفتنوا إلا والرصاص عليهم كال مطر، فقرّ هو ومن معه عنهم، وأصابوا واحداً من العسكر، فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكواخي وشيخ القلعة، وجعلهم في الحديد، فابتدروا بالرمي على بيته، وقتلوا رجلاً

(١) الكواخي: جمع كيخية أو كيخيا تؤدي معنى كنخدا وهو الموظف الكبير.
انظر: مقدمة البرق اليماني (ص ٧٩)، والتشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، (ص ٩٥)، والمعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية (ص ١٨٨)، وانظر الجزء الخامس (ص ٢٦٨) من هذا الكتاب.
(٢) خلاصة الكلام (ص: ٢١٦-٢١٧). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ٩٦-٩٨).

وجملين، فنقل أهله إلى بيت بعيد عن القلعة، ووقع القتال بينهم وبينه من ليلة المعراج إلى مضي ثلاثة أيام، وما تمّ لأحد من الفريقين مرام، فصنع سلام من الخشب الطوال وأطلع عليها عبيده في ليلة من تلك الثلاث الليالي، فتنهوا لهم فلم يملكوها، ورجعوا، ثم أرسل لهم بأني قد سمحت عنكم فاخرجوا ولكم الأمان، فرضوا خديعة منهم، وأخذوا مهلة ثلاثة أيام، وأرادوا أن يدخلوا القلعة من لم يكن دخل منهم، فكفّ الرمي من الطرفين، وأرسل عسكرياً تترس البيوت التي حول القلعة من كل جانب، وأمرهم أن يمنعوا من أراد الدخول، ومن أراد الخروج يتركوه، فلما علموا أنه ترس البيوت التي حولهم عرفوا أنه تنبه لخديعتهم، فأحرقوا السلام التي صنعها في الحال، وشرعوا يرمونه بالرصاص، فأمر عسكريه بقتالهم، واستمر الحال يومين، ثم ظهر عجزهم، فربطوا حبلاً وصاروا يتمسكون به ويخرجون من القلعة خفية، فجاءه الخبر، فأمر برمي مدفع على بيت أغاة القلعة، فانحرق وانهدم، وأرسل خيلاً تطلب الذين خرجوا من القلعة هارين، فطلب الباقون الأمان، فأعطاهم الأمان، ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة، ونهبوا ما فيها من الأثاث والنقود، وكان غالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم^(١) الثمينة في القلعة، فذهبت شذر مذر، وقبض على جملة ممن كانوا سبب هذه الفتنة، ووضعهم في السلاسل والحديد، ووضع وزيره في القلعة، وهو رجل من عدوان ومعه عسكري، وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين، صحبهم معه إلى مكة لما

(١) اللّتش: أثاث البيت وسقط المتاع (المعجم الوسيط ١/٢٧٠).

توجه، وأبرز فرماناً بعزل شيخ الحرم، وأمره أن يسير معه إلى مكة، ثم أطلق رهائن حرب وأمرهم بالانصراف، وقطع علاقته.

وتوجه من المدينة في الحادي والعشرين من شعبان على طريق الشرق.

ولما وصل البركة توجه بأهله إلى الطائف ودخله سابع رمضان، ومكث أياماً، ثم توجه إلى مكة فدخلها في السادس والعشرين من رمضان، ثم ورد له نجاب بأن أهل المدينة محاصرون للوزير الذي في القلعة ومن معه من العسكر، فأرسل إليهم سرية نجدة لهم نحو ثمانمائة من الخيل والركاب، فاتفق أن الوزير ومن معه لما اشتد عليهم الحصار طلبوا الأمان، وخرجوا بعد قصة طويلة، فبلغ السرية عند وصولهم المدينة أن الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالأمان، فترلت السرية خلف جبل أحد^(١)، وأرسل للوزير يطلبونه للرجوع، فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا لقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون بهم الوزير، فالتقى الصفان في البساتين التي خلف البقيع في غرة ذي القعدة، ووقع بينهم حرب فظيع، وقتل وصوب جماعة من كل الفريقين، ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه، ووصلت إلى مكة في الثاني

(١) أحد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو جبل أحر، بينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها، ويقع حي الشهداء بسفحه الجنوبي. وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحد جبل يحبنا ونحبه» (معجم معالم الحجاز ١/٥٨-٦٠).

عشر من ذي القعدة^(١).

ذكر تجهيز الشريف سرور لقتال حرب سنة [١٢٠١هـ]^(٢)

وفي سنة ١٢٠١ عزم الشريف سرور على التجهيز لقتال حرب، إلا أنه كتم الأمر، وأرسل في شهر جمادى الأولى لطلب القبائل من كل جهة، فأقبلوا عليه فوجاً بعد فوج، وهو ييسط عليهم النفقات ويبذل لهم المال الكثير، فلما حضروا أخبرهم أنه يريد قبائل حرب، ولما تكاملت الجنود خرج يوم الثالث عشر من رجب إلى الزاهر، وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات، وكانت القبائل عدداً كثيراً، من جملتهم قبائل الشرق، بلغ عددهم تسعة آلاف، ومعهم مائتان من الخيل، وتوجه منه يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى مستورة^(٣)، فأرسل غزية على جبل صُبْح^(٤)، فغنموا مواشي أهل تلك الديرة ورجعوا. وأما طائفة عتيبة فإنهم كلما

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢١٧-٢١٨). وانظر: تاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ٩٨-١٠٣).

(٢) في الأصل: ١٢١١. وهو خطأ. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٢٢).

(٣) مستورة: بلدة ساحلية غير بعيدة عن البحر على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بينه وبين جبال هامة على ضفة وادي الفرع من الشمال إذا وصل إلى الساحل، تبعد عن رابغ (٤٠) كيلاً شمالاً، وتقع الأبواء شرقها على (٢٨) كيلاً، وهي تتبع رابغ إدارياً. وتبعد مستورة عن مكة (٢٣٥) كيلاً على الطريق العامة إلى المدينة، وهي المنتصف بينهما. ويقول الأهالي هنا: إن أصل المحطة بئر احتفرها امرأة من زيد يقال لها: مستورة (معجم معالم الحجاز ١٣٩/٨-١٤٠).

(٤) جبل صبح - أجبال صبح -: جبال سود يمين الطريق من تيماء إلى حائل، يمر بقرها، وتعرف اليوم بالظلماء (معجم معالم الحجاز ٥١/١).

وصلوا بندراً ينهبونه قبل وصول العسكر، فأقام أياماً على مستورة، وأمر على عتية أن يقيموا بعيداً عن الجيش بسويغات في محل مرتفع يقال له: الحديبة. وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة كانوا نازلين بها مصممين على قتاله حتى وصلهم، فاستبطؤوه وطالت إقامتهم وانتظارهم إياه، فظنوا أنه إنما تأخر حتى طالت المدة خوفاً منهم، وخطر ببالهم أن يدهموه في محله فيظفروا به وبخزائنه، فأقبلوا من مواضعهم على عتية أولاً؛ لكونهم بعيداً عن بقية الجيش، وأرادوا استئصالهم، فأحاطوا بهم من كل مكان، فاقتتلوا معهم، وفات من كلا الفريقين من دنا أجله، فعند ذلك صاح مستنجدهم بالشريف، فنهض كما ينهض الأسد، واستنجد الكماة من بني عمه السادة الأشراف وكل من معه في ذلك النادي من العسكر والبوادي، وفرغ لهم الذهب الأصفر، فرموا أنفسهم في الموت الأحمر، فلما رأوا عيون القوم قال: كل من قطع رأساً فله خمسة من المشاخصة، فتابعوا للقتال كأنهم نشطوا [من عقال]^(١)، فلم يكن [إلا]^(٢) كلمح البصر إلا والرؤوس بين يديه كالتلؤلؤ، وقتلوا فيهم القتل الشنيع، فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذته الشفقة، فأمر منادياً ينادي: المربوط دون المقتول بما وقع عليه القول، فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم

(١) في الأصل: للعقال. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٢٣)، وتاريخ أمراء وأشراف مكة (ص: ١٢٥).

(٢) قوله: "إلا" زيادة من خلاصة الكلام وتاريخ أمراء وأشراف مكة، الموضعان السابقان.

ويأتون [بهم]^(١) كالغنم، فربطوا ما ينوف عن خمسمائة، وهرب منهم من بقي
أجله، وأمر بوضع المرايط في الأغلال والسلاسل، ثم توجه الشريف إلى
الفرع وملكه بغير قتال، ثم إلى بدر، فلقية أهلها طائعين، ثم ارتحل إلى الخيف
فوجد أهله مترسين على رؤوس الجبال وقد جعلوا ردماً بين جبلين صيروه
كالسد [لمنعه]^(٢) من العبور، فأمر بهدمه، وحرق بعض الدور، وقبض على
عشرين منهم وجعلهم في الحديد، وطلب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي
ليتوجه معه إلى المدينة المنورة، فامثل أمره وتوجه، وكان دخول الشريف
المدينة في السابع عشر من شوال، فتلقاء أهل المدينة بالتعظيم والإجلال، وأقام
هناك إلى وصول الحج الشامي، ولا تعرض أهل المدينة بنقض ولا حل، ولا
تولية ولا عزل، ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم، ودخل مكة في
أوائل شهر ذي الحجة بمن معه من القوم، ودخلت الحجاج سادس ذي
الحجة، وحج الناس في أمن وسرور^(٣).

(١) في الأصل: به. والتصويب من خلاصة الكلام، الموضع السابق.

(٢) في الأصل: يمنعه. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٢٣).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٢٢٢-٢٢٣). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ١٢٤-١٢٧).

ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢هـ^(١)

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنين، فعزم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه بإقامة فرح عظيم، فأمر بالتهيؤ والاستعداد لذلك، فكان ابتداء ذلك الختان والفرح في اليوم العاشر من ربيع الأول من العام المذكور، وتم في ذلك الفرح ما لم يسبق مثله، فألبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان، ونثر من الذهب والفضة أعظم النثر، وعرض عليه أهل الحارات، وأنعم عليهم بالملابس والعطايا الجزيلة، ومن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر والنوبة [تضرب]^(٢)، وعرض عليه السادة الأشراف فألبسهم الملابس الفاخرة، وأعطاهم من العطايا ما تقرّ به العين، وكذا حضر كثير من أهل البادية، وعرضوا عليه، وأنعم عليهم بالملابس والعطايا، وأولم للسادة الأشراف وللعلماء وأعيان الناس وليمة منظمة، وضع فيها أنفس المآكل وخيار الأطعمة، ثم أولم لبقية الناس ولائم متعددة، وأولم أيضاً لعساكره وأشياعه وعبيده، ثم أطلق في الولايم ولم يخصّ أحداً، فما بقي أحد إلا وحضر تلك الولايم، واستمرّ هذا الفرح من عشرة ربيع الأول إلى السابع والعشرين منه.

(١) انظر: قصة ختان أولاد الشريف في: خلاصة الكلام (ص: ٢٢٣-٢٢٤)، وتاريخ أمراء

وأشراف مكة (ص: ١٢٨-١٢٩).

(٢) قوله: "تضرب" زيادة من خلاصة الكلام (ص: ٢٢٤)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة

(ص: ١٢٨).

وفي السابع والعشرين أمر جميع عساكره وخياله أن يحضروا بباب دولته وإمارته، وأمرهم أن يطوفوا بأكناف البلاد في موكب عظيم وآلي منظم، فخرجوا بأفخر الملابس ركباناً على الخيول المسومة، مصطفين كل أربعة خلف أربعة، مقدماً أمام الجيش سبعة من المدافع تسير معه، ولم يبقَ أحدٌ من أهل البلد إلا خرج يوم الزينة، ولما رجعوا إلى داره العامرة ألبسهم الملابس الفاخرة، ونثر يومها من الدراهم ما أغنى به كل صُعْلوك^(١).

وفي غرة ربيع الثاني جعل فرحاً عظيماً للنساء، وصنع لهنّ وليمة، ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء، فهرع نساء البلد متفرجات، وأكل من الوليمة من حضرها من بواديها وحضرها، [والمغنيات]^(٢) يغنين بأنواع [الألحان]^(٣) كتغريد الطيور على الأغصان، واستمرّ فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام، وتم في هذا الختان ما لم يتمّ لغيره من السرور، وإذا تم أمر يخشى منه عواقب الأمور، كما هو مذكور في المثل المشهور:

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

فلم يمض مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح إلا وتبدل السرور بالكدر،

(١) الصُعْلُوك: الفقير (المعجم الوسيط ٥١٥/١).

(٢) في الأصل: المغنيات. والتصويب من خلاصة الكلام (ص: ٢٢٤)، وتاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ١٢٩).

(٣) في الأصل: ألحان. والتصويب من خلاصة الكلام وتاريخ أمراء وأشرف مكة، الموضعان السابقان.

فمرض سيدنا الشريف سرور وحصل له إغماء غيَّبه عن الوجود، فكتموا أمره عن الناس إلى يوم الرابع عشر من ربيع الثاني، فأغمي عليه إغماء شديد ظنوا أنه الموت، فأعلنوا بالنحيب، فاضطربت البلاد لعظم المشقة، ووقع الجري في الأسواق والأزقة، ثم أفاق من ذلك الإغماء، فاستبشر الناس واطمأنوا، وعاش بعد ذلك أربعة أيام، ثم انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء في اليوم الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ألف ومائتين واثنتين، وحزن عليه الخاص والعام، والكبير والصغير، وجُهِزَ وصلي عليه بعد الإشراق عند الكعبة، ودفن بالمعلا بقبة السيدة خديجة.

وأعقب من الذكور: عبدالله، ويحيى، وسعيداً، وحسناً، وأحمداً، ومحمداً^(١).

ولاية الشريف عبدالمعين بن مساعد^(٢) سنة ١٢٠٢

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبدالمعين، وأقام فيها أياماً، وقيل: نصف يوم^(٣).

(١) خلاصة الكلام (ص: ٢٢٣-٢٢٥). وانظر: تاريخ أمراء وأشرف مكة (ص: ١٢٨-١٣٠).

(٢) انظر أخباره في: خلاصة الكلام (ص: ٢٢٥)، وأمراء مكة المكرمة في العهد العثماني (ص: ١٥٠)، وأمراء مكة المكرمة عبر عصور الإسلام (ص: ٣٣٤).

(٣) خلاصة الكلام (ص: ٢٢٥).

انتهى بعون الله تعالى الجزء الثالث
ويتلوه الجزء الرابع وأوله:
ولاية الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوعات
٣	الباب العاشر: في ذكر أمراء مكة المشرفة
٣	الفصل الأول: في ذكر أمراء مكة المشرفة
٣٦	ذكر ولاية مكة في أيام بني العباس
٧٤	ذكر دولة الأشراف بمكة
٧٥	الطبقة الأولى
٨٥	الطبقة الثانية من ولاية مكة: يقال لهم: بنو أبي الطيب
٩٠	الطبقة الثالثة من ولاية مكة المشرفة: يقال لهم: الهواشم
١٠٦	الطبقة الرابعة من ولاية مكة: يقال لهم: آل قتادة
١٢٧	ولاية الشريف حسن بن قتادة
١٩٧	ولاية الشريف عجلان من قبل سلطان مصر
٢١١	ذكر إطلاق الشريف عجلان من الحبس وتوليته إمارة مكة
٢١٥	ذكر نزول الشريف عجلان عن إمارة مكة وأعمالها لولده الشريف أحمد
٢٢٠	ذكر شراكة محمد بن أحمد بن عجلان لأبيه في ولاية مكة
٢٢٦	ولاية الشريف محمد بن أحمد بن عجلان منفرداً
٢٢٩	ولاية الشريف عنان بن مغامس
٢٣٥	ولاية الشريف علي بن عجلان بن رميثة على مكة
٢٣٨	ذكر مشاركة علي بن عجلان مع عنان في إمارة مكة ورجوعه من مصر إلى مكة مع الحاج
٢٤٠	مشاركة الشريف عنان مع الشريف علي بن عجلان في إمارة مكة ثانياً

رقم الصفحة	الموضوعات
٢٤٣	ولاية الشريف علي بن عجلان منفرداً مرة ثانية
٢٤٦	ذكر قتل الشريف علي بن عجلان
٢٤٧	ولاية الشريف حسن بن عجلان
٢٥٢	مشاركة الشريف بركات بن حسن مع أبيه حسن بن عجلان في إمارة مكة
٢٥٣	مشاركة الشريف أحمد بن حسن مع أخيه بركات في الإمارة
٢٦٣	ولاية الشريف رميثة بن محمد بن عجلان
٢٦٦	ولاية الشريف حسن بن عجلان ثانياً بعد عزل الشريف رميثة
٢٨٥	ولاية الشريف علي بن عنان بن مغامس على مكة
٢٨٦	رجوع الشريف حسن في الإمارة
٢٩٠	ولاية الشريف بركات بن حسن
٢٩٢	ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة
٣٠٦	ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن
٣٠٧	رجوع الشريف بركات إلى مكة وفرار أخيه أبي القاسم
٣٠٨	رجوع الشريف أبي القاسم إلى مكة
٣٠٨	رجوع الشريف بركات إلى ولاية مكة
٣٠٨	استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات إلى مصر
٣١٥	تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات
٣١٧	وفاة الشريف محمد بن بركات
٣١٩	ولاية الشريف بركات بن محمد
٣٢٣	ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات
٣٢٧	ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات، الملقب الجازاني
٣٣٠	رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة، واعتماد صاحب مصر له

الموضوعات	رقم الصفحة
دخول الشريف أحمد الجازاني إلى مكة وخروج الشريف	٣٣٨
بركات منها إلى اليمن	
دخول الشريف بركات مكة	٣٤٠
دخول الشريف أحمد مكة في غيبة أخيه الشريف بركات	٣٤٢
وصول الشريف أحمد الجازاني مكة	٣٤٤
ولاية الشريف حمضة بن محمد بن بركات	٣٤٦
رجوع الشريف بركات لولاية مكة	٣٥١
ولاية الشريف أبي نفي استقلالاً بعد وفاة أبيه	٣٥٩
ولاية الشريف حسن بن أبي نفي استقلالاً	٣٦٢
عدد أولاد الشريف حسن وأسمائهم	٣٧٤
ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نفي	٣٧٥
ولاية الشريف إدريس بن حسن	٣٧٩
استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز	٣٨٢
ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب	٣٨٦
دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن مكة	٣٨٩
ولاية الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نفي	٣٩٧
ولاية الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نفي	٤٠٠
نزول الشريف عبدالله بن حسن عن الإمارة لولده محمد	٤٠١
ولاية الشريف نامي بن عبد المطلب سنة ١٠٤١هـ	٤٠٣
دخول الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين	٤٠٥
تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى	٤٠٦
جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالإمارة سنة ١٠٧٧	٤١٥
صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد بن محمد الحارث حين	٤٢٢
ولاه حسن باشا إمارة مكة بالمدينة	

رقم الصفحة	الموضوعات
٤٣٠	ارتحال الشريف سعد ووصوله إلى الديار الرومية سنة ١٠٨٢
٤٣٠	ولاية الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات على مكة سنة ١٠٨٣
٤٤٢	ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤
٤٤٨	ولاية الشريف أحمد بن زيد سنة ١٠٩٥
٤٥٣	الولاية الأولى للشريف سعيد بن سعد سنة ١٠٩٩
٤٥٨	ولاية الشريف أحمد بن غالب سنة ١٠٩٩
٤٦٤	ولاية الشريف محسن بن الحسين سنة ١١٠١
٤٧٣	الولاية الثانية للشريف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣
٤٧٦	الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣
٤٨١	ولاية الشريف عبدالله بن هاشم
٤٨٩	الولاية الثالثة للشريف سعد
٤٩٣	الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣
٥١٢	دخول الشريف عبدالحسن مكة متولياً إمارتها
٥١٤	ذكر نزول مولانا الشريف عبدالحسن للشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلى عن شرافة مكة
٥٢٩	الولاية الرابعة للشريف سعد
٥٣٢	الولاية الثانية للشريف عبدالكريم
٥٤٢	الولاية الرابعة للشريف سعيد في سادس ذي الحجة سنة ١١١٦
٥٦٠	دخول الشريف عبدالكريم مكة متولياً إمارتها سنة ١١١٧
٥٦٧	دخول سنة ألف ومائة وإحدى وعشرين
٥٦٨	دخول سنة ألف ومائة واثنين وعشرين
٥٧٥	الولاية الخامسة للشريف سعيد سنة ١١٢٣

رقم الصفحة	الموضوعات
٥٧٧	وفاة الشريف سعيد
٥٧٩	ولاية الشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٢٩
٥٨٠	ولاية الشريف علي بن سعيد سنة ١١٣٠
٥٨٣	ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٠
٥٨٤	عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢
٥٨٦	دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مكة متولياً عليها سنة ١١٣٢
٥٩١	الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٤
٥٩٩	ذكر نزول الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات سنة ١١٣٥
٦٠٤	الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦
٦١٢	الولاية الثانية للشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٣٦
٦٢٢	ولاية الشريف محمد بن عبدالله بن سعيد سنة ١١٤٣
٦٢٦	ولاية الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٥ وهي الولاية الأولى له
٦٢٧	الولاية الثانية للشريف محمد بن عبدالله بن سعيد سنة ١١٤٥
٦٣٢	الولاية الثانية للشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٦
٦٣٣	ولاية الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٦٥
٦٣٩	ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢
٦٤٠	ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة لأخيه الشريف مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣
٦٤٥	ذكر ولاية الشريف عبدالله بن سعيد سنة ١١٨٤
٦٤٦	ذكر ولاية الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤

رقم الصفحة	الموضوعات
٦٤٧	ولاية الشريف عبدالله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤
٦٥٢	الولاية الثانية للشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤
٦٥٧	ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد سنة ١١٨٦
٦٥٧	الوقعة الثانية بين الشريف سرور وعمه الشريف أحمد بن سعيد
٦٥٩	الوقعة الثالثة
٦٦٠	الوقعة الرابعة
٦٦١	الوقعة الخامسة
٦٦١	الوقعة السادسة
٦٦٢	الوقعة السابعة
٦٦٣	الوقعة الثامنة
٦٦٣	الوقعة التاسعة
٦٦٥	الوقعة العاشرة
٦٦٥	الوقعة الحادية عشرة
٦٦٥	الوقعة الثانية عشرة
٦٦٦	الوقعة الثالثة عشرة
٦٦٧	الوقعة الرابعة عشرة
٦٦٧	الوقعة الخامسة عشرة
٦٧١	ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤
٦٧٣	ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة
٦٧٦	ذكر تجهيز الشريف سرور لقتال الحرب سنة ١٢٠١
٦٧٩	ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢
٦٨١	ولاية الشريف عبدالمعين بن مساعد سنة ١٢٠٢